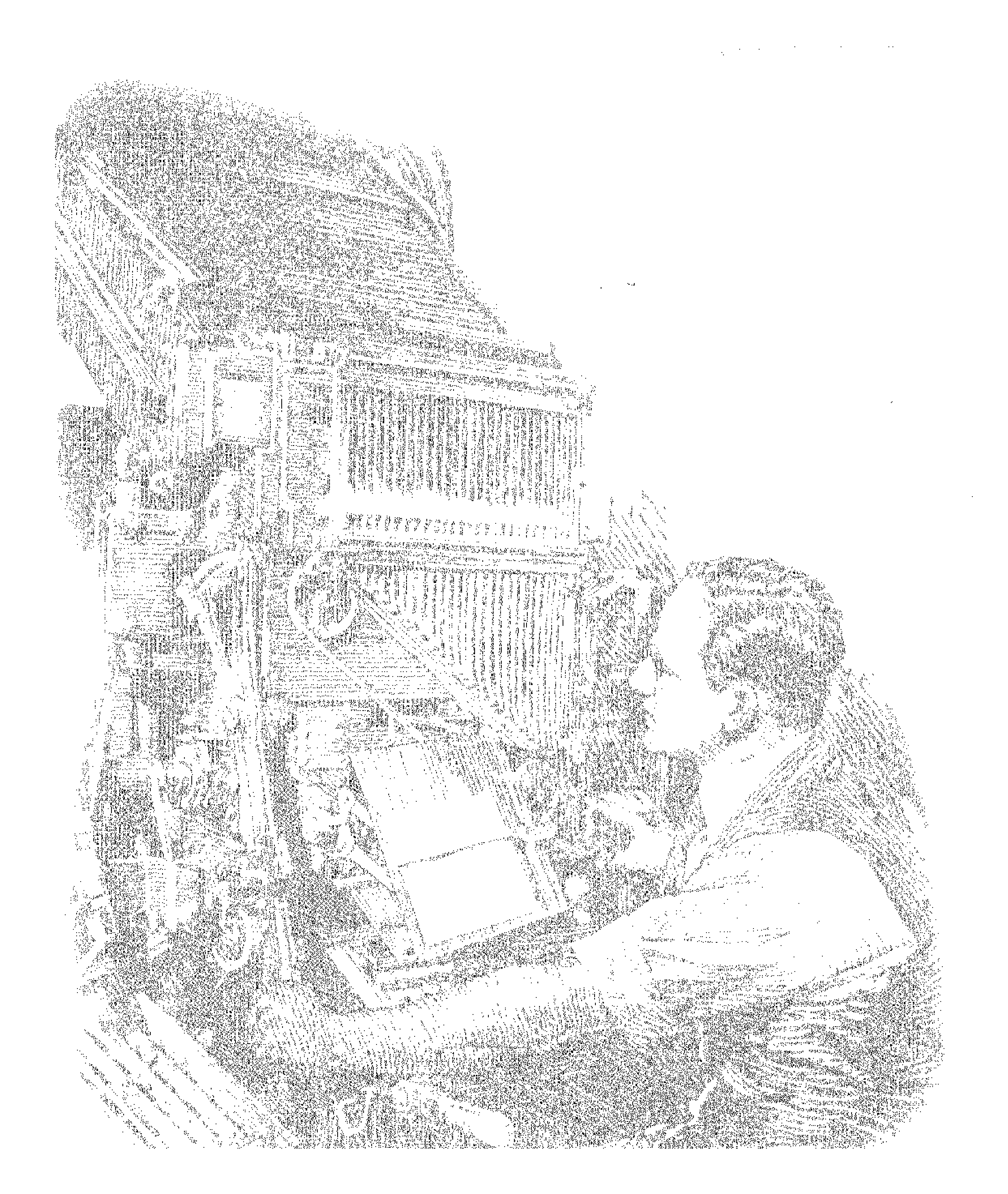


مطبعة بولاق

إشراف وتقديم

إسماعيل سراج الدين

إعداد

خالد عزب　　أحمد منصور

مَطبعة بُولاق

إشراف وتقديم
إسماعيل سراج الدين

إعداد
خالد عزب **أحمد منصور**

الإسكندرية
٢٠٠٥

الإشراف العام
إسماعيل سراج الدين

إعداد دليل المعرض
خالد عزب
أحمد منصور

إعداد المعرض
حسين الشابوري
(مستشار المكتبة للمعارض)

طارق ياسين
علي حسن
(الإدارة الهندسية)

جمال حسني
محمد خميس
(وحدة المعارض)

تصوير
محمد نافع

مستشار التصميم والطباعة
مدحت نصر

التصميم والإخراج الفني
چيهان أبوالنجا

مراجعة وتدقيق لغوي
محمد مشرف خضر

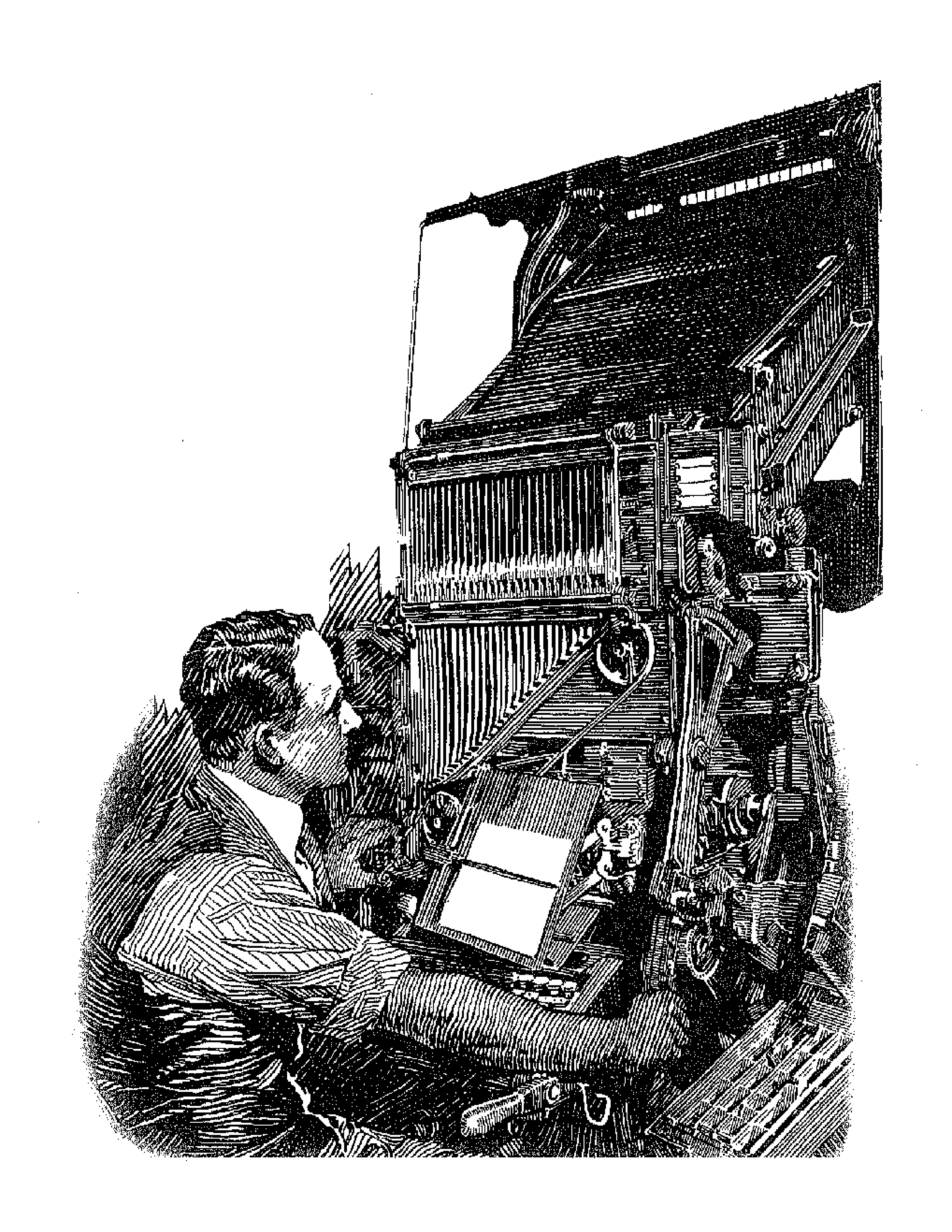
مكتبة الإسكندرية بيانات الفهرسة- أثناء – النشر (فان)
.مطبعة بولاق / إشراف وتقديم إسماعيل سراج الدين : إعداد خالد عزب، أحمد منصور – الإسكندرية : مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٥
ص. سم.
تدمك : ١- المطابع. ٢- الطباعة. ٣- الطباعة – تاريخ. ٤- الكتب – طبع.
أ- سراج الدين، إسماعيل (مشرف) ب- عزب، خالد (معد) ج- منصور، أحمد (معد)
ديوي-٠٧٩،٦٢ ٢٠٠٥٢٤٢٢٦٦

رقم الإيداع : ٢٠٠٥/١١٣١٥

ISBN 977-6163-09-2

المحتوى

مَطْبَعَةُ بُولَاق



تقديم

منذ أن اقتنت مكتبة الإسكندرية بعض ما تبقى من تراث مطبعة بولاق ومكتبتها بإهداء كريم من معالي المهندس رشيد محمد رشيد وزير الصناعة والتجارة الخارجية، وأنا أسأل ممن حولي لماذا كل هذا الاهتمام منذ بمطبعة بولاق؟ وفي الحال أجيبهم: أن تاريخ مصر حدثت فيه طفرة علمية ومعرفية مع مطبعة بولاق، فإذا كان العالم مع اكتشاف البردي استطاع أن يحفظ ذاكرته العلمية والتاريخية والدينية مكتوبة على البردي، وإذا كان اختراع الورق أصبح تداول هذه المعارف أسهل بعض الشيء لرخص الورق عن البردي المصري القديم، فإن الطباعة جعلت العلوم والمعارف والآداب والأفكار تخرج من نطاق المحدودية نتيجة لتداول نسخ نسخت بيد النساخ إلى عالم أرحب أكثر اتساعًا، وأكثر سرعة في تداول المعارف والعلوم؛ فآلاف النسخ التي طبعت من الكتب بعد التوصل إلى الطباعة حولت العلم إلى شيء مختلف يدخل كل البيوت ويؤثر في كافة مناحي الحياة اليومية للإنسان.

من هنا كنت حريصًا على أن نفكر جديًا في أن تتكامل منظومة تطور المعرفة الإنسانية في مكتبة الإسكندرية، بدءًا من البردي في متحف الآثار الذي تحمل نصوصه موضوعات متنوعة إلى أدوات الكتابة التي يعود بعضها للعصر المصري القديم والآخر للحقبة العربية الإسلامية، بل حرصت على أن يكون ضمن مقتنيات متحف المكتبة تمثال لفتاة تتعلم يعود للحقبة اليونانية الرومانية وإذا عرج الزائر لزيارة متحف المخطوطات لاشك أنه سينبهر بتلك المجموعة الفريدة من المخطوطات المنسوخة على الورق الذي أذاع العرب صناعته للعالم.

كانت هناك نقلة أخرى احتاجت المكتبة إليها لتتكامل دائرة نشر المعارف والعلوم استطعنا من خلال بعض الإهداءات من الحصول على مجموعة من المطبوعات الأوروبية المبكرة، لكن مع ظهور فكرة اقتناء مطبعة بولاق ومطبوعاتها، رأيت أن الدائرة بدأت تكتمل لأول مرة. لقد سبقت اسطنبول والعديد من مدن الشام مصر في معرفة الطباعة غير أن بولاق كانت أول مطبعة تتبع الدولة المصرية، تقيم أسس صناعة الطباعة بل تعمل على إحداث نقلة ليست نوعية فحسب بل نقلة كمية ومعرفية للعلم في المنطقة العربية بأسرها. من هنا جاء اهتمامي الشخصي بمشروع أول معرض لتاريخ الطباعة في المنطقة العربية، ليكون لنا متحف في تقنيات الطباعة وتطورها يوازي ويساير متاحف الطباعة في ألمانيا، وفرنسا، وبلجيكا وغيرها من الدول.

إن نظرة ثاقبة لدور مطبعة بولاق في الحياة المصرية خلال القرن التاسع عشر تكشف لنا بدقة عن الدور الذي لعبته هذه المطبعة التي نشأت أول الأمر لخدمة المشروع الحربي لمحمد علي، وتطور دورها إلى أن نشأت إلى جوارها العديد من المطابع الخاصة ثم بدأت تظهر الصحافة كأداة إعلامية؛ فالوعي العام منذ ظهور بولاق اختلف وتبلور بعد سنوات قليلة نراه مجسدًا في الثورة العرابية ومضمون ما طالبت به من حقوق للمصريين، مقارنة بما كان عليه موقف المصريين حين اختاروا محمد علي عام ١٨٠٥م، فلقد أصبح الأمر مختلفًا؛ فهناك وعي بضرورة وجود وزارة قانونية توحد بين كافة طوائف المجتمع المصري، ومن ثم ظهرت واجبات على الحاكم ومسئوليات عليه فرضها هذا الوعي الناتج عن ازدياد القراءة والمعرفة ولم يكن هناك ذلك التفويض الذي أعطى لمحمد علي.

كان الطب أكثر الأشياء التي اقتربت منها فمدرسة قصر العيني شهدت في بداياتها كتبًا طبية معربة "كالدور الفوال في أمراض الأطفال" لكلوت بك، والذي ترجمه محمد الشافعي وحرره محمد التونسي ونشر عام ١٨٤٤م، كما كان للجغرافيا حظها أيضًا ومنها كتاب مالطبرون "الجغرافيا العمومية" الذي ترجمه رفاعة الطهطاوي عام ١٨٣٣م، بل حتى الصناعة كصناعة الحرير نشرت لها المطبعة كتبًا، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل نرى كتب الأدب" كألف ليلة وليلة" والتاريخ "كخطط المقريزي"، وموسوعة القلقشندي "صبح الأعشى في صناعة الإنشا".

إن ما سبق يبين أثر الطباعة، لكننا في مكتبة الإسكندرية، نسهم أيضًا في حركة الطباعة والنشر بمشروعات ذات طبيعة خاصة، فدورنا ليس منافسة دور النشر ولا المؤسسات القائمة والتي تلعب دورًا مؤثرًا منذ سنوات بل دورنا هو استكمال دور هذه المؤسسات والسعي إلى القيام بما لا يستطيع الآخرون القيام به فسنرى في مجال المخطوطات مشروع النشر التراثي متعدد اللغات، الذي يصب في مجال التواصل مع الحضارات الأخرى، والتعريف بتراثنا لديها. كما ينجز مركز الخطوط في سلسلة دراسات مطبوعة تصب في التواصل والتعريف بمختلف الحضارات، بل إن ما نشره مركز الدراسات الخاصة من أبحاث تتعلق بمؤتمرات البيوفيجن هو نشر يبرز الإسهام العلمي للمكتبة في مجال العلوم المعاصرة.

غير أن النقلة النوعية التي تشارك فيها المكتبة، هي تكنولوجيا المعلومات في محاولة منها بإنشاء "المعهد الدولي للدراسات المعلوماتية" الذي يهدف إلى أن يصبح بؤرة تجمع للعلماء من كافة أنحاء المعمورة بغرض دراسة التقنيات الحديثة في مجال تكنولوجيا المعلومات، إضافة إلى ذلك فإن المعهد يهدف إلى أن يسهم في مشروعات وشراكات مع مراكز التقنية المعلوماتية في العالم باستخدام أعلى مستويات التكنولوجيا ونظم الاتصالات المتقدمة لإفادة المجتمع ، بالإضافة إلى تنظيم الندوات والمحاضرات وإصدار التقارير العلمية والقيام بأنشطة متعلقة بهذا المجال بما يتوافق مع سياسة مكتبة الإسكندرية.

ويقوم المعهد الدولي للدراسات المعلوماتية بدور الحضانة التكنولوجية التي تنتج المشروعات الرقمية والتقنية التي ينفذها المعهد كهدف أساسي يسعى القائمون عليه إلى تحقيقه وقد قام المعهد بالفعل بخلق شراكات وتبني عددًا من المشروعات الرئيسية المتفقة مع رسالة المكتبة منها: المعمل الرقمي المجهز بتقنيات باهرة وغير مسبوقة يتم استخدامها للمسح الضوئي لمختلف وسائل العرض، بما فيها أيضًا من شرائح ذات أشكال متعددة والصور السلبية، والكتب والمخطوطات، والصور، والخرائط، والوسائط السمعية والبصرية، وتم تزويد المعمل بالمعدات اللازمة للفهرسة والأرشفة وإدارة قواعد البيانات، وتعد هذه الخطوة الأولى لرقمنة جميع محتويات مكتبة الإسكندرية بالإضافة إلى مقتنيات المكتبات العالمية الأخرى التي تهتم بمفهوم "إتاحة المعرفة للبشرية جمعاء". وكذلك أرشيف الإنترنت – الذي أهداه أرشيف الإنترنت في سان فرانسيسكو للمكتبة عام ٢٠٠٢م – الذي يضم نسخة كاملة من صفحات شبكة المعلومات الدولية بكل مواقعها بدءًا من عام ١٩٩٦م حتى ٢٠٠١م.

يحتوي الأرشيف على ١٠٠ تيرابايت من المعلومات، ويتم التنسيق مع أرشيف الانترنت بسان فرانسيسكو بصفة دورية للحفاظ على نسخة مطابقة للأصل وقد تم الاتفاق مع فريق العمل بسان فرانسيسكو لبناء جيل جديد من الأجهزة لأرشفة صفحات الانترنت يمكنه أن يُشغل ويخزن معلومات يصل حجمها إلى واحد بيتا بايت. من ناحية أخرى يطمح مشروع المليون كتاب على المدى الطويل إلى تحويل عدد ضخم من الكتب المنشورة إلى كتب رقمية وذلك لخلق مكتبة رقمية عالمية لإتاحة إبداع الفكر الإنساني وتسهيل الحصول على المعلومات لملايين الأشخاص في العالم؛ فتعمل مكتبة الإسكندرية وشركاؤها من (الصين، والهند والولايات المتحدة) على رقمنة مليون كتاب خلال ثلاث سنوات وإتاحتها عبر شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) مع إمكانية البحث فيها، ومن المتوقع أن تتخذ مكتبة الإسكندرية موقع الصدارة في مجال الرقمنة باللغة العربية وذلك من خلال رقمنة خمسة وسبعين ألف كتاب باللغة العربية خلال ثلاثة أعوام وقد قام المختصون برقمنة ألف وخمسمائة كتاب منذ شهر أكتوبر ٢٠٠٣م، كما تم بناء قاعدة بيانات تضم تفاصيل عن هذه الكتب.

وقد تقرر بناء نظام لتسجيل عملية الرقمنة كما تم دمجه بنظام المعلومات الخاص بالمكتبات. وتم تطبيق البحث عن أفضل تقنية ضوئية للتعرف على الحروف بالنسبة للغة العربية وذلك بغرض إنشاء نماذج خطوط داخل المكتبة العربية.

كما تم أيضًا إجراء تجارب أولية ناجحة لدعم تركيب النص العربي وأظهرت التجارب نتائج مرضية. ومن مشروعات المكتبة الرائدة؛ المكتبة الرقمية لتاريخ مصر الحديث والتي تتضمن مجموعة مرقمنة للمكتبات المتخصصة مثل مكتبة جمال عبد الناصر، ومكتبة أنور السادات، ومجموعة كبار الكتاب والمؤرخين

المصريين، بالإضافة إلى المحتويات المتعلقة بهذا الموضوع من جميع أنحاء العالم عن طريق مسحها ضوئيًا وفهرستها وتصنيفها وتقديمها في قالب يسمح لمستخدميها بالبحث بطريقة سلسة، وكذلك مشروع لغة الشبكات العالمية وتكونت هذه الفكرة بالأمم المتحدة وتم تنفيذ بداياتها بمؤسسة لغة الشبكة الرقمية العالمية، وتكمن أهمية هذا المشروع في إتاحة استخدام وتشغيل مصادر المعلومات والمعرفة، وتمكين جميع الأشخاص من استخدام هذه المصادر بلغاتهم وثقافاتهم، ويرتكز هذا المشروع على مبدأ الترجمة للغات المختلفة عبر لغة عالمية وسيطة وتلعب المكتبة دورًا رئيسيًا في تصميم وتنفيذ الجزء الخاص باللغة العربية في هذا البرنامج كما ستكون مركزًا نشطًا وفعالاً مسئولاً عن تراجم اللغة العربية.

وإذا كانت مصر قدمت للعالم قديمًا الكتابة والبردي ثم ساهمت في تطور تقنيات الطباعة من خلال الطباعة بالألواح الخشبية التي عرفت في الفيوم ورسخت العلوم والمعارف الحديثة عبر مشروعها العملاق مطبعة بولاق فإنها ومع مطلع القرن الحادي والعشرين تشارك العالم ثورته الرقمية.

وأخيرًا فإنني أتوجه بخالص التقدير لكل من كان له اليد في مشروع أول معرض لتاريخ الطباعة في الوطن العربي، وعلى رأسهم المهندس رشيد محمد رشيد وزير الصناعة والتجارة الخارجية، والمهندس زهير محمد حسب النبي رئيس الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، وخالد عزب من مكتبة الإسكندرية الذي تابعت معه يومًا بيوم هذا المشروع ووجهته نحو سرعة إنجازه، وقد كنت حريصًا على أن يضاف لهذا المعرض بعض المقتنيات الأخرى التي ستعكس تطور حركة الطباعة في مصر وهو ما سيراه الزائر قريبًا حين نفتتح المعرض في مكان دائم سيخصص له.

كما خرج دليل المعرض في صورته الحالية بعد مراجعات عديدة لمادته رأيت أن يمزج فيها بين تاريخ تطور الطباعة بدءًا من شرق آسيا إلى الوطن العربي ثم القفزات النوعية التي حدثت في أوروبا إلى بدايات حركة الطباعة في الوطن العربي، ثم ظهور مطبعة بولاق والانقلاب الذي أحدثته. وقصدت أن يمزج الكتالوج بين تاريخ الطباعة وتطور تقنيات الطباعة وأن يضاف له ملحق يضم نماذج من مطبوعات بولاق.

هذا العمل الذي أنجزه كل من خالد عزب وأحمد منصور، وهو من الباحثين الواعدين في المكتبة، بإشراف خاص مني، رأيت ألا يمر دون أن يحكم علميًا لأننا لا نعتبر معرض تاريخ الطباعة معرضًا عاديًا بل معرض ذا طبيعة خاصة، فجاء تحكيم العالمين يونان لبيب رزق، ورؤوف عباس، حاملاً ملاحظات نفذها معدا دليل المعرض بعناية فائقة.

إسماعيل سراج الدين

مدير مكتبة الإسكندرية

تمهيد

ربما يتساءل البعض حين همت مكتبة الإسكندرية بالبحث عن مطبعة بولاق، وعن كل ما كان يتصل بها...من أجل إنشاء معرض متكامل يضم آلات المطبعة القديمة وملحقاتها من ماكينات تنضيد وجمع الحروف، ومن آلات الطباعة، ومن نقوش التأسيس والتجديد، وماكينات للتذهيب، والخزانة الحديدية التي كان محمد علي يودع فيها أختامه....الخ.

فلم كل هذا الجهد، وهذا تراث مندثر، وماض ميت؟! والحقيقة أنه سؤال العجلة، فلو تريث المتسائلون، وراجعوا أنفسهم قليلاً لعرفوا الأمر على حقيقته ، ولأدركوا ما أدركناه وآمنا به ونحن نُعني أنفسنا بحثًا عن كل ما يتصل بالمطبعة ولو من بعيد... فالذي ندركه، ونؤمن به أن مطبعة بولاق ليست فقط بعض ماكينات، وليست مجموعة من قطع الحديد أو الحروف المهترئة ..... إنها رمز حي على مرحلة فاصلة في تاريخ مصر ، وإنها بآلاتها الحديدية، وملحقاتها الجامدة شاهد صدق على ذلك التحول الكبير الذي بدأت معه مصر مرحلة جديدة نحو النهوض والتقدم.

و إنصافاً نقول أن مطبعة بولاق كانت هي السبب الرئيسي في ذلك التحول الكبير الذي حدث، وخرجت فيه مصر من عصور مظلمة تثقلها قيود الجهل والتخلف التي بذل فيها الترك والمماليك جهدهم حتى تظل العيون فيها مغلقة، والعقول مكبلة، والإرادات محطمة، والألسنة معقودة...خرجت مصر من كل ذلك إلى نور المعرفة، والحرية والوعي. وكان كل هذا بسبب مطبعة بولاق التي قدمت للمصريين زادًا كانوا في حاجة إليه، قدمت إليهم المعرفة الواسعة في وعاء جديد عليهم؛ وهو الكتاب المطبوع.

ومن قبل كان الاعتماد فقط علي الكتاب المخطوط، ولا يخفى ما في هذا من تضييق وحجب للمعارف عن عموم الشعب، فمن ذا الذي يستطيع أن يتحمل تكاليف نسخ الكتاب، إنهم قلة قليلة من القادرين، وأكثرهم تابع للسلطة، أو مشغول عن قراءة ما نسخ له....وإنهم في غالب الأمر لا يجيدون العربية قدر إجادتهم للتركية ...فلعل أمر المعرفة قد أهمل إهمالاً تامًا اللهم إلا من بصيص ضئيل كان ينبعث من الأزهر، الذي كان الملاذ الأخير لبقية من علوم الدين، وشيء من علوم اللغة، ولكن هذا البصيص الضئيل كان يعاني هو الآخر من الجمود المسيطر على كل شيء فلم يكن ليفيد في شيء، ولا ليغير من شيء.

ففسدت اللغة–وعاء العلم– ولنا مثال على ذلك كتاب "بدائع الزهور وعجائب الدهور" لابن إياس وكذلك كتاب "عجائب الآثار في التراجم والأخبار" للجبرتي، وكلاهما فاسد اللغة لا هو إلى الفصحى ولا إلى العامية....وفساد الوعاء يفسد ما بداخله، فلن نكون مغالين في القول بأنه لم يكن هناك أدب يذكر لتلك الفترة من ذلك التاريخ المظلم.

وهل نسمي تلك النماذج الشاحبة المفتعلة الركيكة التي تسربت من ذلك العصر – أدبًا....والعلم كان أسوأ حظًا، ولسنا بحاجة –في الدلالة على ما نقول– لأكثر من تلك الحكاية الطريفة التي يحكيها لنا الجبرتي عن دهشته البالغة هو وبعض إخوانه خلال زيارتهم لمعمل علمي من معامل الفرنسيين وحضورهم بعض التجارب هناك، فقد تحدث الجبرتي عن ذلك كله وكأنه يتحدث عن عمل من أعمال السحر!

لقد استطاع الحكم العثماني أن يحول مصر إلى منطقة ميتة ترزح في ظلمات الجهل والفقر، وتردت بالتالي أحوال العلم والثقافة والأدب في البلد....وجاءت مطبعة بولاق، والحال كما وصفنا، لتكون عاملاً خطيرًا في إيقاظ العقل المصري من سباته، وتوجيهه نحو وجهات جديدة كان قد غفل عنها منذ أزمان بعيدة.

لقد جاءت المطبعة مثل عصا سحرية أدت إلى خلق طبقات اجتماعية جديدة...لقد أدت إلى أن تصبح المعرفة للجميع وليست قاصرة على طبقة بعينها، طبقة يهمها صالح البلاد، فأصبح العلم بفضل المطبعة مشاعًا، حيث عملت على نشر الكتب فأصبح الكتاب الواحد يطبع منه مئات النسخ، بل آلاف كانت تتيح لجمهور كبير من الشعب أن يطلع عليها، ولا يكلفه ذلك الكثير، وكان هذا هو أول وأهم دور قامت به المطبعة، أن ألغت الاحتكار الفكري، فصار الأدب والعلم والمعرفة والثقافة . . . من المنافع العامة التي يتمتع بها كافة أفراد الشعب المصري، فأشرقت بذلك شمس لم يألفها ، إنها شمس عصر جديد في تاريخ مصر .

ويرتبط بهذا الدور الذي قامت به المطبعة في التثقيف ونشر المعرفة ما حدث في عصر الخديوي إسماعيل بخاصة من اتساع دائرة التعليم فكثر الجمهور الذي تخاطبه من القراء، فتعمقت فاعلية وجودها وأصبح أثر ما تنشره كبيرًا، فتحول الأثر من مجرد نشر المعرفة إلى تفتق الوعي الجماعي، وإلى تكوين رأي عام.

إن القدرة على تحديث المنظومة الثقافية، هي الشرط الأساسي لتحديث المجتمع في شتى مجالاته سياسيًا، واقتصاديًا، واجتماعيًا بل وعسكريًا أيضًا، حيث يرتبط التجدد والتحديث في المجتمعات –بالدرجة الأولى– بالتحول في المفاهيم التي تمنع أو تحول دون هذا التجدد، فالمجتمعات في ممارستها الحياتية تنمي من ثقافتها، وهي التي تنظم حياتها وتحميها، وتنتج أدوات الواقع في مجتمعاتها، وبعبارة أخرى، يصعب إنجاز أي تحديث أو تجديد حقيقي بتجاهل ثقافة المجتمع أو القفز عليها، وقد أدرك محمد علي باشا هذا المبدأ منذ ما يزيد على قرنين من الزمان فكان إنشاؤه لمطبعة بولاق.

ويرتبط بالمطبعة كذلك ما حدث في مجال الإنتاج الأدبي والصحفي من تحرر كبير من تلك القيود التي كبلت طرائق التعبير القديمة، فأصبح الاهتمام بتوصيل المعنى من أكثر طريق، لأن القراء رأوا طرائق جديدة للتعبير سواء في الكتب القديمة التي أحيتها المطبعة، أو في تلك الكتب التي كان يقوم بترجمتها كبار الأدباء.

تغيرت الحياة إذًا تغيرًا جذريًا بسبب دخول المطبعة إلى مصر، وبدأ عصر جديد. وهذا التحول من الظلمات إلى النور لم يكن سببه الرئيسي شيئًا غير مطبعة بولاق. فهي بذلك تستحق أن تهتم بها مكتبة الإسكندرية، وأن تنشئ لها معرضًا، فإن لها في نفس كل مصري مكانًا خاصًا، ولهفة كبيرة – نشعر بها– لمعرفة قصتها، فنحن في المكتبة نحقق له رغبة كبرى بإقامة هذا المعرض، ونحن في هذا الكتاب نحقق له رغبة أخرى في معرفة تاريخ هذه المطبعة منذ نشأتها، وأهم تحولاتها المختلفة حتى جاءت إلى مكتبة الإسكندرية .

وإننا في هذا الصدد نتوجه بالشكر إلى الدكتور/ إسماعيل سراج الدين مدير مكتبة الإسكندرية لإشرافه على المعرض و إصدار الدليل الخاص به.

خالد عزب

مدير إدارة الإعلام– نائب مدير مركز الخطوط

أحمد منصور

باحث في مركز الخطوط

الفصل الأول

بزوغ فجر الطباعة في العالم



أولاً: ظهور الطباعة في الشرق الأقصى

يمكننا القول –دون أي مبالغة– إن كل ما وصل إليه إنسان العصر الحديث من تقدم، وكل ما ينعم به من حضارة إنما يعود في الأساس إلى معرفته لفن الطباعة؛ فإذا كان الكتاب هو حافظ الانجازات الإنسانية؛ فالطباعة هي سبب وجود الكتاب، وهي سبب تأثيره الفاعل في تاريخ البشرية لأن نسخة واحدة من الكتاب لا تقوم بما يقوم به عدد من النسخ، وكلما زاد هذا العدد زاد تأثير الكتاب وزادت فائدته.. مما يبرز جهدًا كبيرًا لن يذهب سدى حين يجري البحث في موضوع واحد مرتين؛ وبذلك يستطيع اللاحق أن يبني على أساس وضعه السابق، فتسير الحياة قدمًا.

فلا أحد يجادل الآن في أن الطباعة هي التقنية الأكثر فاعلية في تاريخ الإنسانية، والتي لم يتوصل الإنسان إلى ما يماثلها في أهميتها، وفي وظيفتها التي تتخطى الجانب التقني إلى جوانب أخرى حيث تسهم بقسط وافر في التحولات الفكرية والاقتصادية ومن ثمَّ الاجتماعية التي عرفتها كل المجتمعات شرقيها وغربيها على السواء، وذلك من حيث أنها تمثل أولى مبادرات الانفتاح العالمي من خلال سهولة انتقال الاكتشافات والعلوم الحديثة من الثقافات والأفكار الدينية.

نشأة الطباعة في الصين

في إطار حديثنا عن نشأة الطباعة في العالم، لابد أن نتعرض بشيء من الإيجاز لنشأتها في دول الشرق الأقصى، ذلك أن أول ظهور للطباعة كان في تلك المنطقة. غير أنه لابد وأن منهجية ودوافع ظهور الطباعة في الشرق الأقصى تختلف عن تلك التي أدت إلى ظهورها في أوروبا، فلقد ظهرت الطباعة في الأولى للحفاظ على النصوص الدينية، بينما ظهرت الطباعة في الثانية لحاجة اقتصادية ملحة وهي تلبية الطلب المتزايد على شراء الكتب من أجل التعليم[١].

لقد سبقت الصين أوروبا في اكتشافات الطباعة بوقت طويل، حيث أدى انتشار البوذية في الصين والبلدان الأخرى في الشرق الأقصى إلى دفعة قوية في تطور الفنون الجميلة والكتابة، وكان الطلب الكبير على الكتب البوذية المقدسة دافعًا قويًا للبحث عن حلول تقنية جديدة قبل أي بلد آخر في العالم، بما في ذلك بلدان أوروبا، مما أسفر عن تطور الطباعة.

ومن ثم فقد توصل الصينيون إلى طريقة نسخ الكتب بشكل ميكانيكي بواسطة القوالب الحجرية المنقوشة، وأيضًا من خلال الأختام المصنوعة من الحجر، أو من العظم، أو من المعدن لنسخ اللوحات المختلفة والنصوص الدينية القصيرة. وقد ظل الصينيون يستعملون هاتين الطريقتين خلال العصر الوسيط. ففي عهد أسرة تانغ (٨١٦م–٧٠٩م) تذكر المصادر بشكل متميز "عمال النسخ" الذين كانوا مخولين بنسخ الكتب من نقوش حجرية.[٢]

كانت الأوساط الدينية في عهد أسرة تانغ تفضل نسخ الكتب بهذه الطريقة على نسخها بواسطة القوالب الخشبية، التي تطورت حينئذ، لأنها كانت تعتقد أن الحجر فقط يمكن أن يحفظ النصوص الأصلية للكتب المقدسة وجمال الكتابة الصينية القديمة.

في ذلك العهد، وبشكل أكثر تحديدًا منذ القرن الثامن الميلادي، بدأ في الصين نسخ الكتب بواسطة القوالب الخشبية. ويذكر المؤرخون أن بعض اللوحات والنصوص قد نسخت بهذه الطريقة منذ نهاية القرن السادس الميلادي، إلا أنه لم يتم العثور حتى الآن على أي نسخة من تلك النسخ، فأقدم الموجود

بين أيدينا الآن هو نص مطبوع بواسطة القوالب الخشبية في الصين يعود إلى سنة ٧٥٧م. وكان هذا النص قد اكتشف سنة ١٩٤٤م في مغارة بمنطقة ستشولت، وهو يتضمن أحد النصوص البوذية المقدسة (رهارانى سوترا). إلا أن أقدم كتاب مطبوع بواسطة القوالب الخشبية في الصين ومحفوظ حتى الآن يعود إلى سنة ٨٦٨ م، وهو يتضمن النص البوذي "سوترا الماسية". وكان هذا الكتاب قد اكتشفه السير أورل ستين سنة ١٩٠٧م في "مغارة الألف بوذي" بمنطقة تون – هوانغ في تركستان. تعود قصة اكتشاف هذه المغارة إلى راهب من الطائفة الطاوية كان قد رصد مبلغًا من المال في عام ١٩٠٠م لترميم أحد هذه الكهوف، وفي أثناء ترميمه لإحدى الرسومات الجدارية اكتشف أن الحائط لم يكن مبنيًا من الأحجار بل تم بنائه من الطوب اللبن، واستطاع أن يكتشف أن هذا الجدار ما هو إلا مدخل أو بوابة لإحدى الغرف التي كانت مليئة بلفائف المخطوطات، وقد حررت هذه المخطوطات بلغات عديدة مثل: الصينية، والتبتية، والسنسكريتية، والإيرانية، والسوجديانية، والإيجور، وكذلك بعض مختارات من العهد القديم بالعبرية[٣]. وقد اكتشفها السير ستين في عام ١٩٠٧م، وهي محفوظة اليوم في المكتبة البريطانية في لندن. ويعتقد بحق أن هذا الكتاب، الذي طبع بطريقة ميكانيكية لم يكن الأول من نوعه بل إن الصينيين طبعوا قبله كتبًا كثيرة بوسائل أكثر بدائية[٤] (شكل١).

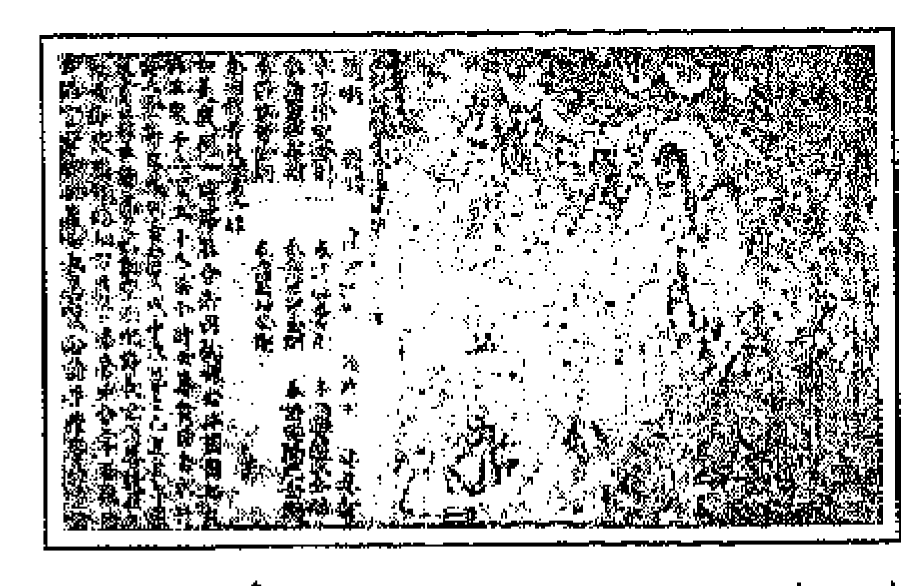
برز الوزير النشيط فنك تاو في القرن العاشر الميلادي (٩٣٢م–٩٥٣م) حيث قرر إصدار طبعة محققة لمؤلفات الكتّاب الكلاسيكيين التسع. وهكذا بدأت في الصين أهم مرحلة في تطور الطباعة بواسطة القوالب الخشبية. وفي الواقع فقد ذاعت شهرة فنك تاو بسبب هذا المشروع الكبير إلى حد أن التواريخ القديمة ربطت اختراع الطباعة باسمه.

أما السبب الذي دفع الوزير لتبني هذا المشروع، فهو يدور حول محور أقلق الكثير من السابقين على عهده ويتمثل في أن نصوص الكلاسيكيين المنسوخة باليد كانت تنتقل في البلاد في روايات مختلفة "دون أن تكون بينها أية رواية صحيحة"، وحين شاهد الوزير الكتب المطبوعة بواسطة القوالب الخشبية أمر على الفور أن تُنجز طبعة محققة لنصوص الكلاسيكيين التسع، ولأجل هذا فقد شكل تسع لجان من أفضل الخبراء الموجودين في "الأكاديمية القومية" الذين عملوا إحدى وعشرين سنة لإنجاز هذه الطبعة المحققة. وبالإضافة إلى هذا فقد أمر الوزير فنك تاو بتجنيد أفضل الخطاطين والفنانين لإعداد الألواح الخشبية اللازمة للطباعة، كما عُين على رأس هذا المشروع مدير الأكاديمية القومية.

لقد كان لهذا المشروع أهمية كبرى حيث أثر كثيرًا في تطور الطباعة في الصين، ولذلك فإن هذا الاختراع يمكن أن يُقارن من ناحية الأهمية باختراع جوتنبرج بالنسبة إلى طباعة الكتب في أوروبا. إلا أن الفرق بين تاو وجوتنبرج كان كبيرًا؛ ففنغ تاو لم يعمل بشكل مباشر في الإعداد التقني للطبعة المذكورة، كما أنه لم يسهم مثل جوتنبرج في تطوير التقنية الطباعية. ومع ذلك فإن فضل فنغ تاو كان عظيمًا لأنه حول الطباعة إلى استخدام تقنية القوالب الخشبية، مما كان يعد مؤشرًا لبداية ازدهار الطباعة بهذه الطريقة في الصين خلال عهد أسرة سونغ (٩٦٠م–١٢٨٠م).

وقد كان أكبر مشروع طباعي في الصين خلال ذلك الوقت متمثلاً في إصدار النص الكامل للكتاب البوذى "تريبيتيكا" Tripitika في ٥٠٤٨ كراسة تقريبـ(١٣٠ ألف صفحة).

وقد طبع هذا الكتاب حينئذ في مدينة تشينغ – تو خلال الأعوام (٩٧٢م – ٩٨٣م).



(شكل١) إحدى اللفائف التي اكتشفها السير أورل ستين في "كهف الألف بوذي" ضمن مجموعة من المخطوطات المطبوعة التي تعود إلى الألفية الأولى من الميلاد.

في عهد تشينغ-لي توصل أحد العامة وهو، بي شنغ، إلى اختراع الحروف المتحركة، حيث كان يأخذ الصلصال اللاصق (تشياو-ني) ويصنع منه رموزًا (حروفًا) في رقة العملة النحاسية ثم يشويها لتتصلب، وفي غضون هذا كان يعد لوحًا من الحديد ويطليه بخليط من صمغ الصنوبر والشمع ورماد الورق. وحين يريد أن يطبع شيئًا كان يأخذ إطارًا من الحديد ويضعه فوق اللوح الحديدي، وبعد أن يمتلئ الإطار بالرموز (الحروف) كان يتحول إلى كتلة صلبة. حينئذ كان يضع الإطار قرب النار لكي يسخن، وحين تبدأ الشريحة المطلية في الذوبان كان يضغط على السطح بلوح خشبي لكي تصبح الرموز (الحروف) مصقولة كحجر الصوان.

بهذا الشكل كان بي شنغ يحصل على الأصل الذي يستطيع بواسطته أن ينسخ عددًا كبيرًا من النص الذي يريد نسخه، ويلاحظ هنا أن هذه الطريقة "ليست سريعة ولا مفيدة إذا كان الهدف منها الحصول على نسختين أو ثلاث"، ولكنها سريعة بشكل سحري إذا كان الهدف منها الحصول على مئات أو آلاف النسخ.

في الواقع لقد كانت هناك عدة أسباب حالت دون اهتمام أكبر باختراع بي شنغ أو دون تطبيق أكبر لهذا الاختراع، فقد كان استعمال بي شنغ للصلصال المشوي يحول دون إنتاج نسخ جيدة للنصوص، في الوقت الذي كان جمال الرموز (الحروف) ودقتها بالنسبة للصينيين من العوامل المهمة للغاية في الكتابة والطباعة.

بالإضافة إلى هذا فقد كانت هذه التقنية الطباعية التي اخترعها بي شنغ بعيدة عن الحد الأدنى الذي يضمن بالفعل عملاً سريعًا واقتصاديًا، لهذا السبب لم ير الصينيون في اختراع بي شنغ تقنية ثورية تستحق أن تُقبل وتُنفذ فورًا.

في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي ظهرت فكرة جديدة باستبدال الرموز (الحروف) المصنوعة من الصلصال المشوي بأخرى مصنوعة من الخشب في مائة نسخة.

نشأة الطباعة في كوريا

كان للصين دور أساسي في تطور الثقافة والعلم في كوريا سواء خلال العصر القديم أو خلال العصر الوسيط، وقد أخذ الكوريون من الصينيين النظام الإيدوجرافي للكتابة بل إنهم أخذوا اللغة أيضًا، إذ بقوا لمدة طويلة يستعملون اللغة الصينية في تدوين كتبهم الأدبية والدينية. في نهاية القرن الرابع الميلادي جاءت من الصين أيضًا الديانة الجديدة- البوذية التي أثرت بشكل حاسم في تطور الثقافة الروحية والكتابة والطباعة في كوريا، ومن هنا يُعتقد أن الكوريين قد تعلموا فن الطباعة من الصينيين.

إن أقدم النصوص التي طبعت في كوريا تعود إلى العصر القديم، وقد نُفذت حينئذ بالطريقة التي اخترعها الصينيون، وطبعوا بها كتبهم المقدسة، أي الطباعة بواسطة النقوش الحجرية. ويشيع الاعتقاد هنا أن هذه التقنية قد أثرت في بروز طباعة الكتاب بواسطة القوالب الخشبية، ويعتقد هنا أيضًا أن هذه التقنية قد اكتشفها الصينيون ثم نقلها الكوريون كغيرها من التأثيرات الثقافية. إلا أنه في السنوات الأخيرة تم اكتشاف نص مطبوع في كوريا بواسطة القوالب الخشبية.

ففي سنة ١٩٦٦م اكتشف في معبد بولفوك-سا، بالقرب من العاصمة الكورية القديمة كيونغ يو، أقدم نص مطبوع بواسطة القوالب الخشبية معروف في العالم حتى الآن. وهو عبارة عن الكتاب البوذي "فيمالا ميربهاسا سوترا" أو "دهاراني سوترا"، الذي كان قد تُرجم من اللغة السنسكريتية إلى الصينية في سنة ٧٠٤م ثم انتقل من الصين إلى كوريا حيث طبع في سنة ٧٥١م على أقل تقدير، حين تم الانتهاء من بناء "الأسطبة "[٥] التي حفظ فيها النص المذكور، وقد طبع هذا النص على شكل لفافة من الورق لا يتجاوز عرضها ٦,٥ سم بينما الطول الأصلي لها يصل إلى ٧ أمتار، وهي اليوم محفوظة في المتحف الوطني في سيول.

ويعتقد بعض الخبراء أن الكوريين قد سبقوا الصينيين في الطباعة بالقوالب الخشبية نظرًا لأنه لم يكتشف حتى اليوم في الصين أي نص مطبوع بالقوالب الخشبية يعود إلى ذلك الوقت. ولقد شهدت الطباعة في كوريا تطورًا كبيرًا خلال القرنين العاشر والحادي عشر للميلاد كنتيجة للتطور الكبير للتعليم في البلاد. فقد تأسست حينئذ في كوريا، جامعة رسمية ومدارس كثيرة خاصة، ولأجل هذه الجامعة والمدارس فقد كانت الكتب تطبع في المكتبة الملكية بينما كان الرهبان يتولون طبع الكتب الدينية غالبًا في الأديرة. ونظرًا لازدياد الطلب والإنتاج الكبير للكتب فقد تطورت أيضًا تجارة الكتب سواء في كوريا أو في الصين واليابان.

في سنة ٩٨٩م طلب الملك الكوري من الإمبراطور الصيني أن يرسل له نسخة كاملة من مجموعة المؤلفات البوذية "تريبيتيكا "(شكل٢). وخلال سنوات (١٠١١م -١٠١٤م) جرى العمل بأمر من الملك هون دونغ لإنجاز القوالب الخشبية اللازمة لإصدار الطبعة الكورية لهذه المجموعة. وحسب بعض المصادر فإن إنجاز هذا العمل استمر عشرين سنة.

لقد استمر الكوريون مدة طويلة في طباعة الكتب بواسطة القوالب الخشبية، إلا أنهم أدخلوا تطويرًا مهمًا على تقنية الطباعة منذ القرن الثالث عشر للميلاد، بحيث احتلوا المركز الأول في العالم في هذا المجال، حيث طبعوا الكتب بحروف متحركة من المعدن بدلاً من الخشب وهكذا فقد أسهم الكوريون بشكل جوهري في تطور التقنية الطباعية.

أما أقدم كتاب طبع بواسطة الأحرف المعدنية المتحركة كان "سانغ يونغ - يمون" أي (قواعد مفصلة وأصلية لأصول السلوك)، الذي طبع سنة ١٢٣٤م في ٢٨ نسخة بجزيرة غانغ هوا. ومع أنه لم يبق إلى اليوم أية نسخة من هذا الكتاب فلا يوجد هناك شك في صدورها إذ أن لدينا معطيات عنه في كتاب آخر طبع بعده بواسطة القوالب الخشبية حيث يذكر فيه بوضوح أنه قد طبع بالاستناد إلى طبعة سابقة أنجزت بواسطة الأحرف المتحركة ومعظم الكتب التي طبعت في كوريا بواسطة هذه الطريقة كانت ذات طابع إداري، ثم تأتي بعدها المؤلفات الكونفوشيوسية وأعمال الأدباء الكلاسيكيين والمؤلفات الطبية والعلمية....الخ.

تعرضت الطباعة الكورية إلى ضربة قوية خلال الحكم الياباني للبلاد في الفترة من ١٥٩٢م إلى ١٥٩٨م، حين قام اليابانيون بتدمير معظم الأحرف المعدنية، لذلك فإن الكوريين عادوا بعد الانسحاب الياباني إلى الطباعة بالقوالب الخشبية رغبة منهم في بعث النشاط الطباعي بأسرع وقت.

يظل دور الكوريين في تاريخ الطباعة مهمًا وفعالاً، فقد كانوا هم أول من استعمل الطباعة بواسطة القوالب الخشبية كما كانوا أول من فكر بطبع الكتب بواسطة الأحرف المعدنية المتحركة. وبالإضافة إلى هذا، فإنه لا يستبعد أن يكون اكتشافهم الأخير قد أثر في تطور الطباعة في أوروبا. ومع أنه ليس لدينا بعد ما يثبت معرفة جوتنبرج بتنقية الطباعة الكورية إلا أن الباحثين في السنوات الأخيرة لا يستبعدون أن يكون خبر اكتشاف هذه التقنية قد وصل عبر طريق الحرير[٦] إلى القسطنطينية أولاً ثم إلى أوروبا الغربية.

نشأة الطباعة في اليابان

تطورت الثقافة اليابانية في ظل تأثير قوي للثقافة الصينية، فخلال القرنين الرابع والخامس للميلاد تبنى اليابانيون الكتابة الصينية، بينما تغلغلت البوذية من الصين خلال القرن السادس للميلاد، وقد ساد التأثير الصيني بشكل خاص خلال الفترة النارية (٧١٠م-٧٨٤م).[٧]

وفي تلك الفترة أصبحت البوذية هي القوة الدينية والسياسية الرئيسية للبلاد، و كان الطلاب اليابانيون يذهبون إلى الصين للدراسة، فحمل اليابانيون إلى وطنهم منجزات الثقافة الصينية. وفي الوقت ذاته كان عدد كبير من المبشرين الصينيين يذهبون إلى العاصمة اليابانية نار، حيث كانوا يمارسون هناك تأثيرًا كبيرًا في حياة العاصمة. وقد كان كل هؤلاء يحملون معهم إلى اليابان الكتب الصينية، وبالتحديد الكتب الدينية في الدرجة الأولى ثم الكتب الطبية والأدبية، وبالإضافة إلى الكتب فقد كان هؤلاء يحملون تقنية الطباعة بواسطة القوالب الخشبية.

ونظرًا للرغبة الكامنة في تقليد الصينيين فقد فكر اليابانيون في أن يقوموا هم أنفسهم بطباعة القوالب الخشبية. ومما ساعد على هذا الاتجاه وجود تأثير قوي من قبل الرهبان البوذيين في مختلف جوانب الحياة في اليابان، وخاصة في الحياة الثقافية والدينية للعاصمة نار، بالإضافة إلى أن الحكام اليابانيين في ذلك الوقت كانوا من كبار المتحمسين للديانة الجديدة (البوذية) وهكذا في عهد الإمبراطورة سهوتوكو التي



(شكل٢) التريبيتاكا الكورية: وهي حوالي ٨٠ ألف لوح خشبي، استخدمت في الأصل لطباعة التعاليم البوذية. ويشكل مجموع هذه الألواح ما يقدر بـ ٦،٧٩١ كتاب مطبوع. ويقدر عدد الحروف بها٥٢،٣٨٢،٩٦٠ حرفًا، واستغرقت ١٦ عامًا لحفرها. وقد تم إدراج التريبيتاكا كوريانا ضمن قائمة اليونسكو للتراث الثقافي العالمي منذ عام ١٩٩٥م. ويعود اسم تريبيتاكا ربما إلى كلمة *pilaka*-بيتاكا بمعنى "السلة" أي السلة التي كان يحمل فيها سعف النخيل لتدوين النصوص عليه.

حكمت بشكل متقطع خلال الفترة من ٧٤٨م إلى ٧٦٩م، نجد مشروعًا عظيمًا للطباعة، فقد أمرت الإمبراطورة حينئذ بتشييد مليون "باغودة"[٨] صغيرة من الخشب وأن يعلق على كل واحدة نص بوذي مطبوع. وفي الواقع لقد كان الأمر يتعلق بمقاطع من الكتاب البوذي "هياكمانتو دهاراني" – أي دهاراني ذات المليون باغودة– في اللغة السنسكريتية بالكتابة الصينية. وقد انتهى طبع هذه النصوص في سنة ٧٧٠م، أي بعد وفاة الإمبراطورة، ثم وزعت على المعابد البوذية في كل أرجاء اليابان، حيث وضعت في صورة مصغرة من الباغودة، وحيث أنه قد تبقى لنا مجموعة من المعابد التي تعود إلى نفس الفترة، فليس هناك أي مجال للشك في أن هذه النصوص قد طبعت في تلك الفترة[٩]. يعتبر هذا المشروع ذا أهمية كبيرة بالنسبة لتاريخ الطباعة لأنه تم لأول مرة على ما نعرف نسخ النصوص على الورق بواسطة القوالب النحاسية بدلاً من القوالب الخشبية. ويعتقد أن السبب الرئيسي في عدم اهتمام اليابانيين بطبع الكتب بالقوالب الخشبية يكمن في أن الكتابة كانت محصورة فقط في دائرة ضيقة من المتعلمين في البلاط الإمبراطوري وبين رجال الدين.

من بين أهم مشروعات الطباعة في المعابد البوذية كان طباعة كتاب "سوترا العظيمة الحكيمة" خلال القرن الثالث عشر في ٦٠٠ صفحة، وقد تميزت الطائفة البوذية بنشاطها في هذا المجال، وهى الطائفة التي جاءت إلى اليابان من الصين في بداية القرن الثالث عشر. وقد كان أعضاء هذه الطائفة أول من بدأ في اليابان بطباعة القواميس والمؤلفات الأدبية والأعمال الأخرى غير الدينية.

إلا أن أكثر هذه الكتب اختفت خلال الحروب الأهلية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر. ولكن مع نهاية القرن السادس عشر اكتسبت الطباعة في اليابان دفعة جديدة من التطور جاءت من أوروبا وكوريا.

ثانيًا: ظهور الطباعة في أوروبا

قامت الطباعة في أوروبا الغربية نتيجة للتقدم التكنولوجي الذي سرعان ما تجاوز أهدافه الأولى ليحدث تحولات هائلة في حضارة مكتملة المعالم. يرجع نجاح الطباعة إلى ازدياد الطلب في المجتمعات الأوروبية على النصوص المكتوبة. والواقع أن فائدة الكتابة قد صارت أمرًا واضحًا منذ القرن الحادي عشر؛ وذلك لمواكبة النشاط التجاري المتزايد والحركة الثقافية المتنامية، إلى جانب نمو المدن الكبيرة والصغيرة. لقد تضافرت هذه العوامل مجتمعة في ازدياد الطلب على الكتب والوثائق المتصلة بأمور الحياة العملية، ثم إن الكتابة أصبحت تشغل بال المجتمع في تصريف حياته اليومية بداية من القرن الثالث عشر[١٠]، لذلك برزت في أوروبا مشكلة تلبية الطلبات المتزايدة على الكتاب مع تزايد عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة في المدن، والجامعات، وحين أثار اكتشاف المخطوطات اهتمام المتعلمين وزاد بدوره من الطلب على أمثال هذه المؤلفات، وحين أصبح الكتاب بشكل عام سلعة مطلوبة وأخذ يمارس دورًا كبيرًا أهم بكثير بالمقارنة مع الوقت الذي كان فيه عدد المهتمين بالكتاب قليلاً نسبيًا .

في الواقع لقد كان الأمر يحتاج إلى حل لمسألتين أساسيتين: المسألة الأولى هي إيجاد مادة جديدة ورخيصة للكتابة، بينما كانت المسألة الثانية تنحصر في البحث عن حل تكنولوجي لسرعة نسخ الكتاب الواحد. أما فيما يتعلق بالمسألة الأولى فقد كان الحل قد أنجز من الناحية التكنولوجية بعد أن انتقل إنتاج الورق من البلدان الإسلامية إلى أوروبا. ولكن طالما كان إنتاج الورق محدودًا نسبيًا فقد كان من الصعب أن يلعب الورق هنا دورًا أكبر وأن ينهي استعمال الرِّق كمادة للكتابة، إلا أن الورق أخذ يُنتج بكميات كبيرة منذ نهاية القرن الرابع عشر، وخاصة خلال القرن الخامس عشر، بحيث لم يعد الورق يمثل عقبة لإنتاج أكبر وأضخم للكتاب. أما المسألة الأخرى، وهي سرعة نسخ الكتاب بشكل ميكانيكي، فقد حلها أخيرًا في منتصف القرن الخامس عشر الألماني يوهانس جوتنبرج.

إنتاج الورق

لم يتوصل الأوربيون إلى معرفة تقنيات فن الطباعة إلا بعد أن تعلموا صناعة الكاغد (الورق) من المسلمين الذين احتكروا صناعته سبعة قرون في سمرقند، وبغداد، ودمشق، والقاهرة، وشاطبة، وفاس، والأندلس وكانوا قد نقلوه عن الصينيين في المشرق حين اختلطوا بهم عن طريق الحرب، فأول ظهور الورق كان في سمرقند حيث صنعه هناك أسرى من الصين أسرهم الأمير زياد بن صالح في موقعة أطلخ سنة ١٣٤هـ، فاتخذوه له من خرق الكتابة والقنب وأطلقوا عليه الكاغد وهي كلمة صينية انتشرت بعد ذلك في العربية تطلق على الورق، ومع تشييد أول مصنع للورق في بغداد على عهد هارون الرشيد، نتيجة لزيادة الطلب عليه لرخص ثمنه، بدأت صناعة الورق مرحلة جديدة من الانتشار، حتى راجت في جميع أقطار العالم الإسلامية وأقدم ما وصلنا من الورق خطابان عربيان مكتوبان على ورق مصنوع

من الخرق البالية، ويرجع تاريخهما إلى حوالي ٨٠٠م وهو من صنع بغداد وتحتفظ مكتبة جامعة ليدن بألمانيا بكتاب عربي مكتوب على الورق وهو كتاب "غريب الحديث" لأبي عبيد بن عبيد القاسم بن سلام، والكتاب مؤرخ في ذي القعدة سنة ٢٥٢هـ–٨٦٦م، ومن المرجح أنه أحد أقدم المؤلفات المكتوبة على الورق، ويحتفظ المتحف البريطاني بكتاب مؤرخ في سنة ٩٦٠م لطبيب عربي متخصص في التغذية. ونجح العرب في إنتاج أنواع جديدة من الورق مثل ورق الحرير والورق المقوي وغير المقوى والورق الناعم والخشن والورق الأبيض والملون.[١١]

كان التجار الإسبان والإيطاليون قد جلبوا الورق من الشرق إلى أوروبا في القرن الثاني عشر[١٢]، وسرعان ما انتشرت صناعة الورق في البلدان الأوروبية في القرن الرابع عشر. وقد ظهر أول مصنع للورق في ألمانيا في بلدة نورمبرج سنة ١٣٩٩م، وهي نفس السنة التي يُعتقد أن جوتنبرج قد ولد فيها في بلدة ماينز.[١٣] وبالمقارنة مع الرَّق كان للورق أفضلية كبيرة إلا أنه كان لا يخلو أيضًا من نقيصة ما، إذ إنه كان يتضرر ويتمزق بسهولة.

كان هذا أحد الأسباب التي دعت الكثيرين في البداية إلى عدم الثقة بالورق كمادة للكتابة، وخاصة لكتابة وثائق الدولة المهمة والوصايا المختلفة والوثائق المتشابهة. ومن ناحية أخرى فقد كان الورق أفضل من الرَّق إذ أن سطحه كان أنعم ولأن حبر المطبعة كان يلتصق عليه بسهولة أكثر بالمقارنة مع الرَّق. وبالإضافة إلى هذا فإن المطبعة لم تكن تتقبل إلا الرق الرقيق من النوعية الجيدة، أي أغلى أنواع الرَّق. لقد كان هذا النوع من الرَّق نادرًا ولذلك لم يكن مناسبًا للاستعمال بشكل واسع في الصناعة المطبعية التي تطورت بعد اختراع جوتنبرج.

في منتصف القرن الخامس عشر أُنتج الورق بكميات كبيرة ولذلك أصبح يستعمل لكتابة الوثائق. وكان مما أسهم في انتشاره ثمنه الرخيص والإنتاج الواسع الذي كانت تضخه معامل الورق الكثيرة في ذلك الوقت. وقد انحصرت أولى هذه المعامل في إيطاليا.

مع اختراع جوتنبرج وانتشار الطباعة تمكن الورق أخيرًا من الانتصار بشكل نهائي على الرَّق. وعلى الرغم من هذا، فإن الرَّق بقي مستعملاً لفترة أخرى لأن هواة جمع الكتب من الأغنياء استمروا لفترة طويلة يحصلون من ورش النسخ على مخطوطات مدونة على الرَّق، كما أن جوتنبرج نفسه طبع قسمًا من نسخ التوراة على الرَّق. وفي الواقع لا توجد معطيات دقيقة تؤكد عدد النسخ التي طبعها جوتنبرج على الرَّق وعدد النسخ التي طبعها على الورق، ولكن يعتقد أن العدد الإجمالي للنسخ كان بين ١٨٠ – ٢٠٠ نسخة طبعت ثلاثون نسخة منها على الرَّق.

كان المنتجون الأوروبيون للورق منذ العقد السابع للقرن الثالث عشر، أي منذ بداية إنتاج الورق خارج العالم العربي، قد لجأوا إلى وضع ما يسمى إشارات مائية (Filigram) في إنتاجهم من الورق. وكان هؤلاء يحصلون على هذه الإشارات بوضع إشارات دقيقة مصنوعة من الشريط، وأحيانًا الحروف الأولى من اسم المنتج، فوق الشبكة التي توضع عليها عجينة الورق. وتظهر هذه الإشارات على الورق بعد أن يجف أكثر رقة وشفافية بحيث تبدو أكثر وضوحًا إذا وُضع الورق باتجاه الضوء. وكانت هذه الإشارات تمثل أشياء مختلفة: حيوانات ونباتات في الغالب، ومخلوقات خيالية وأشكالاً مختلفة، أو رموزًا متنوعة (مرساة، جرس، تاج...الخ). أما السبب الرئيسي لوضع هذه الإشارات فقد كان حماية نوعية الورق، أي أن هذه الإشارات كانت تقوم بالدور الذي ستمثله لاحقًا العلامات التجارية للمصانع المختلفة. إن هذه الإشارات لها أهمية كبيرة في تاريخ الكتاب حتى أنه كُتب حولها عدد كبير من الكتب والدراسات منذ القرن الثامن عشر الميلادي وأصبح هناك علم مستقل يهتم بها Filigranology، فقد أسهمت بالدرجة الأولى في تحديد تاريخ الورق، وبالتالي في تحديد تاريخ طباعة أي كتاب. وكمثال على ما يمكن أن تساعد معرفة مصدر الورق في حالة بعض القضايا نذكر هنا قصة الكتاب الأول الذي طبع باللغة الكرواتية سنة ١٤٨٣م، وهو كتاب "القدّاس". فقد ساد الاعتقاد لوقت طويل أن هذا الكتاب طُبع في فينيسيا، إلا أنه في الفترة الأخيرة اتضح أن هذا الكتاب قد طُبع بالتأكيد في كرواتيا لأن مصدر معظم الورق المستعمل في طباعته من أصل ألماني وليس من أصل إيطالي.

(شكل٣) شكل القالب الخشبي حيث نجد الصورة أو التصميم المراد طباعته محفورًا على الكتلة الخشبية بآلات يدوية، ويتم نزع الأماكن التي لا يراد طباعتها بكل عناية، أما المناطق البارزة التي تمثل التصميم أو الرسم فهي التي تحمل الحبر.

الكتب المطبوعة بالقوالب الخشبية في مصر

في نهاية القرن التاسع عشر اكتشفت بالقرب من الفيوم نصوص لحوالي خمسين كتابًا تم إنتاجها بواسطة الطباعة بالقوالب الخشبية خلال سنوات ٩٠٠-١٣٥٠م. وكانت هذه الكتب جميعها دون استثناء مكتوبة باللغة العربية وتتناول موضوعات دينية، وأكثرها الآن محفوظ في المكتبة الوطنية في ڤيينا– وجزء منها موزع في بقية المكتبات الأوروبية. وليس من السهل هنا تفسير ظهور هذه الكتب المطبوعة في إطار حضارة كانت ترفض طبع الكتب الدينية بوسائل ميكانيكية. ويعتقد هنا أن إنتاج هذه الكتب كان من قبل الشعب، الذي كان يعتقد بالقوة المؤثرة للكلمة المطبوعة، والذي لم يكن يملك القدرة على شراء المخطوطات بأسعارها العالية في أسواق الوراقين[١٤].

هكذا يمكن أن يقال أن الأمر في مصر، كما في أوروبا لاحقًا، يتعلق بالإنتاج الثقافي الدولي للشرائح الفقيرة. ومن الصعب الاعتقاد بان إنتاج الكتب على هذا النحو كان بمساعدة أو مباركة رجال الدين، وهم الذين كانوا يتخذون موقفًا صارمًا من طبع الكتب المقدسة. وهناك من يعتقد أن أمثال هذه الكتب قد طبعت في البلاد العربية والإسلامية الأخرى، وليس فقط في مصر، ولكن مناخ مصر الجاف هو الذي ساعد على حفظ النصوص التي وجدت.

إن الباحثين المتخصصين الذين اهتموا بهذه المطبوعات النادرة في العالم الإسلامي قدموا براهين مقنعة بما فيه الكفاية لتكوين رأي يقول أن هذه الكتب المطبوعة قد ظهرت بتأثير مباشر أو غير مباشر للتقنية الصينية في الطباعة بالقوالب الخشبية، ولذلك فهي تعتبر جسرًا مهمًا بين الطباعة التي ظهرت أولًا في الشرق الأقصى وبين الطباعة التي ظهرت لاحقًا في أوروبا في نهاية العصر الوسيط. وفي الواقع يجد القارئ نفسه مقتنعًا بما ذهب إليه هؤلاء الباحثون، مع أنهم لا يستطيعون أن يدعموا آراءهم ببراهين قوية، من أن الأوربيين قد تعلموا هذه التقنية من المسلمين نتيجة للصلات التي كانت قائمة بينهم. وعلى الرغم أنه من الصعب إثبات الصلة بين الطباعة المصرية والطباعة الأوروبية إلا أنه تبقى لدينا حقيقة لا شك فيها، وهي أن الكتب الأولى المطبوعة بالقوالب الخشبية قد ظهرت في أوروبا في الوقت الذي توقف فيه إنتاجها في مصر[١٥] (شكل٣).

الكتب المطبوعة بالقوالب الخشبية في أوروبا

على حين أن أوروبا عرفت الطباعة بالكتل الخشبية قبل اختراع الطباعة بالحروف المتحركة بأكثر من نصف قرن واستخدمت أول ما استخدمت في طباعة القماش، وقد وصلتنا قطعة قماش يرجح أن تاريخها سنة ١٤٣٥م وإن كان البعض يرى أنه سنة ١٤٣٥م، وفي بداية النصف الثاني من القرن العشرين اكتشفت كتلة خشب كانت تستخدم في الطباعة في برجانديا وكان حجمها ٢٤×٩١/٢ بوصة وهو حجم أكبر من مقاس أي ورق كان معروفًا آنذاك، وربما كانت معدة لاستخدامها في طباعة القماش، وعلى هذه الكتلة صورة تخطيطية لعملية الصلب وثلاثة جنود وجزء من الصليب. ويبدو أن هذه الكتلة واحدة من عدة كتل معدة لإنتاج صور على ورق أو على قماش لعملية صلب المسيح[١٦].

كانت الصور الأولى لاستخدام الكتل الخشبية عبارة عن صور دينية ذات خطوط بسيطة يستخدمها الوعاظ أثناء وعظهم الناس، وكما كانت تستخدم لطبع صور المسيح والقديسين لتوزيعها على الناس الذين يرتادون الكنائس والمزارات الدينية، ثم تطور الأمر بعد ذلك إلى طباعة مطويات ذات صور وأيضًا كلمات وجمل بسيطة، وتطور فن الكتل الخشبية بعد ذلك لطباعة كتب بأكملها وقد عرفت تلك الكتب باسم "كتب الكتل الخشبية".

وكانت معظم كتب الكتل الخشبية هذه تطبع على ورق وبحبر سائل.ولم تكن هوامش تلك الكتب لتتساوى بسبب عدم السيطرة التامة على إنتاج تلك الكتل.

يذكر المؤرخون الثقاة أن كتب الكتل الخشبية الباكرة ظهرت في حدود سنة ١٤٥٠م في هولندا ودول الراين الأسفل، ورغم أن الطباعة بالكتل الخشبية هذه قد سبقت الطباعة بالحروف المتحركة إلا أنها استمرت كما سنرى فيما بعدها بزمان طويل، وقد وصلتنا نماذج من كتب الكتل الخشبية المطبوعة في مطابع الحروف المتحركة وبحبر أسود ومطبوعة من الناحيتين. كانت كتب الكتل الخشبية عبارة عن نسخ من الصور التي كانت موجودة بالفعل في المخطوطات وكانت عملية طباعتها عملية بدائية، وربما كانت المرسومة بخط اليد أفضل منها كثيرًا، وكانت الصور في الأعم الأغلب عبارة عن خطوط بسيطة بدون تظليل أو بالحد الأدنى من الظلال، وعلى الرغم من ذلك وصلتنا كتب ذات صور رائعة وجذابة تنم عن فن أصيل.

لقد لقيت كتب الكتل الخشبية المصورة رواجًا وإقبالاً كبيرًا وكان إنتاجها بأعداد كبيرة على يد فنانين محترفين سواء داخل الأديرة أو خارجها، وعلى الرغم من أن بعض تلك الكتب كان يطبع بكميات كبيرة من النسخ إلا أن ما وصلنا منها كان قليلاً للغاية.

ويقسم نورمان بنز كتب الكتل الخشبية هذه إلى ثلاث فئات رئيسية هي:

١– كتب تشتمل على الصور والنص معًا في نفس الصفحة، وإن كانت الصورة تشغل الجزء الأكبر من الصفحة.

٢– كتب تشتمل على الصورة في صفحة وحدها والنص وحده في الصفحة المقابلة.

٣– كتب لا تضم إلا النص فقط دون صور مصاحبة.

ولعل إنجيل الفقراء الذي لم يعرف مؤلفه هو خير مثال على الفئة الأولى، وكان الهدف منه تقديم حقائق الكتاب المقدس عن طريق الصور، وتقديم الأحداث الواردة في العهد القديم والعهد الجديد بأسلوب مصور يقربه إلى العامة، وأول طبعة معروفة لدينا من إنجيل الفقراء تقع في أربعين صفحة مصورة على جانب واحد من الصفحة وبحبر بني اللون، والملزمة تتكون من ورقتين فقط وبدون ترقيم، وكل صفحة مقسمة إلى تسعة إطارات، خمسة منها تشتمل على الصور وأربعة على النص، والصور الثلاثة الرئيسية تأتي في وسط الإطارات الخمسة، والصورة الوسطى تمثل مشهدًا من العهد الجديد، بينما الصورتان اللتان على جانبيها تستقيان من العهد القديم، وتدوران حول فكرة صورة الوسط، أما في الإطارين الأول والخامس فإننا نصادف صورتين صغيرتين، أما إطارات النص الأربعة فقد وزعت على الأركان الأربعة للصفحة الواحدة، وبصفة عامة فإن الصور في هذا الكتاب مرسومة بدقة وبعمق ومليئة بالظلال وتكشف عن أنها من صنع فنان موهوب، وعلى العكس من ذلك يبدو النص في الأركان الأربعة مهزوزًا ومسافات السطور غير مضبوطة وصعبة القراءة. وهناك عشر طبعات منفصلة من هذا الإنجيل بعضها باللاتينية وبعضها بالألمانية، وقد وصلنا من هذا الكتاب نحو خمسين نسخة كلها مطبوع على ورق رغم أن نوعية الورق وحجمه يختلف من نسخة إلى أخرى، ويعتبر هذا الكتاب حلقة وصل بين الطباعة بالكتل الخشبية والطباعة بالحروف المتحركة، ذلك أنه قد طبعت منه سنة ١٤٦٢م طبعة بالحروف المتحركة.

عثر أيضًا من هذه الفئة على كتاب "تاريخ إنجيل القديس يوحنا". ويضم نصًا قصيرًا للغاية وسلسلة من الصور المتعاقبة كل صفحة تستوعب صورتين فقط، ومعظم الصور هنا عبارة عن خطوط بسيطة باللون الأسود وهي مرسومة بطريقة بدائية،

وقد طبع من هذا الكتاب ست طبعات على الأقل بطريقة الكتل الخشبية إحداها تشتمل على خمسين ورقة والأخريات على ثمان وأربعين، وكل طبعة تنطوي على ملامح خاصة بما يشي أنها من طبع طابع مختلف. ربما كان أجمل كتاب في هذه الفئة الأولى هو كتاب "صور العذراء مريم من أغنية الأغاني". وهو يشتمل على ست عشرة صفحة من القطع الصغير، ومطبوع بالحبر البني على وجه واحد فقط، وكل صفحة تتضمن صورتين فقط إحداهما تحت الأخرى متبوعة بنص شارح باللاتينية في إطار يحيط بالصورة، والصور مفصلة وممتلئة وبها قدر معقول من التظليل. وبصفة عامة فإن هذا الكتاب يكشف عن فنان موهوب وطابع ماهر لأنه أفضل كثيرًا من الكتابين السابقين، وقد وصلنا من هذا الكتاب طبعتان متميزتان[١٧].

فإذا انتقلنا إلى الفئة الثانية وجدنا من النماذج الممثلة لها كتاب "كيف تتذكر الإنجيلين". وربما كان هذا الكتاب هو أول كتاب أوروبي مطبوع على كتل خشبية وصلنا، ويقع في ثلاثين صفحة خصصت منها خمس عشرة صفحة للصور وخمس عشرة صفحة للنصوص، وكل صفحة مطبوعة بالحبر البني على جانب واحد فقط، وقد نظم الكتاب بحيث تطبع الصورة على صفحة والنص الشارح لها على الصفحة المقابلة، والصور نفسها في غاية الغرابة حيث مُثل القديس متى بالملك، والقديس مرقص بالأسد، والقديس لوقا بالثور، والقديس يوحنا

بالنسر، وكل صورة تتضمن أشكالاً جانبية رمزية إلى جانب كل منها أرقام كشفية تشير إلى فصول الإنجيل التي استقيت منها الأحداث المصورة، أما صفحات النص فإنها قد طبعت بحروف كبيرة بدائية مضغوطة في إطار مسطر.

وفي هذه الفئة الثانية أيضًا نصادف كتاب "مرآة الخلاص الإنساني" وهو ثالث أهم كتب هذه الفئة، وقد وصلنا منه حتى الآن أربع طبعات من القطع الصغير، اثنتان باللاتينية واثنتان بالهولندية، الطبعة اللاتينية تشتمل على ثلاث وستين ورقة بينما الهولندية تشتمل على اثنين وستين ورقة وكل هذه الطبعات تفتقر إلى تاريخ الطبع كما تفتقر إلى مكان الطبع واسم الطابع، ويعتقد بعض الثقاة أن هذا العمل من إنتاج لورنز كوستر من هارلم الذي يقترن اسمه باختراع الطباعة منافسًا ليوهانس جوتنبرج ولكن الدليل على ذلك ضعيف.

فإذا انتقلنا إلى الفئة الثالثة من كتب الكتل الخشبية فسوف نجد على رأسها "كتاب النحو" الذي وضعه إليوس دوناتوس، وكان أوسع كتب النحو اللاتيني انتشارًا في العصور الوسطى، وهو الكتاب الذي يقتصر على النص فقط وقد ظهر الكتاب في طبعتين إحداهما تتألف من ٤٣ صفحة مطبوعة بحروف كبيرة، والثانية في تسع صفحات بحروف صغيرة، وعلى خلاف كتب الكتل الخشبية الأخرى طبع هذا الكتاب في المطبعة وعلى رق وورق وبالحبر الأسود. وللأسف لم تصلنا من هذا الكتاب أية نسخ كاملة.

كانت طباعة الكتل الخشبية مرهقة للغاية وكان تقطيع الحروف وتصميمها ورسمها على الخشب يحتاج إلى مهارة عالية وكان كل حرف لابد وأن يرسم ويقطع مقلوبًا وكانت كتابة وتقطيع الجملة الواحدة تحتاج إلى جهد كبير ووقت طويل وتركيز حاد وكانت عرضة للفشل في كثير من الأحيان: وربما لذلك السبب كانت كتب الكتل الخشبية لا تشتمل إلا على الحد الأدنى من النص، يضاف إلى ذلك أن النص كان يبقى ثابتًا.

زاد الطلب على كتب الكتل الخشبية، و تعددت النصوص المراد طباعتها، مما كان دافعًا للطابعين إلى البحث عن طريقة أسهل في طباعة الكتب، وربما لجأ أكثر من طابع إلى تقطيع الكتل الخشبية إلى حروف منفصلة وإعادة ترتيبها للخروج بنص جديد: وربما كان أحد الطابعين يصنع كتلة خشبية لنص معين فانفرط منه النص وهو يقطعها ففكر في الحروف المفردة، يصنع كلاً منها على حدة ويجمعها معًا لنص معين ثم يفرقها بعد الطبع ليستخدمها في نص جديد، إننا لا نعرف على وجه الدقة كيف اخترعت الحروف المتفرقة هل جاءت عمدًا أو محض صدفة: المهم أنه في منتصف القرن الخامس عشر ميلادي ولد الاختراع الجديد (الطباعة بالحروف المتحركة أو المتفرقة). و لكن من أية مادة صنعت الحروف المتفرقة الأولى هل من الخشب امتدادًا للكتل الخشبية، أم صنعت بداية من المعدن، وهل كان في ذهن المخترع الأوروبي تجارب وخبرات أسلافه في الصين وكوريا الذين صنعوها أيضًا من الخشب ومن الفخار؟ يذكر الدكتور شعبان خليفة أن الأدلة الموجودة حاليًا لا تقدم دليلاً شافيًا إلى أي اتجاه[١٨]، ومن المعروف أن الحروف المصنوعة وحدها من الخشب لا تلبث بعد شيء من الاستعمال أن تتمدد ثم تتقوس وتنتفخ وربما تتكسر؛ وسبك المعادن لم يكن شيئًا جديدًا على البشرية بل هو معروف منذ قدماء المصريين وقد سك الرومان العملات المعدنية وكتبوا عليها، ومن ثم يكون افتراض أن الطابعين الأوائل قد جربوا الخشب ثم جربوا المعدن بعد ذلك، ويفترض أيضًا أن هذا المعدن كان النحاس أو الرصاص أو مزيجًا يقوى على ذلك الفرض.

لذلك يرى الدكتور شعبان خليفة أنه من الضروري أن ننظر إلى اختراع الطباعة بالحروف المتحركة على أنه ليس عملاً سهلاً ولا اكتشافًا فرديًا ولكنه جاء نتيجة تجارب عديدة ووجهات نظر مختلفة فقبل سبك الحروف لابد من الحصول على معدن رخو يمكن أن يذوب بسهولة وفي نفس الوقت لا ينكمش عند التبريد وبعد التبريد يجب أن يكون صلباً يتحمل الضغط والكبس دون أن يتكسر أو ينثني وكل هذه الصفات تتوفر في خليط من الصفيح والرصاص والأنتيمون وهذا المزيج من المعادن الثلاثة هو أحد الملامح المهمة في اختراع الطباعة ومن ثم لا ينبغي أن نفكر في هذا الاختراع على أنه عمل فرد واحد، وفي نفس الوقت كان لابد من تجارب عديدة ومريرة لإنتاج نوع من الحبر يناسب الطباعة الجديدة؛ ذلك أن الحبر البني الذي استخدم في كتل الخشب كان لزجًا أكثر مما ينبغي للاستخدام مع الحروف المتحركة ومن هنا صنع نوع جديد من الحبر بتركيبة مختلفة وطباعة الكتل الخشبية لم تصلح إلا لطبع وجه واحد من الورقة ولم يكن يصلح معها استخدام الرقوق التي كانت تحتاج لضغط شديد حتى يثبت الحبر عليها، وكان اختراع آلة الطبع قد تمثل بكل تأكيد الطابعات أو لنقل الضاغطات الأخرى مثل عصارات النبيذ، ضاغطات الورق، ضاغطات الملابس وغيرها من الضاغطات التي كانت تستخدم في الحياة اليومية، ومن المشكلات الأخرى التي صادفت اختراع الطباعة، وتؤكد أنه لم يكن عملاً فرديًا، مشكلة كيف تضم الحروف الفردية معًا لتكون كلمات والكلمات معًا لتكوّن سطورًا في كل واحد متماسك كي لا ينفرط عقدها تحت ضغط الكبس على آلة الطبع.

ظهور اختراع جوتنبرج إلى النور

لم يحل الكتاب المطبوع بالقوالب الخشبية تلك المسألة التي كانت تفرض نفسها باستمرار وهي الإنتاج الواسع والصناعي للكتاب. فقد كان العمل البطيء والمضني لحفر الألواح الخشبية، وخاصة حين كان الأمر يتعلق بنص طويل، وعدم قدرة هذه الألواح على إعطاء عدد كبير من النسخ بسبب تضررها السريع من الأسباب التي أعاقت هذه التقنية في تلبية الطلب المتزايد والمتنامي على الكتب المطبوعة. ولذلك كان لابد من البحث عن حل آخر أبسط وأسرع وأرخص. وقد وجد هذا الحل أخيرًا يوهانس جوتنبرج (شكل ٤).

ولد يوهانس جنسفلايش، الذي اتخذ لاحقًا لقب جوتنبرج نسبة إلى البيت الذي وُلد فيه (Hofzum Gutenberg)، في مدينة ماينز سنة ١٣٩٧م. ولا نعرف شيئًا عن السنوات الأولى لحياته في ماينز وكل ما نعرفه هنا أن والده كان ينتمي إلى الشريحة الغنية للأشراف بينما كانت والدته تنتمي إلى إحدى العائلات العادية في المدينة.

كانت ماينز حين ولد جوتنبرج تمتلك كل الشروط لكي تكون مركزًا للنشاط التجاري الحي فمن بين المهن التي تطورت في ماينز صياغة الذهب والفضة وصنع الأختام المعدنية وسك النقود. ويعتقد هنا أن جوتنبرج تعلم المهنة في ورش سبك المعادن التي ستفيده كثيرًا فيما بعد حين سيعمد إلى صب الحروف لمطبعته. في ١٤٣٠م هاجر جوتنبرج إلى ستراسبورج وبدأ في ذلك الوقت العمل بشكل سري في اختراعه.

يبدو أن جوتنبرج كان، منذ ذلك الوقت، يملك تصورًا واضحًا عن طريقة أسهل وأرخص لنسخ النصوص وذلك بواسطة صنع الأحرف بشكل منفصل ثم وضعها أمام بعضها البعض للحصول على الأصل الذي يجب أن ينسخ. وقد كان من الواضح له أن هذه الحروف لا يمكن أن تصنع إلا من المعادن لأن الحروف المعدنية فقط هي التي كانت قادرة على إعطاء عدد كبير من النسخ للكتاب الواحد.

الجدير بالملاحظة أن الحروف كانت تصنع من نرد من الصلب، وذلك بعد حفرها وقلبها لكي تبرز حجمه، وبعدها تُركب في شريحة من النحاس تعرف باسم المصفوفة، لتترك نقشًا غائرًا عليها، ثم توضع المصفوفة في قالب يستوعب عددًا لا نهائيًا من الحروف من سبيكة من الرصاص والقصدير والأنتيمون، وتنصهر عند درجة حرارة منخفضة. و بعد استخراج هذه الحروف تجمع في سطور وصفحات (و في مرحلة لاحقة في مجموعة صفحات) لتتخذ شكلاً مُمَددًا، وبعد ملء هذه الحروف بالحبر وضغطها بطريقة دقيقة على أفرخ الورق، فإن النص المنفذ يخرج واضحًا على الورق.

لقد بدأ جوتنبرج العمل في إصدار أول مطبوعاته سنة ١٤٤٢م ولم يُنجزه إلا بعد مضي أربع سنوات، أي في ١٤٤٥م. وقد صدر هذا العمل حينئذ في مجلدين بالحجم الكبير حيث طبع النص على عمودين وقد دعيت هذه التوراة "توراة الـ ٤٢ سطرًا " (شكل٥)، وتحتفظ مكتبة الإسكندرية بنسخة فاكسميلي من إنجيل جوتنبرج، يتميز المجلدان بزخارف الطبعات الأولى للكتب الأوروبية التي صدرت في هذه الفترة، ولم يكن يُفصل بين الآيات بأرقام وعلامات كما هو الحال اليوم. والنص باللاتينية، ويقع المجلد الأول منه في ٦١٥ صفحة، بينما يقع المجلد الثاني في ٣١٩ صفحة. جدير بالذكر أن هذه الطبعة صدر منها ٤٩ نسخة، منها ثلاث نسخ مفقودة، وبقية النسخ موزعة اليوم على المكتبات الكبرى بالعالم (المكتبة الوطنية بباريس، المتحف البريطاني، نيويورك). وهي تعتبر رائعة مهنة الطباعة التي بدأت معها صفحة جديدة في التاريخ الثقافي للإنسانية.



(شكل٤) جوتنبرج مخترع طريقة الطباعة عن طريق الأحرف المنفصلة



(شكل٥) صفحة من توراة الـ٤٢ سطرًا.

في الواقع لم يختر جوتنبرج بالصدفة التوراة كأول كتاب يطبعه. فقد كان هو وشريكه فوست يهتمان بالناحية المالية لهذا المشروع المكلف ولذلك بدا لهما أن طباعة التوراة هي أضمن لهما من الناحية المالية، ولا نجد في "توراة الـ٤٢ سطرًا" اسم جوتنبرج كناشر للكتاب ولكن يعتقد بأنه هو الذي نشر هذا الكتاب لأن الصفحة الأخيرة منه تتضمن تمجيدًا لمدينة ماينز بألمانيا على اعتبارها بلد الطباعة[١٩].

في سنة ١٤٦٢م اندلعت في ماينز حرب أهلية دامية أصابت جوتنبرج بشكل مباشر، ففي تلك السنة هاجم جنود الأمير أدولف ماينز بشكل مفاجئ وقاموا فيها بمجزرة مروعة وفي هذه الكارثة تضررت كثيرًا مطبعته أيضًا، فقد كانت هذه ضربة قاصمة لجوتنبرج العجوز حيث أنه لم يستطع أن يسترد ذاته بعدها. وحسب أحد المصادر المتأخرة فقد أمضى جوتنبرج سنواته الأخيرة في بؤس بعد أن فقد بصره، إلى أن تُوفي سنة ١٤٦٨م، في ماينز على ما يبدو، إلا أننا نعرف عن وفاته في هذه السنة بالذات لأن شخصًا مجهولاً دوّن ذلك على أحد الكتب[٢٠].

في الواقع كان جوتنبرج شخصًا يتمتع بإرادة قوية وحيوية كبيرة، ونظرًا لمعرفته بأن استغلال اختراعه لا يحتاج إلى ذكاء كبير فقد أبقى اختراعه في السر إلى أن طبع أول كتبه. وقد نجح جوتنبرج في ذلك ولهذا فإن اسمه يرتبط بأهم ثورة حدثت في مجال التواصل منذ اكتشاف الورق.

كان نجاح جوتنبرج مستمدًا من قدرته على الجمع بين عدد من التقنيات الموجودة والسابقة عليه: الطباعة الخشبية، وصب الأحرف الذي تم وفقًا لنماذج خاصة بتقنيات سبك المعادن وهي تقنية راسخة ثم الحبر المصنوع من مادة زيتية القاعدة وتستخدمه في الرسم وأخيرًا الورق المصنوع من عجينة لباب الخرق البالية، والذي أصبح متاحًا في غرب أوروبا آنذاك منذ فترة وجيزة. ولكن استمرار اختراعه يمثل شيئًا لافتًا للأنظار ويعكس حجم انجازه. لقد غمر أوروبا طوفان من الكتب من جميع الأشكال والأحجام تتناول كل الموضوعات التي يتصورها العقل. وأمكن بفضل هذه الوسيلة تواصل حجم هائل من المعلومات بين الناس سواء على مستوى الأفراد أو من أنشطة جماعية[٢١].

انتشار الطباعة

عندما قام جنود الأمير أدولف بتشتيت سكان ماينز ومن بينهم أولئك الذين كانوا يعملون في الطباعة، لم يعد من الممكن إخفاء السر بحيث أن الاختراع الجديد سرعان ما عُرف في العالم. وهكذا فقد أخذت الطباعة تنتشر بسرعة، أسرع بكثير مما كان يرغب به جوتنبرج، فقد انتشرت في ألمانيا أولاً ثم في البلدان الأوروبية الأخرى.

إن السرعة العجيبة التي انتشرت بها الطباعة في أوروبا تدل على أن جوتنبرج قد وجد في اللحظة المناسبة حلاً لإحدى المشكلات التي لم تعد تنتظر التأجيل بالنسبة إلى أوروبا في ذلك الوقت، وهي مشكلة الإنتاج الأسرع والأرخص للكتاب – أي مشكلة الوسيلة الأكثر فعالية لنشر المعلومات وغيرها.

بدأت الطباعة مسيرتها الناجحة خارج ماينز في الوقت الذي كان فيه جوتنبرج لا يزال على قيد الحياة. فقد أسّس يوهانس منتلين حوالي ١٤٦٠م مطبعة في ستراسبورج، حيث طبع في تلك السنة والسنة اللاحقة التوراة باللغة اللاتينية بينما طبع سنة ١٤٦٦م أول ترجمة ألمانية للتوراة. وفي ذلك الوقت أيضًا (حوالي ١٤٦٠م) بدأ ألبرخت بجيستر نشاطه الطباعي، الذي يعتقد أنه من تلاميذ جوتنبرج في مدينة بامبرج. وقد دخل بجيستر في تاريخ الطباعة لسببين إذ أنه كان أول من طبع الكتب باللغة الألمانية الشعبية وأول من طبع الكتب المزينة بالرسوم. ومن بين الكتب التي أصدرها طبعتان من الكتاب المعروف "توراة الفقراء"، الأولى بالألمانية والأخرى باللاتينية[٢٢].

انتقلت الطباعة إلى إيطاليا، واشتهرت ڤينيسيا بشكل خاص كمركز للكتاب المطبوع، حيث وجدت مهنة الطباعة في هذه المدينة تشجيعًا قويًا ومناخًا ثقافيًا واقتصاديًا وسياسيًا مثاليًا لتطورها الكبير منذ سنة ١٤٦٩م حيث أُسّست أول مطبعة، ازداد عدد المطابع باضطراد حتى وصل إلى ١٥٠ مطبعة في نهاية القرن. وقد طبع في هذه المطابع حتى ذلك الحين أربعة آلاف كتاب أي بنسبة أكثر من أية مدينة أخرى في أوروبا.

بقيت ڤينيسيا تجذب إليها العاملين في الطباعة من ألمانيا، ولكن سرعان ما برع الإيطاليون في هذه المهنة أيضًا، وكان أشهر رجال الطباعة في ڤينيسيا، على مر العصور هو الدومانوسيو (١٤٤٩م–١٥١٥م). ولد مانوسيو في بازيانو وتعلم اليونانية في فيرارا ثم استقر في ميراندولا لدى الفيلسوف بيكو ديلاميراندولا. في عام ١٤٨٨م قدم إلى ڤينيسيا حيث استفاد من معرفته لليونانية والتراث الكلاسيكي في إعداد مؤلفات الكتاب القدماء للطبع لحساب الناشرين.

اهتم مانوسيو بشكل خاص بطبع مؤلفات الكتاب الكلاسيكيين اليونانيين ومع أنه لم يكن أول من طبع الكتب

باللغة اليونانية، إلا أنه حقق أعظم نجاح له في هذا المجال بالذات. وقد استعمل في هذه الطبعات حروفًا جديدة وأنيقة اشتهرت باسم الحروف " الإيطالية" أو حروف "ألدينا" Aldina نسبة إلى اسمه، وعلى الرغم من معارضة مانوسيو الشديدة فقد أخذ رجال الطباعة يستعملون هذه الحروف إذ أنه كان يريد أن يحتكرها لنفسه فقط.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن مانوسيو قد أدخل تجديدًا آخر يتعلق بحجم الكتاب. فقد كان رجال الطباعة قبله يطبعون مؤلفات الكتاب الكلاسيكيين بالحجم الكبير (Folio) بينما أخذ مانوسيو بطبع هذه المؤلفات بحجم أصغر. انتشرت هذا الحجم لاحقًا باعتباره مناسبًا للحمل والقراءة، بينما كان الثمن الرخيص نسبيًا للمطبوعات صغيرة الحجم يضمن تغلغل الكتاب في الأسواق الأوروبية. وقد كانت الشارة الطباعية التي نجدها في كل مطبوعاته، وهي تمثل مرساة يلتف حولها دلفين، أفضل ضمان للنوعية الممتازة في كل أوروبا .

أما في باريس وفي فرنسا بشكل عام فقد انتشرت الطباعة بعد سنة ١٤٧٠م. ويعُتقد بحق أن تأخير تأسيس المطابع هناك كان نتيجة للمعارضة القوية لنقابة باعة الكتب والنساخ التي كانت تحتكر في باريس إنتاج الكتاب لحاجات الجامعات وللمهتمين بالكتاب بشكل عام، ثم قام أستاذان من السوربون باستدعاء ثلاثة من الألمان العاملين في الطباعة (ميكائيل فريبورجر، وأولريخ جرينج، ومارتين كرانس) لكي يؤسسوا في هذه الجامعة وتحت حمايتها أول مطبعة في فرنسا. وخلال فترة قصيرة أصبحت باريس من أهم مراكز الطباعة في أوروبا.

سجل الإنتاج المطبعي في فرنسا قفزة كبيرة خلال القرن السادس عشر، حين أصبح رجال الطباعة يتمتعون بحماية خاصة ومساعدة مالية من حكام فرنسا، وخاصة من الملك فرانسوا الأول، بحيث أضحت لفرنسا مكانة خاصة في مجال الطباعة بأوروبا.

أما فيما يتعلق بالبلدان الأوروبية الأخرى فلم تظل كثيرًا في انتظار وصول هذه المهارة الجديدة لطبع الكتب بواسطة الحروف المتحركة، وهكذا فقد بدأ طبع الكتب في هولندا منذ ١٤٧٣م وذلك في أولرهت وألوست.

كما نقل الألمان مهنة الطباعة إلى إسبانيا أيضًا خلال العقد السابع من القرن الخامس عشر. وسارع رجال الطباعة الألمان في الذهاب إلى إسبانيا حيث طبعوا الكثير من الكتب الدينية باللاتينية لأجل الكنيسة، التي كانوا يعملون تحت حمايتها وينشرون أكثر الكتب تلبية لحاجاتها، حيث أسست أول مطبعة في برشلونة.

في إنجلترا كان الإنجليزي وليم كاكستون، تاجر الصوف السابق، أول من اشتغل بهذه المهنة في بلاده بعد أن بقي حوالي ثلاثين سنة يعيش ويتاجر في بروج، إحدى مدن بلجيكا، حيث كان يجد الوقت أيضًا لترجمة رواية "فروسية" من الألمانية إلى لغته الإنجليزية. وقد أراد أن يطبع بنفسه هذه الرواية ولذلك فقد أقام خلال (١٤٧١م-١٤٧٢م) في مدينة كلن ليتعلم مهنة الطباعة هناك. وبعد سنة (١٤٧٣م) أسس مطبعة في بروج حيث طبع في السنة اللاحقة كتاب "مجموعة تواريخ طروادة" الذي كان قد ترجمه بنفسه في وقت سابق، وفي هذه المطبعة طُبعت عدة كتب أخرى قبل أن يعود سنة ١٤٧٦م إلى إنجلترا حاملاً معه هذه المطبعة. حيث وضعها في دير وستمنستر في لندن وطبع هناك سنة ١٤٧٧م أول كتاب في إنجلترا "الأقوال المأثورة" أو "أقوال الفلاسفة"

كانت براغ من المراكز الطباعية المهمة في أوروبا، وهي من أولى المدن الأوروبية التي أسِسَت فيها جامعة (١٣٤٨م). وحتى نهاية القرن الخامس عشر كان قد تم طبع ٣٥ كتابًا في بلاد التشيك. وقد بدأ أيضًا السلاف الجنوبيون في طبع كتبهم الأولى قبل نهاية القرن الخامس عشر وقد طُبع أول كتاب باللغة الكرواتية سنة ١٤٨٣م بعنوان "كتاب القداس حسب قانون البلاط الروماني"[٢٣].

مع نهاية القرن الخامس عشر كانت المطابع قد أُسسَت في كافة المراكز الثقافية الرئيسية في أوروبا، حيث ظهر في أقل من خمسين سنة عدد هائل من المطابع غطى مائتين وستين مدينة، حيث وجدت فيها ألف ومائة ورشة للطباعة.

حجم انتشار الطباعة في أوروبا خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر

إن أفضل مؤشر للثورة التي أحدثتها الطباعة في مجالات العلوم، والثقافة، والمعرفة هو كمية الكتب التي طُبعت في العقود الأولى التي أعقبت اختراع جوتنبرج. فقد غطت كافة أرجاء أوروبا أعداد كبيرة من الكتب بحيث أصبح الكتاب في متناول كل من يعرف القراءة وكل من يرغب في تكوين مكتبة خاصة وأضحت الكتب المحفوظة في الزوايا المخفية لمكتبات العصر الوسيط قريبة لأوسع شرائح المجتمع حيث رأت النور بعد التنقيب المتواصل عنها من قبل رجال الإحياء[٢٤].

وعلى الرغم من أن الكتب التي طبعت حتى نهاية القرن الخامس عشر تحولت إلى هدف

لأبحاث كثيرة، نظرًا لأهميتها الكبيرة لدراسة ثقافة مختلف الشعوب الأوروبية بشكل عام، فإنه ليس من السهل تجميع المعطيات المتعلقة سواء بعدد الكتب التي صدرت أو بعدد النسخ التي طبعت في ذلك الوقت. وبعد فشل المحاولات الفردية في إحصاء الكتب التي طبعت في تلك الفترة فقد اتخذت مبادرة دولية سنة ١٩٠٤م لإحصاء كل الكتب المطبوعة في القرن الخامس عشر، حيث كانت التقديرات القديمة للخبراء تقول إن عدد العناوين التي طبعت يصل إلى ٤٠ ألفًا. أما التقديرات الحديثة فتشير إلى ما بين ٣٠ إلى٣٥ ألف عنوان، ولكنها ترفع من حجم الإنتاج الإجمالي ليصل إلى ما بين ١٥ إلى ٢٠ مليون نسخة.

الطباعة والثورة الصناعية

ازدهرت الأدبيات الدينية والتعليمية والمسلية بدرجة كبيرة ومؤثرة مع ظهور الطباعة. وفي الواقع كانت هذه الأدبيات موجودة قبل جوتنبرج، ولكن لم يكن في الإمكان أن تتطور بهذا الشكل لإشباع الرغبات، وذلك لمحدودية انتشار الكتاب المخطوط ولاقتصار معرفة القراءة على بعض الشرائح الاجتماعية، إلا أن الجماهير الأمية كانت تعرف مضمونها على الأغلب من خلال الرواية الشفوية.

أما في النصف الثاني من القرن الخامس عشر، وخاصة منذ بداية القرن السادس عشر فإن عدد أولئك الذين يعرفون القراءة قد زاد بسرعة كبيرة، نظرًا لأن معظم هؤلاء في المدن (التجار والحرفيون والمواطنون العاديون) كانوا لا يهتمون كثيرًا بالكتب المطبوعة باليونانية أو اللاتينية فقد أخذ رجال الطباعة يطبعون لهم عددًا كبيرًا من المؤلفات الأدبية باللغات الشعبية بالإضافة إلى الكتب ذات الطابع العلمي التي تحتاجها هذه الشرائح من القراء، من ناحية أخرى يعتبر القرن السادس عشر هو العصر الذهبي للطباعة في أوروبا، فلقد سرت روح عصر النهضة بين أبناء المجتمع الغربي وظهرت الحاجة والرغبة في التعليم؛ وكنتيجة لذلك إزداد الطلب على شراء الكتب مما أثرى بدوره إنتشار الطباعة ونشأة المراكز الطباعية مثل مدينة باريس التي أصبحت مركزاً مفضلاً في توجيه دفة انتشار حركة الطباعة، كذلك برزت خلال تلك الفترة عائلات طباعية يمتهن أفرادها مهنة الطباعة مثل عائلة[٢٥] Henri Estienne وعائلة Geofry Tory.

كانت هذه الكتب الموجهة للشعب منذ البداية تتميز عن تلك الكتب الموجهة للنخبة المتعلمة من الأغنياء، ففي أغلب الأحيان كانت هذه الكتب تصدر في حجم صغير لكي تحمل في اليد بسهولة. وفي هذه الناحية لم تكن هذه تتميز عن الكتب المخطوطة من عصر ما قبل جوتنبرج، فحتى في ذلك الوقت كانت الكتب الموجهة للشعب تتميز عن المجلدات الضخمة والفخمة سواء من حيث مظهرها المتواضع وحروفها الكبيرة أو من حيث حجمها الصغير وتدوينها على الورق الرخيص بدلاً من "الورق الثمين". وحتى بعد جوتنبرج فقد حافظ رجال الطباعة على هذه المزايا بحيث أنه أدى إلى إنتاج كبير للكتاب بالاستناد إلى تلك النماذج للكتاب المخطوط. فضلاً عن أن الكتب المطبوعة للشعب تميزت بالرسوم المتواضعة، وحتى الساذجة أحيانًا، التي كانت تعد بالاستناد إلى المعايير الجمالية مقياسًا للفن الشعبي.

وفي كل الأحوال، ليس هناك من شك في أن انتشار التعليم وازدياد أعداد دور الطباعة في المجتمع، جنبًا إلى جنب مع التحولات الاجتماعية التي باتت في حاجة إلى المصارحة والمطارحة، قد وسّع من رقعة جمهور القراء. وقد ازداد عدد الإصدارات من الكتب الشعبية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ثم أخذ هذا العدد في التقهقر مع بدايات القرن العشرين في أوقات الكساد الاقتصادي العالمي، الذي لا يزال يكتنفه الكثير من الغموض.

لقد كانت الكتب في ظل تلك الظروف القاسية وقفًا على الصفوة من أبناء المجتمع، كما قل الإقبال على الكتب، وإن كان الحال مختلفًا مع الدوريات التي تجاوز توزيعها كل الحسابات مع فجر القرن العشرين.

ظهور الطباعة العربية في أوروبا

مرت الطباعة العربية في أوروبا بمراحل عديدة عبر القرون الماضية، تحكمت فيها أهداف عديدة ودوافع مختلفة. وقد سبق ظهور الطباعة العربية في أوروبا ظهور هذا الفن وازدهاره في البلدان العربية والإسلامية، فلقد كانت هناك بعض المحاولات الطباعية في العالم الإسلامي على القوالب الخشبية، حيث استخدم المسلمون فن الطباعة بالألواح الخشبية منذ العهد العباسي الأول، فطبعوا على القماش والورق[٢٦]. بيد أن هذه اللون من الطباعة وتطوره لم ينتشر عند المسلمين لعدم اهتمامهم بهذا اللون من التقنية الميكانيكية لأسباب تتعلق بجماليات فن الطباعة وخاصة جماليات الخط العربي وفنونه.

لذا يمكننا القول بأن أوائل المطبوعات العربية التي ظهرت في أوروبا لم تكن نتاج العرب أنفسهم، وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل عن سبب إصدار الأوربيين مطبوعات باللغة العربية؟

لقد ارتبط انتشار الطباعة العربية في أوروبا بصناعة الورق، ولقد رأينا كيف انتشرت صناعة الورق في أوروبا على أيدي العرب، لكن السبب الرئيسي في انتعاش الطباعة العربية في أوروبا في القرون الوسطى هو انتشار التنصير بين أبناء العرب والمسلمين الذين ظلوا في بلاد الأندلس بعد خروج المسلمين منها، وكنتيجة لهذا انتشرت علوم الاستشراق لدراسة كل ما يتعلق بحضارة الشرق.

في إسبانيا وجد أسقف غرناطة أن تنصير الموريسكيين لا يمكن أن يتم إلا إذا تعلم الرهبان والقساوسة لغتهم، فمن هذا المنطلق نشر الراهب الإسباني بيدرو دي ألكلا أول كتاب في إسبانيا يضم بين دفتيه حروفًا عربية طبعت على قوالب خشبية وكان ذلك في عام ١٥٠٥م.

أما في إيطاليا فإن حماسة الفاتيكان في ضم المارون، والأرثوذكس، والنساطرة، واليعاقبة، والقبط، وبقية الكنائس الشرقية إلى كرسي روما كان وراء إنشاء مطبعة الكلية اللاهوتية في روما[٢٧]. فأصدرت أول كتاب بالعربية "اعتقاد الأمانة الأرثوذكسية كنيسة روما" عام ١٥٦٦م، وكان من تأليف أو ترجمة إليانو.

وفي عام ١٥٨٤م تم إنشاء مطبعة مديتشي في روما بعد دخول الكنيسة المارونية تحت رئاسة بابا روما، فأصدرت في نفس العام أول كتاب لها بالعربية وهو "الصلوات السبع"Liber VII Precationum، وأعقبته في سنة ١٥٨٥م بكتاب "البستان في عجائب الأرض والبلدان" لأبي العباس أحمد بن خليل الصالحي. و جدير بالذكر أن أول كتاب يصدر بالعربية في إيطاليا استعملت في طباعته الحروف المتحركة، هو كتاب "صلاة السواعي Septem horae canonicae" وفق طقوس الكنيسة الملكية المصرية القبطية في مدينة فانو سنة ١٥١٤م وذلك لإقناع الكنيسة القبطية بالانضمام إلى كرسي روما[٢٨]. وظهر من بعده كتاب "المزامير" بالعبرية، واليونانية، والعربية، والكلدانية في جنوة عام ١٥١٦م.

كان الاهتمام خلال القرن الثامن عشر كله مُنصبًا على الطباعة من أجل التبشير والتنصير إلا النذر اليسير من أجل نشر الدراسات والترجمات والمؤلفات حتى أن كرسي اللغة العربية في جامعة ليدن قد اختفى خلال القرن الثامن عشر، وتم إلحاقه بكرسي اللغة العبرية ويظهر هذا الاتجاه واضحًا في محاضرة ألبرت سخولتنس ١٧٢٩م حيث يقول: "إن العربية بِنْت العبرية، وإن دراستها تخدم اللاهوت". لكن مع بزوغ شمس القرن التاسع عشر، بدأ ما يسمى بعصر التنوير الذي انقلبت فيه الأفكار ضد سيطرة الكنيسة على مجريات الأمور، وبدأ ينظر للشرق على أنه شريك في عملية التطوير والتنوير، وليس على أنه عدو للغرب.

ثالثًا: ظهور الطباعة في المشرق العربي

أصبحت المطبعة تضع مع كل كتاب جديد مشاعل من النور لتخلص الناس من ظلمات الجهل الذي خيم على عقولهم، وبأنوارها هُدمت الأحكام الاستبدادية، وصُححت الأخطاء المتوارثة، فأخذ الناس معلوماتهم من منابعها[٢٩].

نشأة الطباعة في تركيا

لم يكن فن الطباعة غائبًا عن المسلمين، فقد كانوا على دراية به وبأساليبه إن لم يكونوا قد مارسوه عمليًا في بعض الفترات في أشكاله البدائية، فقد واكبوا التحولات التي عرفها فن الطباعة منذ استخدام الألواح الخشبية حتى اختراع الطباعة بالأحرف المنفصلة.

عرفت تركيا الطباعة قبل غيرها من بلاد المشرق العربي، وبعد اختراعها بحوالي أربعين سنة. وعلى الرغم من تصدى سلاطين آل عثمان لها في أول الأمر، فقد مضت قدمًا في طريقها واستطاعت بعد كفاح مرير أن تفرض نفسها وتوطد أقدامها حاملة مشعل الحضارة والثقافة إلى أرجاء الإمبراطورية العثمانية[٣٠].

أما السبب الذي حدا بسلاطين آل عثمان إلى الوقوف في وجه المطبعة والتصدي لنشاطها فهو الخوف من أن يتعرض أصحاب الغايات والأغراض إلى الكتب الدينية فيحرفوها، يضاف إلى ذلك أن المطبعة يمكنها أن تُخفض من أثمان الكتب فتجعلها في متناول أكبر عدد ممكن من الناس فيحل العلم محل الجهل. وعلى الرغم من اقتناع عدد كبير من كبار رجال الدولة والعلماء بفوائد الطباعة إلا أن التردد والخوف من ردود فعل العلماء المحافظين وحتى من العامة حال دون الاستفادة من خدمات الطباعة بل حتى من استعمال الكتاب المطبوع في أوروبا، لذا أحجم المسلمون عن شراء كتب عربية مطبوعة في أوروبا مثل كتاب "القانون الثاني" في الطب لابن سينا الذي طبع في إيطاليا سنة ١٥٩٣م[٣١].

ويمكننا القول بأن اليهود المقيمين بالآستانة هم أول من أدخل فن الطباعة إلى تلك المدينة، فقد قدم إليها في أواخر القرن الخامس عشر أحد علمائهم ويدعى إسحق جرسون وأحضر معه مطبعة وحروفًا عبرية

لينشر بها كتب الديانة اليهودية المخطوطة التي كان يصعب الحصول عليها لقلة عدد الناسخين اليهود وارتفاع أسعار المخطوطات حيث يقول آورام غالانتي[٣٢] في الصفحة السابعة من مؤلفه "الأتراك واليهود" أن اليهود أتوا إلى تركيا من إسبانيا بمطبعتهم إلى تركيا عام ١٤٩٢م[٣٣].

خشي السلطان بايزيد الثاني أن يستفيد رعاياه من الاختراع الجديد، فما كان منه إلا أن أصدر في سنة ١٤٨٥م أمرًا يُحَرم فيه على غير اليهود استخدام فن الطباعة. وكان لتلك المطبعة التي أحضرها جرسون أطيب الأثر في نشر الآداب العبرية وترقيتها، فقد استطاعت خلال ثلاثة قرون أن تطبع أكثر من مائة كتاب في مختلف العلوم والفنون بفضل عناية كبار رجال الطائفة اليهودية في الآستانة. وكان لهم نفوذ كبير عند أصحاب السلطان [٣٤].

لكن بعد مرور أكثر من قرنين ونصف على ظهور فن الطباعة، وبعد ازدياد الاتصالات بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية على جميع المستويات، أصبح المناخ مهيئًا لإدخال فن الطباعة العربية إلى الشرق والاستفادة من العلوم الحديثة. فقد كان هناك عدة عوامل تفسر تغير المناخ السياسي والاجتماعي والثقافي في اتجاه الإصلاح ومن أبرزها:

١- الهزائم العسكرية التي مُنيت بها الدولة العثمانية أمام روسيا والنمسا في بدايات القرن الثامن عشر قد دفعت بالباب العالي إلى عقد اتفاقيات سلام، والدعوة إلى الإصلاح فكان من سبل هذا الإصلاح رفع القيود عن الحريات و منها الطباعة.

٢- انتهاج السلطان أحمد الثالث سياسة سلمية مع الدول الأوروبية وتشجيعه على تنشيط الحركة الفكرية والعلمية، فأسس المكتبات وشجع العلماء على التدريس والتأليف.

٣- رسائل سفير الدول العثمانية في باريس عن فوائد الطباعة. فلقد عرفت الدولة العثمانية المطبعة العربية بفضل مسعى سعيد أفندي ابن سفير تركيا وكان سعيد أفندي، الذي أصبح فيما بعد صدرًا أعظم، بصحبة أبيه في العاصمة الفرنسية، فشاهد المطابع ولمس منافعها العديدة عن قرب، فلما عاد إلى الآستانة بادر بالاتصال برجال الأدب والعلوم والفنون وفاتحهم في أمر إنشاء مطبعة فرحبوا جميعًا بالفكرة[٣٥].

٤- لعبت العلاقات بين الأقليات المسيحية داخل الإمبراطورية العثمانية وخارجها دورًا مباشرًا في إدخال المطابع إلى تركيا. حين قام بطريرك أنطاكيا "أثناسيوس الثالث دباس" بتأسيس مطبعة في بوخارست في عام ١٧٠١م، ونجح في نشر كتابين عن الديانة المسيحية.

كانت ترجمة قاموس وانقولي إلى اللغة التركية عام ١٧٨٢م تمثل أول كتاب أخرجته المطبعة، ويتألف هذا القاموس من مجلدين، وبيعت النسخة منه بخمسة وثلاثين قرشًا. وقد طبع في أول القاموس نص الفتوى والفرمان العالي والتقاريظ المحررة على التقرير الذي رفعه سعيد أفندي إلى أصحاب الشأن.

تلك هي حال الطباعة في تركيا حتى مطلع القرن التاسع عشر. وهي حال لا تحسد عليها إذا قورنت بحال للطباعة في أوروبا. لاسيما في فرنسا وإيطاليا. ولاشك أن الظروف التي أحاطت بالأتراك حكومة وشعبًا هي التي حالت دون تقدم الطباعة وانتشارها؛ فإن هذا الفن لا ينمو ولا يزدهر إلا في بيئة تتجاوب معه.

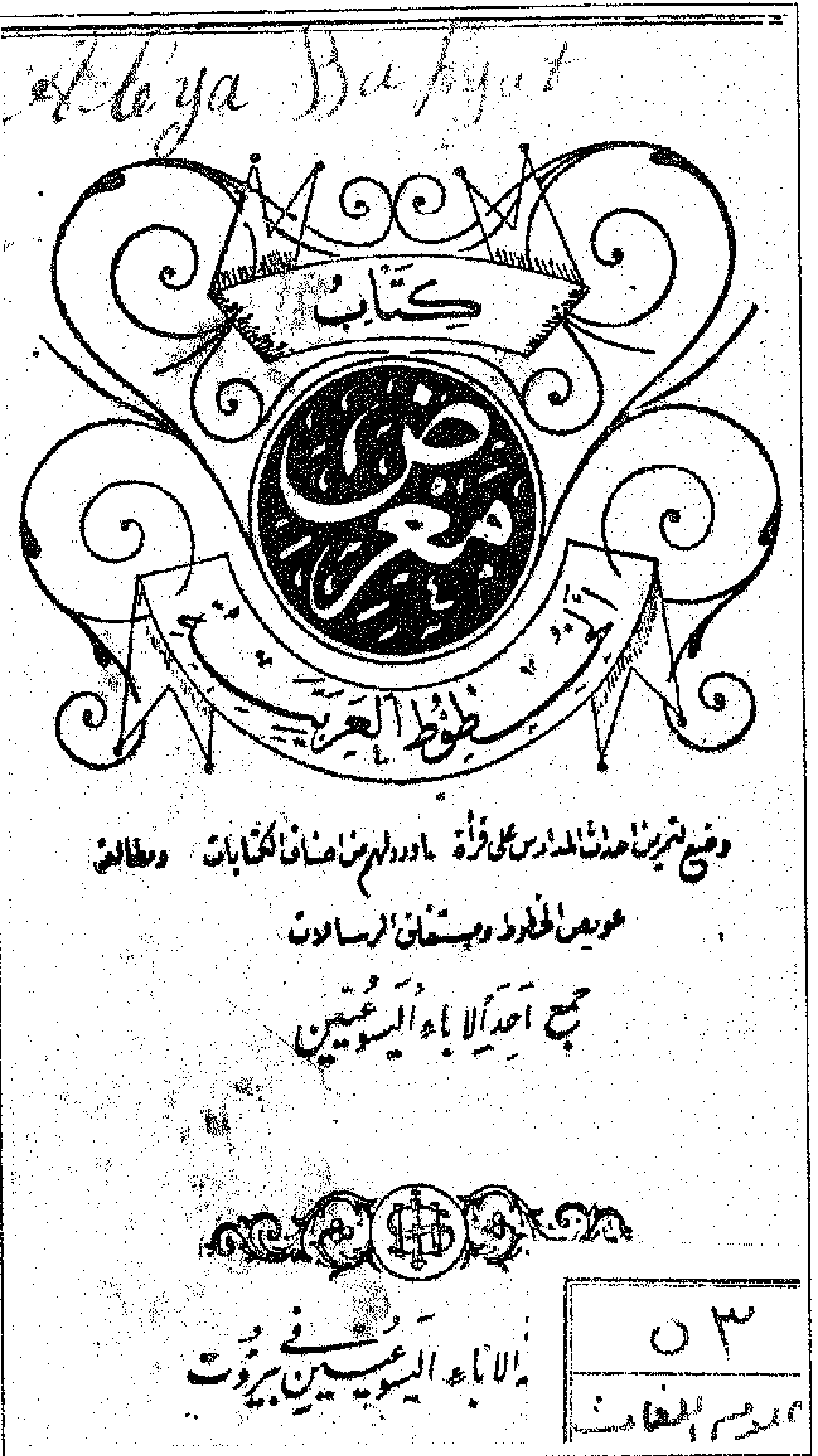
نشأة الطباعة في لبنان

ترتبط نشأة الطباعة في لبنان بالنزاع الديني الذي كان سائدًا بين الكنيسة الغربية والكنيسة الشرقية، حيث سعت الكنيسة الكاثوليكية الغربية منذ الثلث الأخير من القرن السادس عشر في ضم الكنيسة الشرقية إليها.

أرسل البابا إلى المشرق راهبين للاتصال بالطائفة المارونية، وظل الراهبان هناك سنة كاملة درسا خلالها حالة لبنان الدينية والاجتماعية، ثم رجعا إلى روما بصحبة تلميذين أحدهما من لبنان والآخر من قبرص. واقترح الراهبان على البابا قبول الشابين اللذين رشحا نفسيهما للكهنوت في الكليات الإكليريكية بروما، واقترحا عليه كذلك تأسيس مطبعة في تلك المدينة لنشر الكتب العربية والسريانية، التي تحتاج إليها الكنيسة المارونية، ووافق البابا على الاقتراحين.

ومن المرجح أن تكون المطبعة البابوية قد بدأت عملها في سنة ١٥٨٣م أما مطبعة الراهبين اليسوعيين، فقد جُهزت بالحروف العربية والسريانية وتم طبع النص العربي من كتاب التعليم المسيحي في سنة ١٥٨٠م.

فمن إصدارات هذه المطبعة "كتاب معرض الخطوط العربية" (شكل٦، ٧).



كتاب

معرض

الخطوط العربية

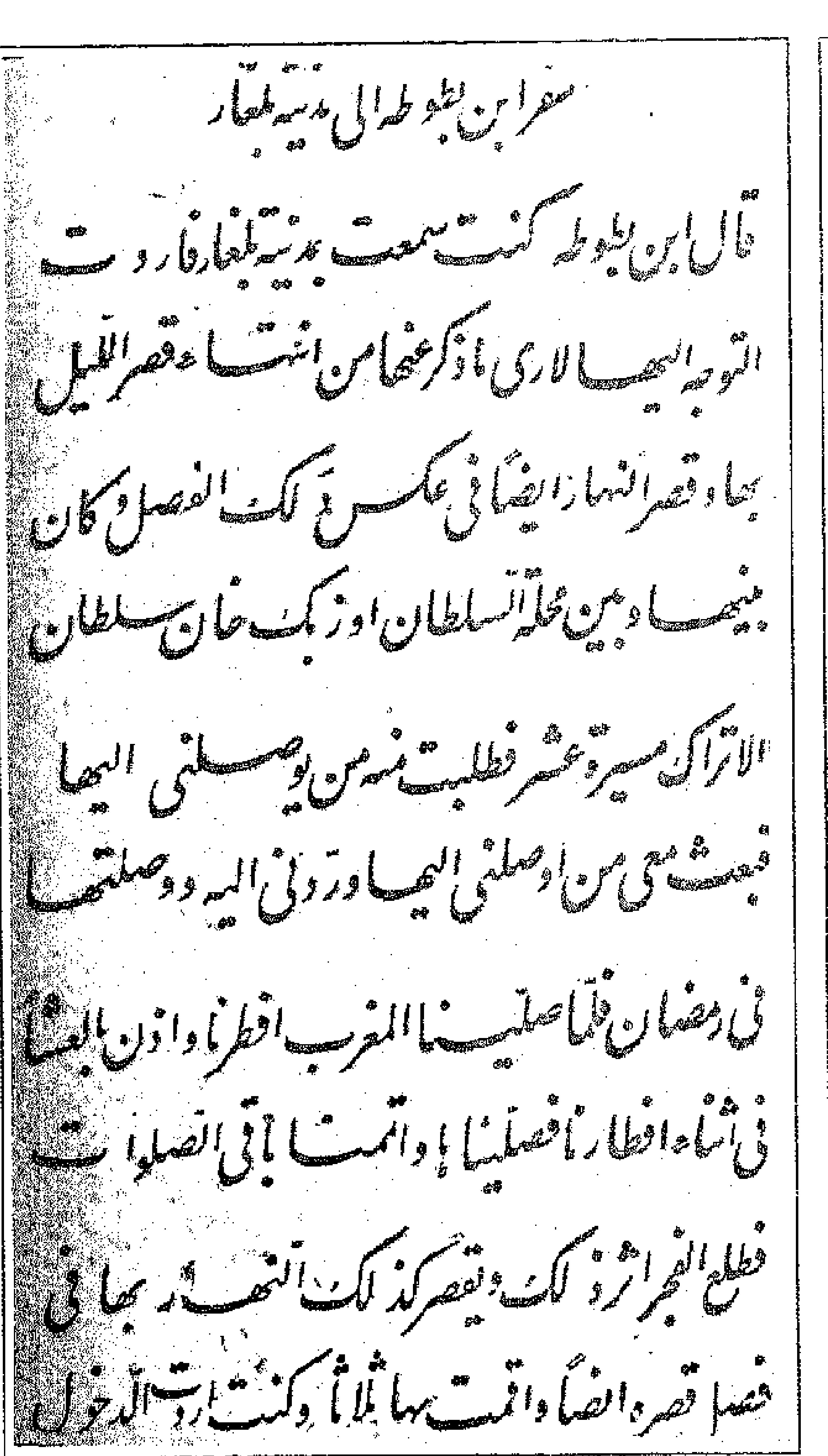
وضع لتمرين احداث المدارس على قراءة ما يرد لهم من اصناف الكتابات ومطالعة

عويص الخطوط ومستغلق الرسالات

جمع احد الآباء اليسوعيين

في ... الآباء اليسوعيين في بيروت

٣٥



سفر ابن بطوطة الى مدينة بلغار

قال ابن بطوطة كنت سمعت بمدينة بلغار فاردت

التوجه اليها لارى ما ذكر عنها من انتهاء قصر الليل

بها وقصر النهار ايضا في عكس ذلك الفصل وكان

بينها وبين محلة السلطان اوزبك خان سلطان

الاتراك مسيرة عشر فطلبت منه من يوصلني اليها

فبعث معي من اوصلني اليها وردني اليه ووصلتها

في رمضان فلما صلينا المغرب افطرنا واذن بالعشاء

في اثناء افطارنا فصليناها واتممنا في الصلوات

فطلع الفجر اثر ذلك وتقصر كذلك النهار بها في

فصل قصره ايضا واقمت بها ثلاثا وكنت اردت الدخول

(شكل ٦، ٧) كتاب معرض الخطوط العربية الذي أقيم في لبنان، ويتعرض الكتاب لمشكلة سوء الكتابة ورداءتها، كذلك يظهر الكتاب مجموعة من نماذج الخطوط العربية: النسخ، الرقعة، الفارسي، المغربي. والشكل يوضح لنا نماذج من الكتابات بالخط الفارسي

من أهم المطابع التي ظهرت في لبنان مع بداية ظهور فن الطباعة مع التحدث بشيء من التفصيل عن المطبعة الأمريكية ببيروت:

١- مطبعة دير قزحيا

٢- مطبعة دير مار يوحنا الصابغ بالشوير١٧٣٣م

٣- مطبعة القديس جاورجيوس ١٧٥١م

٤- المطبعة الأمريكية ببيروت ١٨٣٤م[٣٦]

تعتبر هذه المطبعة ثاني المطابع التي أنشئت بمدينة بيروت ورابع مطبعة عرفتها لبنان. ونستطيع أن نقول إن فن الطباعة بمعناه الصحيح لم ترسخ أقدامه في لبنان إلا حين قرر المبشرون الأمريكيون نقل مطبعتهم من مالطا إلى بيروت في سنة ١٨٣٤م.

يعود تاريخ تأسيس تلك المطبعة إلى سنة ١٨٢٢م، حين اتخذ المبشرون الأمريكيون جزيرة مالطا قاعدة لنشاطهم في الشرق الأدنى، حيث قرر مجلس الإرسالية في أمريكا تأسيس مطبعة في تلك الجزيرة لنشر الكتب للتبشير بالمسيحية حسب المذهب البروتستانتي.

اهتم هؤلاء المبشرون أول ما اهتموا بترجمة نشرات التبشير المكتوبة باللغة الإنجليزية. وأول مطبوع صدر عن مطبعة مالطا الأمريكية كان رسالة عنوانها "السبت"، وتبعتها رسائل أخرى نشرت باللغات الإنجليزية ،اليونانية ،الإيطالية، الأرمينية، والتركية وأرسلت نسخ منها إلى مصر وسوريا واليونان. وقد حالف النجاح تلك المطبوعات، مما شجع أصحاب الشأن على زيادة العناية بمطبعتهم فقرروا توسيعها ومضاعفة الاهتمام بها، ونشرت المطبعة بعد ذلك الكتب المدرسية المختلفة.

في ٨ مايو سنة ١٨٣٤م نُقل القسم العربي من المطبعة إلى بيروت حيث تخصص في نشر المطبوعات العربية وتوزيعها على الناطقين بلسان الضاد في أنحاء الشرق العربي.

وصلت المطبعة الأمريكية إلى بيروت في وقت كانت فيه الحالة الثقافية في لبنان شديدة السوء: فالأمية متفشية بين السكان والمدارس نادرة، وإن وجدت فهي عبارة عن كتاتيب صغيرة ملحقة ببعض المساجد: والكنائس لا تروي غليلاً. ولم يكن نشاط المطبعة في أول الأمر متواصلاً، فقد توقفت سنة ١٨٣٥م لعدم وجود الفنيين، وتوقفت مرة أخرى بين سنة ١٨٣٩م وسنة ١٨٤١م بسبب الاضطرابات التي وقعت في بيروت وغيرها من المدن اللبنانية والسورية في أواخر عهد السيادة المصرية على تلك البلاد، فرحل المبشرون الأمريكيون عن بيروت بعد أن أصبحت ميدانًا للحرب. وحين عاد المرسلون الأمريكيون إلى مقرهم ببيروت كانت المطبعة على ما هي عليه لم تمسسها يد.

شعر المبشرون منذ سنة ١٨٣٦م أن الحروف التي يستعملونها في مطبعتهم رديئة، وكانوا يطلقون عليها اسم "حروف لندن"، فتعهد الدكتور سميث بإصلاحها وسافر إلى ليبزج بعد أن حمل معه نموذجًا من خطوط بعض مشاهير الخطاطين في مصر والآستانة والشام. وقد تم له صنع الحروف العربية الجديدة وطبعت بها أول ما طبعت كتب المطالعة والتعليم المسيحي ومبادئ النحو للشيخ ناصيف اليازجي وغيرها من الكتب. فكانت أول مطبعة تسبك الحرف العربي المُشكّل المعروف "بالأمريكي".

استمرت المطبعة الأمريكية حتى الثلث الثاني من القرن التاسع عشر تزود لبنان بالكتب المدرسية والعلمية والدينية. ولم يقتصر الأمر على هذا بل أخذت كذلك تُزود المطابع التي أنشئت في ذلك العهد بالحروف. وظلت المطبعة الكاثوليكية المنافسة للأمريكيين ونشاطهم الديني في البلاد، تستعمل حروف المطبعة الأمريكية زهاء خمس عشرة سنة.

المطبوعات اللبنانية في تلك الفترة:

نشرت الطوائف المسيحية ٢٦ كتابًا خلال ٨١ سنة (١٧٠٦م-١٧٨٧م) من بينها ١٣ كتابًا أعيد طبعها، أي بمعدل كتاب واحد كل ثلاث سنوات ونصف، إلا أن حصص المطابع في هذا النتاج لم يكن متوازنًا:

- الشوير: تسعة عشر كتابًا.
- بيروت: كتابان.

لم تنشر هذه المطابع إلا كتبًا دينية مسيحية، وهذا الاختيار يعود إلى ارتباطها بالكنائس الشرقية (على عكس المطابع التركية)

وتنقسم الموضوعات التي تناولتها إلى:

- نصوص مقدسة: مثل الإنجيل والمزامير.
- كتب الأخلاق والزهد والصلاة: مثل المواعظ والتأملات الروحية.
- كتب الدفاع عن المسحية: مثل كتاب التعليم المسيحي.

نشأة الطباعة في سورية

كانت حلب أول مدينة سورية عرفت فن الطباعة، وقد دخلت الطباعة سورية، كما دخلت لبنان، على أيدي رجال الدين، لقد تم اختيار مدينة حلب لإنشاء أول مطبعة بحروف عربية لسبب رئيسي وهو أن هذه المدينة كانت تقع في مفترق عدة طرق تجارية كبرى بين الدولة العثمانية آنذاك وبين الشرق: فاستقطبت جزءًا مهمًا من التجارة الدولية.

مع انفتاح التجارة البحرية على أوروبا، ازدهرت التجارة بحلب، ومن ثم أصبحت مدينة متعددة الأجناس والعرقيات والديانات، مما أعطى دافعًا للنشاط الأدبي التبشيري من نهاية القرن السادس عشر، وهو ما أدى بدوره إلى زيادة عدد المؤلفات وبالتالي ظهرت الحاجة الشديدة إلى تأسيس مطبعة لإصدار المؤلفات المختلفة[٣٧].

لم تكن الحكومة التركية تنظر بعين الارتياح إلى هذا الاختراع وتعده المعول الذي سيهدم نفوذها بين الشعوب الواقعة تحت سيطرتها. فكانت تعمل جاهدة على مقاومة كل أداة للرقي والتقدم توضع في أيدي الشعب.

أهم المطابع في سورية

١- مطبعة البطريرك دباس البطريرك أثناسيوس الثالث دباس[٣٨] بحلب ١٧٠٦م.

٢- مطبعة بلفنطي الحجرية بحلب ١٨١٤م

٣- مطبعة الدوماني بدمشق ١٨٥٥م

٤- مطبعة ولاية سورية بدمشق ١٨٦٤م

٥- مطبعة جريدة فرات بحلب ١٨٦٧م

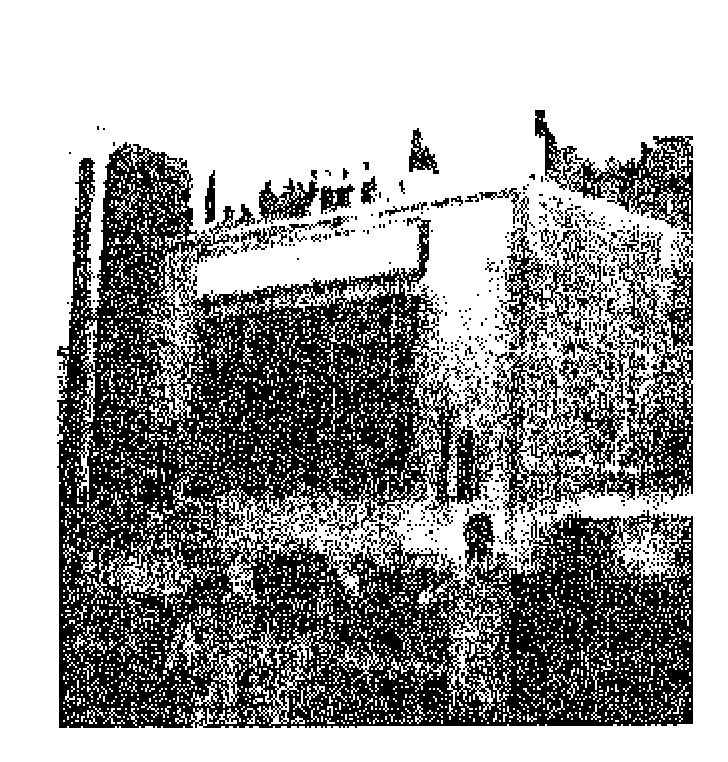
٦- مطبعة حلب المارونية ١٨٧٥م

وعلى الرغم من محدودية التأثير الذي أحدثته المطبعة آنذاك، إلا أن إقامة تلك المطابع في الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر كان يمثل تحولاً جذريًا في المجتمع العثماني، إذ إنها تعكس رغبة كل شعوب الدولة العثمانية وعزمهم على الانفتاح على العالم الخارجي، ورغبتهم في عدم الانغلاق على الذات في إطار ما ينتجه المجتمع المحلي من أفكار.

لقد كانت بدايات الطباعة صعبة، ومعقدة بالإضافة إلى أنها لم تكن معلومة النتائج، على أن النهاية كانت خير دليل على بداية اليقظة والإصلاح في المجتمعات الشرقية لتغيير عادات وثقافات ظلت مئات السنين هي مصدر الإلهام الأول لكل سياسات المجتمع وتوجهاته.

الفصل الثاني

ظهور الطباعة في مصر



أولًا: الطباعة في عهد الحملة الفرنسية

يرجع ظهور فن الطباعة بمعناه الحديث في مصر إلى عهد الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨م-١٨٠١م، حين أدرك بونابرت منذ اللحظة التي قرر فيها احتلال مصر أن الدعاية هي السلاح الماضي الذي به يكسب قلوب المصريين، فكان عليه إذن أن يعد العدة لحملة من الدعاية يُوطد أركانها بمطبعة يحملها معه لتساعده فيما يرمي إليه. ومما يؤيد إيمان بونابرت بقوة المطبعة أنه كتب إلى أرنو Arnault يطلب إليه أن ينشيء مطبعة يونانية في جزيرة كورفو "لتنوير عقول اليونانيين وإعدادهم لتذوق طعم الحرية في تلك البقعة المهمة من أوروبا"[٣٩].

حرص بونابرت على تزويد المطبعة التي سيحملها معه إلى مصر بالحروف العربية، واليونانية، والفرنسية(شكل٨). واهتم خاصة برجال المطبعة الجديدة ومعداتها. ففي السادس والعشرين من شهر فنتوز[٤٠] عام ٦ الموافق السادس عشر من شهر مارس سنة ١٧٩٨م اتخذت الحكومة الفرنسية قرارًا بتعبئة كل ما يحتاج إليه بونابرت، بما في ذلك الحروف العربية والفرنسية واليونانية الموجودة في مطبعة الجمهورية.

انقسمت المطابع الرسمية للحملة إلى شعبتين: شعبة شرقية يرأسها إيليا فتح الله من ديار بكر، والتي صدر قرار تأسيسها في الثامن والعشرين من شهر جرمينال، أما الشعبة الفرنسية فكان يرأسها يوحنا يوسف مارسيل[٤١].

أطلق على المطبعة الرسمية بشعبتيها ثلاثة أسماء رسمية واسم شعبي فعُرفت أثناء إبحارها من فرنسا إلى مصر بـ "مطبعة الجيش البحرية"، فلما وطئت أرض الإسكندرية سُميت بـ"المطبعة الشرقية الفرنسية"، وحين استقر بها المقام في القاهرة اتخذت اسم "المطبعة الأهلية". أما من الناحية الشعبية فقد كان الفرنسيون يعرفونها باسم "المطبعة الجديدة" لأنها وصلت القاهرة بعد مطبعة مارك أوريل بأشهر[٤٢]. وإلى جانب هذه المطبعة الرسمية أذن بونابرت لطابع فرنسي يدعي مارك أوريل بالحضور إلى مصر بصحبة الحملة ومعه مطبعته.

كانت المطبعة الرسمية على ظهر السفينة L'Orient "الشرق" التي كانت تقل بونابرت وأركان حربه، ولم يكن وجود المطبعة على نفس سفينة القائد العام أمرًا وليد الصدفة، فلقد أمر بونابرت بأن تكون المطبعة بجانبه ليستفيد منها في أية لحظة يشاء، وكذلك أمر بأن تعمل وهي في البحر لتطبع النداء الموجه لشعب مصر والأمر الموجه للجيش والمؤرخ في ٤ مسيدور عام ٦ الموافق الثاني و العشرين من يونيه سنة ١٧٩٨م. حملت تلك المطبوعات العبارة التالية : "طُبع على ظهر لوريان في مطبعة الجيش البحرية"، هكذا نرى أن عمل تلك المطبعة بدأ قبل نزول الحملة إلى البر، ولم يقتصر نشاطها على إخراج بعض النشرات الفرنسية، بل تجاوزها إلى طبع البيان العربي الذي أذاعه قائد الحملة على المصريين. أما مطبعة مارك أوريل فقد كانت على الفرقاطة "La Justice" " العدالة" إحدى سفن الحملة. وقامت بطبع البيان الفرنسي المؤرخ في الثالث عشر من شهر مسيدور (أول يوليه).

وبعد أن تم احتلال الإسكندرية، وقبل أن يتم الزحف على القاهرة، أصدر نابليون في التاسع عشر من شهر مسيدور عام ٦ الموافق السابع من شهر يونيه سنة ١٧٩٨م أمرًا بإنزال المطابع الفرنسية والعربية واليونانية إلى البر وبأن توضع في منزل وكيل قنصل البندقية بحيث يمكن الطبع بها في ظرف ثمان وأربعين ساعة، وخرج منها أول مطبوع في مصر

وهو الطبعة الثانية لبيان ١٣ مسيدور المكتوب باللغة العربية والذي تحمل نسخته هذه العبارة "في الإسكندرية من المطبعة الشرقية والفرنساوية". ثم رحل نابليون إلى القاهرة تاركًا المطبعة العربية في الإسكندرية،حيث قام مارسيل بنشر أبجدية عربية، وتركية، وفارسية طبعها في المطبعة الشرقية الفرنسية وتمرينات بالعربية الفصحى للمبتدئين، ثم غادر الإسكندرية إلى القاهرة في أكتوبر ١٧٩٨م.

ظل مقر المطبعة الشرقية بمدينة الإسكندرية إلى نهاية ١٧٩٨م، حيث ظلت هي المطبعة الوحيدة في مصر التي تطبع بالعربية، إذ إن نابليون كان يستخدم مطبعة مارك أوريل في القاهرة للطباعة باللغة الفرنسية، ويرسل إلى المطبعة الشرقية بالإسكندرية للطباعة باللغة العربية.

مطبعة مارك أوريل[٤٣] Marc Aurel

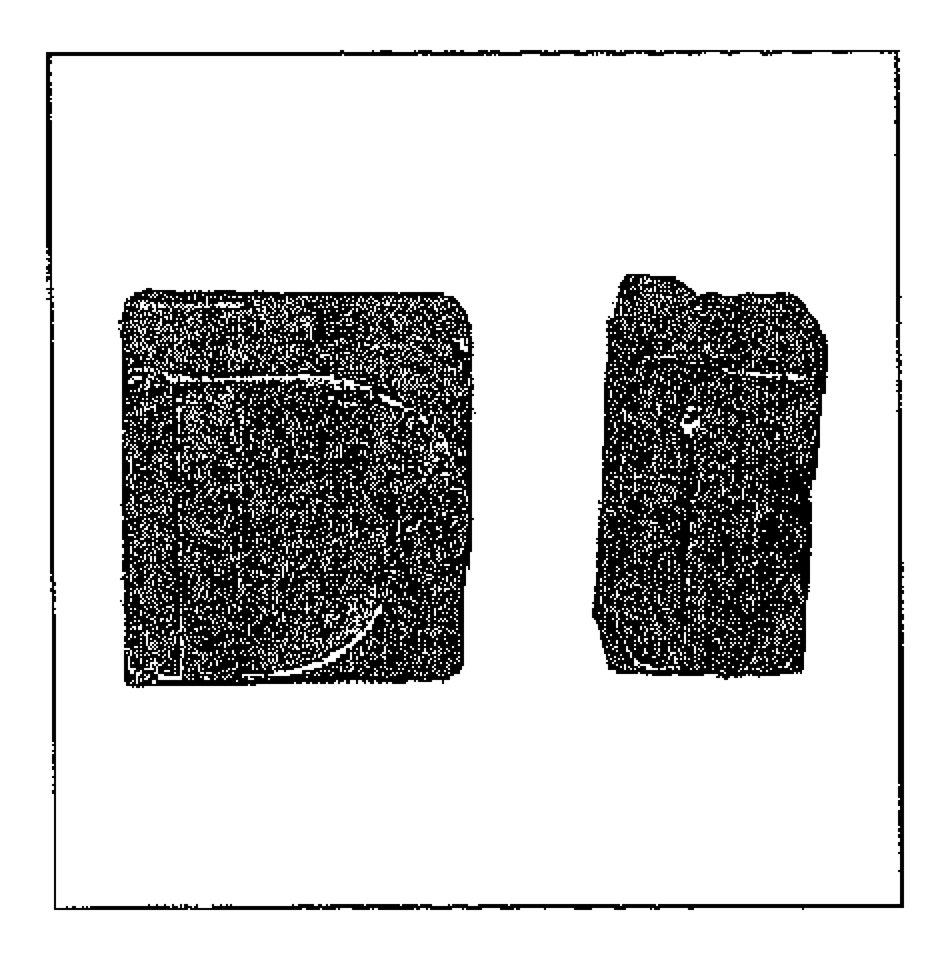
ضمت الحملة إلى مطابعها الرسمية مطبعة أخرى لمواطن حر ليس ملحقًا بالحملة الفرنسية على مصر هو جوزيف إيمانويل مارك أوريل.

ولد هذا الناشر في فالنس Valence في سنة ١٧٧٥م، وهو ابن بيير مارك أوريل أحد أولئك الذين احترفوا مهنة الطباعة والنشر في تلك المدينة، وكانت تربطه ببونابرت صداقة وطيدة مصدرها تردد بونابرت على مكتبته أثناء إقامته بفالنس بين سنتي ١٧٨٥م و١٧٨٦م.

في عام ١٧٩٤م التحق مارك أوريل بمطبعة الجيش البحري في البحر الأبيض المتوسط حيث استهوته الحملة الفرنسية على مصر فمضى معها ناشرًا لها، حيث اتخذ لقب "طابع الحملة" وبقي معروفًا بهذا اللقب حتى عودته إلى فالنس، وكان من عادته أن يطبع اسمه واسم مطبعته على كل ما ينشره من أوامر ونداءات وصحف[٤٤].

أسس في القاهرة أول مطبعة في مصر بينما لم يكن له أي نشاط يُذكر في مدينة الإسكندرية ذلك أن مطبعته كانت في صناديقها معدة للسير مع الحملة في طريقها إلى العاصمة، وقد نقلها صاحبها مع الجيش عن طريق الصحراء، فلما استقر الفرنسيون في القاهرة بدأ مارك أوريل عمله بأن نشر أمرًا رسميًا في ١٥ أغسطس سنة ١٧٩٨م، بينما بقيت المطبعة الرسمية في الإسكندرية، وأخذت مطبعة مارك تطبع أوامر بونابرت ومنشوراته باللغة الفرنسية، بينما كانت الأوامر ترسل إلى الإسكندرية لتطبع باللغة العربية إذ أن مطبعة أوريل لم تكن بها حروف عربية على الإطلاق، وبجانب طبعه أوامر بونابرت ومنشوراته كان يقوم بنشر جريدتي Le Courrier de l'Egypte البريد المصري وLa Décade Egyptienne العشرية المصرية، وتعتبر هذه المطبعة المستقلة عن الحملة أول مطبعة شهدتها مدينة القاهرة إذ كان الأهالي يجهلون هذه الصناعة جهلاً تامًا. رأى نابليون بونابرت أن مجهود مارك أوريل قاصر عن أن يحقق أغراضه في طبع الصحيفتين على نحو يرضيه أو يرضي علماء الحملة الفرنسية، لذلك أرسل في طلب المطبعة التي يشرف عليها مارسيل في الإسكندرية. وعندما استقرت المطبعة الأهلية في القاهرة رأى مارك أوريل أنه سيبقى معطلاً عن العمل فعرض على الحكومة أن يبيعها آلات مطبعته فوافق نابليون على ذلك.

وابتداء من ١٤ يناير سنة ١٧٩٩م أصبحت المطبعة الأهلية في القاهرة هي المطبعة الوحيدة في خدمة الحملة الفرنسية، وقد أصدر بونابرت أمرًا بتنظيم وتعيين المسئولين عن سياسة المطبوعات فيها وكان هذا الأمر في ٢٥ نيفوز سنة ٧ الموافق الرابع عشر من شهر يناير سنة ١٧٩٩م، ويتضح لنا من خلال هذا الأمر مدى الرقابة الصارمة والشديدة التي فرضها نابليون على المطبعة بحيث لا تصدر عنها مطبوعات بغير علم القيادة العامة،



(شكل٨) نماذج من الحروف الرصاص التي اصطحبتها الحملة الفرنسية.

أو تذيع ما من شأنه أن يمس النظام أو يُسئ إلى الرأي العام الفرنسي أو المصري لذلك كان هذا النظام الشديد أشبه ما يكون بما نعرفه اليوم بـ "نظام الرقابة على المطبوعات أو الرقيب". أما عن مكان المطبعة بالقاهرة فقد كانت دائمًا ملازمة لمعسكرات الجيش وعندما ثارت القاهرة في أكتوبر سنة ١٧٩٨م نُقلت المطبعة إلى الجيزة ولكنها عادت إلى القاهرة بعد أن أخمدت الثورة ونقلت إلى القلعة في النهاية لأنها كانت إحدى معسكرات الجيش الفرنسي.

مختارات من مطبوعات المطابع الفرنسية في مصر:

نشرت المطابع الفرنسية في مصر، وهي المطبعة الشرقية الفرنسية في الإسكندرية، ومطبعة مارك أوريل، والمطبعة الأهلية في القاهرة مجموعة من المطبوعات أثناء الاحتلال، منها:

١- الحروف الهجائية العربية والتركية والفارسية التي تستعملها المطبعة الشرقية الفرنسية، تأليف يوحنا يوسف مارسيل حجم صغير في ١٦ صفحة طبع في الإسكندرية في سنة ٦ جمهورية. الثمن : على ورق عادي ١٦ ميدان، وعلى ورق ممتاز ٢٤ ميدان[٤٥].

٢- تمارين في المطالعة العربية (مختارات من القرآن) يستعملها أولئك الذين يدرسون اللغة العربية تأليف يوحنا يوسف مارسيل حجم صغير في ١٢ صفحة طبع في الإسكندرية في سنة ٦ جمهورية. الثمن : على ورق عادي ١٢ ميدان، وعلى ورق ممتاز ٢٠ ميدان.

٣- Le Courrier de l'Egypte "البريد المصري" جريدة سياسية طبعها مارك أوريل تظهر كل خمسة أيام في القاهرة من مطبعة المواطن مارك أوريل بالنسبة للأعداد الثلاثين الأولى طبعت بعد ذلك في المطبعة الأهلية ظهر منها مائة وستة عشر عددًا وظهر العدد الأول في ١٢ فركتيدور سنة ٦ الموافق الثامن و العشرين من شهر أغسطس سنة ١٧٩٨م، وظهر العدد الأخير في ٢٠ بريريال سنة ٩ وكان العدد منها في أربع صفحات. الثمن المحدد ستة ميدان.

٤- بيان الأحداث التي حدثت في أوروبا أثناء الأشهر الأربعة الأولى.

٥- La décade Egyptienne "العشرية المصرية" صحيفة للآداب والاقتصاد السياسي. ظهر المجلد الأول في القاهرة صادرًا عن المطبعة الأهلية سنة ٧ من عهد الجمهورية الفرنسية. وهذه الصحيفة معدة للظهور كل عشرة أيام، وكانت صحيفة أدبية محضة لا يقبل فيها أي خبر أو أي جدل سياسي، ولكن يرحب على صفحاتها بكل شيء يتصل بمجال العلوم أو الفنون أو التجارة من حيث صلاتها العامة والخاصة أو التشريع المدني والجنائي أو المنظمات المعنوية أو الدينية. وكل عدد من هذه الصحيفة مكون من أربع ورقات صغيرة والاشتراك يبلغ تسعة جنيهات.

٦- "التقويم السنوي للجمهورية الفرنسية محسوبًا بالنسبة للقاهرة في السنة الثامنة من العهد الفرنسي" ظهر في القاهرة من المطبعة الأهلية في ١٠ نيفوز سنة ٨ الموافق الحادي و الثلاثين من شهر ديسمبر سنة ١٧٩٩م، وهذا التقويم وُضع مشابهًا لتقويم باريس وضعته لجنة خاصة من المجمع المصري.

ثانيًا: نشأة مطبعة بولاق

بعد جلاء الحملة الفرنسية عن مصر في سنة ١٨٠١م، عمت الفوضى البلاد، حيث ظهر على المسرح السياسي ثلاث قوى تتنازع السلطة فيما بينها، فالأتراك من جهة يريدون إعادة البلاد إلى قبضتهم بعد أن انفلت عقدها في ظل وجود المستعمر الفرنسي، والمماليك يسعون إلى استعادة سيادتهم التي فقدوها بدخول الفرنسيين، ووقف الشعب المصري بين هاتين القوتين يريد استرداد بلاده من يد المغتصبين. واستطاع محمد علي في نهاية المطاف أن يصعد إلى سدة الحكم بعد صراع دام أربع سنوات، حيث استطاع أن يوطد أركان حكمه بتأييد من الشعب.

وبدأ يفكر في بناء بلد قوي سواءً من الناحية السياسية أو من الناحية العسكرية، وفي الوقت ذاته يعتمد على اقتصاد قوي وخلفية حضارية تمكنه من الحفاظ على انجازاته، فبدأ بإنشاء المؤسسات على النمط الأوروبي الحديث. من بين المشروعات التي احتاج إليها في مسيرته التنموية إنشاء مطبعة تنشر كل ما يراه مناسبًا لاستقرار دولته.

بدأ محمد علي(شكل٩) يفكر في إدخال الطباعة إلى مصر منذ عام ١٨١٥م، حينما بدأ يفكر في إنشاء جيش نظامي يُحكم به سلطته على البلاد. إذ كان لابد لهذا الجيش من كتب يتعلم فيها أصول الحرب والخطط الحربية، وأنواع الأسلحة المختلفة،



(شكل٩) محمد علي باشا مؤسس مصر الحديثة، وصاحب فكرة إنشاء مطبعة بولاق.

فما كان من محمد علي إلا أن أصدر أوامره بإنشاء مطبعة بولاق في عام ١٨٢٠م لطباعة ما يلزم من كتب قوانين وتعليمات.

التفسيرات المختلفة لإنشاء مطبعة بولاق[٤٦]

لقد اختلفت الآراء والروايات التي صيغت حول الأسباب التي أدت إلى إنشاء مطبعة بولاق؛ فجورجي زيدان يقول "إن محمد علي سمع في مصر عن مطبعة الحملة الفرنسية ورأى بعض آثارها فجدد تلك الآثار وأحياها فيما عُرف باسم مطبعة بولاق"، بينما يقول رينو "إنه أراد أن يقلد مطبعة القسطنطينية التي أنشئت قبل ذلك بقرن من الزمان فأنشأ مطبعة في بولاق ليحاكي تلك المطبعة"، في حين يقول بيرون "إن الباشا لما أنشأ المدارس المتعددة وجد الحاجة إلى مطبعة تنشر ما يحتاج إليه التلاميذ والطلاب من الكتب المدرسية فأنشأ مطبعة في بولاق"، هذا بينما كان لجيز رأي مختلف حيث يقول "إن محمد علي كان متأثرًا بالتقدم المادي في أوروبا فرأى أن تقدم الأحوال في مصر لا يأتي إلا عن طريق الشعلة التي نشرت أضواء العلوم والمعارف في أوروبا وهذه الشعلة ليست شيئًا سوى فن الطباعة كما يرى أن السبب في إنشاء المطبعة كان الرغبة في طبع الكتب الشرقية القديمة التي عبث بها تقادم العهد فأضاع الزمان معظمها وكاد يأتي على ما بقي مخطوطًا منها، ويعزو أيضًا إنشاء المطبعة إلى أن محمد علي لما أسس مشروعاته الإدارية والتجارية كان من الضروري أن يوجد بجانب هذه المصالح والمعامل مطبعة تطبع ما يلزم لها من السجلات.

ويرى أبو الفتوح رضوان أن أصحاب الرأي القائل بأن محمد علي أنشأ مطبعته على أنقاض مطبعة بونابرت قد رجعوا بذلك إلى المقدمات بدلًا من النتائج؛ فالأدلة التاريخية كلها تثبت أن إحياء هذه الأنقاض لم يحدث وأن المطبعة المصرية نشأت مستقلة تمامًا عن كل اتصال بالماضي، فالشرط الحادي عشر من معاهدة جلاء الفرنسيين عن مصر ينص على أن "جميع حكام السياسة وأرباب الحرف والصنائع وجميع الأشخاص المتعلقة بالفرنساوية يحصل عليهم سوية ما يحصل للعساكر الحربية وأن حكام السياسة وأرباب العلوم والصنائع يصحبون ويأخذون معهم الأوراق والكتب ليس التي تخصهم فقط بل كل ما يرونه نافعا لهم".

فهذا النص صريح في أن للفرنسيين، وعلى وجه الخصوص أرباب العلوم والصنائع منهم الحق في أن يأخذوا معهم كل ما يريدون سواء أكان مما أحضروه معهم من فرنسا أم مما نهبوه من نفائس مصر. ويؤيد هذا أن كتاب " نحو اللغة العربية العامية" وهو آخر مطبوعات الفرنسيين في مصر بدىء في طباعته بالمطبعة الأهلية بالقلعة ثم أخلى الفرنسيون القاهرة فاستؤنف طبعه في نفس المطبعة بالإسكندرية ولكنه لم يتم طبعه أيضًا فوقف الطبع عند الصفحة ١٦٨ من الكتاب بجلاء الفرنسيين عن الإسكندرية.

من الثابت إذن أن الفرنسيين أخذوا مطبعتهم إلى الإسكندرية بعد الجلاء عن القاهرة فهل نقلها محمد علي من الإسكندرية إلى القاهرة بعد عشرين سنة وجددها؟

أما الرأي القائل بأن محمد علي أنشأ مطبعته محاكاةً لمطبعة القسطنطينية التي أنشئت قبل ذلك بقرن وأثمرت ثمرة طيبة في

ميدان العلم والأدب فيقول أبو الفتوح رضوان" أن محمد علي قبل مجيئه إلى مصر لم يكن عمله يتصل بالحركة العلمية والأدبية في القسطنطينية، فقد كانت حياته في ألبانيا حياة تاجر همه في البيع والشراء، وكان أميًا فلم تكن معه وسائل الاتصال بالحياة العلمية والأدبية بدار الخلافة". فهذا الرأي على حد تعبيره لا يفسر إنشاء المطبعة إذ لابد من غرض يدفع الوالي إلى محاكاة مطبعة القسطنطينية؛ أما التقليد في ذاته فلا يمكن أن يكون سببًا منطقيًا ذلك أن التقليد لا يمكن أن يستمر؛ فصاحب هذا الرأي هو رينو الذي كان من المشتغلين بتاريخ مطبعة القسطنطينية، مما سهل عليه الاعتقاد بأن المطبعة المصرية لم تكن إلا تقليدًا لتلك المطبعة ولا سيما أن مصر كانت ولاية تركية آنذاك.

أما عن رأي الدكتور بيرون الذي كان ناظرًا لمدرسة الطب المصرية والذي يرى أن المطبعة أنشئت في أول الأمر لسد حاجة المدارس من الكتب ولطبع الكتب المدرسية، خاصة وأن المطبعة قد نشرت الكثير من مؤلفاته ومترجماته كما كانت تنشر كل ما تحتاجه مدرسته من الكتب وكل ما يؤلف أو يترجم أساتذتها من المؤلفات، فيرى أبو الفتوح رضوان أن هذا الرأي يجانبه الصواب، ويظهر هذا بمقارنة بسيطة بين تواريخ إنشاء أولى المدارس وبين تاريخ إنشاء المطبعة. إن أولى المدارس التي أنشأها محمد علي كانت مدرسة الموسيقى العسكرية وكان تأسيسها في سنة ١٨٢٤م، ولم تكن هذه المدرسة في حاجة إلى كتب تطبع أو مطبعة تنشأ من أجلها، ومع ذلك فقد كان تأسيسها بعد تأسيس مطبعة بولاق بأربع سنوات، ثم أنشئت المدرسة التجهيزية الحربية في قصر العيني سنة ١٨٢٥م أي بعد إنشاء المطبعة بخمس سنوات، ولم تنشأ مدرسة الطب التي عرفها الدكتور بيرون إلا في عام ١٨٢٧م أي بعد إنشاء المطبعة بسبع سنوات فإنشاء المطبعة إذن أسبق من إنشاء المدارس.

من ناحية أخرى يرى البعض أن محمد علي أراد أن تنال مصر قبسًا من شعلة الحضارة والرقي مثلما حدث في أوروبا، وقد مهد جيز وبنى رأيه على أن محمد علي كان واقعًا تحت تأثير مظاهر ونتائج الإصلاح الذي حدث في أوروبا، فأراد أن ينتفع بالمصدر الذي أفاض نور العلم على الجمهورية الفرنسية وقد سبق القول بأن مجرد التقليد لا يمكن أن يكون سببًا في ذاته، ومحمد علي كان لا يقل جهلاً بأحوال أوروبا عنه بأحوال القسطنطينية.

أما فكرة الإدارة فنجد أنه ينقصها الأدلة التي تؤيدها فليس ثابتًا من تواريخ محمد علي أنه كان حوالي سنة ١٨٢٠م – وهو تاريخ إنشاء المطبعة – مشتغلاً بالإدارة وتنظيمها وإنما كان في ذلك التاريخ – مشتغلاً بأشياء أخرى سيأتي ذكرها بعد قليل – وثابت كذلك من المصادر الرسمية أن محمد علي ترك النظام الإداري على ما كان عليه أيام المماليك إلى سنة ١٨٢٦م وأنه لم يبدأ في تغيير هذا النظام، ولم يشكل المجالس ولم يدون الدواوين إلا في تلك السنة ١٨٢٦م، حيث ورد في الوقائع المصرية ما يلي:

"في شهر رجب سنة ١٢٤١هـ/ مارس سنة ١٨٢٦م أمر ولي النعم أن تقسم الأقاليم البحرية إلى أربعة عشر قسمًا والأقاليم الصعيدية إلى عشرة أقسام، ثم قسم الأقاليم البحرية إلى ثلاث إدارات الأولى خاصة بذاته الكريمة والثانية لولي النعم إبراهيم باشا والي جدة، والثالثة بدفتري المحروسة وكذلك قسم القبلية إلى قسمين أحدهما لكتخدا بك والثاني لأحمد طاهر باشا" (٤٧).

هذا هو أول ترتيب إداري قام به محمد علي وأول إصلاح أتمه في الإدارة ويتضح من تاريخه أنه بعد إنشاء المطبعة بست سنوات أي أنه وقت إنشاء مطبعة بولاق لم تكن هناك حاجة إدارية إلى إنشاء مطبعة. فلم يبق إذن إلا أن يكون السبب في إنشاء مطبعة بولاق ما كان محمد علي ينتظر أن تسهم به المطبعة في تحقيق مشروعه السياسي الكبير؛ وكل الأدلة التاريخية تشير إلى صحة هذا الرأي.

أما الرأي الراجح لإنشاء المطبعة فيرى أبو الفتوح رضوان أن مطبعة بولاق لم تنشأ بمفردها مستقلة عن بقية مشروعات محمد علي بل كانت جزءًا من مشروع كبير وكانت كأي مؤسسة أخرى من مؤسساته يرجى منها أن تسهم في إنجاح جانب من ذلك المشروع الكبير فلكي نصل إلى السبب في إنشاء مطبعة بولاق يجب أن نتعرض للسياسة العليا لمحمد علي، التي وضعها لدولته. فالغرض الذي من أجله أنشئت مطبعة بولاق إما أنه يكون لطبع القوانين واللوائح والمنشورات الإدارية التي وضعت لتنظيم الإدارة المصرية أو يكون لطبع ما يحتاجه الجيش من كتب وقوانين لتعليم أفراده من ضباط وجنود أو لعل المطبعة تكون أنشئت للغرضين معًا وعلى أي حال فهي تكون بذلك جزءًا من مشروع سياسي كبير.

مما لا شك فيه أن الجيش كان محط اهتمام محمد علي الأساسي والجوهري، ليضمن بقاء دولته واستقلاله عن السلطان، وذلك لا يتم إلا بوجود جيش قوي، ولذا نجد أن كل أعمال محمد علي مهما قلت أو عظمت لم يقم بها إلا من أجل الجيش، فمعظم

مدارسه كانت خاصة بتعليم الضباط بمختلف طبقاتهم وأنواعهم وحتى المدارس التي تبدو وكأن لا صلة بينها وبين الجيش لم ينشئها إلا من أجله؛ فمدرستا الطب البشرى والطب البيطري لم تنشئا إلا لتخريج أطباء للجيش، حتى الزراعة لم يقم فيها محمد علي بما قام ولم يدخل ما أدخل من المحصولات الجديدة إلا ضمانًا للجانب الاقتصادي، ولم تشذ مطبعة بولاق عن غيرها من مؤسساته ومستحدثاته المتعددة.

يتضح من هذه اللمحة السريعة لتاريخ الجيش المصري[٤٨]، أنه ظهر عند محمد علي طائفة جديدة من الناس يريد أن يدربهم على نظم الجيوش الحديثة فهو يريد أن ينشر بينهم قوانين هذا النظام الجديد وتعليماته وما يقوم عليه من التمرينات وترتيب الصفوف إلى غير ذلك من أمور العسكرية ومن ثم كانت الحاجة ملحة إلى إنشاء مطبعة يطبع بها كل هذه الأشياء، وهو ما يثبت صدق الرأي الراجح بأن الجيش الجديد كان هو العامل الوحيد الذي دعا إلى إنشاء مطبعة بولاق، وهناك بعض الأدلة التاريخية نوردها فيما يلي:

أولًا: إن تاريخ تكوين الجيش هو تاريخ إنشاء المطبعة ففكرة تكوين جيش جديد لاحت في ذهن محمد علي في سنة ١٨١٥م وهي السنة التي أرسل فيها بعثة من المصريين إلى إيطاليا لتعلم فن الطباعة، وأنشئت معسكرات أسوان سنة ١٨٢٠م أي في التاريخ الذي أنشئت فيه المطبعة، على الجانب الآخر كان إنشاء الجيش الجديد سابقًا لإنشاء المطبعة بقليل مما يدل على أن إنشاء المطبعة ترتب على تكوين ذلك النظام الجديد إذ أن محمد علي لم يكن عنده من المشروعات في ذلك التاريخ إلا مسألة الجيش وتنظيمه على أساس جديد.

ثانيا: أن حركة الترجمة في عصر محمد علي بدأت أول ما بدأت بكتب الفن الحربي دون سواه ويؤيد ذلك أن أولى الوثائق الخاصة بترجمة الكتب في ذلك العصر كلها خاصة بترجمة الكتب الحربية، ففي ٢٧ صفر سنة ١٢٣٦هـ/ ٤ ديسمبر سنة ١٨٢٠م أصدر محمد علي باشا أمرًا للخزينة يقول فيه: "وقد أنعم على كتبة المهندسخانة الذين ترجموا كتاب مجموعة المهندسين المطبوع من اللغة التركية إلى اللغة العربية تسهيلاً للطالبين بمبلغ خمسمائة قرش فكتب تذكرة إلى الخزينة لصرفه".

ثالثًا: أن أولى الكتب والمطبوعات التي أصدرتها المطبعة كلها خاصة بالجيش وما يتعلق بعساكره من قوانين وتعليمات، فأول ما طبع في بولاق كان قاموسًا للغتين العربية والإيطالية ونرجح أن السبب في طبعه كان الحاجة للترجمة، ومعروف أن محمد علي باشا اتجه أول الأمر إلى إيطاليا في إرسال البعثات وكانت اللغة الإيطالية أول لغة أجنبية تُدرس في مدارسه، ومن إيطاليا بدأت حركة اقتباس الحضارة الغربية ثم إن طبعه أعطى رجال المطبعة فرصة تجربة نوعي الحروف: العربية واللاتينية التي زودت بهما المطبعة من أول إنشائها.

رابعًا: وهو نص صريح يثبت أن تاريخ المطبعة ارتبط منذ بدايته بتاريخ الجيش المصري فقد ورد في كتاب رحلة بروكي ما يثبت أن هذه الكتب الحربية قد طبعت خصيصًا للجيوش المصرية الناشئة في أسوان وقد كان بروكي من أوائل الرحالة الذين زاروا مصر في عهد محمد علي وكتبوا عنها. قال هذا الرحالة في سياق كلامه عما أصدرته المطبعة من الكتب "وقد طبع بالمطبعة تعليمات حربية خاصة بالعساكر المصرية التي تدرب في الصعيد وهي تعليمات منقولة من اللغة الفرنسية إلى اللغة التركية حتى يقرأها الضباط وهم من الأتراك".

هكذا استنتج أبو الفتوح رضوان أن مطبعة بولاق لم تنشأ مستقلة بذاتها وإنما كانت جزءًا من مشروع كبير كان يرمي إلى خلق مدنية مصرية جديدة تقوم على القوة والسيادة والعلم الحديث، وإلى إحداث ثورة على عصور الظلام التي غرقت فيها مصر أثناء حكم المماليك، فكان لابد من طبع كتب الفن الحربي والعلوم الحديثة لتحديث البلاد.

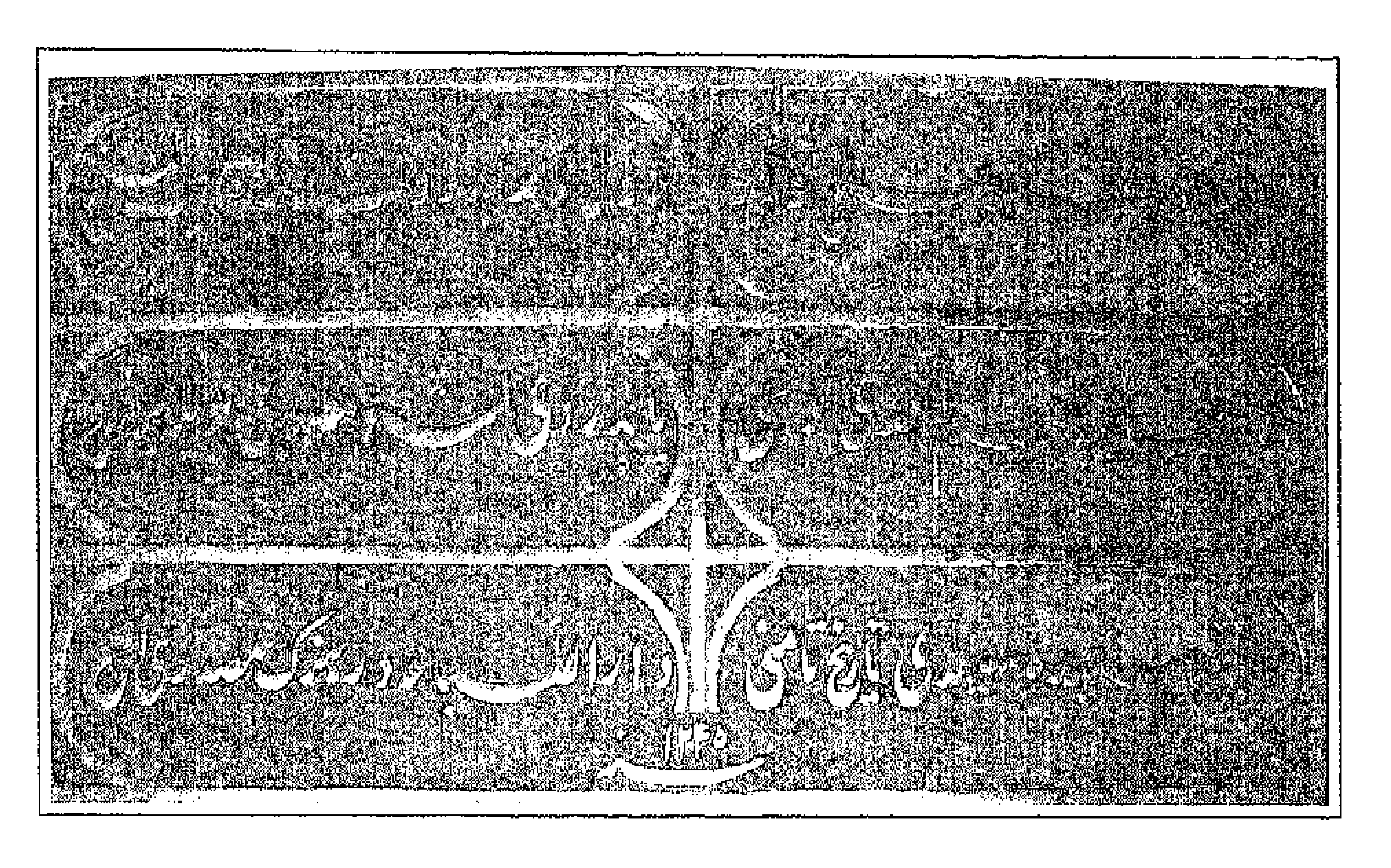
تاريخ إنشاء مطبعة بولاق[٤٩]

اختلف كثير من المؤرخين حول تاريخ إنشاء مطبعة بولاق (شكل ١٠، ١١، ١٢)، لكن مصدرنا الأساسي في هذا التاريخ هو اللوحة التذكارية التي علقت على باب المطبعة وقت إنشائها، وهي عبارة عن قطعة من الرخام طولها ١١٠ سنتيمترات وعرضها ٥٥ سنتيمترًا وقد نقشت بحيث برزت عليها الأبيات الشعرية التالية باللغة التركية:

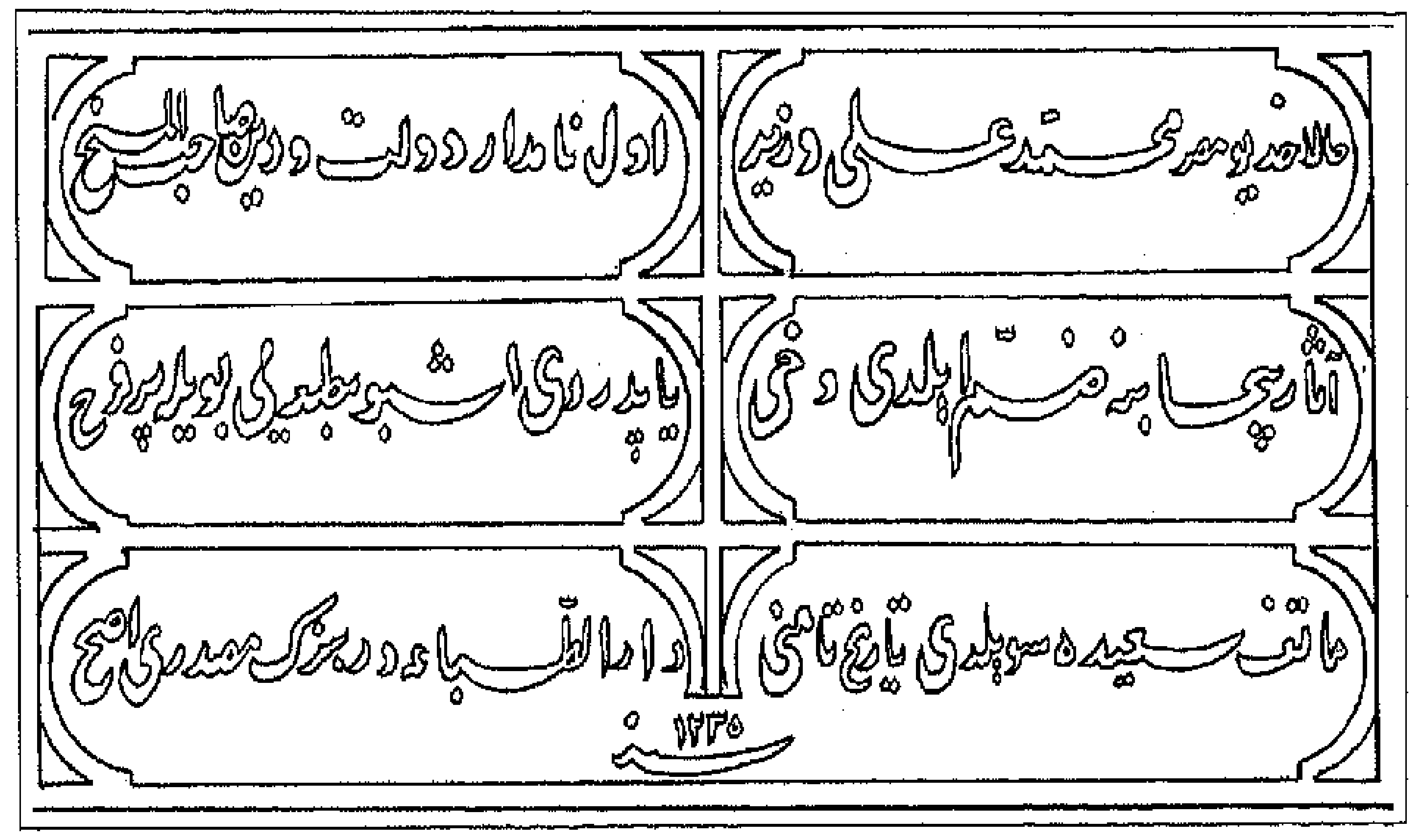
حالا خديو مصر محمد علي وزير
أول نامدار دولت صاحب المنح
آثار بيحسابنه ضم أيلدي دخي
يا بدر دي أشبو مطبعة بي بويله پرفرح
هاتف سعيده سو يلدي تاريخ تا مني
دار الطباعة در بندكي مصدري أصح

وترجمتها: "إن خديوي مصر الحالي محمد علي، فخر الدين والدولة وصاحب المنح العظيمة قد زادت مآثره الجليلة التي لا تعد بإنشاء دار الطباعة العامرة وظهرت للجميع بشكلها البهيج البديع وقد قال الشاعر سعيد إن دار الطباعة هي مصدر الفن الصحيح".

وفيها تاريخ لهذا الإنشاء، ولم نعثر على وثيقة أخرى تقوم مقامها. نُقش على هذه اللوحة الرخامية ثلاثة أبيات من الشعر، ويتضمن الشطر الأخير منها بحساب الجُمّل تاريخًا نقش صراحة في أسفلها، هذا التاريخ هو سنة ١٢٣٥ هـ وهذا يثبت أن المطبعة قد أنشئت



(شكل ١٠) اللوحة التذكارية التي علقت على باب المطبعة وقت إنشائها وفيها تاريخ هذا الإنشاء.



(شكل ١١) تفريغ النص التأسيسي

الحرف	الصور المفردة	الصور المركبة: مبتدأة	الصور المركبة: متوسطة	الصور المركبة: نهائية
ا				
ب				
ج				
د				
ر				
س				
ص				
ط				
ع				
ف				
ك				
ل				
م				
ن				
هـ				
و				
ى				

(شكل١٢) جدول حروف النص التأسيسي

– تفريغ النص التأسيسي و جدول الحروف من عمل الباحثة شيماء السايح

في تلك السنة. ويوافق أول المحرم من سنة ١٢٣٥ هـ بالتاريخ الميلادي ٢٠ أكتوبر سنة ١٨١٩م ويوافق آخر ذي الحجة منها ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٢٠م ،وعلى ذلك يمكننا أن نتخذ أواخر سنة ١٨١٩م من ٢٠ أكتوبر والجزء الأول من سنة ١٨٢٠م إلى ٢٧ سبتمبر على أنها الفترة التي فيها إما بدأ أو انتهى إقامة البناء الذي كانت فيه مطبعة بولاق. على أن فكرة المطبعة لم تولد في هذا التاريخ بل إنها سابقة له بكثير فقد أوفد نيقولا المسابكي في بعثة إلى إيطاليا ليتعلم فن الطباعة في سنة ١٨١٥م فإلى هذا التاريخ يرجع التفكير في إنشاء مطبعة بولاق.

أما عن تاريخ أول إصدارات المطبعة فمن الثابت مما تحت أيدينا من الوثائق أن أول كتاب أصدرته مطبعة بولاق هو قاموس للغتين العربية والإيطالية من وضع الراهب روفائيل. ولهذا القاموس صفحة للعنوان ذكر في أسفلها أن تمام طبعه كان في سنة ١٢٣٨هـ. وله صفحة للعنوان باللغة الإيطالية ذكر في أسفلها أن تمام طبعه كان في سنة ١٨٢٢م ويستفاد من هذا أن أول إصدارات بولاق تم طبعه في سنة ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م والسنتان لا تتداخلان إلا في المدة من ١٨ سبتمبر إلى آخر ديسمبر من سنة ١٨٢٢م وعلى ذلك يكون الكتاب قد صدر في أثناء هذه المدة التي تبلغ ثلاثة أشهر ونصف تقريبًا وتكون بالتالي هي تاريخ إصدار المطبعة لأول مطبوعاتها.

موجز تواريخ إنشاء مطبعة بولاق:

- بدأت فكرة إنشاء مطبعة عند محمد علي باشا في سنة ١٨١٥م عندما أوفد أول بعثة إلى ميلانو لتعلم فن الطباعة.
- تم البدء في إقامة بناء المطبعة في سنة ١٢٣٥هـ الموافق ١٨٢٠م ولم يأت شهر ذو الحجة من سنة ١٢٣٥هـ وشهر سبتمبر من سنة ١٨٢٠م إلا وكان البناء قد تم تشييده.
- أما تركيب الآلات ووضعها في أماكنها فقد بديء فيه في سبتمبر سنة ١٨٢١م وتم الانتهاء منه في يناير سنة ١٨٢٢م.
- استغرقت فترة التجربة - تجربة الآلات والحروف وتوزيع العمال عليها وتدريبهم على أعمالهم في المدة من يناير سنة ١٨٢٢م إلى أغسطس من نفس السنة – وبلغ العمل في المطبعة أشده وبدأت في عملية الإنتاج في المدة من أغسطس إلى ديسمبر سنة ١٨٢٢م.
- أصدرت أول مطبوعاتها في ديسمبر سنة ١٨٢٢م.

اسم المطبعة

ذكر أول اسم للمطبعة في اللوحة التذكارية لإنشائها، حيث ورد ذكر اسمها "دار الطباعة" كما ورد في البيت الثالث من هذه اللوحة.

هاتف سعيد سويلدي تاريخ تامني دار الطباعة در بندكي مصدري أصح[٥٠]

ثم نجد في أول مطبوعاتها، وهو القاموس العربي الإيطالي(شكل١٣، ١٤) أن اسمها في الجزء العربي من القاموس "مطبعة صاحب السعادة" إذ كُتب في أسفل أولى صفحات هذا الجزء : "تم الطبع في بولاق بمطبعة صاحب السعادة"، واسمها في الجزء الإيطالي هو "المطبعة الأميرية" إذ كُتب في أسفل صفحته الأولى بالخط الكبير كلمة "Bolacco" ثم تحتها بالخط الصغير "Dalla Stamperia Reale" لا يهمنا في هذا المقام سوى أن الاسم الثابت هو "بولاق" ففي الجزء العربي وردت بولاق قبل اسم المطبعة، وفي الجزء الإيطالي نجد كلمة "Bolacco" بالخط الكبير في سطر مستقل فكأن اسم "بولاق" ارتبط بالمطبعة من أول الأمر، ثم نجد أسماء للمطبعة تشبه هذين الاسمين فبعض السياح كان يسميها "المطبعة الأميرية" "Imprimerie Royale" كما جاء في مقالة نشرت بالمجلة البريطانية في سنة ١٨٢٥م. لكن نجد أن اسمها في الأوراق الرسمية هو "مطبعة بولاق" حيث أننا نجد الأمرين الصادرين بشأن ضم مخزن التجارة

بسم الله الرحمن الرحيم

قاموس

اطالياني و عربي

يتضمن بالاختصار كل الالفاظ الجاري بها العاده والالزم

لتعليم الكلام

ولفهومية اللغتين علي الصحيح وقد يقسم الي قسمين

القسم الاول

في القاموس المرتب علي حسب المعتاد بموجب ترتيب حروف الهجا

القسم الثاني

ويتضمن مجموع مختصر من اسما وافعال من الاشد

الزام واكثر فايدة لدرس اللغتين

تم الطبع في بولاق مطبعة صاحب السعاده

١٢٣٨

(شكل١٣) الوجه العربي لـ"القاموس الإيطالي العربي" –أول إصدارات المطبعة– ويظهر به القاعدة العربية التي تم تصنيعها في إيطاليا، حيث يعود إلى سنة ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م.

DIZIONARIO

ITALIANO E ARABO

CHE CONTIENE IN SUCCINTO

TUTTI I VOCABOLI

CHE SONO PIU IN USO E PIU NECESSARJ PER IMPARAR A PARLARE

LE DUE LINGUE CORRETTAMENTE

EGLI È DIVISO IN DUE PARTI

PARTE I.

DEL DIZIONARIO DISPOSTO COME IL SOLITO NELL'ORDINE ALFABETICO.

PARTE II.

CHE CONTIENE UNA BREVE RACCOLTA DI NOMI E DI VERBI

LI PIU NECESSARJ, E PIU UTILI ALLO STUDIO DELLE DUE LINGUE.

BOLACCO

DALLA STAMPERIA REALE

M. D. CCC. XXII.

(شكل١٤) الوجه الإيطالي من القاموس ويلاحظ هنا أن اسم المطبعة هو "المطبعة الملكية"، وليس "مطبعة صاحب السعادة" مثل الوجه العربي للقاموس.

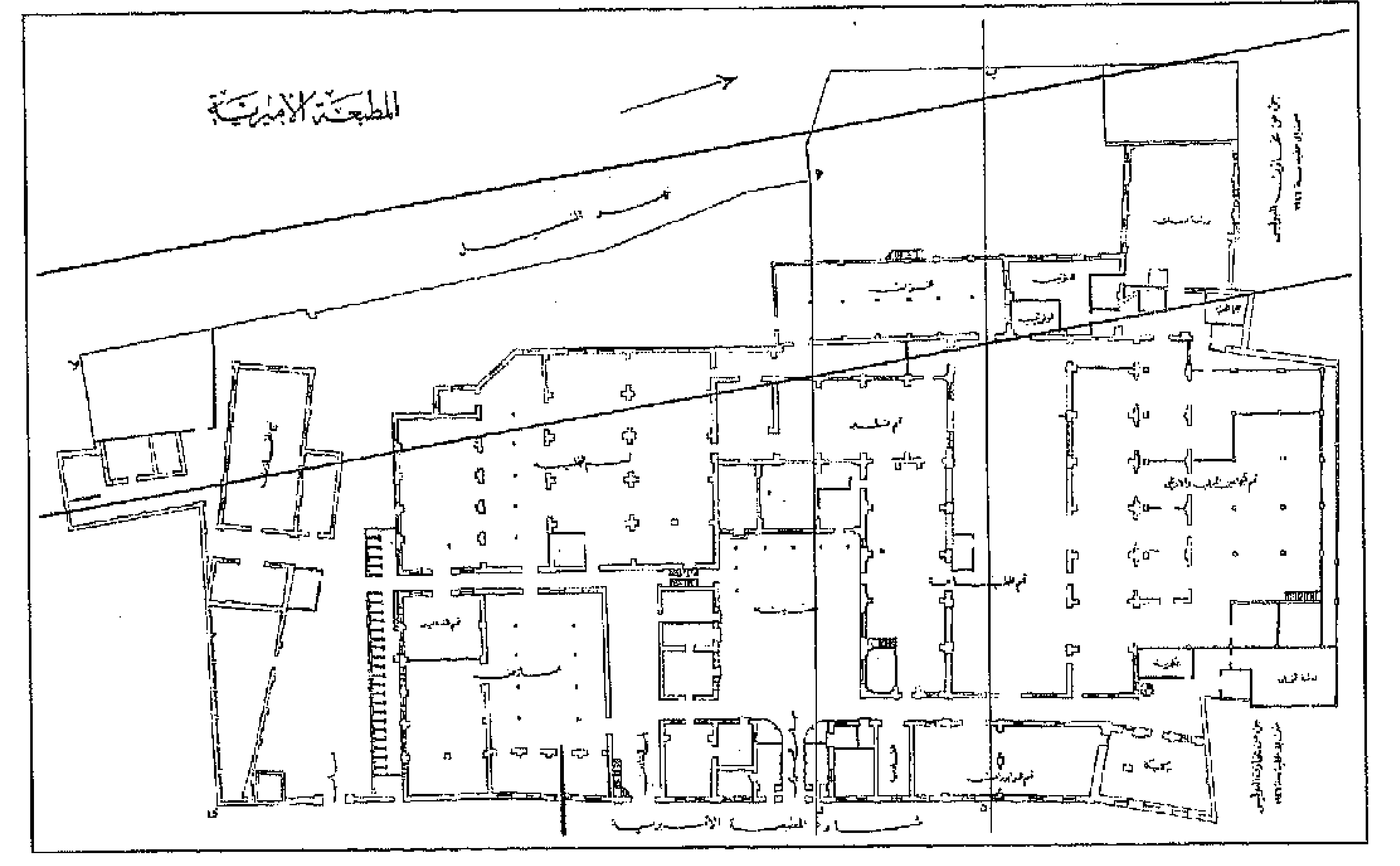
القديم إلى المطبعة وبناء رصيف لوقايتها من فيضان النيل وردت باسم "مطبعة بولاق" فيمكننا إذن أن نرى أن اسم المطبعة الرسمي هو "مطبعة بولاق" وأن ما تُسمى به من غير ذلك تكون عادة أسماء واردة في كتابات غير رسمية فقد تكون أحيانًا على شكل خبر أو إعلان في الوقائع المصرية، وقد تكون أحيانًا أخرى على شكل تأريخ لانتهاء طبع كتاب في آخره وفي مقدمته وفي هذه الأحوال غير الرسمية يختلف اسم المطبعة باختلاف تفنن الكاتب في التعبير إلا أننا نجد ذكرًا في كل الأحوال لبولاق ثم يضاف إليها عدة أوصاف تختلف باختلاف تفنن الكاتب في التعبير مثال ذلك "**دار الطباعة العامرة الكائنة ببولاق مصر المحروسة القاهرة**" كما ورد في أحد أعداد الوقائع أو "**مطبعة صاحب السعادة ببولاق**" كما جاء في آخر كتاب "**مراح الأرواح**" أو كما كتب في أول عدد من الوقائع المصرية "**مطبعة صاحب الفتوحات السنية ببولاق مصر المحمية**" أو "**مطبعة صاحب السعادة الأبدية والهمة العلية الصفية التي أنشأها ببولاق مصر المحمية صانها الله من الآفات والبلية**" كما جاء في ختام قانون نامة السفرية الجديدة إلي غير ذلك من ضروب التفنن في التعبير التي يقصد بها تسمية المطبعة وتعظيم مؤسسها والدعاء لها وله. وعلى ذلك فإن اسمها الرسمي التاريخي هو "**مطبعة بولاق**".

في ١٨ يوليه١٨٦١م أدار نوحي أفندي المطبعة لحسابه الخاص عندما قرر سعيد باشا غلقها لتعرضه لأزمة مالية. وفي عام ١٨٦٢م أهداها سعيد باشا إلى عبد الرحمن رشدي فتغير اسمها إلى "**مطبعة عبد الرحمن رشدي ببولاق**"، ثم عاد اسمها وتغير إلى "**المطبعة السنية ببولاق**" أو"**مطبعة بولاق السنية**" وذلك في عهد الخديوي إسماعيل، حيث ظلت المطبعة بعيدة عن قبضة الحكومة المصرية. في عهد الخديوي توفيق تغير اسمها للمرة الثالثة ليصبح "**مطبعة بولاق الأميرية**"، ثم في عام ١٩٠٣م تغير إلى "**المطبعة الأميرية ببولاق**"، وفي عام ١٩٠٥م أصبح اسمها "**المطبعة الأميرية بالقاهرة**"، وبعد قيام ثورة يوليو١٩٥٢م اهتمت حكومة الثورة بضرورة الاهتمام بالمطبعة الأميرية. ففي عهد الرئيس جمال عبد الناصر أنشئت وزارة الصناعة في عام ١٩٥٦م، وصدر قرار رئيس الجمهورية بإنشاء هيئة عامة للمطابع تلحق بوزارة الصناعة يطلق عليها "**الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية**"، وتكون لها شخصية اعتبارية، وتختص بإدارة المطبعة الأميرية والمطابع التابعة لها، وجميع المطابع الحكومية الأخرى التي تُضم لها بقرار من رئيس الجمهورية.

موقع المطبعة

الموقع القديم[٥٩]

شُيدت مطبعة بولاق في أول الأمر في جزء من مساحة الترسانة البحرية(شكل١٥) في الجزء الممتد على ضفة النيل اليمنى من الشمال إلى الجنوب إلى الشمال قليلاً من موقعها المعدل ببولاق، و يشمل هذا الجزء بالترتيب من الشمال إلى الجنوب: الترسانة، ثم مصنع الصوف، ثم نجد الورشة التي أصبحت فيما بعد مدرسة



(شكل١٥) تخطيط لموقع مطبعة بولاق على ما كانت عليه في حي بولاق قبل نقلها إلى حي إمبابة.

الفنون والصناعات، ثم مكان المطبعة بعد عام ١٨٣٠م، ثم نجد الجمرك في النهاية.

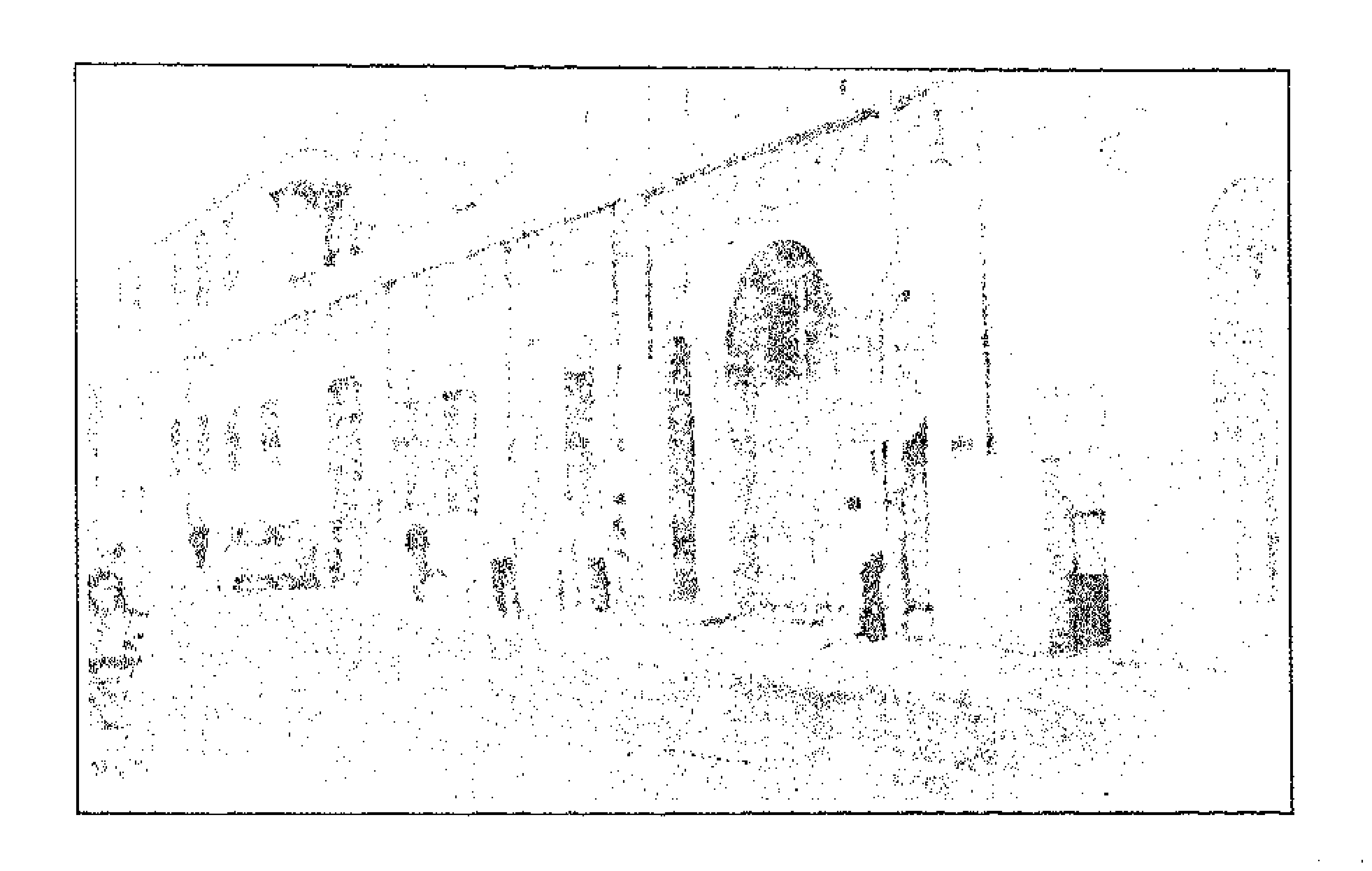
وقد ظل هذا التخطيط باقيًا إلى عام ١٩٥٤م حيث بقيت الترسانة في مكانها ويليها مصانع كوك التي حلت محل مصنع الورق الذي حل بدوره محل مصنع الصوف سنة ١٨٦٨م، ويليها مخازن البوليس التي حلت محل مدرسة الفنون ويليها المطبعة أما الجمرك فقد أضيف إلى المطبعة سنة ١٨٣٣م، وفي سنة ١٨٣٨م زيدت مساحة المطبعة ٥٤٥ مترًا من جهة الجنوب وبذلك أصبحت مساحة المطبعة ٥٨٠٥ مترًا.

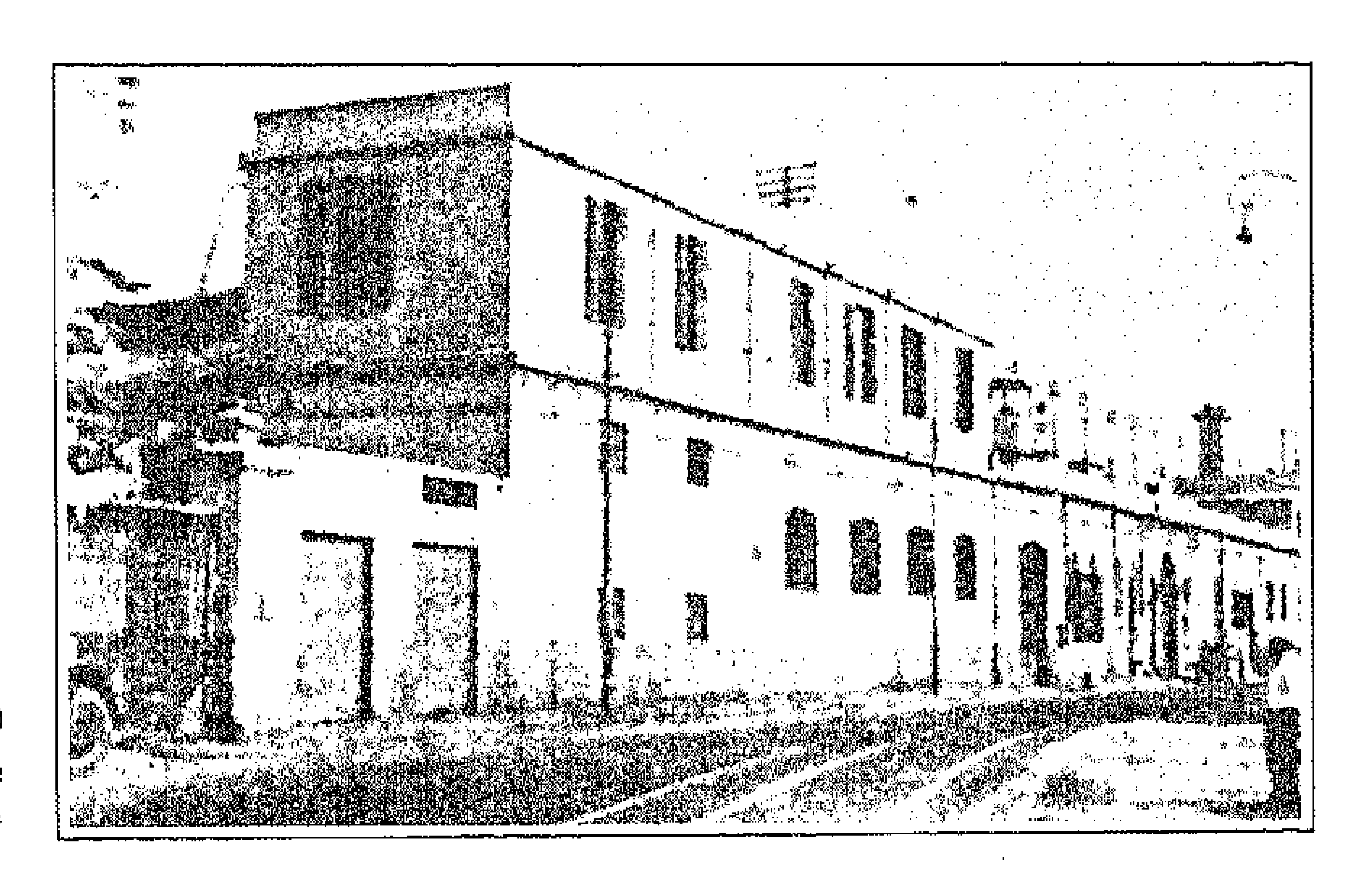
أما الحدود فهي:

- الحد الشرقي في شارع المطبعة طوله ١٢٤مترًا
- الحد الشمالي مخازن البوليس طوله ٩٥مترًا
- الحد الغربي شاطئ النيل طوله ١٥٠ مترًا

في سنة ١٩٠٠م حدث توسيع كبير في مكان المطبعة على يد (شيلو باشا) حيث بدأت أعمال المطبعة تتزايد مما جعل توسيعها وإصلاح مبانيها وتحديد هندستها على الطراز الحديث أمرًا لازمًا تفاديًا لتعطيل الأعمال وتلف الكثير من المواد الخام، فبلغت مساحة المطبعة ١٠,٥٤٩ مترًا عدا مخازن البوليس التي ضُمت إلى المطبعة سنة ١٩٤٦م (شكل١٦، ١٧).

أيضًا أعد الأستاذ محمد أمين بهجت بك المدير السابق للمطابع الأميرية، مشروعًا واسع





(شكل١٦، ١٧) المبنى القديم لمطبعة بولاق حيث يظهر لنا الواجهة المطلة على حي بولاق

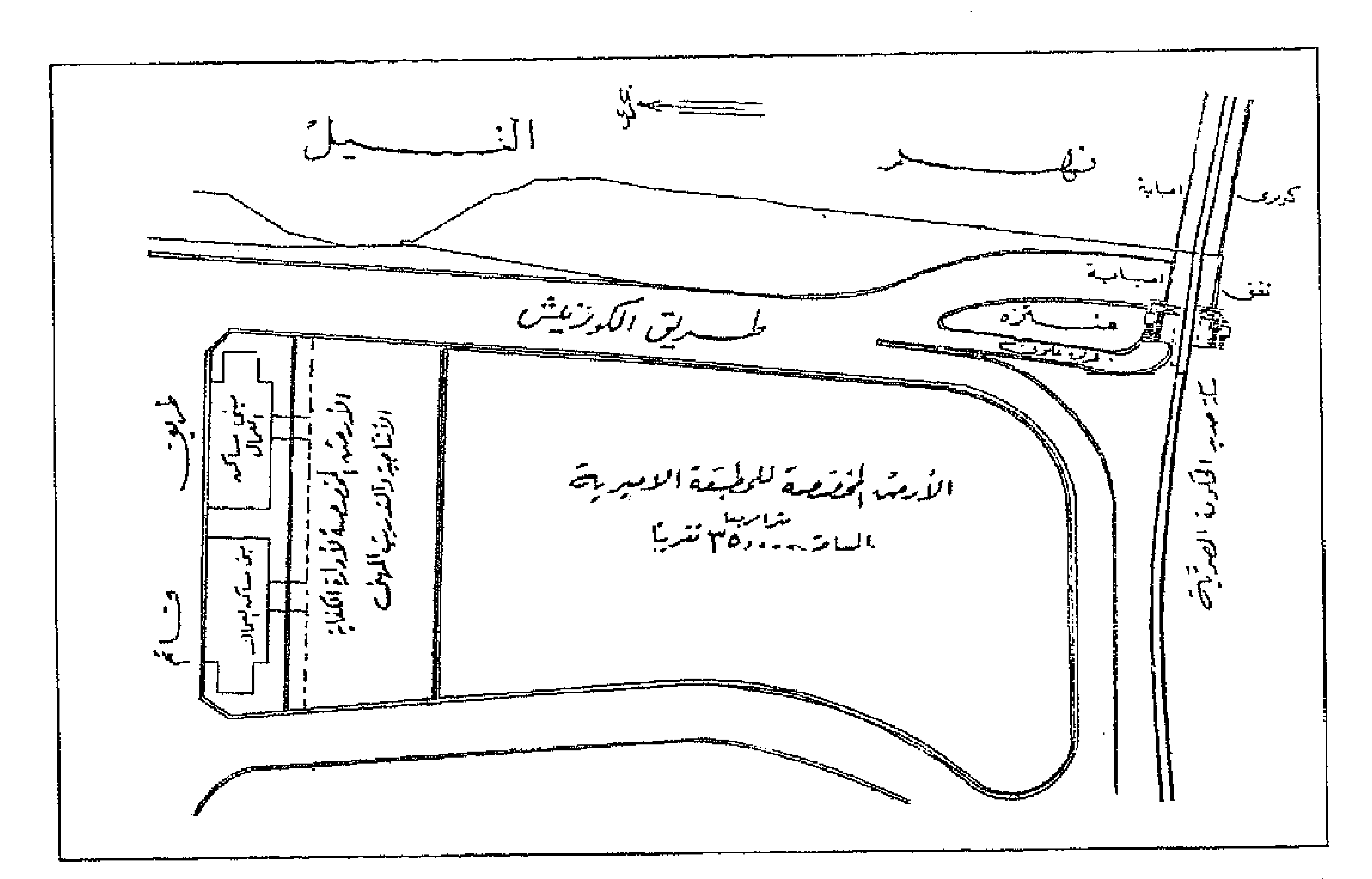
النطاق لتوسيع نطاق المطبعة، ولذا أعد تصميمًا لبناء مطبعة على طراز حديث وعرض على مجلس الإدارة سنة ١٩٢٦م وحال دون تنفيذه عقبات مالية، وكانت مصلحة التنظيم قد قررت فتح شارع على شاطئ النيل الأيمن يمر خلف المطبعة بعرض ٣٠ مترًا؛ فقرر مجلس الوزراء في سنة ١٩٣٤م تعويض المطبعة عن هذه المساحة بضم مخازن البوليس إليها، إلا أن هذا القرار لم ينفذ إلا في سنة ١٩٤٦م.

الموقع الحديث[٥٢]

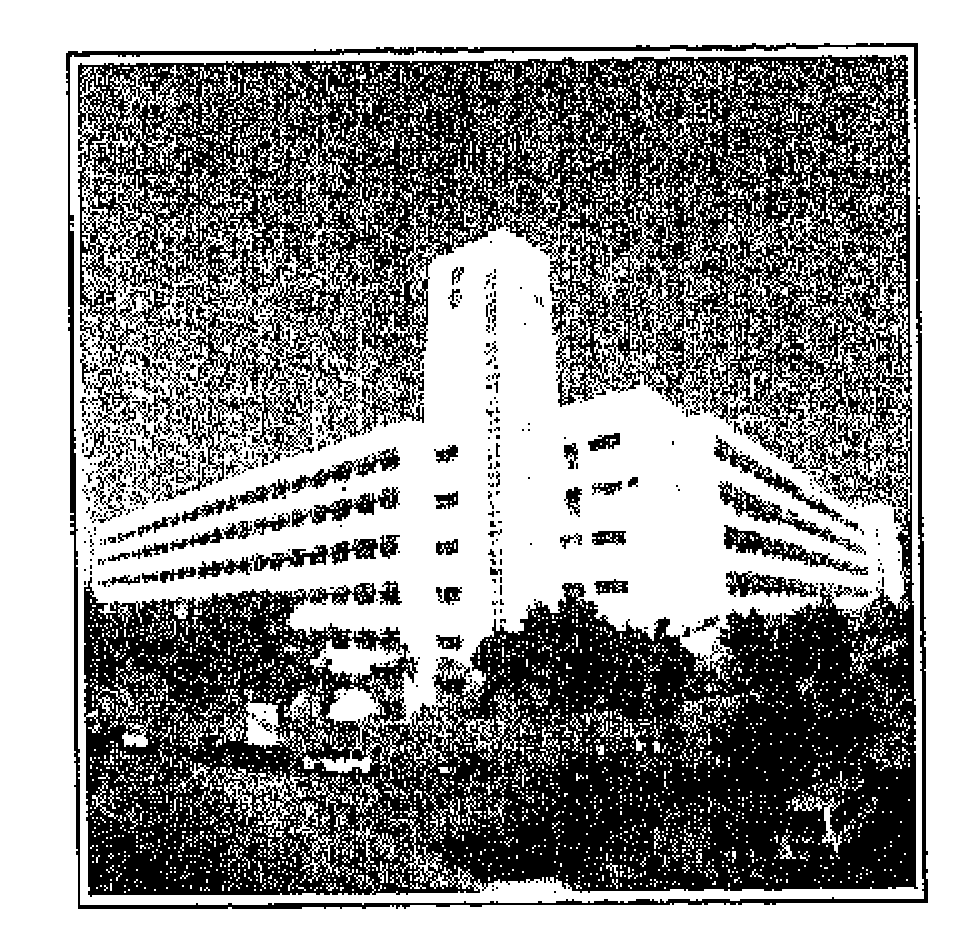
بعد قيام ثورة يوليه ١٩٥٢م وجدت حكومة الثورة ضرورة الاهتمام بالمطبعة الأميرية. ففي عهد الرئيس جمال عبد الناصر كما سبق أن أشرنا إلى ذلك أنشئت وزارة الصناعة في عام ١٩٥٦م، وصدر قرار رئيس الجمهورية بإنشاء هيئة عامة للمطابع تلحق بوزارة الصناعة يطلق عليها الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، وتكون لها شخصية اعتبارية. وتم التفكير في إنشاء مبنى جديد للمطابع وذلك لتلبية جميع طلبات الهيئات والمصالح الحكومية، وكذلك مسايرة التقدم في فن الطباعة باستبدال الماكينات القديمة بماكينات أخرى حديثة ذات سرعات عالية. في عام ١٩٥٨م تم الاتفاق على إنشاء هذا المبنى الجديد للمطابع الأميرية، وتم تخصيص مساحة قدرها ٣٠,٠٠٠ متر مربع من أرض مشتل التنظيم بإمبابة لإقامة مباني المطبعة الجديدة عليها (المكان الحالي للمطابع الأميرية) (شكل ١٨، ١٩). وقد تم تخطيط مبنى الهيئة كما يلي:

١- تم تخصيص البدروم لأقسام التصوير والحَزْم، وإعداد بالات الورق.

٢- تم تخصيص الدور الأرضي لمخازن الورق والخامات الصناعية، والجزء السفلي من ماكينة الروتوغرافور وورش الصيانة.



(شكل١٨) التخطيط الحالي لمبنى المطبعة الأميرية بحي إمبابة



(شكل١٩) المبنى الحالي لمبنى المطبعة الأميرية بحي إمبابة

٣- تم تخصيص الدور الأول للورش الرئيسية.

٤- تم تخصيص الدور الثاني لورش الجمع اليدوي والآلي (اللينوتيب، والإنترتيب).

٥- تم تخصيص الدور الثالث لأقسام التصوير والزنكوغراف وماكينة طباعة الأوفست.

٦- تم تخصيص الدور الرابع لسبك الحروف وماكينات طباعة الحروف المتوسطة والصغيرة.

٧- تم تخصيص الدور الخامس لبقية المكاتب.

تكوين كوادر المطبعة

في إطار حديثنا عن نشأة مطبعة بولاق، كان من المهم أن نتعرض بشيء من التفصيل لرؤية محمد علي في تكوين كوادر المطبعة. وقد ارتبط تأسيس المطبعة بشخصيتين ورد ذكرهما جنبًا إلى جنب في الوثائق الرسمية، الشخصية الأولى هو نيقولا المسابكي، والثانية هو عثمان نور الدين. كان نيقولا المسابكي مسئول التأسيس الفني للمطبعة، أي تركيب الآلات وتعليم الصناع وإدارة حركة الطبع بها من الناحية الطباعية الخالصة أما عثمان نور الدين فكان مختصًا بالناحية الإدارية لذا كانت عملية التأسيس مشتركة بين الاثنين.

فأقدم وثيقة ذات صلة بموضوع تأسيس مطبعة بولاق هي تلك الخاصة بالأمر الصادر إلى الكتخدا بك بتاريخ ٣١ سبتمبر سنة ١٨٢١م والذي يشير إلى سابق إرسال طائفة من الشباب إلى مدينة ميلانو لتعلم فن الطباعة وأنه: "نظرًا لوصول نيقولا المسابكي مع ثلاثة من رفقائه من أولئك الشباب بعد تعلم صناعة طبع الكتب بالحروف الغربية والعربية المخترعة فقد أرسلوا إليكم لإلحاق المذكور ورفقائه بمعية عثمان أفندي في بولاق.." ثم يقول الأمر: "وحيث إن من المحتمل وصولنا لحين إتمام مسابكي تجهيز آلاته فأكرموه.."

فهذا الأمر يبين أن عثمان نور الدين[٥٣] كان مشرفًا من الناحية الإدارية على الأشخاص الذين تولوا تأسيس المطبعة من الناحية الفنية وأن هؤلاء الفنيين كانوا أربعة شبان لم يذكر الأمر منهم بالاسم إلا نيقولا المسابكي فهو رئيسهم وهو المسئول الأول عن العمل كما نسب الأمر بتجهيز الآلات إلى المسابكي بالذات فهو المؤسس الحقيقي للمطبعة بمعناها الفني.

أما علاقة عثمان نور الدين بهذه العملية فيبدو أنه لم يكن له إشراف فني مطلقًا ودليل ذلك أن الأمر لم يذكر أن نيقولا المسابكي تولى تجهيز الآلات تحت إشراف عثمان، ولم يُعرف عن عثمان أنه كان على علم بفن الطباعة لا تعليمًا ولا ممارسة، حيث لم يتجاوز مجهوده الدور الإداري الشكلي حتى بعد أن عُين مفتشًا للمطبعة في ٤ نوفمبر سنة ١٨٢١م فلم يكن هذا التفتيش إلا ضبطًا لاستحقاقات المسابكي ومن كانوا يعملون معه. وهذا يتفق مع كتابات المعاصرين الذين أجمعوا على أن مؤسس المطبعة هو نيقولا المسابكي ولم يشيروا إلى عثمان نور الدين بكلمة.

أما تاريخ تعيين نيقولا المسابكي ناظرًا للمطبعة بصفة رسمية فلم نعثر على وثيقة تحدده بالضبط على أن الثابت عندنا أنه عين ناظرًا بصفة رسمية بدليل أن اسمه أخذ يظهر في ذيل مطبوعات بولاق فنجد في كتاب "قواعد الإعراب"-طبعة ١٢٤١هـ/١٨٢٦م- أن اسم نيقولا المسابكي يظهر في آخر الكتاب بصفته "متولي دار الطباعة الفقير" أي أنه قُلد منصب مدير أو ناظر المطبعة في وقت مبكر جدًا من تاريخها (شكل ٢٠).

وسواء تولى المسابكي نظارة المطبعة رسميًا من أول إنشائها أو تأخر ذلك قليلاً أو كثيرًا فقد كان أول رئيس لها ولذلك يمكن أن تعتبر نظارته منذ إنشاء المطبعة، وكان راتبه قدره خمسة جنيهات شهريًا ولم يكن هذا بالمرتب القليل بالنسبة لمرتبات ذلك العصر. واستمر ناظرًا للمطبعة مدة عشر سنوات تقريبًا إلى أن تُوفي في منتصف عام ١٢٤٤هـ أي أوائل سنة ١٨٣٠م.

عندما فكر محمد علي باشا في إنشاء مطبعة بولاق في سنة ١٨١٥م أمر بتعليم اللغتين العربية والتركية قراءة وكتابة لعدد من الشبان المسلمين في الأزهر، ثم تولاهم نيقولا المسابكي لتعليمهم فن الطباعة وما يتصل به من جمع الحروف إلى استعمال الآلات إلى غير ذلك.

وأهم الأسماء في هذه الطائفة الأولى هي:

- الشيخ عبد الباقي (رئيس المسابك).
- الشيخ محمد أبو عبد الله (رئيس الطباعين).
- الشيخ يوسف الصنفي والشيخ محمد شحاتة (رئيسا الصفافين).

وكلهم تعلموا في الجامع الأزهر.

أما عن أول طائفة من موظفي المطبعة فقد حددها لنا بروكي و هم:

١- ناظر المطبعة نيقولا المسابكي

٢- رئيس العمال ألماني

٣- اثنا عشر جَمَّاعًا للحروف العربية

آمنا بالرسل وقسم رفعه بالألف ونصبه وجره بالياء وذلك التثنية واثنان
وكلا مضافا إلى مضمر نحو جاءنا الاثنان كلاهما أي الكتاب والسنة
واتبعنا الاثنين كليهما ومررنا بالاثنين كليهما والثالث لا يكون إلا تام
الإعراب وهو قسمان قسم رفعه بالضمة ونصبه بالفتحة وجزمه بحذف
الحركة وهو الفعل المضارع الذي لم يتصل بآخره ضمير وهو حرف صحيح نحو
تحب أن تشفع ولم نحرم وقسم رفعه بالضمة ونصبه وجزمه بحذف الآخر
وذلك الفعل المضارع الذي لم يتصل بآخره ضمير وهو حرف علة نحو
ندعو الله تعالى أن يعفو عنا ولم يرمنا في النار والرابع لا يكون إلا ناقص
الإعراب وهو الفعل المضارع الذي اتصل بآخره ضمير غير النون فرفعه
بالنون ونصبه وجزمه بحذفها نحو الأولياء والعلماء يشفعان يوم القيامة
فنرجو أن يشفعا لنا ولم يرضا عنا ثم الإعراب إن ظهر في اللفظ يسمى
لفظيا كما في الأمثلة المذكورة وإن لم يظهر بل قدر في آخره
يسمى تقديريا نحو أنا العاصي وإن لم يظهر ولم يقدر في آخره
يسمى محليا نحو توكلنا على من لا يأتي الخير
إلا من جهته

تم

تم بحمد الله طبع الكتاب المستطاب المشتمل على المهم من قواعد الإعراب
بمحروسة بولاق ذات البهجة والإشراق بسعادة حضرة ذي العز
والتمكين والنصر والفتح المبين الحاج محمد علي باشا نصره الله بأسمه
ونشر بالنصر ألويته وقد بولغ في تصحيحه وتحريره وتنقيحه حتى جاء
على أحسن شكل يفرح به كل ذي قريحة وعقل بنظارة
المولى الفاضل أحمد خليل أفندي وعلى يد متولي تدبيردار
الطباعه الفقير المسابكي في آخر صفر سنة إحدى
وأربعين ومائتين وألف من الهجرة
النبويه

(شكل ٢٠) كتاب قواعد الإعراب حيث يظهر اسم نيقولا المسابكي طبعة ١٢٤١هـ.

٤- جمَّاع واحد للحروف الإيطالية

٥- جمَّاع واحد للحروف اليونانية وعدد هؤلاء ستة عشر موظفًا

٦- عمال للطبع قد يكون عددهم ثلاثة عمال

٧- مصحح للكتب أو مصححان

٨- عمال لحمل الورق وغيره من المواد

٩- حارس للباب وعامل لسقاية الماء

إذا أضفنا هؤلاء أمكننا أن نكون صورة تكاد تكون صحيحة عن أول طائفة من موظفي مطبعة بولاق.

الإشراف على أعمال المطبعة

في بادئ الأمر كانت مسئولية الإشراف على المطبعة تئول إلى كتخدا الوالي بأمر منه، وإشراف الكتخدا معناه إشراف الوالي بنفسه فلم يكن الكتخدا إلا نائبًا عن الباشا وهذا الإشراف الشخصي من خلال الكتخدا كان واضحًا في عدة أوامر ترجع إلى العصر الذي أنشئت فيه المطبعة فهناك أمر من الباشا إلى الكتخدا في يوليه سنة ١٨٢١م ترجمته: "سبق الشروع بإيجاد جملة صنايع مختلفة بفابريقات بولاق"

وعندما أراد الوالي أن يعين سنكلاخ الفارسي[٤٤] لتعليم الخط ووضع قاعدة حروف لمطبعة بولاق أصدر أمره بذلك إلى الكتخدا، وأيضًا عندما رأى تثبيت ذلك الخطاط في المطبعة على أثر رؤيته رسالة اللغم وإعجابه بخطه فيها أصدر أمره بذلك إلى الكتخدا ليباشر تنفيذه.

وإشراف الوالي بنفسه أو من خلال نائبه على مؤسساته من طبيعة العهد الذي أنشئت فيه المطبعة؛ إذ أنه حتى ذلك العهد لم يكن الوالي قد دوَّن الدواوين ولا حدد اختصاصها حتى تتبع المطبعة أحد تلك الدواوين وهذه الخطوة الراقية من التنظيم الإداري لم تتم إلا في عام ١٨٢٦م كما سبق القول وإلى تلك السنة كان من طبيعة الأشياء أن تكون المطبعة ككل شيء في مصر تابعة لشخصه إما مباشرة وإما من خلال موظفيه القلائل وعلى رأسهم نائبه.

في عام ١٨٢٦م شرع محمد علي في تنظيم البلاد إداريًا ودون الدواوين فكانت تبعية مطبعة بولاق لـ "ديوان الجهادية"

ويتضح ذلك من خلال أوامر محمد علي الخاصة بالمطبعة والتي كان يوجهها إلى رؤساء ديوان الجهادية، فمن ذلك ما نشرته الوقائع المصرية في يونيه سنة ١٨٣٢م بأنه "في ١٤ المحرم سنة ١٢٤٨هـ/ ١٣ يونيه سنة ١٨٣٢م قرر مجلس الجهادية ضرورة تنفيذ إرادة ولي النعم في طبع ١٠٠٠ نسخة من ترجمة الكتاب الذي ترجمه كاني بك..."

لكن إشراف ديوان الجهادية على المطبعة لم يدم طويلًا ففي أواخر عام ١٢٥٢هـ أوائل ١٨٣٧م أنشئ ديوان آخر اسمه "ديوان المدارس" وتحولت المطبعة من تبعيتها لديوان الجهادية إلى تبعية "ديوان المدارس". وكان انتقال الإشراف على أعمال المطبعة لديوان المدارس من الأمور المنطقية في ذلك الوقت؛ فمنذ أن أنشئت المدارس المختلفة لم تعد المطبعة

قاصرة على تعليمات الجيش وقوانينه بل نافست المدارس الجيش في إنتاجها وأصبحت المطبوعات خليطًا من كتب المدارس وتعليمات الجيش بل غلبت عليها الكتب المدرسية.

وعلى ذلك فقد كانت المطبعة تابعة لإشراف الباشا إما بنفسه وإما بواسطة نائبه إلى سنة ١٨٢٦م، وعندما دُونت الدواوين في تلك السنة أصبحت المطبعة تابعة لديوان الجهادية، واستمرت في تبعيتها له حتى أواخر سنة ١٢٥٢هـ أوائل سنة ١٨٣٧م عندما أنشئ ديوان المدارس فأصبحت تابعة له منذ ذلك التاريخ. واستمرت المطبعة تابعة للدولة حتى السنوات الأولى من عصر سعيد باشا، ثم نجده في عام ١٨٦٢م يقوم بإهدائها إلى عبد الرحمن باشا رشدي مدير السكك الحديدية، إلى أن جاء الخديوي إسماعيل واشتراها في عام ١٨٦٥م وضمها إلى الدائرة السنية، فكانت تبعية المطبعة للدائرة السنية، ثم تعود إلى تعهد الدولة بها بدءًا من عهد الخديوي توفيق، الذي اشتراها من دائرة الأنجال السنية.

بعد قيام ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢م أنشئت وزارة الصناعة في ١٩٥٦م التي أصبحت تتبعها الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ثم اعتبرت من الهيئات الاقتصادية بموجب قرار السيد رئيس مجلس الوزراء رقم ١٠٣٩ لسنة ١٩٧٩م .وتتبع الآن وزارة الصناعة والتجارة الخارجية.

آلات الطباعة وحروفها

آلات الطباعة

في إطار حديثنا عن نشأة مطبعة بولاق وتطورها حتى العصر الحديث، فإنه يجدر بنا أن نتعرض بشيء من التفصيل لفن الطباعة، وآلات الطباعة المستخدمة في المطبعة، وكذلك الحروف المستخدمة في عملية الطبع، وأحرى بنا أن نبدأ بتعريف فن الطباعة.

الطباعة هي ذلك الفن الخاص بنقل الأحرف أو الرسومات بواسطة استعمال الحبر فإذا وُضع الحبر على السطح المطلوب ونقل بواسطة الضغط فهذا النقل يسمى "طباعة" ويشمل هذا المعنى ثلاث طرق واضحة للطباعة تتميز عن بعضها لأول وهلة بطبيعة السطح الذي منه تؤخذ الطبعة[٥٥].

١- الطباعة بواسطة ألواح النحاس - في هذه الحالة يطبع المراد طبعة من حفر مكون تحت مستوى السطح.

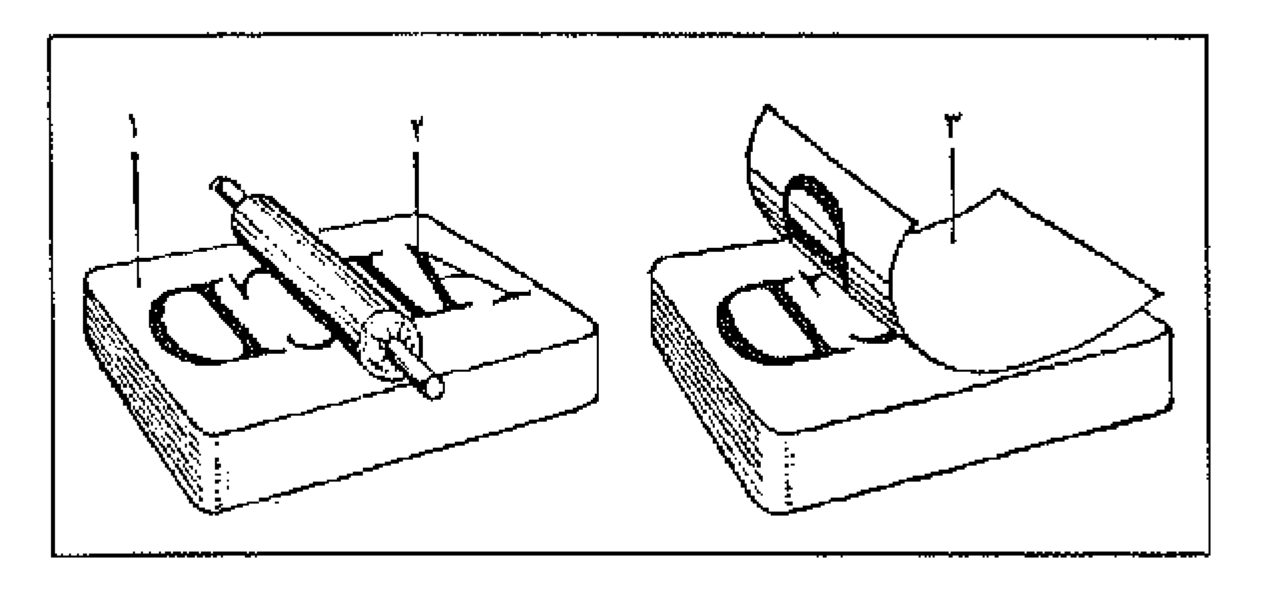
٢- الطباعة الملساء على الحجر - وهي تتم من خلال تنافر المساحات الدهنية و غير الدهنية.(شكل،٢١،٢٢،٢٣)

٣- الطباعة البارزة - في هذه الحالة يطبع السطح المراد طبعه باستخدام الحروف المعدنية.

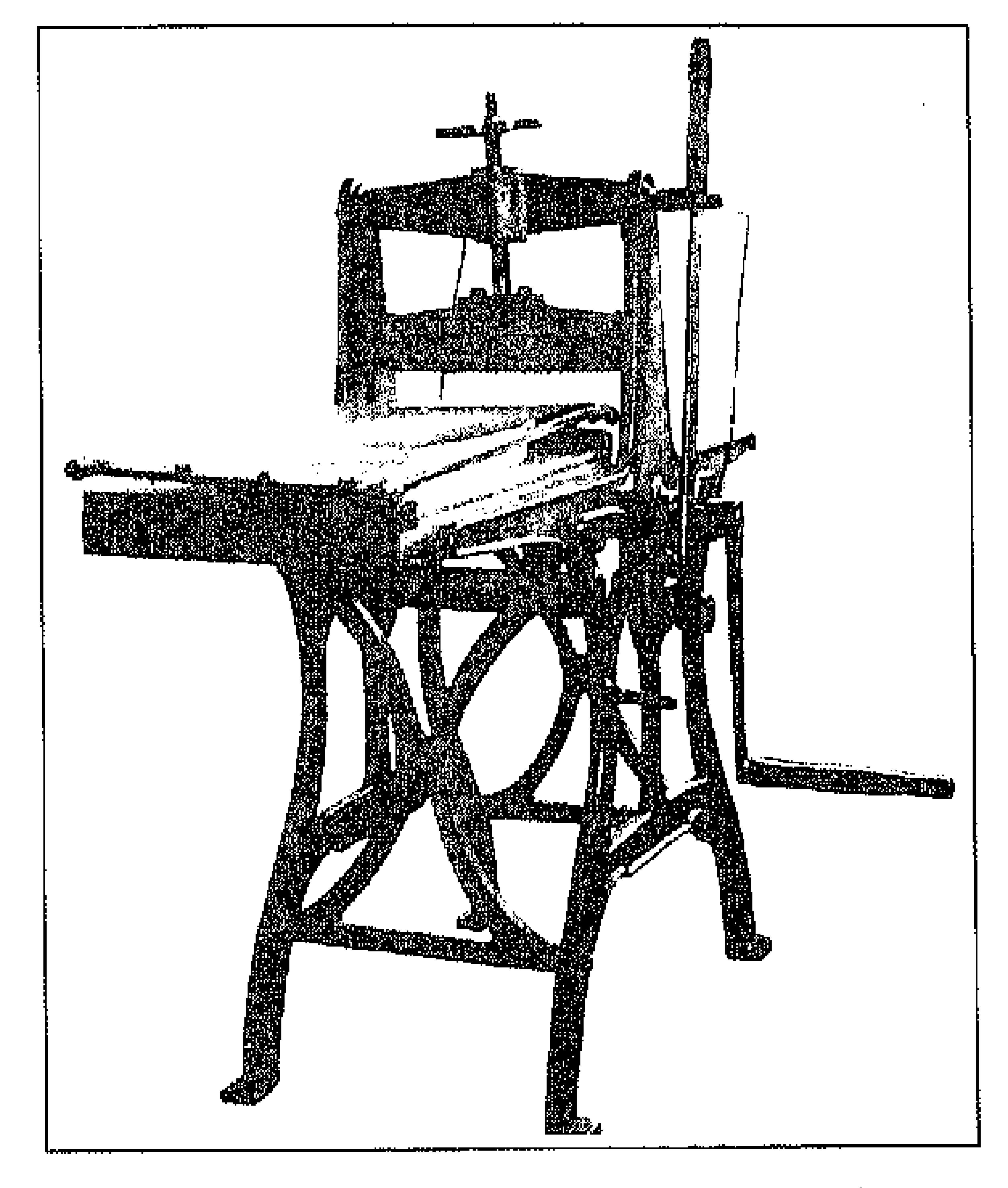
أنواع آلات وماكينات الطباعة

يوجد نوعان مستعملان لآلات الطباعة: اليدوية تدار بقوة اليد، والطباعة بماكينات تدار إما بالبخار أو الغاز أو الكهرباء أو بأية قوة محركة.

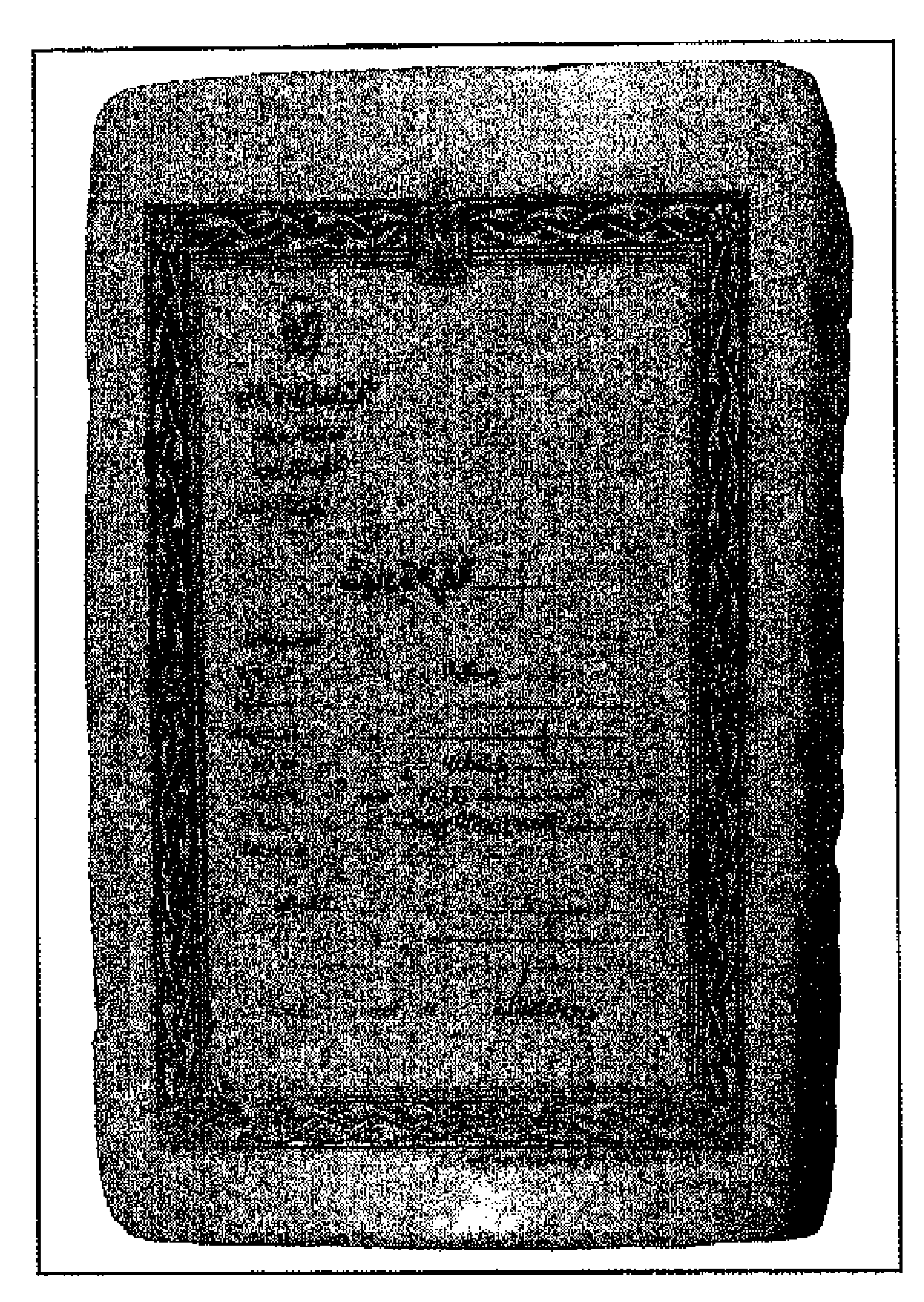
استوردت آلات الطبع في أول الأمر من ميلان بإيطاليا وقد اشترى المسابكي للمطبعة ثلاث آلات من نوع آلات المطبعة



(شكل٢١) قالب الطباعة الحجرية ١- منطقة غير طباعية (مرطبة طاردة للحبر)، ٢- منطقة طباعية (دهنية متقبلة للحبر)، ٣- ورقة



(شكل٢٢) ألة طباعة حجرية



(شكل٢٣) قالب الطباعة الحجرية

الملكية بإيطاليا. ومن هذا يمكننا أن نستنتج أن مطبعة بولاق تم تجهيزها وقت إنشائها بآلات من أحدث الطرز وأنها لم تكن تقل في ذلك عن المطبعة الملكية الإيطالية إذ كانت آلات المطبعتين من نوع واحد. وظلت مطبعة بولاق تعمل بهذه الآلات الثلاث من أول إنشائها إلى سنة ١٨٢٨م عندما زاد العمل بالمطبعة فأمر الباشا وزير التجارة آنذاك ويدعى بوغوص بشراء خمس آلات أخرى من أوروبا، ويؤخذ من هذا الأمر العالي أنه قد أضيفت إلى آلات الطبع الثلاث الأولى خمس آلات أخرى ثمن الواحدة منها خمسون جنيهًا وثمنها جميعًا ٢٥٠ جنيهًا وعلى أثر ذلك يصبح في المطبعة ثماني آلات للطبع.

ويلمس أثر إضافة تلك الآلات الخمس إلى المطبعة في إنتاجها منذ سنة ١٨٣١م وهذا يتبين من الإحصاء التالي:

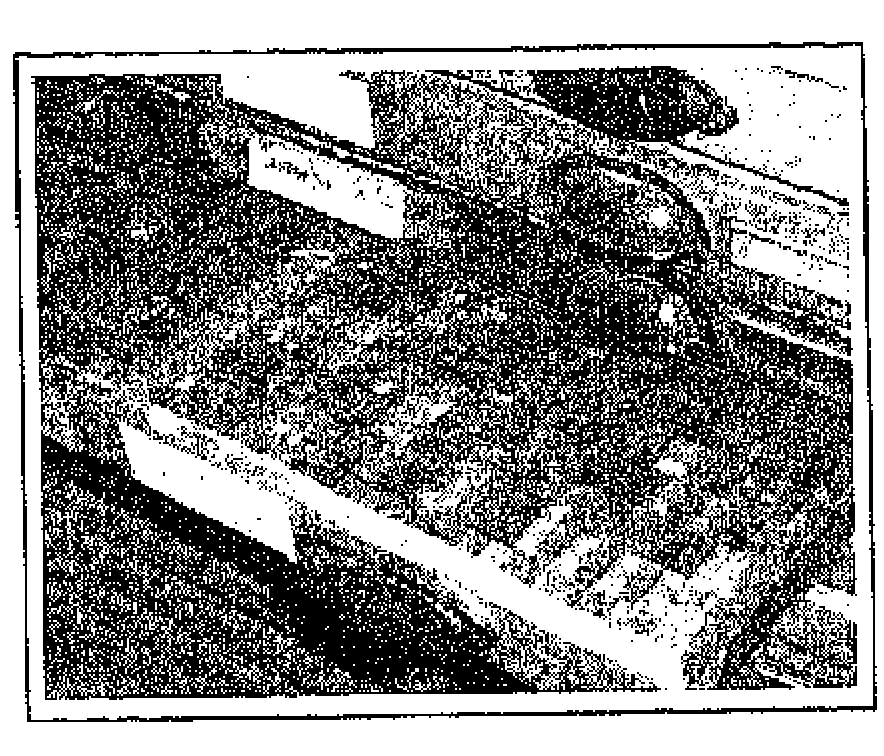
السنة	عدد إصدارات المطبعة	السنة	عدد إصدارات المطبعة
١٨٣١م	٧	١٨٣٧م	١٨
١٨٣٣م	٨	١٨٣٨م	١٦
١٨٣٤م	٩	١٨٣٩م	١٧
١٨٣٥م	١٧	١٨٤٠م	٢٥
١٨٣٦م	١٨		

كان في المطبعة أيضًا آلة للطبع بالحجر كان يطبع بها الصور والرسوم والأشكال اللازمة للكتب، كما كانت تستعمل في عمل الجداول الرياضية والألحان الموسيقية[٥٦]. وليس عندنا معلومات مفصلة عن هذا النوع من الآلات في مطبعة بولاق إلا أن كل السياح ذكروا وجود آلات للطبع بالحجر بها.

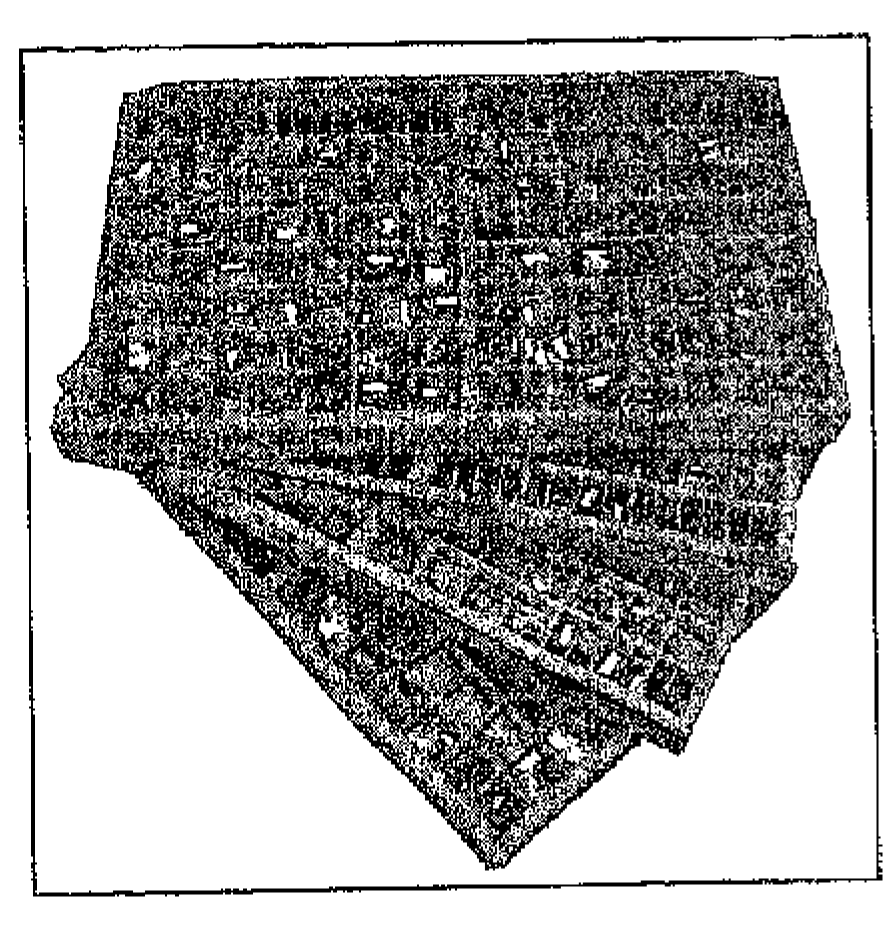
ونص الدكتور بيرون Perron في أحد رسائله للمسيو "مل" على أنها آلة واحدة إلا أن وجودها بالمطبعة ثابت من المصادر الأصلية الرسمية فقد ورد في أحد أعداد الوقائع المصرية ما يأتي:

"قرر مجلس الجهادية في غرة شعبان سنة ١٢٤٧ هـ / ٥ يناير ١٨٣٢م طبع مقامات في فن الموسيقى بناء على طلب رئيس الموسيقيين لأن ذلك من موجبات سهولة التعلم واشترط بأن يكلف أحد ممن أتقنوا هذه الصناعة بمباشرة الطبع وأن يكون الطبع على مطبعة حجر".

جدير بالذكر أن هناك خطوة سابقة على عملية الطباعة البارزة، وهي طريقة جمع الحروف. فالحروف كانت تصف يدويًا من خلال صناديق الحروف (شكل٢٤، ٢٥) مما ينتج عن هذه الطريقة إهدار في الوقت والجهد، وأيضًا كثير من الأخطاء المطبعية في المطبوعات، لذلك اتجهت المطبعة إلى اقتناء ماكينات الجمع الآلي.



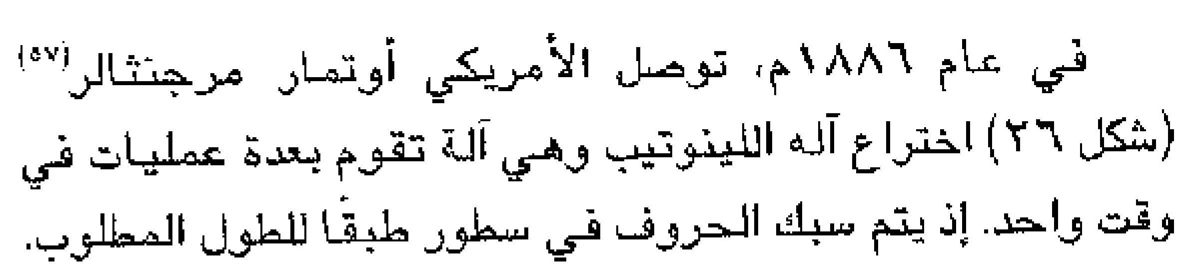
(شكل ٢٤) شكل من أشكال صناديق الحروف.



(شكل ٢٥) صورة لصناديق الحروف.

طرق الجمع الآلي

منذ أن توصل جوتنبرج مخترع الحروف المتفرقة أو المنفصلة، ظلت طريقة صف الحروف يدويًا هي الطريقة الوحيدة لمدة أربعة قرون، وذلك بالرغم من التقدم الذي حدث للصناعات الأخرى المرتبطة بصناعة الطباعة مثل صناعة آلات وماكينات الطباعة، وصناعة الورق، وصناعة الأحبار إلى غير ذلك من صناعات مكملة. وخلال تلك القرون كانت هناك عديد من المحاولات لتطوير طريقة الصف اليدوي إلى طرق آلية وفي خلال عام ١٨٤٠م ظهرت أول آلة لصف الحروف على نطاق تجاري، وكانت تتم بعض مراحل التشغيل يدويًا وبعضها آليًا، وانتشر استخدام هذه الآلة على نطاق ضيق في فرنسا وإنجلترا حيث صفت حروف بعض الصحف اليومية بواسطتها.



في عام ١٨٨٦م، توصل الأمريكي أوتمار مرجنثالر[٥٧] (شكل ٢٦) اختراع آله اللينوتيب وهي آلة تقوم بعدة عمليات في وقت واحد. إذ يتم سبك الحروف في سطور طبقًا للطول المطلوب.

في عام ١٨٩٤م توصل لانستون الأمريكي إلى اختراع ماكينة المونوتيب، وتشتمل هذه الماكينة على وحدتين هما آلة الثقب وآلة أخرى للسبك، ويتم جمع الحروف في أشكال منفردة مثل الحروف اليدوية المتفرقة. أما آلات الإنترتيب وهي آلات مشابهة لآلات اللينوتيب من حيث سبك الحروف في سطور أيضًا ولكن ببنط مختصر من حيث عدد القوالب الخاصة بسبك الحروف قد بدء استخدام هذه الآلة في عام ١٩١٣م.

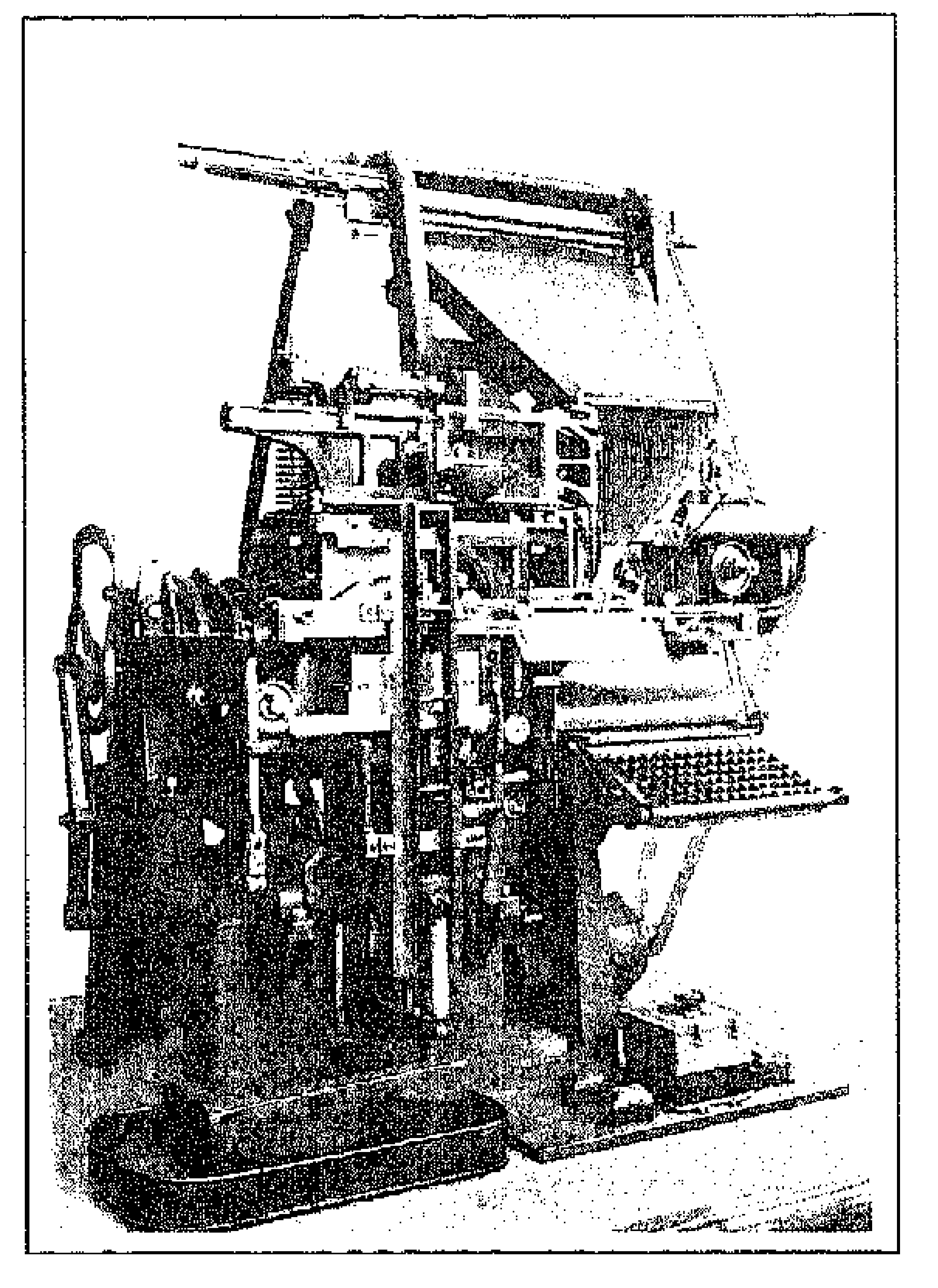
١- آلات اللينوتيب والإنترتيب:

تعتبر آلاتجمع الحروف "اللينوتيب" Linotype، وآلات"الإنترتيب" Intertype (شكل٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١) أكثر الآلات المستخدمة في سبك السطور انتشارًا، وهذه الآلات يمكن

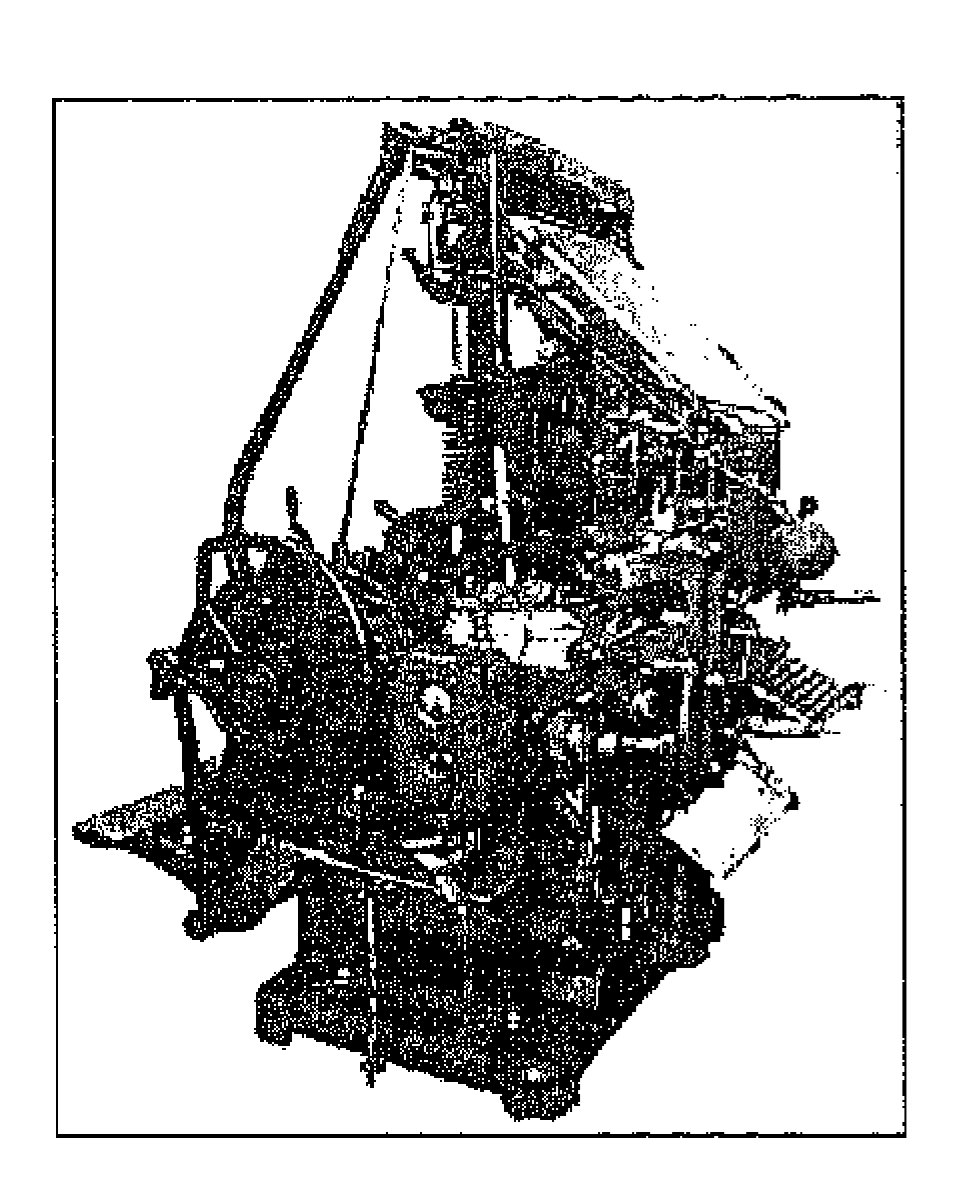


(شكل٢٦) أوتمار مرجنثالر مخترع آلة اللينوتيب

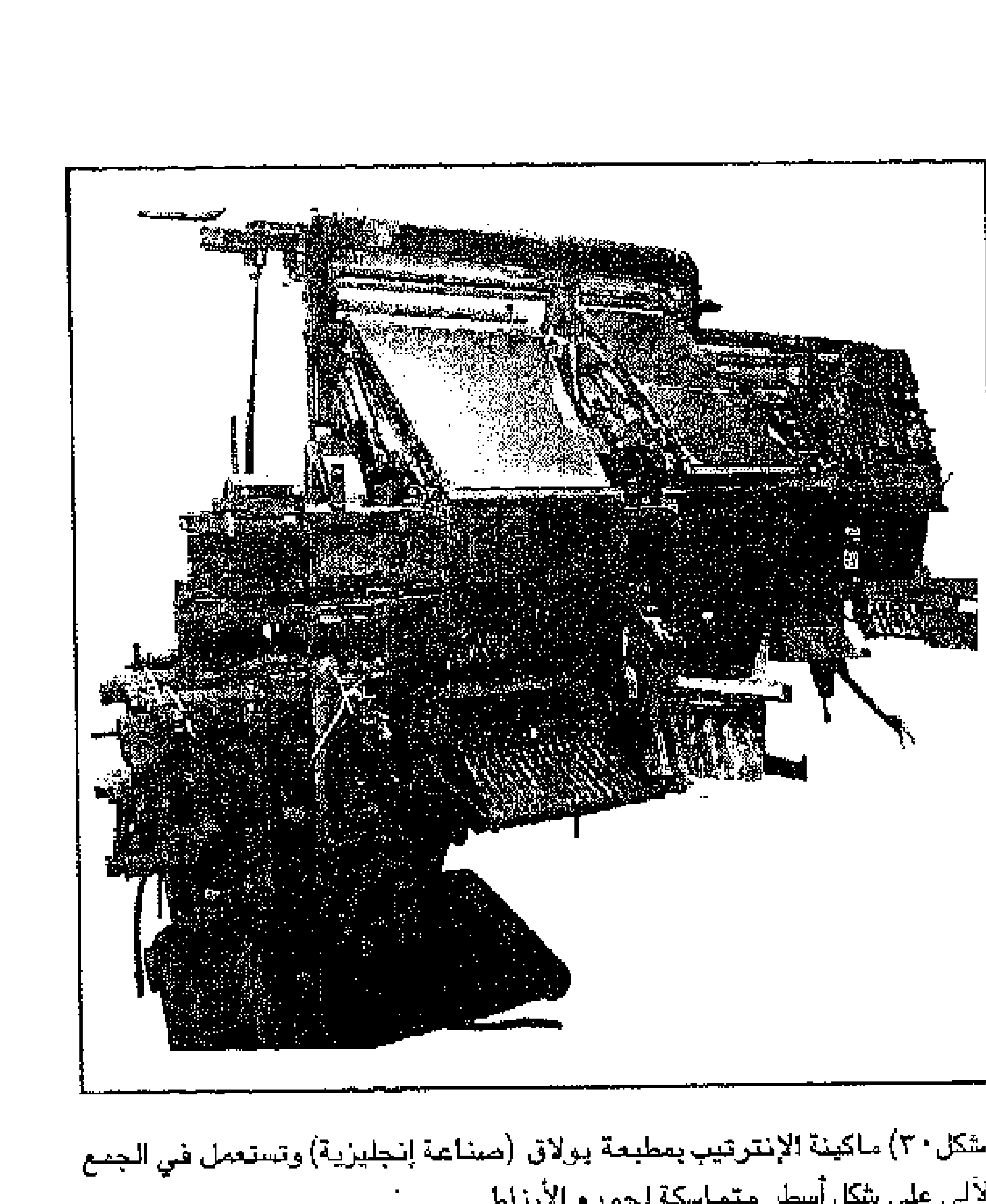
(شكل٢٧) نموذج لآلة اللينوتيب بمطبعة بولاق ويعود إلى سنة ١٨٩٠م.



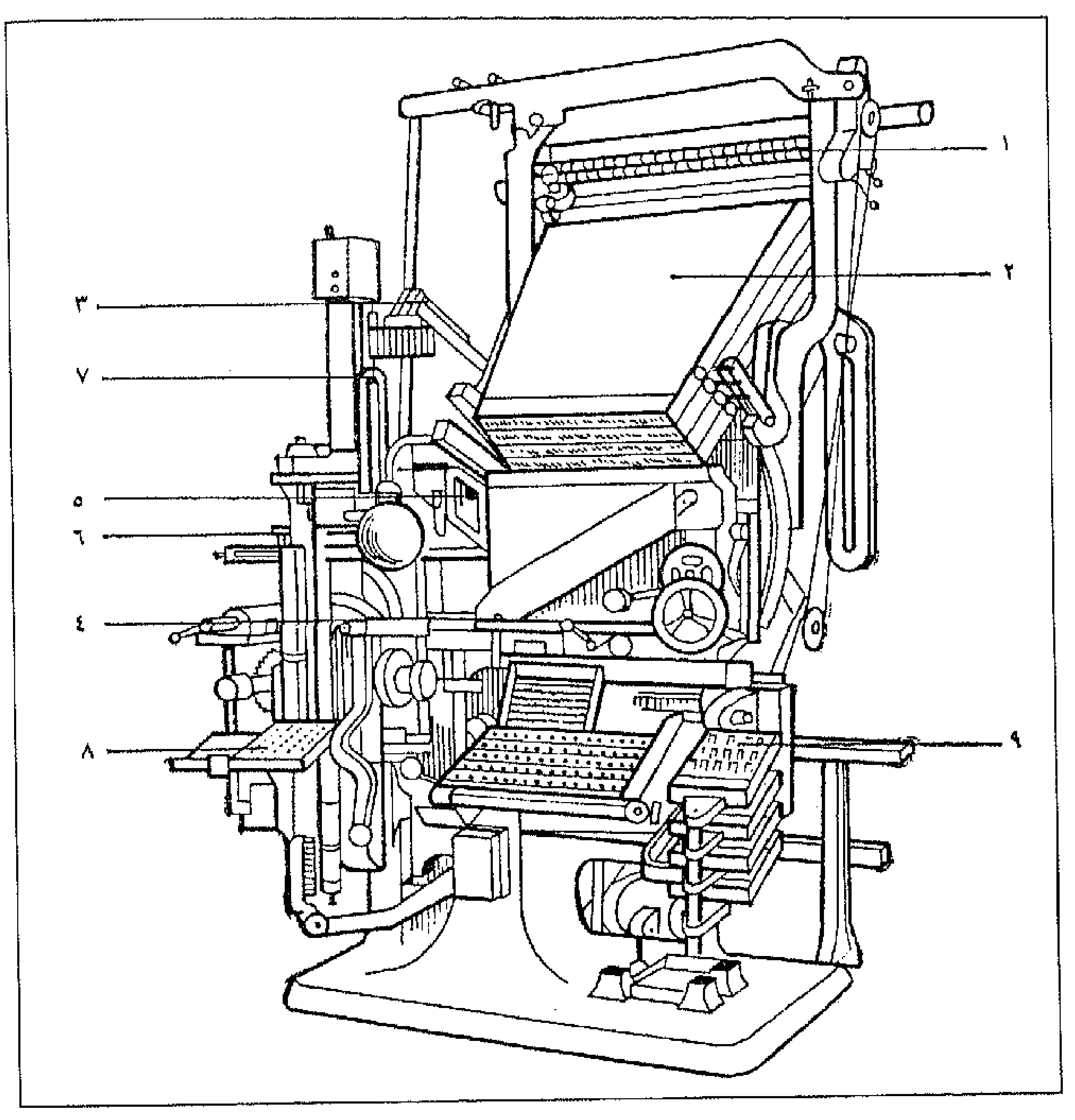
(شكل٢٨) آلة تنضيد وصف الحروف "اللينوتيب".



(شكل٢٩) آلة تنضيد وصف الحروف "الإنترتيب".



(شكل٣٠) ماكينة الإنترتيب بمطبعة بولاق (صناعة إنجليزية) وتستعمل في الجمع الآلي على شكل أسطر متماسكة لجميع الأبناط.

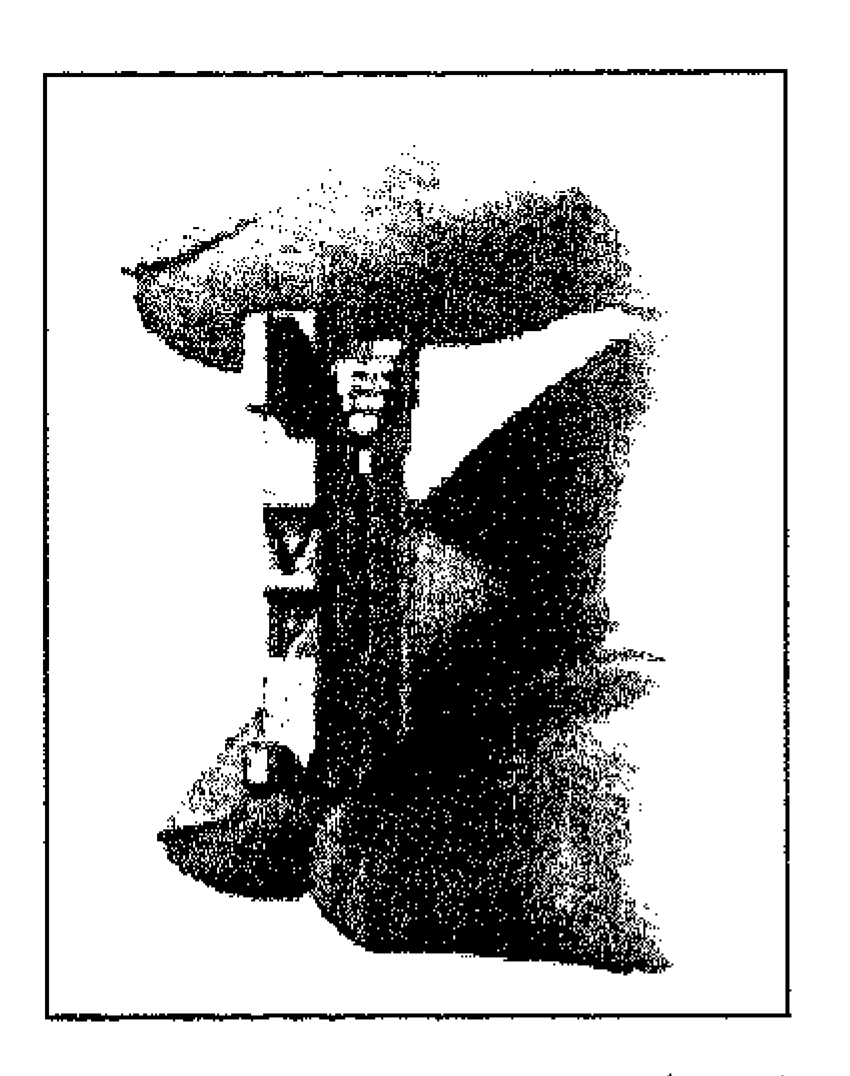


(شكل٣١) ماكينة الجمع السطري

١- موزع الأمهات ٢-مخزن الأمهات ٣- الذراع الرافعة لنقل الأمهات إلى الموزع ٤- صندوق التجميع ٥- رقائق الفصل
٦- آلية السبك ٧- التغذية بمعدن الحروف ٨- صينية الأسطر المسبوكة ٩-أمهات للتغذية اليدوية

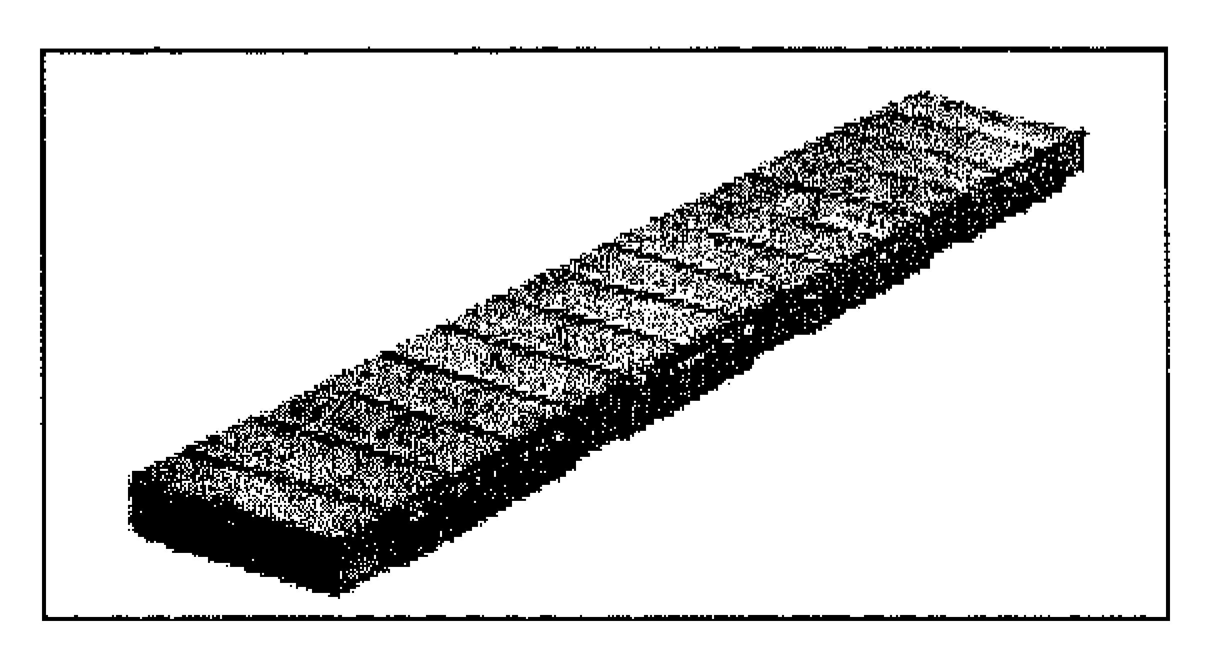
تشغيلها يدويًا أو ذاتيًا ويتم التحكم في الآلات الذاتية الحركة منها بواسطة شريط مثقب punched tape. توجد في آلات سبك السطور التي تعمل يدويًا لوحة للمفاتيح keyboard تشبه إلى حد ما لوحة مفاتيح الآلة الكاتبة. وإلى جانب ذلك هناك مفتاح خاص لكل حرف كبير capital letter، ولكل حرف صغير lowercase letter، ولكل رقم figure، وعلامة ترقيم punctuation mark ولكل رمز من الرموز مثل: ٪، £، @، C، $.

لتشغيل الآلة يضغط على أحد المفاتيح في لوحة المفاتيح keyboard فينطلق قالب الحرف matrix من المخزن magazine. وقالب الحرف هو قالب سبك mould للحرف يمكن استخدامه مرة بعد أخرى وهو يخزن في المخزن عندما لا يكون في قالب الصب بالآلة لإتمام عملية سبك السطر(شكل ٣٢)، أما المخزن فهو عبارة عن "صندوق حروف" مسطح يتصل بآلة سبك السطور عند الاستخدام، ويمكن فصل المخزن عن الآلة وتركيب مخزن عند الرغبة في استخدام بنط آخر.



(شكل٣٢) صورة لقالب صب الحروف، الذي يصب بداخله الرصاص المنصهر لتشكيل الحرف المطلوب.

عندما تنطلق قوالب الحروف من المخزن فإنها تنتظم في سطر تتم عملية ضبطه تلقائيًا ويدفع المعدن المنصهر إلى قوالب الحروف المنتظمة في سطور فتكون شريحة من الحروف تسمى رقيقة سطريه line slug، وتجمع الرقائق السطرية معا لتكوين صفحات الحروف، وبعد سبك السطر تعود قوالب الحروف إلى المخزن، ليمكن استخدامها مرة بعد مرة بالطريقة نفسها.(شكل ٣٣)

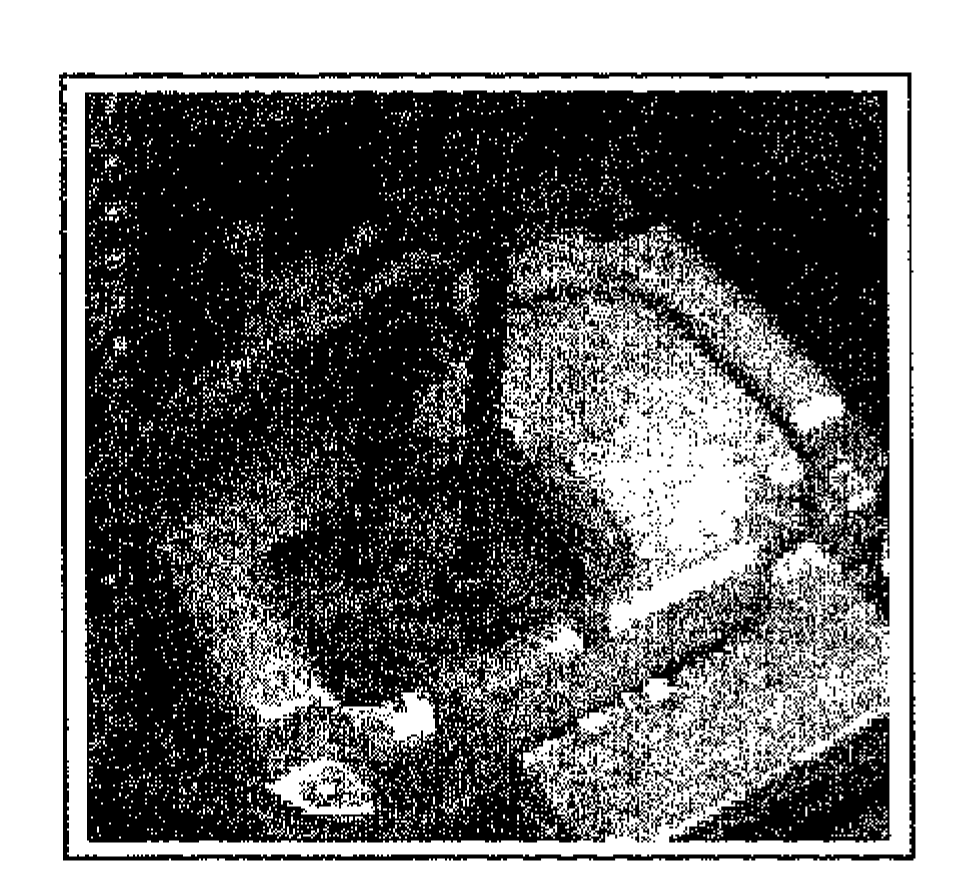


(شكل٣٣) شكل للرقيقة السطرية التي تنتجها ماكينات صف وتنضيد الحروف (اللينوتيب، الإنترتيب)

بعد الطبع يتم صهر الرقائق السطرية slugs التي استخدمت في الطبع ويعاد صهر الرصاص(شكل ٣٤) ويستخدم مرة أخرى وهكذا. وفيما يلي نشرح الطريقة العملية للتشغيل:

١– يضرب الصفاف على مفتاح أحد الحروف.

٢– ينطلق قالب الحرف من المخزن، ويدفع بواسطة سير ناقل إلى صندوق التجميع.



(شكل٣٤) شكل لوعاء صهر سبائك الرصاص.

٣- تنطلق أيضاً المسافات space bands، وتصل إلى صندوق التجميع.

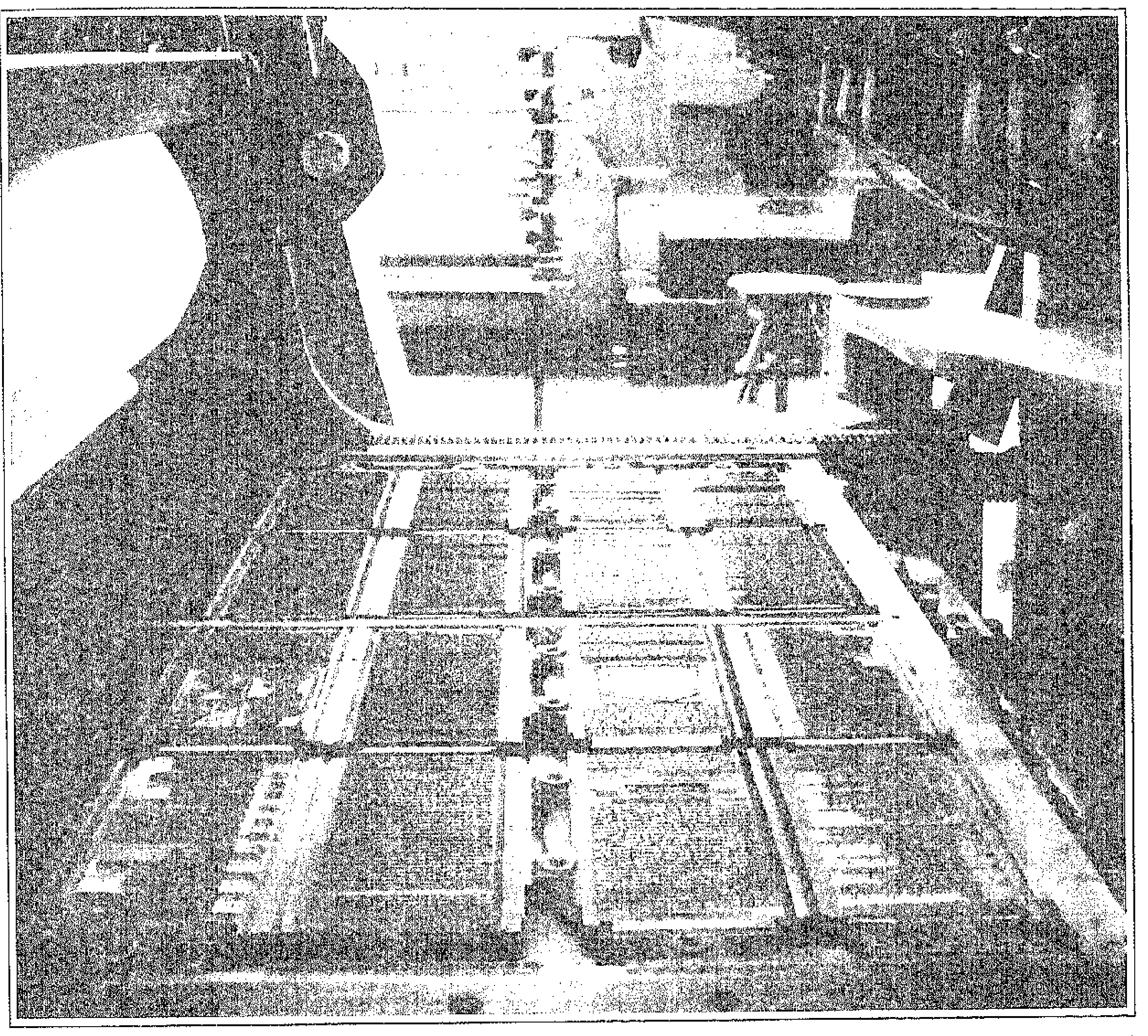
٤- يرفع السطر عاليًا ويسلم إلى عربة التسليم التي تسلمه على الرافعة الأولى.

٥- يضبط السطر بحيث يصبح مستقيمًا.

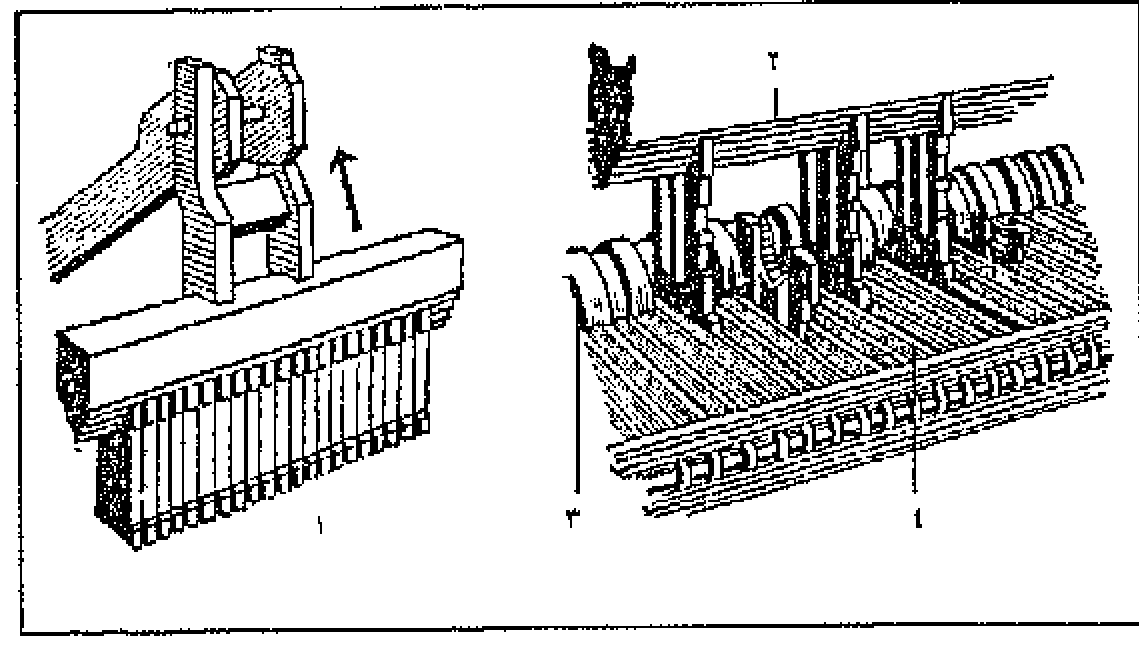
٦- يتحرك قالب السبك إلى الأمام وتضخ مضخة الوعاء المعدن المنصهر ويتم سبك السطر.

٧- تتم تسوية السطر من الخلف ثم من الجوانب، ويسلم إلى لوحة الصف (الجاليه) galley.

بعد ذلك يصل سطر قوالب الحروف من الرافعة الأولى على القناة المتوسطة وتقوم الرافعة الثانية برفع قوالب الحروف إلى عمود التوزيع distribution bar وهو عبارة عن قضيب معدني لولبي الشكل يعمل على نقل أمهات الحروف (المتريسات) بحركة لولبية وتوزيعها على قنواتها الصحيحة في مخزن أمهات الحروف بالماكينة تحركها أعمدة حلزونية في قنواتها المخصصة لها بالمخزن تحت تأثير التسنين الخاص لكل قالب تاركة وراءها فواصل المسافات التي تعود بدورها إلى صندوق الفواصل. نحصل بعدها على الرقيقة السطرية، والتي تكون بها بعض الزوائد التي تحتاج إلى التهذيب، لذا كان بالمطبعة مقص يستخدم في قص الزوائد بالأحرف الرصاص وهو من مقتنيات المطبعة(شكل ٣٥، ٣٦، ٣٧).

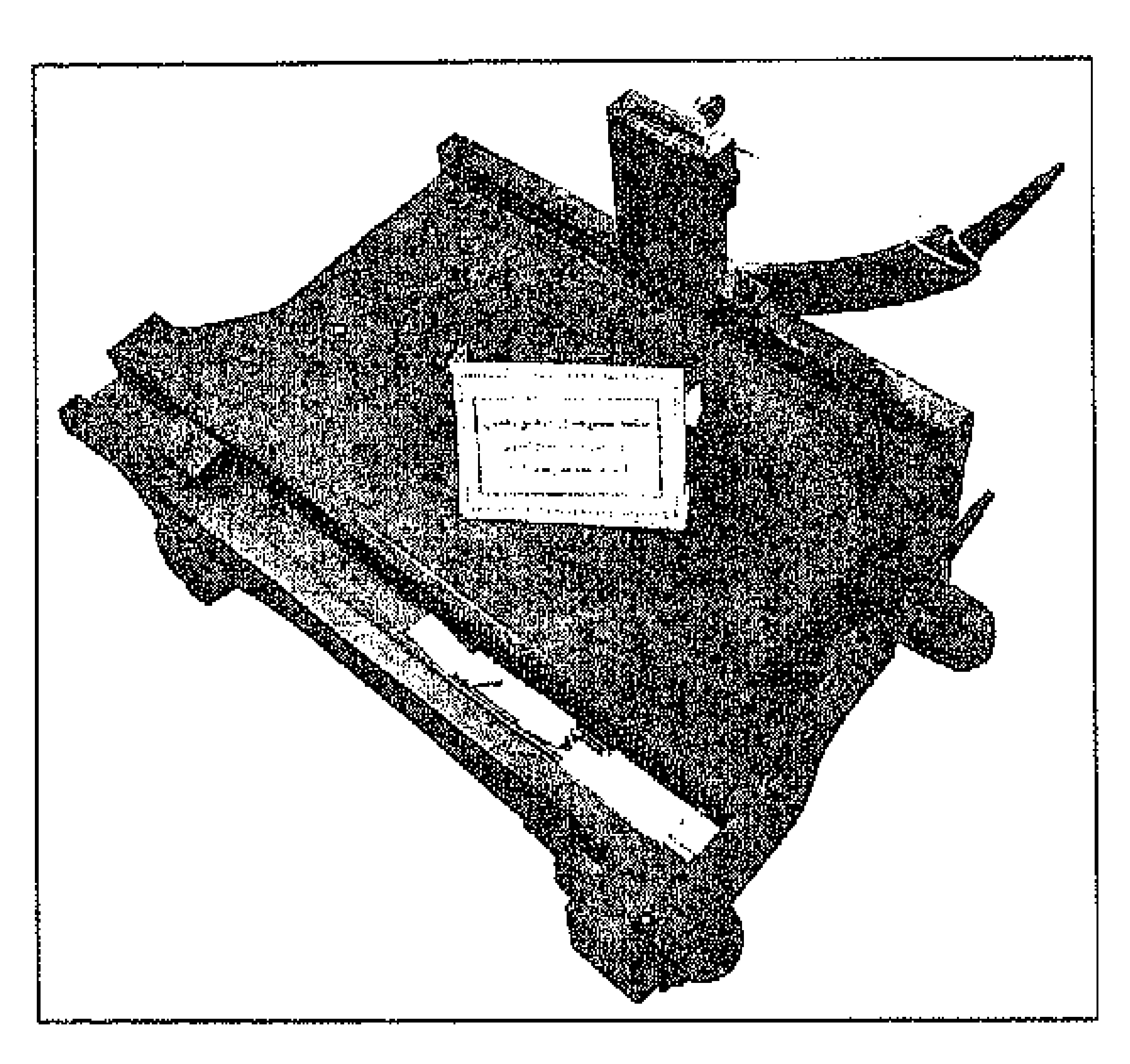


(شكل ٣٥) شكل الصفحة بعد تجميعها آليا، وقد قسمت إلى صفحات تم تثبيتها بواسطة الأطواق الحديدية، ويوجد ببعض الصفحات أشكال لصور ورسومات.



(شكل٣٦) عمود التوزيع: ١- الذراع الرافعة لأمهات الحروف في آلية التوزيع

٢- القضيب الموزع ٣- لولب ناقل ٤- قنوات مخزن أمهات الحروف.



(شكل٣٧) مقص الأحرف الرصاص.

٢- الآت صف الحروف "مونوتيب"[٥٨]

Monotype casting machines

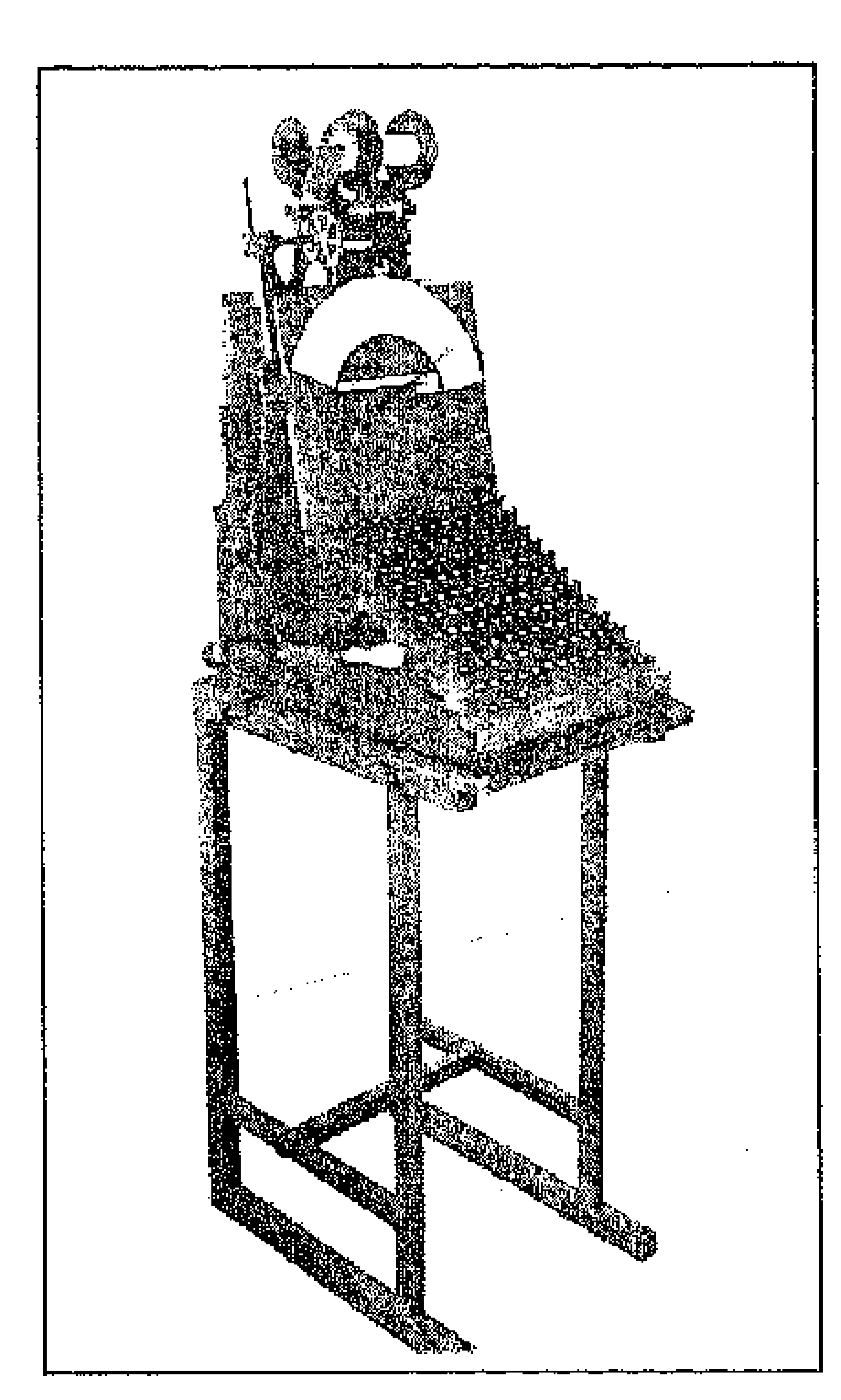
تحتوي ماكينة مونوتيب لانستون على ماكينتين منفصلتين ومميزتين عن بعضهما:

١- لوحة المفاتيح (ماكينة الثقب) التي تثقب بكرة الورق وتشتغل بواسطة الهواء المضغوط ويمكن تشغيلها على انفراد ومنفصلة عن ماكينة السبك (شكل ٣٨).

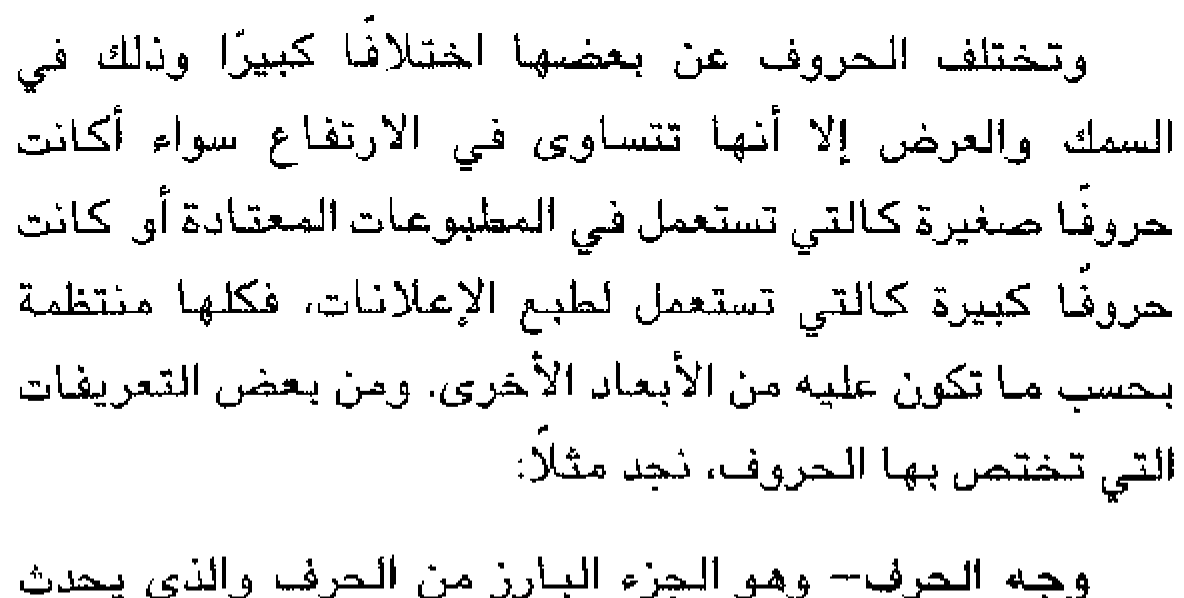
٢- ماكينة السبك: للحصول على النتيجة المطلوبة من الورق الذي ثقبته لوحة المفاتيح يوضع في هذه الماكينة فتنتج حروفًا من المعدن منفصلة عن بعضها وكل منها يحمل حرفًا خاصًا وهذه الحروف ذات أحجام مختلفة ولكنها متساوية في الارتفاع وكل حرف يوجد على وجهة تصميم حرف من الحروف الهجائية المطلوبة وهذه الماكينة تدار بواسطة سير ويدار أيضًا كل جزء من أجزائها الميكانيكية بواسطة الهواء المضغوط. (شكل ٣٩، ٤٠)

حروف الطباعة

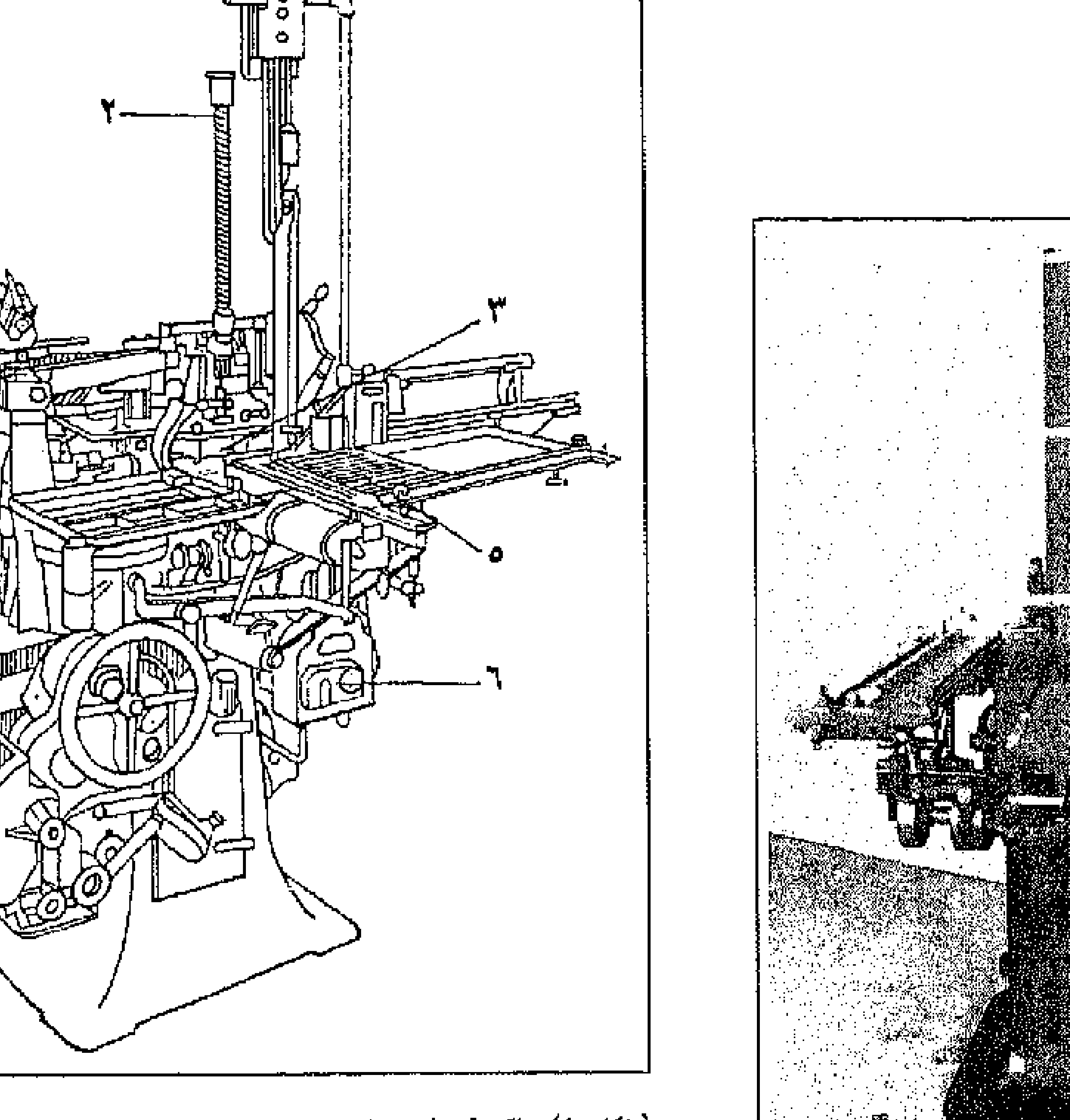
إن حرف الطباعة هو عبارة عن قطعة من المعدن أو الخشب غالبًا ما تكون قائمة الزوايا ذات وجه بارز من أوجهها الستة وهذا هو الوجه الذي يحدث الطبع. إن حروف الطباعة التي تستعمل لطبع الكتب والجرائد تسبك دائمًا من المعدن غير أن الحروف الكبيرة التي تطبع بها الإعلانات فتصنع من خشب ذي عروق دقيقة مثل خشب " البكس" أو الخشب " الكمثرى" وهذان النوعان من الخشب الأكثر استعمالًا[٥٩].



(شكل٣٨) لوحة المفاتيح (ماكينة الثقب)



(شكل٣٩) ماكينة السبك



(شكل٤٠) ماكينة سبك حرفي

١- حامل سبيكة الرصاص، لتغذية حلة الرصاص ذاتيًا.

٢- سوستة لضبط مضخة الرصاص.

٣- إطار أمهات الحروف.

٤- برج بوبينة الورق.

٥- صينية (جاليه) الحروف المسبوكة.

٦- مبين درجة حرارة حلة الرصاص وضبطها ذاتيًا.

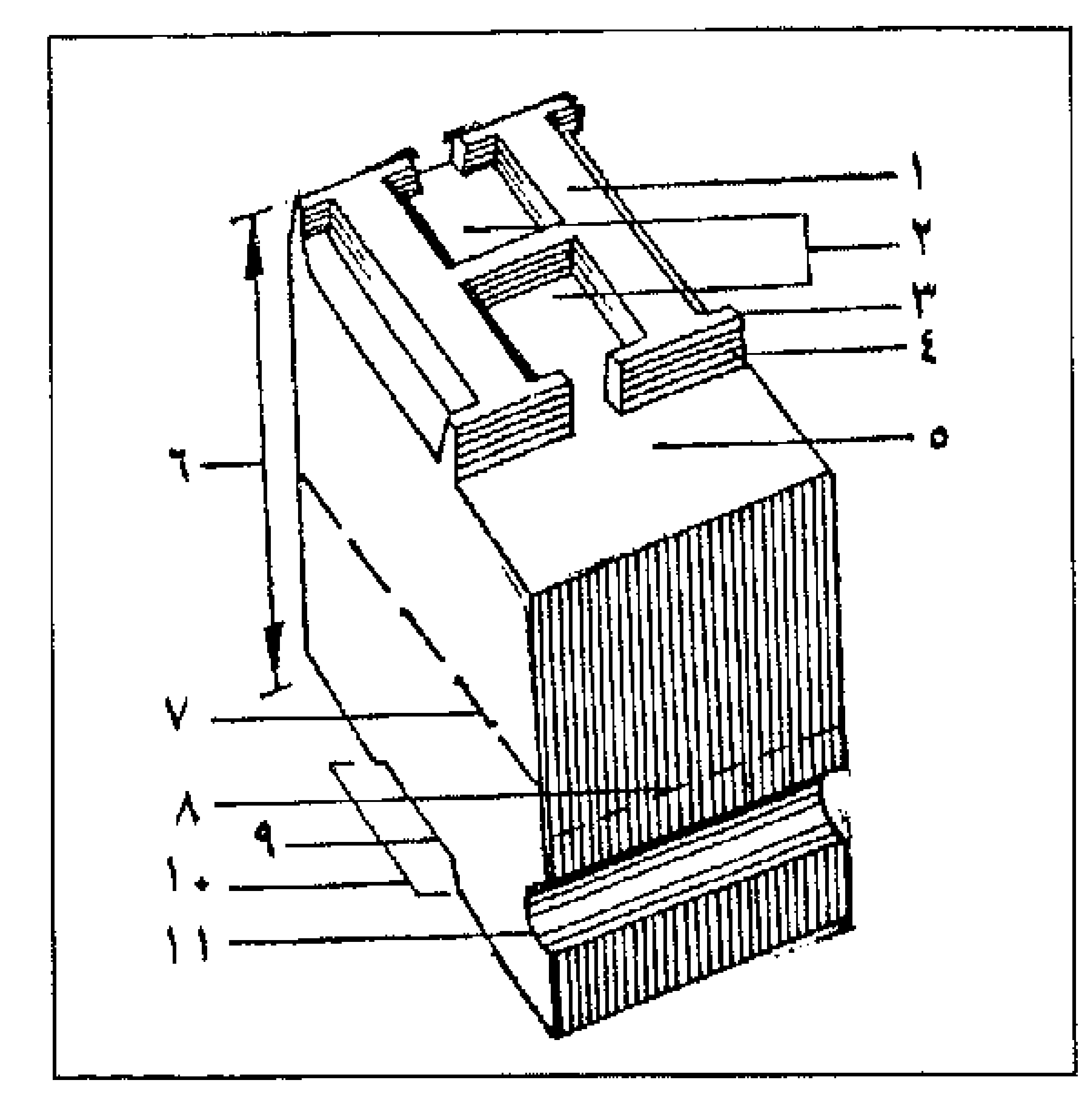


وتختلف الحروف عن بعضها اختلافًا كبيرًا وذلك في السمك والعرض إلا أنها تتساوى في الارتفاع سواء أكانت حروفًا صغيرة كالتي تستعمل في المطبوعات المعتادة أو كانت حروفًا كبيرة كالتي تستعمل لطبع الإعلانات، فكلها منتظمة بحسب ما تكون عليه من الأبعاد الأخرى. ومن بعض التعريفات التي تختص بها الحروف، نجد مثلاً:

وجه الحرف- وهو الجزء البارز من الحرف والذي يحدث الطبع ولا يشغل الوجه جميع قمة الحرف بل يوجد جزء منخفض حول وجه الحرف وذلك لتكوين مسافة بيضاء صغيرة تفصل كل حرفين أو سطرين من الحروف متتابعين، ويوجد في طريقة الطباعة بالحروف علامة أو أشارة لكل حرف طباعة خاص به، وتتكون الكلمات والجمل بجمع الحروف المشتملة عليها بوضعها بجانب بعضها البعض في سطر واحد[٦٠](شكل٤١).

المسافات (البياض) - يلاحظ القارئ أنه يرى في كل كتاب مسافات بيضاء بين الكلمات وبعضها البعض، ويحصل هذا دائمًا بوضع قطعة أو أكثر من المعدن تسمى "فواصل" بعد الحرف الأخير من الكلمة وتشبه هذه الفواصل تمام الشبه حرف الطبع في الشكل إلا أنها أقل منه في الارتفاع لذلك لا تظهر أي علامة على الورق وقت الطبع ووظيفتها فصل الكلمات عن بعضها البعض، ولولاها لكانت ملاصقة لبعضها، وتتساوى الفواصل مع الحروف التي تستعمل معها في السمك إلا أنها تختلف عن بعضها في العرض، ولكل عرض منها اسم خاص تتميز به عن بعضها فهناك "ثلث"، و"ربع"، و"خمس"، و"عشر".

المربعات - إذا اتسعت الفواصل سُميت مربعات، وعلى العموم تستعمل لإنتاج المسافات البيضاء التي تقع عادة بعد انتهاء الجملة أو الفقرة، هذا ولا يمنع استعمالها في مواضع



(شكل ٤١) الحرف المطبعي

١– وجه الحرف ٢– تجويف الحرف ٣– زوائد جمالية
٤– ذقن الحرف ٥– كتف الحرف ٦– ارتفاع الحرف
٧– جسم الحرف ٨– ثخانة الحرف ٩– مجرى ما بين قدمي الحرف
١٠– القدمان ١١– الحزّة

أخرى، وتتساوى المربعات دائمًا مع الحروف في السمك وفي المسافات المستعملة معها لكنها تختلف في العرض.

البياض– في بعض الأحيان ينتهي الفصل بعد أن يشغل ستة أو سبعة أسطر من أعلى الصفحة فيستلزم ترك بقية الصفحة بيضاء، فإذا استعملنا المربعات لإنتاج هذا البياض لأخذ عملاً كبيرًا، ولتدارك ذلك سبكت قطع كبيرة مجوفة من المعدن أوسع وأكثر سمكًا من المربعات وتسمى "البياض" وتتساوى تقريبًا في الارتفاع مع الفواصل والمربعات.

الرقايق– إذا نظرنا للجرائد لوجدنا أن معظم سطورها ضيقة متقاربة من بعضها البعض، أما مقالاتها الافتتاحية أو المقالات التي تدل على أخبار مهمة فنجد سطورها منفصلة عن بعضها، وهذه الفواصل الواسعة إنما تُنتج من وضع قطع دقيقة من المعدن بين كل سطر وآخر تسمى "بالرقايق" وسميت رقايق رصاصية لأنها تصنع من معدن مكون من مخلوط الرصاص وتتساوى مع الفواصل والمربعات في الارتفاع إلا أنها تختلف في الطول بحسب أسطر الحروف التي توضع بينها[٦١].

الجداول – انظر إلى إعلانات الصحف تجد أن كل إعلان ينفصل عن الآخر بخط وينتج هذا الخط بواسطة شريط من النحاس أو من معدن آخر ويسمى "الجدول" ويوجد أسماك عديدة للجداول إلا أنها تتساوى جميعها في الارتفاع مع الحروف وتقسم الجريدة إلى أنهر (عواميد) بواسطة جدول يُسمى "جدول العواميد" والخط الذي يرسم في رأس كل صفحة يصنعه جدول آخر يسمى "جدول الرأس".

الصناديق– بما أن هناك أنواعًا مختلفة من أحرف الهجاء والعلامات، بالإضافة إلى غير ما هو معروف من الفواصل والمربعات لذلك كان من الضروري أن يوضع كل حرف من هذه الأحرف في مكان خاص به ومنفصل عن غيره كذلك يجب أن تكون قريبة من العامل (الجَمِّيع) ليسهل عليه جمعها لهذا وضعت في وعاء من الخشب يسمى "الصندوق"، وهذا الصندوق مقسم بقطع من الخشب إلى خانات (عيون) وكل عين فيها حرف خاص وبعد أن يتم استعمال الحروف تفك هذه الخانات ويعاد توزيع كل حرف ثانية في الصندوق وفي العين الخاصة به، وتوجد بعض العيون أوسع من الأخرى ذلك لأن بعض الحروف مثل(e)و(t) يكثر استعمالهما في الكلمات عن غيرها وأكبر عين في الصندوق هي العين الخاصة بالحرف(e). وهذا الطريقة تستخدم في عملية الجمع اليدوي للحروف.

السيبة – ولكي يتسنى للعامل التقاط الحروف من خاناتها يجب أن يوضع الصندوق قريبًا منه، ولذا كان من الضروري وضع الصناديق على "السيبة" وهي مصنوعة من قوائم خشبية بحيث لو وضع عليها الصندوق يكون ذا انحدار وتبلغ من الارتفاع أربعة أقدام تقريبًا فيقف الجميع أمامها ليزاول عملية الجمع(شكل ٤٢).

المصف – بعد أن تلتقط الحروف من الصندوق يجب أن يوضع كل حرف في مكانه بالترتيب، ولإمكان ذلك يجب أن يحمل الجَميع في يده اليسرى جهازًا صغيرًا من المعدن أو الخشب يسمى "المُصف"، وتضبط الفتحة بإحدى طرفيه (الطرف المتحرك) وهو القفل بحيث يكون اتساعها يساوي طول سطر الصفحة المراد جمعها (صفها) أو طول سطر صفحة الكتاب المراد جمعه (صفه).

دبارة ربط الصحائف– لمنع الحروف التي تحتوى عليها الصحيفة من الانفراط توضع رقائق في قمة الصفحة ونهايتها وتربط مع الأحرف المجموعة ربطًا محكمًا بخيط متين، صُنع خصيصًا لهذا الغرض ويُسمى "دبارة ربط الصحيفة"، وبذلك يسهل نقل الصحيفة من لوحة الجمع إلى منضدة التجهيز.

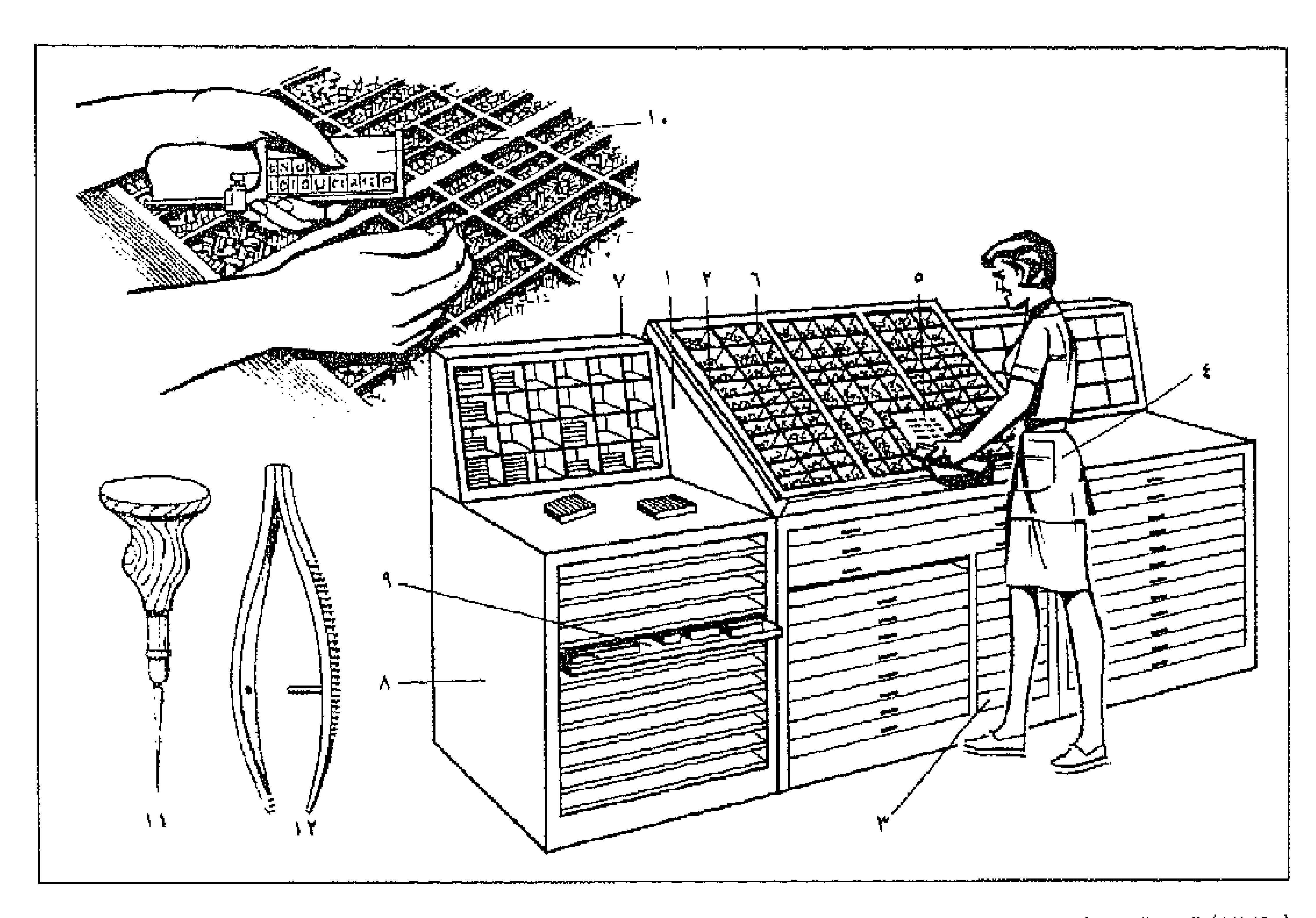
الأطواق– لكي يمكن نقل الصحيفة وهى مربوطة ربطًا محكمًا من محل لآخر بعد أن تُجمع وتُرتب إلى صحائف يجب أن توضع في إطار من جديد يسمى "طوق" لتوضع وضعًا صحيحًا على الماكينة. (شكل ٤٣،٤٤)

التوضيب – لكي تملأ المسافات الخالية من الحروف التي بين الطوق والصفحة تستعمل قطع من المعدن أو الخشب تسمى "التوضيب" وهى أجسام قائمة الزوايا وتقل في الارتفاع عن الفواصل. وأنواعها كثيرة بالنسبة للطول والعرض.

جهاز ربط الفرم (طريقة ماريوني) – هذا الجهاز عبارة عن قطعة من الحديد على شكل خابور ذي أسنان تسمى "سحلية" وصامولة ذات تروس في وسطها ثقب رباعي تجرى على أسنان السحلية وذلك بأن يوضع المفتاح في الثقب ويحرك فتربط الصامولة وبذلك تربط الفرمة.

خشبة التسوية – للتأكد من أن جميع الحروف التي في الطوق في مستوى واحد، أو بعبارة أخرى لا يوجد منها حرف أعلى من الآخر توضع على الصفحة وهى على منضدة التوضيب قطعة من الخشب سميكة وناعمة أو قطعة من الصلب تسمى "خشبة التسوية"، ويدق عليها مرارًا بالدقماق، حتى إذا ما كان حرف معلق ينخفض إلى مكانه الخاص به.[٦٢]

أما عن حروف الطبع العربية والتركية بالمطبعة فنجد أن أول مجموعة منها كانت مصنوعة في ميلانو بإيطاليا وأن نيقولا المسابكي باشر صنعها بنفسه أيام كان يتعلم فن الطباعة

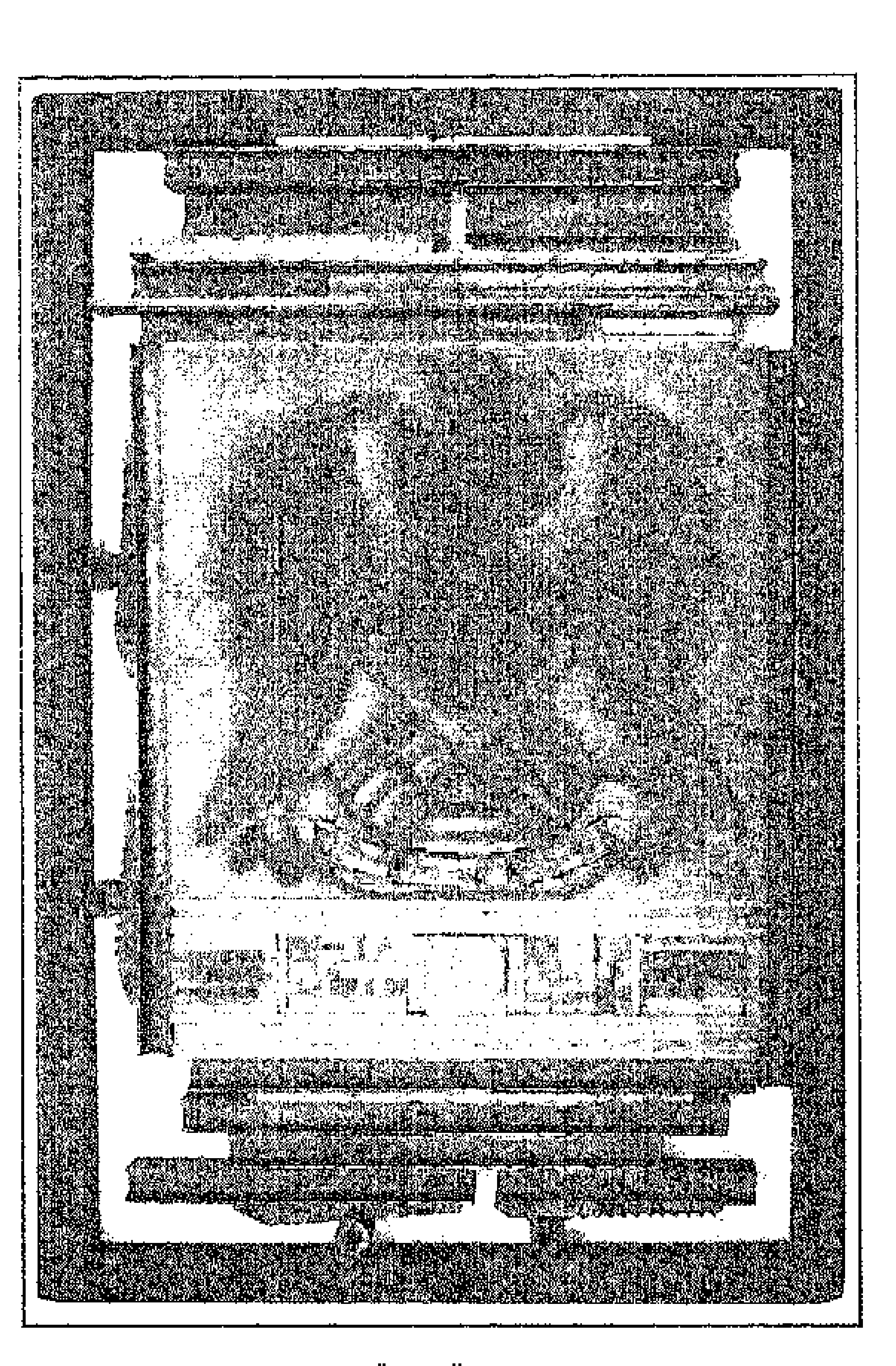


(شكل ٤٢) الجمع اليدوي:

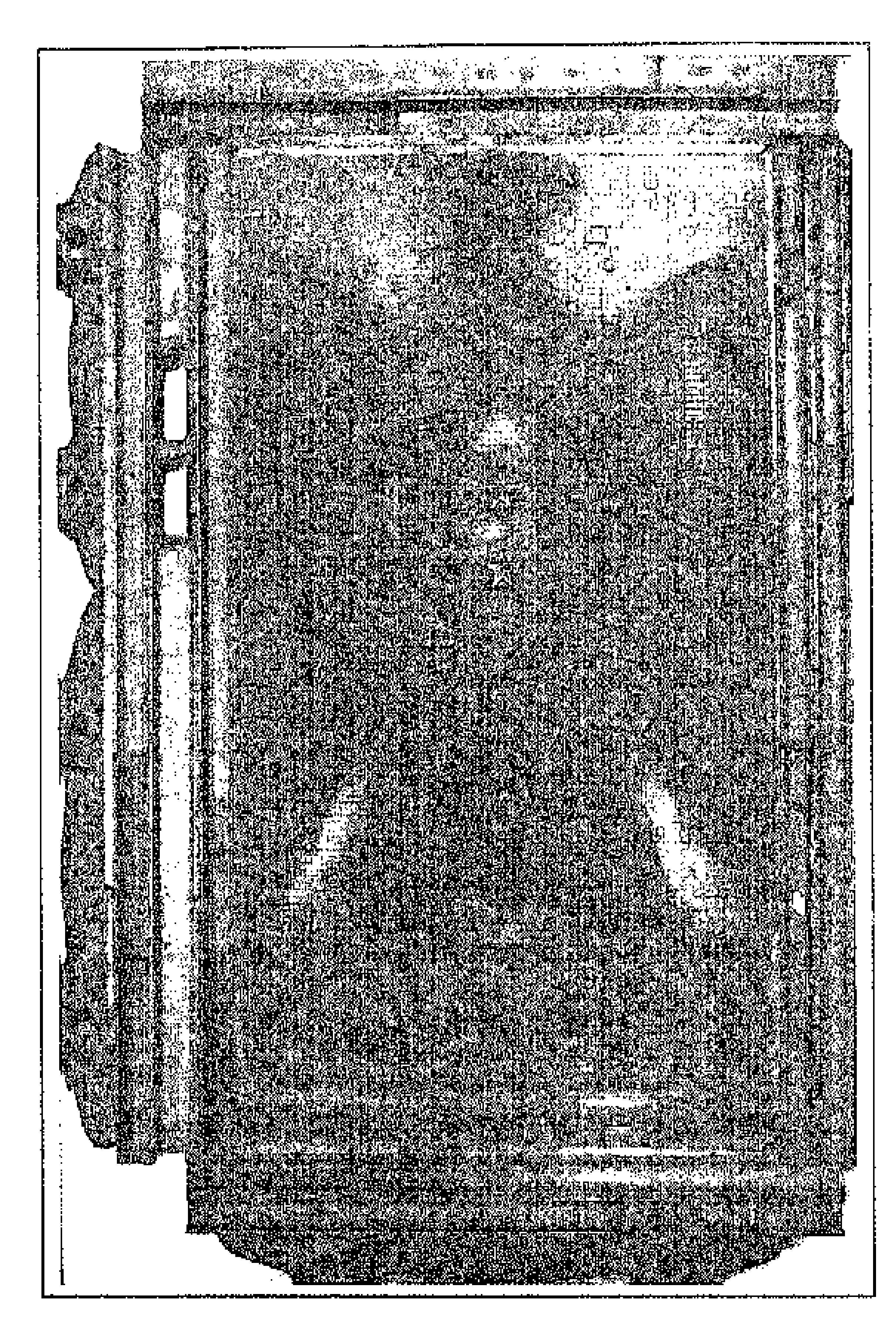
١– مسند صندوق الحروف. ٢ – منضدة (سيبة) صناديق الحروف. ٣–دولاب حفظ صناديق الحروف (بالسيبة)
٤– عامل الجمع اليدوي ٥– المخطوط الأصلي المراد جمعه. ٦– الحروف داخل عيون الصندوق.
٧– أرفف الرقائق والجداول ٨– دولاب الصفحات المحفوظة ٩– رف منزلق للفورم المجموعة
١٠– الصينية (الجاليه) ١١– مخرز ١٢– الكلاّب أو الكماشة.

وما يتعلق به من الصناعات في إيطاليا. إلا أن مجموعات الحروف العربية والتركية لم يصنعها المسابكي في بولاق بعد عودته من إيطاليا بل صنعها في ميلانو خلال مدة بعثته بها وهذا يثبت أن أول حروف طبع استعملت في مطبعة بولاق لم تكن مصرية الصنع ولكنها كانت مصنوعة في ميلانو بإيطاليا وأنه وقت إنشاء المطبعة لم يحدث أن صبت حروف طبع بها (شكل٤٥).

أما أنواع حروف الطبع التي وردت من إيطاليا وقت إنشاء المطبعة فيذكر أبو الفتوح رضوان أن بروكي ذكر أربعة أنواع من الحروف: حروف عربية، وحروف تركية، وحروف إيطالية، وحروف يونانية[٦٣] وواضح من هذا أن اللغات التي كان يمكن أن تطبع بالمطبعة وقت إنشائها هي اللغات العربية والتركية من اللغات الشرقية ثم اللغتان الإيطالية واليونانية من اللغات الأوروبية أما وجود حروف اللغتين العربية والتركية فمن طبيعة الأشياء فالعربية لغة



(شكل٤٤) صورة الطوق الحديدي ويضم "الصقر" وهو شعار جمهورية مصر العربية.



(شكل٤٣) صورة الطوق الحديدي ويضم "النسر" وهو شعار الجمهورية العربية المتحدة.



(شكل٤٥) نماذج من الحروف الخشب التي كانت تستخدم في مطبعة بولاق عام ١٨٢٠م.

الشعب المحكوم والتركية لغة الطبقة الحاكمة أما وجود حروف اللغة الإيطالية فهو منطقي؛ فثابت من الأوراق الرسمية أنها أول لغة أجنبية درست في مصر وكان ذلك بمقتضي أمر عال صادر من الباشا إلى الكتخدا بك في أواخر سنة ١٢٣٥هـ/١٨٢٠م "بتعيين أحد الأساقفة لإعطاء دروس في اللغة الإيطالية والهندسة وتخصيص محل للتدريس بالقلعة" وهذا أول تدريس للغة أجنبية في مصر مما يفسر شراء حروف طبع للغة الإيطالية بالمطبعة، بالإضافة إلى أن إيطاليا كانت أول مصدر يقصده محمد علي لاقتباس المدنية الغربية قبل أن تنجح فرنسا في تحويل نظره إليها. أما وجود الحروف اليونانية فهو مما يصعب تعليله إذ لم تكن اللغة اليونانية مستعملة ولم تكن تدرس في مصر ولم تصدر المطبعة كتابًا واحدًا بها وقد يكون شراؤها من قبيل استكمال اللغات بالمطبعة.

كانت جميع الحروف سواء أكانت عربية أم تركية أم إيطالية أم يونانية مصنوعة في إيطاليا وواردة منها، ومكان صنعها على وجه التحديد هو مدينة ميلان التي كان يدرس فيها المسابكي والفرق بين هذه الحروف من جهة الصناعة هو أن الحروف العربية والتركية من صنع المسابكي أو على الأقل صنعت في ميلان تحت إشرافه، أما الحروف الإيطالية واليونانية فلم تكن من صنعه وكان كل نوع من هذه الحروف على عدة أشكال قال بروكي: "وكانت الحروف العربية على ثلاثة أشكال والإيطالية على شكلين هما:(Il Filosofia, Il silvio) ومع كل منها الحروف المائلة (Italics) التي تناسبه". أما الأشكال الثلاثة للحروف العربية فهي كما رأينا صورها وطبعها في أول مطبوعات بولاق كلها نسخية وإنما على ثلاثة مقاييس: حرف كبير للعناوين وما يجري مجراها وحرف متوسط الحجم لمتن الكتاب وحرف صغير للتعليق والحواشي.

وهذه الأشكال الثلاثة مستعملة في كتاب "صباغة الحرير" وهو ثاني كتاب طبع ببولاق، وهي كذلك مستعملة في القاموس الإيطالي. ولم تكن مطبعة بولاق تطبع كتابة مُشَكَّلة بل كانت كل مطبوعاتها بدون تشكيل، وذلك لأن هذا النوع من الكتابة يحتاج إلى استعدادات خاصة لم تكن متوافرة في مطبعة بولاق في ذلك العهد. ولكن سرعان ما استغنت مطبعة بولاق عن الحروف العربية المستوردة من مطابع ميلانو، ذلك أن الحروف العربية المصنوعة في أوروبا سرعان ما ظهرت عيوبها؛ فهي كبيرة الحجم جدًا وهي أوروبية الأسلوب بعيدة جدًا عن ذوق القاعدة الشرقية فكانت مختلفة السمك غير متسقة؛ ولذا نجد أنه سرعان ما استبدلت هذه الحروف بحروف مصنوعة في مصر على القاعدة الشرقية في الكتابة وهي القاعدة التي كانت تصنع عليها حروف مطبعة القسطنطينية، والظاهر أن الحروف الإيطالية الصنع ظهر عيوبها في تاريخ متقدم جدًا من استعمالها أو ظهر أنها قليلة لا تقوم بحاجة المطبعة في الطبع فاتجهت النية إلى صب حروف في مطبعة بولاق والاستغناء بها عن تلك الحروف الأولى فنجد أن محمد علي باشا يصدر أمرًا إلى الكتخدا في ٨ صفر سنة ١٢٣٧هـ الموافق ٤ نوفمبر سنة ١٨٢١م بأنه:

"يوجد بمصر شخص إيراني يحسن كتابة الخط ويعرف أيضًا بعض اللغات فمن مقتضى إرادتنا أن تبحثوا عن ذلك الشخص وتجدوه وتعينوه بماهية مناسبة لتعليم الخط الفارسي[٦٤]، وكتابة الخط للموجودين بمعية عثمان أفندي ببولاق"

والمفهوم من هذا الأمر هو أن خط سنكلاخ الإيراني قد بهر القائمين بالأمر بقاعدته الشرقية ففضلوا أن يكون طبع الكتب بهذه القاعدة.

تم تعيين سنكلاخ الإيراني لرسم قاعدة لحروف عربية جديدة لمطبعة بولاق ولقد رسم سنكلاخ نوعين من الحروف لمطبعة بولاق أحدهما القاعدة النسخية التي كانت تستعمل في الكتب العادية وثانيهما القاعدة الفارسية الجميلة التي تعد أثمن ما أهداه هذا الخطاط العظيم للمطبعة إذ كانت آية في الجمال والرونق انفردت بها مطبعة بولاق وأخذت بها شهرة واسعة عند المستشرقين وهواة الكتب؛ وقد كانت الحروف النسخية تستعمل في طبع متن الكتاب أما الحروف الفارسية فقد كانت تستعمل في عناوين الفصول، أو في طبع الكتاب كله في حالة الكتب الفارسية مثل "كلستان السعدي".

أما القاعدة النسخية فقد تم انجازها بسرعة نسبية إذ ظهر أول كتاب طبع بها بعد سنتين من تعيين سنكلاخ بالمطبعة، فقد قام هو بكتابتها، ولكننا لا ندري اسم الحفار الذي صنع أمهاتها ولعله قاسم الكيلاني، وأشرف على صب حروف الطباعة على هذه الأمهات نيقولا المسابكي ناظرها، وطبعت الكتب في مطبعة بولاق لأول مرة بحروف مصنوعة في المطبعة نفسها.

أما القاعدة الفارسية فيرجح أن سنكلاخ تأخر في كتابتها، ربما لتأخر ظهور الفكرة ذاتها، وربما لصعوبتها المتناهية وتعقيدها الذي كان سببًا في وقف العمل بها وضياعها في النهاية، والمرجح أنه كان قد انتهى من كتابة حروفها سنة ١٨٣١م نظرًا لأنه في أواخر هذا العام نقرًا عن تعيين حفارين لصنع أمهاتها تمهيدًا لصب حروف الطبع عليها.[٦٥]

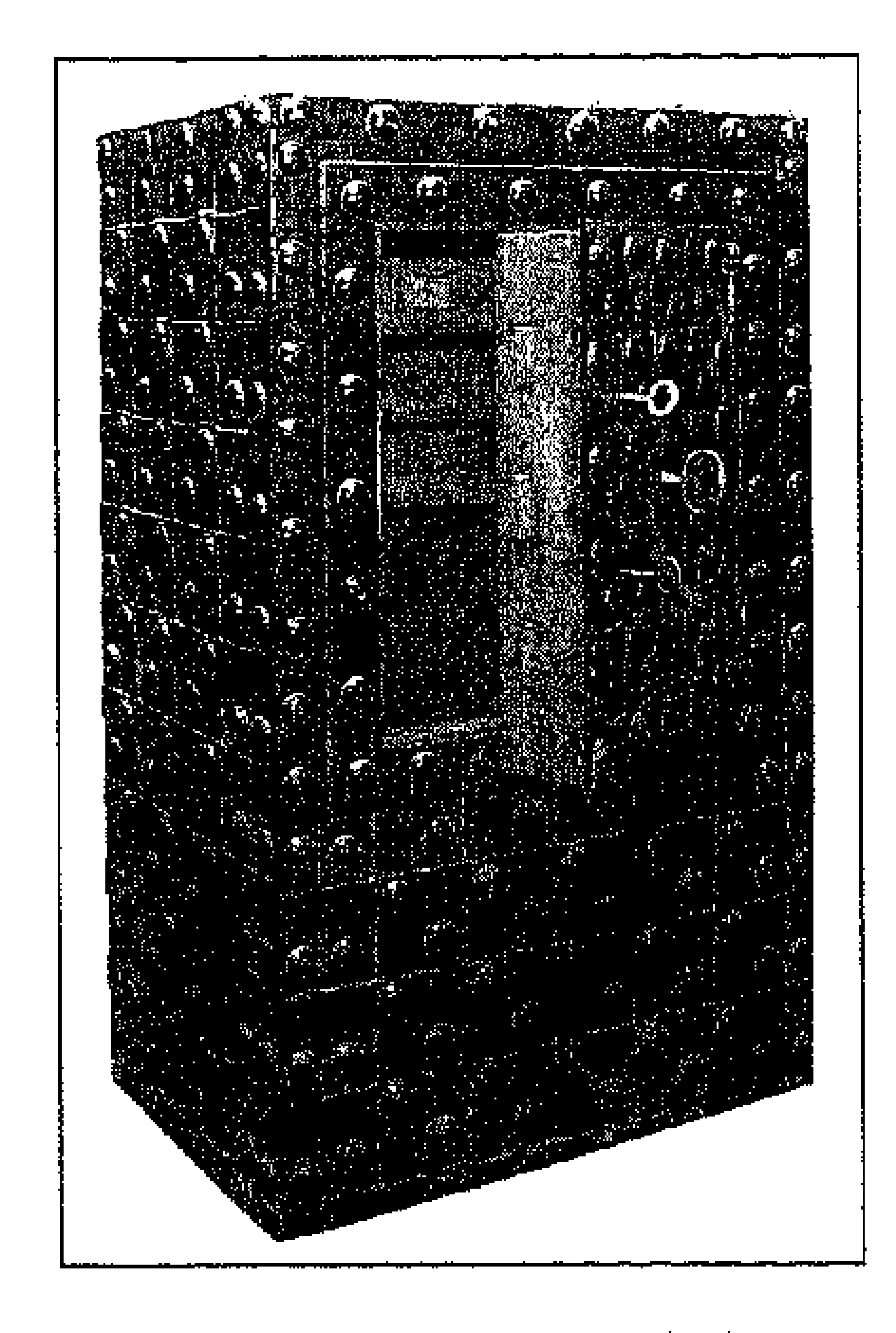
أما مواد الطبع من ورق ومداد فقد استوردت من أول الأمر من إيطاليا كما استوردت عدد المطبعة وآلاتها. وأما المداد

فيذكر أبو الفتوح رضوان[٦٦] نقلًا عن بروكي: "إنه كان يستورد أيضًا من إيطاليا ولكنه ابتدأ يصنع في القاهرة" والواقع أن صناعة الحبر كانت متقدمة في مصر فقد كانت كل دواوين الحكومة وفروعها تعمل من مداد مصنوع في مصر.

سياسة العمل بالمطبعة

لم يكن لمطبعة بولاق أي لائحة أو قانون وقت إنشائها لأن اللوائح والقوانين وما يجري مجراها لا تكون إلا وليدة الحاجة وقد نشأت مطبعة بولاق نشأة بسيطة ولم يتوقع المشرفون عليها ما يستلزم وضع لائحة أو قانون لتنظيم العمل بها. لكن سرعان ما تعقدت أحوال مطبعة بولاق، ودعت الأحوال الجديدة إلى سن القوانين الخاصة بالمطبعة، وتحديد سياسة للطبع بها ووضع نظام للرقابة على مطبوعاتها. ارتبط إصدار هذا القانون بحادثة معينة كما جاء في مذكرات بروكي: "كان من بين مدرسي مدرسة الفنون ببولاق مدرس إيطالي اسمه "بيلتي" وكان قد نظم قصيدة طويلة سماها "ديانة الشرقيين" طعن فيها كثيرًا في الدين الإسلامي، وأظهر له وكان في الكتاب ما يغري بالإلحاد وما ينتقص من احترام علماء الدين. وقد اتفق بيلتي سرًا مع نيقولا المسابكي ناظر مطبعة بولاق على طبعها بالمطبعة ووافق المسابكي وتعهد له بذلك مع علمه بمنافاة ذلك للتقاليد واحترام الدين، فقد شجعه عليه عدم وجود قانون لمراقبة المطبوعات. قال الراوي: وكان "سولت" قنصل انجلترا في مصر وقتئذ عدوًا للناظم الإيطالي فرأى في هذا العمل مناسبة للوقيعة به فنقل إلى الباشا خبر ذلك الكتاب وكشف له عن طبعه بالمطبعة الإسلامية وأظهره على خطره، وإلحاد معانيه وفحش ألفاظه بدرجة يستحيل معها أن توافق أي سلطة أوروبية –فضلًا عن سلطة إسلامية– على طبعه. قال: "فأمر الباشا بمخطوط الكتاب فألقى به في النار، وغضب الباشا على المسابكي غضبًا شديدًا وكاد أن ينزل به عقابًا يتناسب مع حجم جرمه ولولا توسط عثمان أفندي نور الدين لأنزل به أذى كبيرًا" لذلك أصدر محمد علي باشا أمرًا بتاريخ ١٣ يوليه سنة ١٨٢٣م / ٤ ذو القعدة سنة ١٢٣٨هـ يحرم على كل الأوروبيين طبع أي كتاب في مطبعة بولاق إلا إذا استصدر مؤلفه أو ناشره إذنًا خاصًا من الباشا بطبعه. وفرض عقابًا شديدًا على كل من يخالف هذا الأمر. ذلك هو القانون الأول للرقابة على المطبوعات في مصر والمناسبة التي أدت إليه. جدير بالذكر أن محمد علي كان شديد العناية والحرص على أختام الأسرة المالكة، والتي كانت تستخدم في مهر الوثائق الرسمية؛ لذا كانت لديه خزانة حديدية تستخدم في حفظ أختام الأسرة المالكة الخاصة بالمطبعة، وكذلك الأقلام والمتاريس الخاصة بماكينات السبك، كما كان يوجد بهذه الخزانة المفتاح الخاص بها وعليه حرف(م) الذي يرمز إلى محمد علي باشا (شكل ٤٦).

وإذا كان هذا القانون هو أول قانون للرقابة على المطبوعات في مصر فهو أيضًا آخر قانون من نوعه في عهد محمد علي باشا فقد صدر في تاريخ مبكر جدًا من حياة المطبعة وظل معمولًا به طول عهد محمد علي باشا ولم يصل من بعده أي قانون آخر وذلك لأن الحاجة لم تستدع ذلك؛ فقد نفذ القانون ببساطة في مطبعة بولاق وروعي أيضًا وعمل به في المطابع الحكومية الأخرى التي أنشئت في عهد محمد علي كما يجئ في فصل متأخر ولم يصدر قانون آخر من هذا النوع إلا عندما أنشئت المطابع الخاصة بالأفراد في عهد سعيد باشا مما أدى إلى إصدار ثاني قوانين الرقابة على المطبوعات في مصر في ٢٧ جمادي الأولى سنة ١٢٧٥هـ– أول يناير سنة ١٨٥٩م وسيأتي تفصيل ذلك لاحقًا.



(شكل٤٦) أحد أهم قطع معرض بولاق وهي الخزانة الحديدية التي تعود إلى عهد محمد علي الكبير، حيث كان يستخدمها في حفظ أختام الأسرة الحاكمة.

نظام الطبع بالمطبعة

الأصل في مطبعة بولاق أنها كانت مطبعة حكومية أنشئت خصيصًا لطبع ما يحتاجه الجيش من التعليمات والقوانين وكتب الفن الحربي، تطبع على نفقة الحكومة ثم توزع على من كانوا في حاجة إليها؛ فالأصل في الطبع بالمطبعة إذن أنه كان على نفقة الحكومة والأصل في مطبوعاتها كانت حكومية.

ولكننا نجد في بعض المصادر ما يثبت أنه كان في المطبعة نوع آخر من الطبع كان يتم على نفقة أشخاص من الأهالي ممن لهم اهتمام بطبع الكتب والتجارة فيها وكان هؤلاء يسمون: "الملتزمون"[٦٧] ورد في باب الإعلانات من أحد أعداد الوقائع المصرية الإعلان التالي:

" إن بعض كتب الملتزمين الجاري طبعها في دار الطباعة العامرة الكائنة ببولاق مصر القاهرة قد تم في هذه الأيام وبقيت بعض الملازم خالية فمن أراد طبع كتب على ذمته بثمن هين في مدة فعليه بالذهاب إلى نحو المطبعة المذكورة".

ونحن لا نعرف متى ولا كيف ابتدأ الطبع في المطبعة لحساب الملتزمين، كذلك لا نعرف أول ملتزم طبع كتابًا على نفقته بالمطبعة، ولا المناسبة التي أوجدت ذلك النوع الجديد من الطبع، وأقدم نص عندنا ورد فيه ذكر لطبع كتاب على نفقة شخص يرجع تاريخه إلى سنة ١٨٣٩م وهو خطاب للدكتور "بيرون" ناظر مدرسة الطب المصرية أرسله إلى المسيو "جول مل" جاء فيه:

"سبق أن راسلتك في مشروع طبع كتاب "أخبار الشعراء الجاهليين" وقد عزمت الآن على طبع هذه الأخبار التي وردت عن أولئك الشعراء في كتاب الأغاني هنا في بولاق... وربما طبعت فيها أيضًا قاموس الفيروزابادي".

وفي كلتا الحالتين يتضح أن نظام طبع الكتب الخاصة بالجيش في مطبعة بولاق هو أن يصدر الباشا أولاً أمرًا بالترجمة والطبع أو بالطبع فقط وقد يكون صدور هذا الأمر بناء على رغبة خاصة منه في طبع كتاب أو قانون، أو قد يكون بناء على طلب من ديوان الجهادية يرد عليه الباشا بإصدار أمر طباعة الكتاب، وفي أغلب الأحيان ينص الأمر على عدد النسخ اللازمة منه وبعد صدور أمر الباشا بالطبع يُصبح واجبًا على المطبعة أن تقوم بذلك في أقصر مدة ممكنة وتقدم النسخ المطلوبة من الكتاب.

أما الكتب الخاصة بالمدارس فإن كانت خاصة بالمدارس العامة والأولية؛ فيصدر أمر الباشا مباشرة إلى وكيل الجهادية أو رئيس ديوان المدارس بطبع الكتاب مع تحديد عدد النسخ التي تطبع. وبصدور هذا الأمر تطبع النسخ المطلوبة من الكتاب في المطبعة.

أما إذا كان الكتاب خاصًا بمدرسة من المدارس الخصوصية كمدرسة الطب البشري أو مدرسة الطب البيطري أو إحدى المدارس الحربية، اتبع في طبع الكتاب نظام آخر وذلك لأن هذا النوع من الكتب لا يحسن تقديره رجال الحكومة وإنما يحسنه أساتذة المدارس فهم أعرف بما يلائم التلاميذ، وما يحتوي كل كتاب من القدر الكافي من المعلومات، وعلى ذلك كان النظام المتبع يرجع إلى أساتذة كل مدرسة من المدارس لاقتراح ترجمة كتاب وطبعه ثم يعرض على ناظر المدرسة الذي يعرضه بدوره على لجنة من أساتذة المدرسة تنظر فيه فإن ظهرت فائدته قررت ترجمته وطبعه.

وكما يحدد الأمر بطبع كتاب عدد النسخ التي تطبع منه فإنه يحدد كذلك نوع الطبع إن كان على مطبعة الحروف أو على مطبعة الحجر، ولما كان أغلب الطبع على مطبعة الحروف فقد أهمل ذكره في الأوامر، وإنما هذا يتضح في أوامر طبع كتاب على مطبعة الحجر فقد كان يشار إليه كما حدث في طبع مقامات في فن الموسيقى. وبعد الانتهاء من طباعة النسخة الأولى من الكتاب يتم تسليم نسخة منه إلى مُصدر أمر الطباعة كبروفة ليتم مراجعتها (شكل٤٧).

وهناك نوع آخر مما كان يطبع على نفقة الحكومة وهو القوانين وما يشبهها وكان يصدر بها أيضًا أمر من الباشا إلى من بيده رئاسة المطبعة، من ذلك أمر من محمد علي باشا إلى وكيل الجهادية موجزه:

يطبع مقدار وافر من قانون الاستبدليات (المستشفيات) الذي تمت ترجمته بعد تنقيحه وموافقته لأصول الحكومة.

ذلك هو نظام طبع الكتب على نفقة الحكومة، في مطبعة بولاق، وسواء كانت المطبوعات هي تعليمات خاصة بالجيش أو كتبًا خاصة بالمدارس أو قوانين خاصة بالحكومة يتلخص في صدور أمر من محمد علي باشا بطبع الكتاب سواء كان هذا الأمر بناء على رغبة شخصية أو طلب من أحد الدواوين أو المدارس، ويوجه هذا الأمر عادة إلى الديوان التابع له المطبعة، سواء كان ديوان الجهادية أم ديوان المدارس، وهذا الأخير يتولى إصدار الأمر إلى ناظر المطبعة الذي يقوم بمباشرة طبع الكتاب بها حسب الشروط المبينة بالأمر، والتي تتضمن عادة نوع الطبع وعدد النسخ والأشخاص المنوط بهم تصحيح مسودات الكتاب.

نظام الطبع على نفقة الملتزمين

كان لابد للملتزم الذي يريد أن يطبع كتابًا أن يستصدر أمرًا من الباشا بطبع كتابه في مطبعة بولاق، وهذا هو أساس طبع الكتب على نفقة الملتزمين في المطبعة فلم يكن يمكن بحال أن يطبع كتاب لملتزم في المطبعة من غير صدور هذا الأمر. فالمرحلة الأولى لطبع الكتب على نفقة الملتزمين هي صدور أمر من الباشا كشرط أساسي أولي لطبع أي كتاب على نفقة ملتزم بمطبعة بولاق، وليس ذلك إلا تنفيذًا لقانون ١٣ يوليه سنة ١٨٢٣م الخاص بمراقبة المطبوعات وعرض الكتاب المراد طبعه وصدور أمر بطبعه معناه فحص الكتاب وتطبيق سياسة المطبعة عليه وظهور موافقته للدين وعدم مساسه بسياسة الحكومة. فإذا ظهرت براءة الكتاب مما يمس الدين والأخلاق وسياسة الدولة صدر أمر الوالي بطبعه.

نظام المحاسبة بين الملتزمين والمطبعة:

تأتي بعد ذلك المرحلة الثانية وهي تقدير نفقات الطبع، وأثمان المواد، أو بعبارة أخرى كيف يتم الحساب بين الملتزم والمطبعة وما هو النظام المتبع إلى أن يخرج الكتاب من المطبعة؟

يذكر أبو الفتوح رضوان نقلاً عن بيرون[٦٨] أن الملتزم بعد أن يستصدر أمرًا من الوالي بطبع كتاب بالمطبعة يقدمه إلى ديوان المدارس،

— 22 —

Appendix E.

Form B.

ENVOI D'ÉPREUVES

تصـــدير بروفات

Imprimerie Nationale
Le Caire. — المطبعة الاميرية بمصر

Bon N° .... — نمرة ....

Date .... — تاريخ ....

A .... — الى ....

Les épreuves ci-dessous mentionnées sont expédiées aux fins de correction. — البروفات المذكورة أدناه مرسلة من طيه لمراجعاتها

L'expéditeur, — كاتب التصدير

(Signature) ....

— 23 —

Appendix E1.

Form C.

RETOUR D'ÉPREUVES

بروفات مرتجعـــة

Administration. / Ministère ...... / Moudirieh ...... — نظارة ...... / مديرية ...... / مصلحة ......

Bon N° .... — نمرة ....

Date .... — تاريخ ....

Monsieur le Directeur de l'Imprimerie Nationale — الى جناب مدير المطبعة الاميرية

Veuillez trouver ci-jointe l'épreuve suivante retournée pour bon à tirer / nouvelle épreuve — مرسل طيه البروفه مؤشرا عليها يعتمد الطبع / تطلب بروفه ثانيه

(Signature) .... — (الامضاء) ....

Epreuve N° .... — البروفه نمرة ....

INSTRUCTIONS — تعليمات

(شكل٤٧) نموذج للمراسلات التي كانت تستخدمها إدارة مطبعة بولاق في تسليم وتسلم البروفات، ونلاحظ وجود جزء مخصص لإبداء الملاحظات سواء من ناحية المطبعة أو من ناحية المصحح أو المراجع أو المؤلف. وهذا يعكس التنظيم الإداري الجيد للعمل داخل المطبعة.

ويقدم معه طلبًا يبين فيه الشكل الذي يريد أن يصدر فيه الكتاب، وصفات الطبع التي يجب أن يظهر الكتاب بها. فعلى سبيل المثال يبين حجم الكتاب إن كان يريده من الحجم المعتاد أي ثماني بوصات أو صغيرًا أربع بوصات، كما يبين عدد السطور التي تكون في الصفحة الواحدة وهذا العدد يجب أن يكون مزدوجًا دائمًا، ويبين أيضًا نوع الحروف التي يريد أن يكتب الكتاب بها وهي عادة الحروف النسخية للمتن والحروف الفارسية للعناوين، اللهم إلا إذا كان الكتاب فارسيًا مثل "كلستان" فإنه يطبع كله متنًا وعناوين بالحروف الفارسية، فيذكر ما يوافقه من ذلك، ثم يحدد في الطلب أيضًا عدد النسخ التي يريد أن يطبعها من الكتاب. وعندما يتفق على هذه الاقتراحات الأولية ويستقر الرأي عليها بين الملتزم والمطبعة عن طريق الديوان تطبع صفحة من الكتاب وذلك لتقدير ما تسعه الصفحة من مادة الكتاب من جهة، ومن جهة أخرى لإثبات نوع الورق وكيفية الطبع التي سيجري العمل عليها في طبع الكتاب، وبواسطة هذه الصفحة يقدر عدد صفحات الكتاب على وجه التقريب.

أما حساب نفقات الطبع التي ستتقاضاها المطبعة من الملتزم فيتم بحساب ثمن الورق الذي سيستعمل في طبع الكتاب، وهذا ممكن بعد أن يُقدر عدد صفحاته تقديرًا تقريبيًا كما سبق القول وكذلك، يقدر ثمن ما يستهلك من المداد في طبعه، ثم تحدد مدة الانتهاء من طبع الكتاب ويكون تحديدها عادة بالنسبة لحجمه؛ فمدة الطبع دائمًا ما تتناسب مع حجم الكتاب، وعلى هذه الأسس كلها يجري تقدير النفقات فتحسب مرتبات موظفي المطبعة الذين سيشتغلون في طبع الكتاب في المدة المقدرة لطبعه، ويضاف إلى مجموع هذه المرتبات ما سبق تقديره من المواد المستهلكة كالورق والمداد ثم يضاف إلى مجموع هذا كله هو رسوم طباعة الكتاب التي يدفعها الملتزم للديوان.

فعلى سبيل المثال لو أن كتابًا قدر أن طبعه يستغرق مدة ثلاثة شهور فإن الديوان يحسب مجموع مرتبات موظفي المطبعة الذين سيعملون في طبعه مدة ثلاثة أشهر؛ فيُحسب مرتب ناظر المطبعة في هذه المدة ومرتبات المصححين والمحررين والصفافين والطباعين وعمال النقل ومرتبات كل من سيشترك في طبع الكتاب كل تلك لمدة ثلاثة شهور، ثم يُضاف إلى مجموع كل هذه المرتبات ما سبق تقديره من ثمن الورق والمداد وغيرها من المواد المستهلكة ومجموع هذا كله هو النفقات التي سيدفعها الديوان إلى أن يخرج الكتاب من المطبعة (أي أن الديوان لم يكسب شيئًا إلى هذا الحد) قال "فإذا بلغت هذه النفقات كلها ١٢٠٠٠ قرشاً فإن الديوان يضيف إليها نسبة معينة هي قيمة ربح الحكومة وعلى ذلك تصبح النفقـات الكلية ١٨٠٠٠قرشًا وهو ما يدفعه الملتزم نظير طبع الكتاب؛ وقال ثم إذا ما تبين بعد طبع الكتاب أنه استهلك فيه مواد أكثر مما سبق تقديره بأن زادت عدد صفحاته عما قُدر في أول الاتفاق وزاد تبعًا لذلك ثمن الورق والمداد عما كان مقدرًا فإن هذه الزيادة تضاف إلى تلك النفقات، وإذا استغرق طبع الكتاب مدة أزيد مما كان مقدرًا له أضيف إلى النفقات أيضًا مرتبات الموظفين والعمال الذين عملوا فيه في تلك المدة الزائدة وعلى هذا كان من صالح الملتزم أن يطبع الكتاب في أقصر مدة حتى لا تكثر مرتبات الموظفين فيما سيدفعه من النفقات[٦٩].

كما ذكر أبو الفتوح رضوان أن هناك أنواعًا أخرى من النفقات كانت تضاف إلى حساب الملتزم مثل ما يستهلك من الحروف وأصناف المعادن الأخرى في أثناء عملية الطبع. ففي خطاب من الديوان إلى المطبعة ردًا على استفهام عما يتبع في شأن عجز ظهر في حروف القاعدة الجديدة بعد طبع كتابين يقول الديوان:

"والحال عن الأحرف القديمة التي ظهرت من تشغيل الكتابين المذكورين من القاعدة الجديدة مع العجز يجري توزيعهم على الكتابين المذكورين حكم ما توضح بشرحكم الأول". فالحروف التي تلفت والعجز الذي ظهر فيها أضيف ثمنها على الملتزم أو الملتزمين الذين طبع الكتابان لحسابهم، وعلى ذلك فكل عجز أو تلف يظهر في حروف الطبع أو رقائق النحاس أو غير ذلك مما يستخدم في طبع الكتب يضاف إلى حساب الملتزمين الذين يتم طبع هذه الكتب لحسابهم فإن كان التلف والعجز خاصين بمدة طبع الكتب الخاصة بمجموعة من الكتب لعدد من الملتزمين جعل ثمن العجز والتلف (روكيه) أي مشاعًا بين الجميع وقسم بالتساوي عليهم.

فالحساب بين الملتزم والمطبعة إذن يتكون من ثمن المواد التي دخلت في تشغيل كتابه من ورق ومداد وورق مقوى لتجليد، ثم من مرتبات الموظفين الذين اشتركوا في عملية طبع الكتاب من ناظر المطبعة إلى جماعي الحروف والطباعين والمصححين والمجلدين إلى الكتاب وعمال المخازن إلى الحمالين وبواب المطبعة، ثم من ثمن ما يستهلك أو يتلف أو ينقص من حروف الطبع والسبائك المعدنية وغيرها ويضاف إلى جميع ما تقدم نسبة من جميع النفقات نظير ربح المطبعة وهي تتفاوت بين ٥٠٪ كما قرر بيرون و ١٠٪ كما ورد في الوثائق.

الموظفون بالمطبعة

انقسم عمال المطبعة إلى فئتين: فئة الموظفين وفئة العمال، وكان من هؤلاء العمال من يعمل نظير مرتبات شهرية وآخرون يعملون مقابل أجر Part-timer جاء في الوقائع المصرية العدد رقم ٨٩٣ ما يأتي:

"رجلان من دار الطباعة أحدهما اسمه محمد شاهين والآخر يسمى حسنين خطاب قدما رقيمًا لمجلس الجهادية مضمونه أنهما كانا يطبعان الكتب بالمقاولة في مطبعة بولاق وحيث أنه الآن يطبع كتاب القاموس ولا يكتفيان بالمقاولة طالبا رتب لهما شهرية مثل شهرية المشايخ الذين أخذوا من القصر العيني، وأرسلوا إلى المطبعة المذكورة فاستعلم من عبد الكريم أفندي الناظر عن أمرهما فقال نعم إنهما كانا مستخدمين في طبع الكتب بالمقاولة وإنه الآن تعلقت إرادة أفندينا ولي النعم بطبع القاموس وإن صحفه أكبر من صحف سائر الكتب، ولا تطبع بالمقاولة ويلزم أن ترتب لهما شهرية فقال أهل المجلس حيث إن الأمر كما ذكر كان ترتيب شهرية لهما إلى أن يتم طبع الكتاب المذكور لازما ولزم أن يحرر إعلام من طرف ناظر الجهادية إلى الناظر العمومي إليه بأن يرتب لكل منهما مائة وعشرين قرشًا من ابتداء المُحرم الحرام"(٧٠).

فيؤخذ من هذا الخبر ما يلي :

١- وجود موظفين وعمال كانوا يعملون بالمقاولة أي على قدر ما ينتجون وليس لهم مرتبات مربوطة وعلى ذلك فهم لا يعتبرون من موظفي المطبعة الدائمين.

٢- إن المقاولة كانت على أساس تعريفة معلومة للصفحة لا تتغير بحسب حجمها، ولذلك لما كبرت الصفحات تظلم محمد شاهين وحسنين خطاب.

٣- إن أصحاب المرتبات الشهرية كانوا ممتازين ولذلك فضل الموظفان السابقان أن يعاملا بالمرتب الشهري حتى ولو بلغ مائة وعشرين قرشًا فقط وهو المرتب الذي ربطه لهما الأمر السابق.

أما موظفو المطبعة وعمالها فقد كانوا دائمًا يؤخذون من طلبة الأزهر إذ كان يشترط فيهم جميعًا إجادة القراءة والكتابة، وأما المصححون فقد كانوا ممن تقدموا في الدراسة ومنهم من كانوا من كبار أدباء ذلك العصر،في حين كان صفافو الحروف ومن في مرتبتهم من الطلبة.

الفصل الثالث

المطبعة في عهد أسرة محمد علي



عهد محمد علي

انتعاش المطبعة

كانت مطبعة بولاق في عصر محمد علي محط اهتمامه ورعايته، حيث اهتم بتجهيزها بأحدث الآلات والمعدات، كذلك وقف على تدريب كوادرها الفنية، إلى جانب اهتمامه بجودة المطبوعات ورغبته في أن تكون المطبوعات على درجة عالية من الإتقان والجودة، لكن ظلت المطبعة تسير نحو التقدم بخطى بطيئة، حتى سنة ١٨٣٣م حين بدأت تدخل فيه المطبعة طور الانتعاش والتقدم فأوجدت بعد ذلك التاريخ عصرًا جديدًا في حياة المطبعة حيث هناك عدة عوامل أدت إلى دخول المطبعة في دور انتعاش بعد سنة ١٨٣٢م:

أولا: إنشاء المدارس، فمنذ أنشئت المطبعة توالى إنشاء المدارس مدرسة بعد أخرى فتحت مدارس الطب، الصيدلة، الكيمياء ثم المدارس الحربية على اختلاف أنواعها ومدارس الهندسة والزراعة واللغات وغير ذلك من أنواع المدارس. وهكذا اتسعت دائرة العمل بالمطبعة وتعددت أنواع مطبوعاتها فبعد أن كانت قاصرة على تعليمات الجيش وقوانينه أصبحت تشمل كتب المدارس.

ثانيا: نشاط حركة الترجمة وما كان من اهتمام محمد علي باشا بنقل الكتب من اللغات الأوروبية إلى اللغة العربية واهتمام الباشا بالترجمة مشهور فقد كان في مدارسه قلم خاص بترجمة الكتب الأوروبية التي تختص بما يُعلم في المدرسة من العلوم.

وما من شك في أن هذا النشاط الهائل في الترجمة قد أمد مطبعة بولاق بعدد لا ينضب معينه من الكتب التي سببت انتعاشها في سنة ١٨٣٣م أي بعد رجوع تلك الطائفة من المترجمين مباشرة.

ثالثا: تخصيص عدد من أعضاء البعثات لتعلم فنون الرسم والحفر والطباعة. وقد ورد ذلك في تقرير رفعه المسيو جومار مدير البعثة المصرية في باريس للجمعية الأسيوية عن البعثة الأولى التي أوفدها الباشا إلى باريس في سنة ١٨٢٦م فقد جاء في هذا التقرير ما ترجمته:

"يتعلم بعض الطلاب الرسم كتمهيد لتعلم حفر الخرائط وهندسة البناء والآلات والطبع على الحجر وهؤلاء هم الذين سيباشرون حفر لوحات كتب العلوم التي ستترجم إلى العربية وهم يتعلمون أيضا فن الطباعة[٧١]".

رابعا: زيادة آلات المطبعة بشراء خمس آلات جديدة من باريس في سنة ١٨٣١م مما ساعد على زيادة قدرة المطبعة الإنتاجية.

خامسًا: نجاح مشروعات محمد علي المالية والإدارية إلى سنة ١٨٣٠م فإن هذا النجاح سبب انتعاشها في كل مرافق الحياة المصرية وكانت المطبعة أحد هذه المرافق التي انتعشت بعد هذا النجاح الذي صادف الباشا في مشروعاته.

لهذه الأسباب دخلت مطبعة بولاق في دور انتعاش عظيم بعد سنة ١٨٣١م حتى أن مؤرخيها قالوا إن المدة بين ١٨٣٣م و ١٨٤٢م هي عصرها الذهبي في عهد محمد علي والفرق بين هذا العهد وعهدها السابق له أي منذ إنشائها إلى سنة ١٨٣٢م يتضح من إحصاء المطبوعات التي أصدرتها المطبعة:

عدد إصدارات المطبعة من ١٨٢٢م إلى ١٨٣٢م:

السنة	عدد إصدارات المطبعة	السنة	عدد إصدارات المطبعة
١٨٢٢م	١	١٨٢٨م	١٠.
١٨٢٣م	٣	١٨٢٩م	١
١٨٢٤م	٦	١٨٣٠م	٧
١٨٢٥م	٩	١٨٣١م	٧
١٨٢٦م	١٢	١٨٣٢م	٢
١٨٢٧م	٦		

فيتضح من هذا الإحصاء والخاص بإنتاج العهد الأول أنه ليس هناك زيادة مطردة في الإنتاج وأن عدد مطبوعات المطبعة ما كان يزيد في سنة إلا ليقل قلة فاحشة في التي تليها. على أن التقدم والرقي يتضحان من الإحصاء التالي وهو خاص بالعهد من سنة ١٨٣٣م إلى سنة ١٨٤٢م.

عدد إصدارات المطبعة من ١٨٣٣م إلى ١٨٤٢م:

السنة	عدد إصدارات المطبعة	السنة	عدد إصدارات المطبعة
١٨٣٣م	٨	١٨٣٨م	١٦
١٨٣٤م	٩	١٨٣٩م	١٧
١٨٣٥م	١٧	١٨٤٠م	٢٥
١٨٣٦م	١٨	١٨٤١م	٢٦
١٨٣٧م	١٨	١٨٤٢م	١٤

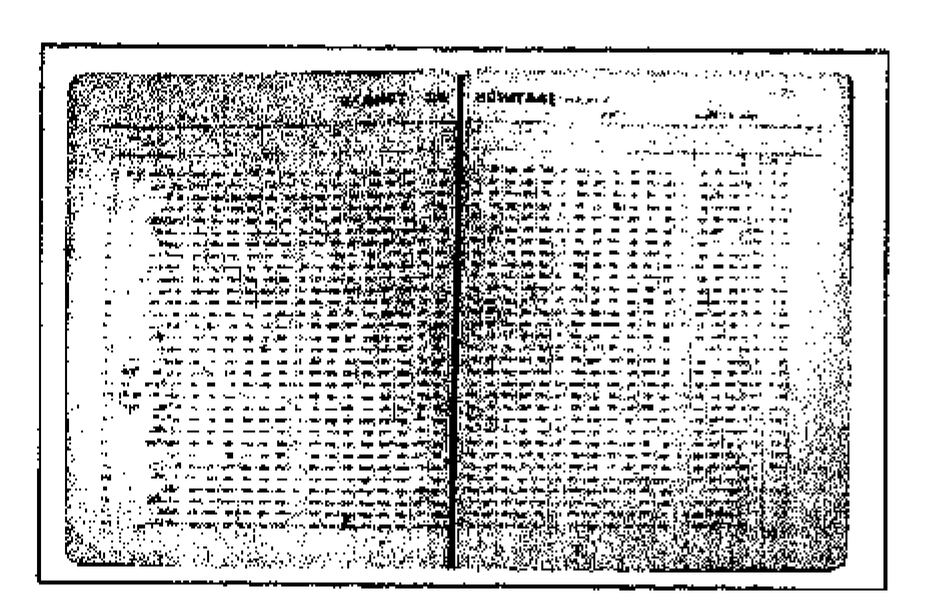
وواضح من هذه الأرقام أن هناك زيادة مطردة في الإنتاج، وأن هناك أيضًا كثرة في عدد المطبوعات تطرد من سنة لأخرى، وهذا دليل مادي ملموس على الانتعاش الذي صادفته المطبعة في ذلك العهد. فمجموع ما أصدرته المطبعة في العهد الأول وهو إحدى عشرة سنة هو ٦٤ كتابًا، أما مجموع ذلك في العهد الثاني وهو عشر سنوات فقط فهو ١٦٨ كتابًا. فإذا أضفنا إليها ١٣ كتابًا طبعت في هذا العهد ولكنها لم ترد في الإحصاء لأنها طبعت في تواريخ غير مؤكدة (إلا أن الثابت أنها طبعت جميعًا في سني ذلك العهد) كان مجموع ما أصدرته فيه هو ١٨١ كتابًا، ولهذا ما قلنا من أن العهد من سنة ١٨٣٣م إلى سنة ١٨٤٢م كان عهدًا ذهبيًا في تاريخ مطبعة بولاق .

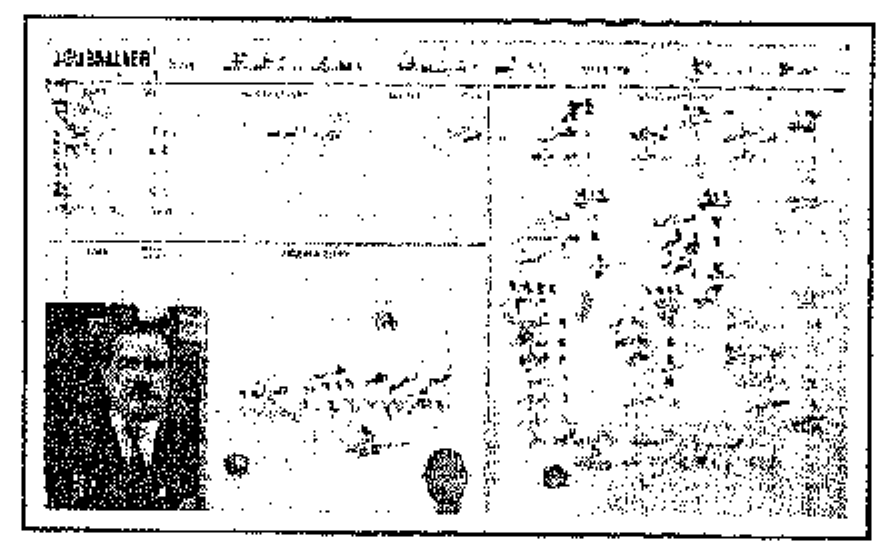
ونحن نلمس أيضًا انتعاش المطبعة في ذلك العهد من خلال الجدول التالي:

ميزانية المطبعة في سنة ١٨٣٣م و سنة ١٨٤٢م:

السنة	مصروفات المطبعة
١٨٣٣م	٣٥٠ كيسًا (أي ١٧٥٠ جنيهًا)
١٨٤٢م	١٣٨٦ كيسًا و١١٩قرشًا (أي ٦٩٢١ جنيهًا)

فمصروفات المطبعة في ميزانية الحكومة لسنة ١٨٣٣م بلغت١٧٥٠ جنيهًا على حين أن مصروفاتها في ميزانية الحكومة لسنة ١٨٤٢م بلغت ٦٩٢١ جنيهًا و١١٩ قرشًا وقد كتب أمام هذا المبلغ في مفردات الميزانية هذه العبارة: "لزوم تشغيل المطبعة" وورد ضمن مفردات هذه الميزانية مبلغ ٧٨,٧٨٩ كيسًا و١٩٩ قرشًا كتب أمامها "للماهيات" وهذا يظهرنا على أن المبلغ السابق ذكره أمام مصروفات المطبعة لم يكن إلا نفقاتها فقط من أثمان الورق والمداد ومستهلكات الآلات وما أشبه ذلك، أما مرتبات موظفيها وعمالها فتخرج عن هذا المبلغ وتدخل في باب "الماهيات" وهذا واضح في لفظة الماهيات (المرتبات) من غير تحديد مصلحة من المصالح مما يجعلها تشمل ماهيات (المرتبات) جميع موظفي الحكومة بشكل عام وأيضًا من عبارة "لزوم تشغيل المطبعة" وفيها عملية الطبع أظهر من مرتبات الموظفين وعلى ذلك تكون مصروفات المطبعة في سنة ١٨٤٢م قد زادت إلى أربعة أمثال ما كانت عليه في سنة ١٨٣٣م وهذا هو أكبر دليل على بيان ما للعهد المحصور بين هاتين السنتين من القيمة والأهمية في حياة مطبعة بولاق(شكل٤٨، ٤٩).





(شكل٤٨، ٤٩) دفتر المرتبات والأجور، ويرجع تاريخه إلى عام ١٨٨٧م، ويظهر به بيانات الحضور والغياب لموظفي المطبعة، وبالأسفل بطاقة أحد العاملين الأجانب بالمطبعة.

وينتهي دور الانتعاش في تاريخ المطبعة في سنة ١٨٤٣م حين تبدأ الدخول في دور جديد من الصعب وصفه وتحديده فلا نقول دور اضمحلال بل نقول دور خمود وفتور.

تدهور أحوال المطبعة

دخلت المطبعة في دور جديد من حياتها يستمر من سنة ١٨٤٣م إلى آخر عهد محمد علي، فقد انفردت من بين منشآت محمد علي بمكانة خاصة وقد نجحت في التخلص من تلك الأزمة الشاملة وقد يكون هذا دليلاً دامغًا على أهميتها وقيمتها؛ فلم تغلق المطبعة ضمن ما أغلق بل بقيت تعمل وتنتج وإن كانت قد تأثرت بالتيار السائد بعض التأثر، فقل إنتاجها بعض الشيء وقلت أنواعه وليس أدل على ذلك من بيان بعدد موظفيها وعمالها في سنة ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م وهي سنة متوسطة في العهد الذي نحن بصدده.

فهذا القدر الكبير من الموظفين والعمال يبين أن المطبعة كانت في العهد الأخير من عصر محمد علي تعمل وأن الأزمات المتلاحقة لم تؤثر فيها بالقدر الذي أثرت به في غيرها من المؤسسات والدور ويبقى أن كل ما نالها هو أن إنتاجها قد قل واقتصر على نوع واحد من الكتب وهو الكتب المدرسية ثم ما كان يلزم للحكومة من السجلات ومع ذلك فلم يكن هذا بالشيء القليل.

بيان بعدد موظفي وعمال المطبعة في سنة ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م

نوع الوظيفة أو العمل	عدد الموظفين	نوع الوظيفة أو العمل	عدد الموظفين
ناظر	١	رئيس مطبعة المصحف	١
معاون	١	موَضبين	٤
ملاحظ	١	سبَّاكين	٧
باشكاتب (رئيس الكاتبين)	١	مجلدين	٣٧
كتاب	٥	جدوَلجي	١
مصححين تركي	٢	فرِّيز أحرف (مصنف حروف)	١
مصححين عربي منهم باشمصحح (رئيس المصححين)	٢	موظفو مطبعة الحجر	٤
جَميع حروف فارسي	٣	جهادية (حارس)	٨
طابع فارسي	٣	بربري	٥
جمِّيع حروف عربي	٥	أنفار (عمال)	٧
طابعين	٢٤	نجار	١
برادين وحكاكين	٣	سقا ماء (عامل سقاية المياه)	١
راسم (مصمم)	٣	المجموع	١٣٦
مخزنجي (عامل مخازن)	٣		
خطاط	١		

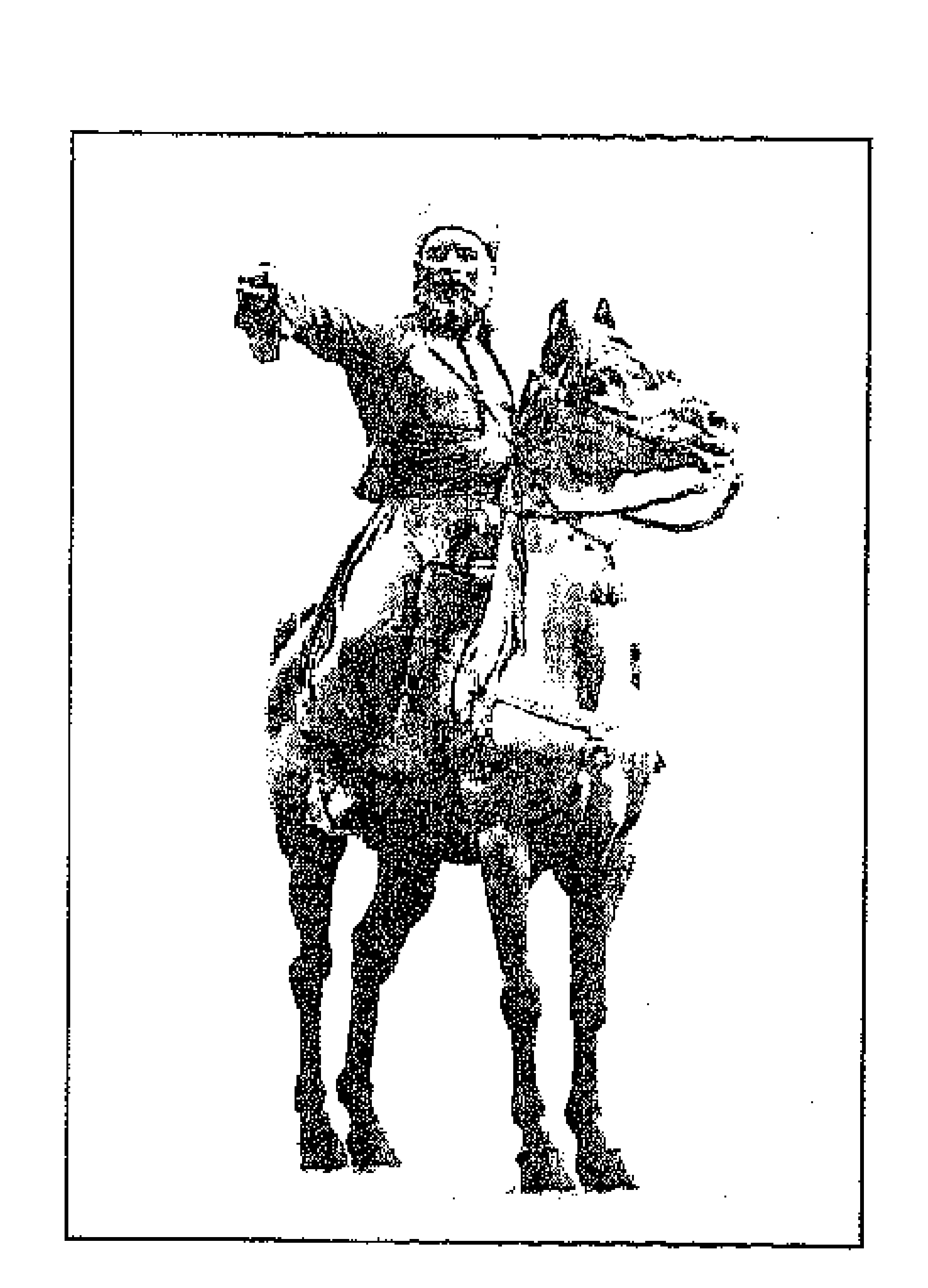
عهد الوالي عباس حلمي الأول

فتور النشاط بالمطبعة

تولى عباس الأول (شكل٥٠) حكم مصر وكان كثير من منشآت جده ومؤسساته لا تزال موجودة تؤدي وظيفتها، وكان عباس قد رأى مشروعات جده وما آل إليه أكثرها، فلقد حارب عباس باشا بجانب إبراهيم باشا (شكل ٥١) في الشام ورأى كل ما انطوت عليه تلك الحملة ثم رأى فشلها في النهاية وما ترتب على فشلها من ارتطام سياسة محمد علي كلها، فما كان منه إلا أنه أخذ يقيس كل شيء بعبارته المشهورة "ينفع أو لا ينفع" وقد دخلت معظم المشروعات في طائفة ما لا ينفع لا لشيء إلا لأنها كانت تحتاج إلى إنفاق المال وقد ترتب على ذلك أن سُرح الجيش، وأغلق ما بقي من المصانع، وألغيت جميع المدارس ولم يبق إلا مدرسة واحدة سماها "الأورطة المفروزة" وكانت مدرسة عسكرية وجعلها بالخانقاة، لكن تم استثناء مطبعة بولاق من كل ما سبق من الدور والمؤسسات، فلقد ظلت مفتوحة تعمل طول عهد عباس من غير انقطاع وقد طبع فيها في عهده بعض الكتب القيمة منها "مقامات الحريري" و"المستطرف" وقد طبعهما الشيخ التونسي على نفقته في مطبعة بولاق ثم "خطط المقريزي" في جزئين و"حاشية القسطلاني" في الحديث ولا شك في أن هذه الكتب الأربعة من أقوم وأهم الكتب التي أصدرتها المطبعة في مختلف عصورها. كان نشاط المطبعة مقصورًا على ما تحتاجه المدارس القليلة جدًا التي بقيت ثم على ما كانت مصالح الحكومية في حاجة إليه من السجلات والدفاتر والطوابع أما كتب الأدب وما شاكلها كان أكثر ما طبع منه على نفقة ملتزمين مثل "مقامات الحريري" و"المستطرف" و"خطط المقريزي" و"حاشية القسطلاني" وأقلها على نفقة الحكومة.



(شكل٥٠) الوالي محمد عباس حلمي، تأثر نشاط المطبعة كثيرًا في عهده، حيث أغلقت تمامًا وعلق نشاطها.



(شكل٥١) إبراهيم باشا بن محمد علي.



(شكل٥٢) الوالي محمد سعيد باشا. أغلقت المطبعة في عهده، ثم أوكل إلى علي بك جودت مهمة إحيائها لكنه فضل إهداءها إلى عبد الرحمن بك رشدي.

وليس أدل على قلة عناية عباس بمطبعة بولاق من أنها بقيت بغير ناظر مدة السنة الأولى من حكمه بالرغم من إلحاح مدير المدارس عليه في أمر تعيين ناظر فقد تُوفي حسين راتب آخر نظار مطبعه بولاق في عصر محمد علي في أواخر أغسطس سنة ١٨٤٨م أي قبل تولي عباس الأول الحكم بثلاثة أشهر وبعد ما يزيد على اثنى عشر شهرًا عُين علي جودت ناظرًا لمطبعة بولاق في ٩ سبتمبر سنة ١٨٤٩م وبقى متوليًا نظارتها بقية عهد عباس وصدر من عهد سعيد.

عهد الوالي سعيد باشا

كان سعيد (شكل٥٢) على عكس عباس مستنيرًا إلا أن سياسته نحو العلم والمعرفة لم تكن تختلف كثيرًا عن سياسة سلفه، فهو مثله لا يرى لنشر المعرفة ضرورة إذ كان نشرها بين الناس يجعل حكمهم أمرًا عسيرًا ومع ذلك فقد كان مهتمًا بالجيش لزعمه أنه على علم بفن الحرب؛ لهذا السبب سارت المطبعة في أوائل عهد سعيد كما كانت تسير في عهد عباس تعمل في نشاط محدود قاصر لا يعدو طباعة سجلات الحكومة وبعض الكتب القليلة التي كانت تلزم للمدارس القليلة الباقية مضافًا إلى ذلك بعض تعليمات الجيش وكتب الفن الحربي أما الكتب العلمية فلم تكن تطبع على نفقة الحكومة فما كان يطبع منها إلا ما كان طبعه على نفقة ملتزم مثال ذلك كتاب "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" تفسير الإمام أبي السعود محمد بن العمادي وكان طبعه في سنة ١٢٧٥هـ/١٨٥٨م وهو كتاب ضخم يقع في جزأين أولهما يحتوي على ٧٩٨ صفحة والثاني على ٦٩٨ صفحة، وقد طبع على نفقة كل من الحاج عبد الرحمن حافظ وإسماعيل أفندي حقي.

مشروع علي بك جودت لتنظيم المطبعة (وثيقة إصلاح المطبعة)

في ٢٠ أغسطس سنة ١٨٦٠م قرر سعيد باشا أن يطبع في مطبعة بولاق بعض الكتب على نفقة الحكومة، وأرسلت المعية إلى علي بك جودت ناظر المطبعة تُعْلمه بأنها "سترسل من ديوان المحافظة إلى المطبعة الكتب النافعة التي انتخبت لتطبع بظل الحضرة الفخيمة الخديوية ناشرة المعارف وهي ما بين العشرين إلى الثلاثين كتابًا" وجاء في خطاب المعية إلى الناظر "أن الحضرة الفخيمة الخديوية تأمر بأن يقدم لها كشف بالمقدار الصحيح الذي تحتاج إليه المطبعة من العمال زيادة على ما هو موجود فيها اليوم من حيث أن الجناب العالي المصحوب بالعناية تريد أن تكون المطبعة على أحسن نظام ومقارنة للتحسين التام".

وقد انتهز علي بك جودت هذه الفرصة ووضع تقريرًا إضافيًا اقترح فيه تنظيم المطبعة على أسس جديدة ويبدو من تقريره أن المطبعة كانت حينئذ في حالة سيئة جدًا إذ كانت آلاتها محطمة لا تصلح للعمل، وحروفها مكدودة لا تصلح للطبع، وعمالها في حالة من الغباء تمنعهم من أي إنتاج، كما يؤخذ من التقرير أن النظم التي كانت تسير عليها المطبعة كانت عتيقة لم يدخل عليها أي تعديل منذ ثلاثين أو أربعين سنة؛ أي أنها كانت نفس النظم التي بدأت بها المطبعة في عصر محمد علي وقد استغرق وضع هذا التنظيم وكتابة التقرير شهرًا تقريبًا فقد تسلم الناظر خطاب المعية في ٣٠ أغسطس وأرسل التقرير في ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٦٠م.

محتوى التقرير

تناول التقرير آلات الطبع وقد وصفها التقرير بأنها "قد عتقت وتكسرت وخربت بالرغم من ترميمها في معمل العمليات، فإنها لا تصلح للاستعمال بل هي باقية على حالتها الأولى، ثم تحدث التقرير عن حروف الطبع فقال إن العادة جرت بإعادة سبك الحروف كل أربع سنوات أو خمس سنوات وأن الحروف التي كانت موجودة تبلغ عشرة صناديق وهي الآن عتيقة وقديمة جدًا" وقد مضى عليها المدة المقررة لاستعمالها.

كذلك تناول التقرير موظفي المطبعة وعمالها من حيث العدد ومن حيث المرتبات والأجور فبين أنهم قليلون لا يمكن أن يفوا بحاجة العمل واقترح زيادة ما كانوا يتقاضونه من المرتبات والأجور. بدأ التقرير في تفصيل ما أُجمل بطائفة المصححين فذكر أنه كان في المطبعة فرقتان من المصححين يشتملان على خمسة من المصححين، ثم علّق التقرير على طبقة الرسامين الذين يحفرون رسوم الكتب على الحجر وتبعًا لما جاء في التقرير كان بالمطبعة ثلاثة رسامين " اثنان منهم ما أمكنهما أن يتفوقا في صنعة الرسم على الحجر وقد فُصلا من العمل في الترتيب الذي عمل في المرة السابقة "، من ناحية أخرى تحدث التقرير عن أجور الطبع وبدأ بأجور طبع الكتب وقد كان النظام الموجود حينئذ وفئات الأجور هي نفس ما كان متبعًا في عهد محمد علي وقد كان ثمن طبع الكتب الحكومية أقل بكثير من ثمن طبع كتب الملتزمين وهي في الحالتين كما يلي:

رسوم طبع الكتب على نفقة الملتزمين[٧٢]

العدد	بارة	قرشًا
ألف ورقة لأربعمائة نسخة	–	٤٥
ألف ورقة لخمسمائة نسخة	٢٠	٣٢
ألف ورقة لستمائة نسخة	–	٣٢
ألف ورقة لثمانمائة أو ألف أو أكثر من النسخ	–	٢٥

رسوم طبع الكتب على نفقة الحكومة

العدد	بارة	قرشًا
من ورقة واحدة إلى مائة ورقة	٢٠	٠٢
من مائة ورقة إلى ألف ورقة	–	١٦

ثم تناول التقرير أثمان طبع الدفاتر والسراكي والأوراق وكلها تطبع لحساب الحكومة وهي كما يلي :

رسوم طبع الدفاتر والسراكي والأوراق

العدد	بارة	قرشًا
دفتر مكون من ألف ورقة	٣٠	٨
سركي مكون من ألف ورقة	١٥	٤
ألف ورقة من الأوراد	..	٢

أما عن نظام محاسبة من يجمعون الحروف فإن التقرير أوضح أن جماعي الحروف كان يطبق عليهم نظام العمل مقابل أجر أيضًا فيعطون الأجر على قدر الصفحات التي يجمعونها ولكنهم لم يكونوا يجمعون الحروف بأيديهم بل يجمعها تلاميذ ويقتصر عملهم على الضبط والإصلاح ولم يكن لهؤلاء التلاميذ أجر من المطبعة بل أن كل جامع حروف يقدر أجر التلاميذ الذين يعملون معه ويعطيهم أجرهم مما أخذ من مقدار المقاولة.

هكذا انتهى التقرير الذي أعده علي بك جودت، ويعتبر هذا التقرير بمثابة "وثيقة الإصلاح" في قاموسنا المعاصر، حيث تعرض لكل تفاصيل العمل في المطبعة، وما يحتاجه نظام العمل لتطويره وتحديثه حتى تستطيع أن تستمر المطبعة في رسالتها.

عندما عُرض التقرير على العتبة السنية أمر بتأجيل الموضوع وإبقاء ما كان مؤقتًا إلا أن سعيد باشا أضمر للمطبعة أمرًا.

كان سعيد في أزمة مالية وكانت مطبعة بولاق بابًا من أبواب الصرف فلجأ إلى سياسة إغلاق مؤسسات الحكومة وتوفير للمال، فقرر إغلاقه مطبعة بولاق والاستغناء عنها، فأغلقت فترة من عهده إلى أن أنقذها منه رجل من رعيته.

ففي ١٨ يوليه سنة ١٨٦١م كان سعيد باشا في بنها ومن هناك كتب إلى ناظر المالية يقول:

"قد عرض لدينا مفصلات إنهاكم الرقيم ١٩ ذو الحجة سنة ٧٧ نمرة ١٩٠ بخصوص ما هو جاري في طبع كتب الملتزمين بمطبعة الميري وما استنسبتم أجراه من الآن فصاعدا وحيث كان القصد من إيجاد وتنظيم المطبعة هو لطبع الكتب وتكاثرها في الجهات للانتفاع بها والآن تواجد جملة مطابع وجاري الطبع فيهم وبهذا السبب صارت مزية مطبعة الميري قاصرة على طبع الوقايع ولكونها ليست ضرورة فاقتضت إرادتنا لغو المطبعة المذكورة وتسوية متأخراتها ورفت خدماها إنما إذا كان نوحي أفندي ناظرها أو أحد من الأهالي يطلب آلات من موجداتها لطبع كتب على ذمته من دون مدخل للميري في أرباحها ولا مصروفاتها فيصرح لمن يرغب لذلك وأصدرنا أمرنا هذا إليكم للأجري حسبما اقتضته إرادتنا".

"حاشية: أما إذا كان نوحي أفندي لا له رغبة في إدارة المطبعة المذكورة على ذمته بشرط يكون الأرباح وحدها له دون مدخل الميري في ذلك ولا في الخدمة ولا في المصروفات فيصير تحويله على الأطيان أسوة أمثاله وأما الدفاتر والسراكي التي كانت تطبع بالمطبعة فما يكون منها ممكن جدولته بطرف الكتبية يصير جدولته وتجليده بالأجرة واللازم طبعه يطبع مطابع الجهات المرتبة فيها وأن الأحجار والأدوات اللازمة لذلك تؤخذ من المطبعة وتحفظ في مطابع الجهات فبذا لزم التحرير."

بعد أسبوع واحد من صدور الأمر بإغلاق مطبعة بولاق يتبين ناظر المالية أن دفاتر الدواوين والمصالح الأميرية لسنة ١٢٧٨هـ لم يكن قد تم طبعها بعد وأن إرسال الورق إلى "مطابع الجهات" أو "الكتبية" يستغرق وقتًا طويلاً ويؤدي إلى تعطيل أعمال الحكومة وعلى ذلك يلتمس من سعيد باشا إبقاء المطبعة بصفة مؤقتة إلى أن يتم طبع ما كان جاريًا طبعه من الكتب والدفاتر ثم يعاد إغلاقها فيوافق الوالي على ذلك.

وعلى ذلك يمكن أن نعتبر المطبعة مغلقة من الناحية الرسمية مع استمرار العمل بها بصفة مؤقتة إلى أن يتم ما كان جاريًا طبعه بها من كتب الميري وكتب الملتزمين واستمرار طبع ما كان بها من دفاتر الدواوين مدة عملها في طبع الكتب المشار إليها أما ما يجد من الأعمال الحكومية من دفاتر وأوراق تمغة وعرضحالات فيطبع في مطبعة المحافظة مع تزويدها بما ينقصها من الحروف والآلات من مطبعة بولاق.

وعلى ذلك تكون مطبعة بولاق قد عطلت مدة عام تقريبًا من ١٨ يوليه سنة ١٨٦١م إلى ١٩ أغسطس سنة ١٨٦٢م من الناحية الرسمية، ولكنها بقيت مفتوحة تعمل في طبع بعض الكتب والدفاتر بعضًا من هذه الفترة لا يمكن تحديده على وجه الدقة ونحن نذهب إلى أن تعطيلها من الناحية الرسمية فقط أما حركة العمل بها فلم تقف مطلقًا.

إهداء المطبعة إلى عبد الرحمن باشا رشدي

عادت المطبعة إلى العمل في أغسطس سنة ١٨٦٢م على أن يعاد تعطيلها بعد الانتهاء من طبع الكتب العسكرية التي كانت الحاجة إليها أو الرغبة في طبعها سببًا في إعادة فتح المطبعة ولكن قبل أن تنتهي المطبعة من طبع تلك الكتب تدخل في مرحلة أخرى من تاريخها إذ يهديها سعيد باشا إلى عبد الرحمن بك رشدي (شكل٥٣) مدير الوابورات الميرية–أي مدير مصلحة



(شكل٥٣) عبد الرحمن رشدي صاحب مطبعة بولاق من ١٨٦٢م إلى ١٨٦٥م.

السكة الحديد في حياتنا المعاصر[٧٣]-بالبحر الأحمر وكان ذلك في ١٣ ربيع الثاني سنة ١٢٧٩هـ/٧ أكتوبر سنة ١٨٦٢م. كان هذا الإهداء يتضمن المطبعة بكل ما يتعلق بها من عقار وعدد وآلات كما يتضح من الأمر العالي الصادر إلى نظارة المالية والذي تم به الإهداء وفيه يقول سعيد باشا:

"قد سمحت إرادتنا بإعطاء مطبعة بولاق إنعامًا إلى عبد الرحمن رشدي بك مدير الوابورات الميرية بالبحر الأحمر بما فيها من الأدوات والآلات مثل ملازم طبع الحروف وملازم طبع الحجر والحروف الرصاص والأمهات والأبهات وغيره وهو يجري تشغيل سائر ما كان جاري تشغيله بها وما يستجد من قوانين عسكرية ودفاتر وخلافه لزوم المصالح الميرية وثمن الورق والحبر الموجود بها يقيد عليه عهدة وكذا كتاب "تحف الطيب" الجاري تشغيله على ذمة الميري يعطي إليه بتكاليفه بدون أرباح وبدون ضم ثمن النسخة الأصلية على المطبوع والأشغال التي باليد يصير تقديرها بمعرفة أهل الخبرة لأجل عند تمام الشغل واحتسابه إليه يخصم قيمة ذلك منه ويتقيد عليه عهدة أيضًا ويسدد أثمان الورق والحبر والكتاب المذكور شيئًا فشيئًا من الذي يصير مطلوب له من المشغولات التي تشغل فيلزم بوصول أمرنا هذا إليكم تجرون تسليم المطبعة المذكورة إليه على الوجه المشروح ويتحرر له الآن اللازم بتحرير الحجة التي تلزم بامتلاكه العقار أيضًا ليكون ذلك سببا لاتساع معاشه كما اقتضته إرادتنا".

ويتضح من الأمر أيضًا أن إهداء المطبعة إلى عبد الرحمن رشدي كان على شكل امتلاك مطلق ولم تكن تعهدًا أو التزامًا أو ملك انتفاع وقد كان من نظام الحكومة المصرية أيام سعيد أن يتعهد بعض الأفراد ببعض المصالح أو المصانع مدة محدودة من السنين بشروط محدودة يكتب بها جميعًا عقد اتفاق بين المتعهد والحكومة وقد حدث ذلك في الكاغدخانة "مصنع الورق" فقد تعهد بها رجل مدة سبع سنوات بمقتضى شروط منها أن يدفع عنها إيجارًا للحكومة وأن يدفع العُشر عما ينتج في المصنع إلى غير ذلك من التعهدات التي حرر بها اتفاق بين الحكومة والمتعهد، واشترط أيضًا أنه بعد انتهاء السنوات السبع تصبح الكاغدخانة ملكًا للحكومة ولا يتقاضى المتعهد أي ثمن، ولكن استيلاء عبد الرحمن رشدي -على حد تعبير أبو الفتوح رضوان- على مطبعة بولاق لم يكن من قبيل هذا النوع من التعهد وإنما كان امتلاكًا مطلقًا له أن يتصرف فيها بالبيع أو الرهن أو غيرهما من أنواع تصرف الإنسان في ملكه الخاص. وهذا واضح من الأمر السابق عرضه بالإنعام بها عليه وثابت أيضًا مما جاء في آخر حاشية الطحطاوي على "مراقي الفلاح في مذهب الإمام أبي حنيفة" وهو أول كتاب طبع بالمطبعة بعد إحالتها إلى عبد الرحمن رشدي فقد ورد في آخر الكتاب ما نصه:

"يقول أفقر عباد الله وأحقر عبيد مولاه المعترف بالعجز عن شكر ما إليه سيده يسدي عبد الرحمن بك رشدي صاحب دار الطباعة المذكورة..."

على هذا النحو تحولت مطبعة بولاق إلى مطبعة خاصة بفرد من الأفراد وانقطعت تبعيتها للحكومة وتغير اسمها فبعد أن كانت مطبعة بولاق الميرية أصبحت "مطبعة عبد الرحمن رشدي ببولاق" ونحن لا ندري سببها معقولًا لهذا الإهداء الغريب.

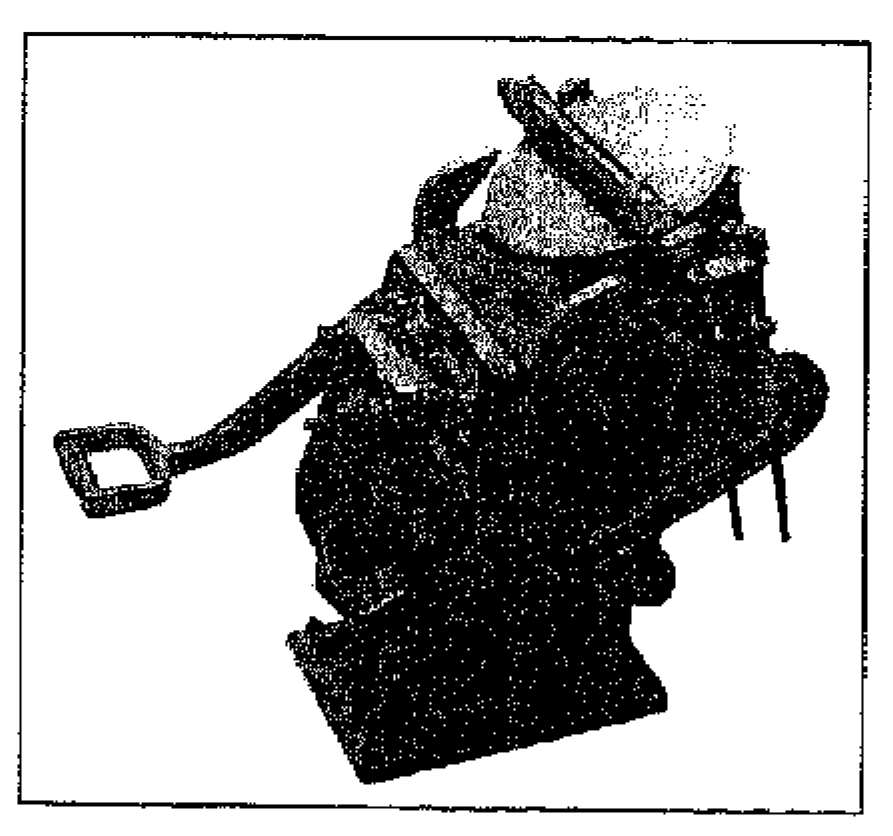
المطبعة في عهد عبد الرحمن باشا رشدي

رأى عبد الرحمن رشدي أنه لا يمكن إدارة المطبعة بمفرده، بالإضافة إلى أعمال وظيفته، لذلك طلب من سعيد أن يأمر ببقاء حسين أفندي حسني (حسين باشا فيما بعد) وكيل أشغال المطبعة والشيخ حسن محمد رئيس الكَتَبة والشيخ محمد قطة العدوي رئيس المصححين بالمطبعة معه وقد أجاب سعيد باشا ذلك الأمر.

إعادة اكتشاف المطبعة

لم يعين عبد الرحمن رشدي ناظرًا للمطبعة بل تولى هو إدارتها فكان هو صاحبها وناظرها مدة السنتين والأربعة الأشهر التي تَملك المطبعة في أثنائها، ولأول مرة كان لمطبعة بولاق مستشار فني هو"أنطوان موريه"صاحب المطبعة الفرنسية بالإسكندرية وهو رجل فرنسي كان على جانب عظيم من الكفاءة، ولقد استقدمه عبد الرحمن رشدي إلى المطبعة وكلفه بإصلاحها وإعدادها بما يلزمها من الآلات الحديثة، وكان بجانبه أيضًا حسين أفندي حسني، الذي كان "مأمور تنظيم المطبعة" ثم لما آلت إلى عبد الرحمن رشدي صار وكيلًا لها بموافقة سعيد باشا.

جدد عبد الرحمن باشا رشدي آلات المطبعة فاشترى لها بإرشاد موريه آلات حديثة للطبع من باريس وهي آلات ألوزيه(شكل٥٤)، حيث



(شكل٥٤) ماكينة الطباعة "ألوزيه" وهي صناعة فرنسية.

زادت من إنتاجها حتى لقد فاقت في عهده غاية ما وصلت إليه من التقدم في عهودها السابقة إلا أن آلاتها ظلت تدار باليد كما كانت من قبل.

أما حالة المطبعة في عهد عبد الرحمن باشا رشدي فقد كانت على جانب عظيم من النشاط، فلقد أصدر عبد الرحمن رشدي عددًا كبيرًا من كتب الآداب التي كان قد انقطع صدورها من بولاق من مدة طويلة، ونشاط الرجل في إحياء المطبعة لا يُنكر وينبغي أن يعترف التاريخ له بهذا الفضل، فقد أحدث في المطبعة على فقره بما عجز عنه عباس وسعيد على غناهما واقتدراهما؛ فالمطبعة في أيامه كانت على درجة كبيرة من نشاطها مثلما كانت في عهد محمد علي مع فرق ما بين الاثنين في الغنى والفقر والعجز والاقتدار ويكفي أن الرجل أعاد إلى المطبعة روحًا كانت قد افتقدتها منذ زمن طويل .

علاقة الحكومة بمطبعة عبد الرحمن رشدي

كانت الحكومة المصرية تطبع ما تحتاج إلى طبعه في أثناء تبعية المطبعة لعبد الرحمن بك رشدي إما في مطابعها الخاصة الصغيرة كمطبعة المحافظة بالقاهرة أو مطابع المديريات، وإما في مطبعة بولاق ذاتها بالثمن. وهناك من القرائن ما يحملنا على القول بأن الحكومة قد استغنت في أثناء تبعية المطبعة لعبد الرحمن بك رشدي عن مطابعها الخاصة الصغيرة فقد عطلت مطبعة المحافظة- محافظة القاهرة اكتفاء بتشغيل ما يلزم للحكومة في مطبعة رشدي ببولاق واستمر الحال كذلك في أوائل عهد إسماعيل قبل أن تؤول المطبعة إلى الدائرة السنية.

عبد الرحمن رشدي والوقائع المصرية

أوقف سعيد باشا إصدار الوقائع المصرية منذ أن فكر في إلغاء مطبعة بولاق بحجة أنها "ليست ضرورية"، لكن عندما قرر الخديوي إسماعيل إعادة إصدار "الوقائع المصرية" في ٢٦ يناير سنة ١٨٦٤م أمر بطبعها في مطبعة عبد الرحمن رشدي على نفقة الحكومة وقد تم طبع أول عدد بمطبعة عبد الرحمن رشدي ببولاق في أوائل فبراير سنة ١٨٦٣م ففي الثامن منه كتب عبد الرحمن رشدي إلى المعية يقول: "لقد ازدانت المطبعة بطبع العدد الأول من جريدة"روزنامة وقائع مصرية "بمعرفة هذا العاجز بإذن من لدن الحضرة الخديوية الشريفة وإني لوطيد الأمل في أن تصدر من الآن في كل أسبوع بانتظام".

كان النظام المتبع في طباعة الوقائع هو أن ينفق عبد الرحمن رشدي على الوقائع من ماله الخاص كجزء من عمل المطبعة وكان إنفاقه يشمل مرتبات موظفي قلم الوقائع والمترجمين، وكذلك نفقات سفر من يجمعون الأخبار، وأجور ما يستخدمونه في ذلك من العربات، وكذلك أثمان الورق وأجور الطبع وغير ذلك، ثم يقوم هو بتوزيعها ويحصل أثمانها، ثم يحسب النفقات ويخصم منها ما جمعه من بيع الوقائع ويطالب الحكومة بهذا الفرق فيصرف له فإذا دفعت الحكومة مرتبات بعض الموظفين قيدت عليه "عهدة" وتخصم في النهاية مما يكون له من مستحقاته لدى الحكومة المصرية، ولم يكن يحاسب الحكومة عن كل عدد بل إن أول مرة يتم فيها هذا الحساب كان بعد قرابة عشرة أشهر من إصداره الوقائع ويؤخذ من حساب هذه الشهور العشرة أن صافي المصروفات على الوقائع والوارد من بيعها في هذه المدة كما يلي:

حساب الوقائع من ٢٦ يناير إلى ٨ سبتمبر سنة ١٨٦٤م

البيان	قرش
جملة المنصرف بما في ذلك مرتبات مستخدمي قلم الوقائع وتنقلات جامعي الأخبار، وإدارة الوقائع وطبعها	٣٠٥،٠٧٤
مجموع أثمان ما جرى بيعه من أعدادها.	٢٨،٧١٥
متصرف من المالية لأرباب قلم الوقائع ومقيد عهده طرفه (طرف عبد الرحمن رشدي).	١٠٧،٥٠١
جملة ما تسلمه عبد الرحمن رشدي	١٣٦،٢١٦
الباقي و قد دفعته الحكومة	١٦٨،٨٥٨

استمر عبد الرحمن رشدي يصدر الوقائع إلى أن انتقلت المطبعة من ملكيته في فبراير سنة ١٨٦٥م، وقدم إلى الحكومة حسابًا عن المدة الباقية وهي أربعة أشهر من ١٠ سبتمبر سنة ١٨٦٤م إلى ٦ يناير سنة ١٨٦٥م وكانت كما يلي:

حساب الوقائع من ١٠ سبتمبر سنة ١٨٦٤م إلى ٦ يناير سنة ١٨٦٥م

بارة	قرش	البيان
	٢٩ , ٠٥٥	ثمن ورق وأجرة طبع الوقائع
٣٠	٥ , ٣٨٣	حصلها أجرة إعلانات من الشركة الزراعية وثمن ما تم بيعه من النسخ.
–	٥ , ٦٢٨	ثمن نسخ مباعة ولم يحصل ثمنها بعد.
٣٠	١١ , ٠١١	جملة الإيراد الفعلي والمنتظر تحصيله.
١٠	١٨ , ٠٤٣	الباقي وقد دفعته الحكومة له.

هكذا تولى عبد الرحمن رشدي إصدار الوقائع مدة أربعة عشر شهرًا من ٢٦ يناير سنة ١٨٦٤ إلى ٦ يناير سنة ١٨٦٥م، وكان جملة ما دفعته الحكومة تغطية لعجز إيرادها في تلك المدة مبلغ ٢٩٤٤ جنيهًا بالإضافة إلى مرتبات موظفي قلم الوقائع والمصروفات السائدة في الأربعة الأشهر الأخيرة منها وهو حوالي ٨١٤ جنيهًا تقديرًا على ما أنفق في ذلك في أثناء العشرة الأشهر الأولى.

هكذا انتهى عهد سعيد باشا وكانت مطبعة بولاق قد تحولت إلى مطبعة خاصة وانقطعت صلتها بالحكومة وتحولت الحكومة المصرية من مالكة للمطبعة إلى مجرد عميل من عملائها، وتظل المطبعة على هذه الحالة هكذا لمدة سبع عشرة سنة أخرى يتغير في أثنائها المالك ولا ينبغي أن نختم هذا الفصل قبل أن نسجل فضل عبد الرحمن رشدي بك على مطبعة بولاق.

عهد الخديوي إسماعيل

(انتقال المطبعة إلى الدائرة السنية)[٧٤]:

ظلت المطبعة ملكًا لعبد الرحمن رشدي بك من تاريخ منحها له في ٧ أكتوبر سنة ١٨٦٢م إلى ٧ فبراير سنة ١٨٦٥م، ففي هذا التاريخ اشترى الخديوي إسماعيل(شكل ٥٥) المطبعة من عبد الرحمن رشدي باسم ابنه الأمير إبراهيم حلمي في مقابل عشرين ألف جنيه وضمها إلى الدائرة السنية ولم يجعل للحكومة علاقة بها، وبذلك تدخل المطبعة ابتداءً من ٧ فبراير سنة ١٨٦٥م في طور جديد من تاريخها وهو عهد تبعيتها للدائرة السنية وهو كالعهد السابق له لم تكن المطبعة فيه ملكًا للحكومة، وكما كانت في العهد الأول ملكًا لعبد الرحمن رشدي كانت في الثاني ملكًا لدائرة الأنجال وتغير اسمها في ذلك العهد فأصبحت تسمى "المطبعة السنية ببولاق" أو "مطبعة بولاق السنية" وليس استيلاء إسماعيل على مطبعة الحكومة بأقل غرابة من تنازل سعيد عنها من قبل.

يعتبر العهد الذي بدأ من ٧ فبراير سنة ١٨٦٥م وهو عهد التبعية للدائرة السنية من أزهى عهود مطبعة بولاق فما كادت المطبعة تؤول إلى الدائرة في رمضان سنة ١٢٨١هـ/فبراير سنة ١٨٦٥م حتى واصلت نشاطها فأصدرت في رجب سنة ١٢٨٢هـ/ ديسمبر سنة ١٨٦٥م كتاب "حاشية المجمل" الذي طبع بالمطبعة على نفقة الدائرة وعرض للبيع وتوالى إصدار المطبعة للكتب النفيسة من ذلك التاريخ بغير انقطاع وبشكل مطرد.



(شكل ٥٥) الخديوي إسماعيل اشترى المطبعة من عبد الرحمن بك رشدي، وضمها إلى دائرة الأنجال السنية. ويعتبر عهده هو فترة ازدهار المطبعة.

تجديد آلات المطبعة

استهلت المطبعة عهدها الجديد بإصلاح وتجديد آلاتها وذلك بعد شهرين فقط من ضم المطبعة إلى الدائرة السنية، فقد كان إسماعيل أفندي رئيس مهندسي العمليات في جولة عمل في أوروبا فأرسل إليه الخديوي أمرًا في ٣ إبريل سنة ١٨٦٥م يقول فيه:

"بما أنكم أنتم الآن موجودين بأوروبا فيلزم أن تمروا على المطابع المشهورة بالجهات التي تكونوا بها الجاري إدارات تشغيلها بواسطة الوابورات وتتفرجوا فيها وتمعنوا النظر في جميع آلاتها وأدواتها وكيفية إدارتها وإن أمكن تأخذوا رسوماتها اللازمة وتحرروا تقريرًا يكون مشتملاً عليه ما شاهتموه بالمحلات المذكورة من التحسينات والتسهيلات حتى أنكم بمشيئة الله تعالى عند رجوعكم من هناك ننظر في ذلك ويجري المقتضى".

وقد قام إسماعيل أفندي بما كُلف به وأحضر الرسوم ولما عاد قدم ما معه من المعلومات والرسوم والاقتراحات وأُحيل ذلك إلى ناظر المطبعة فناقشها معه واتفقا على ما يلزم لها من الآلات المحركة وغيرها.

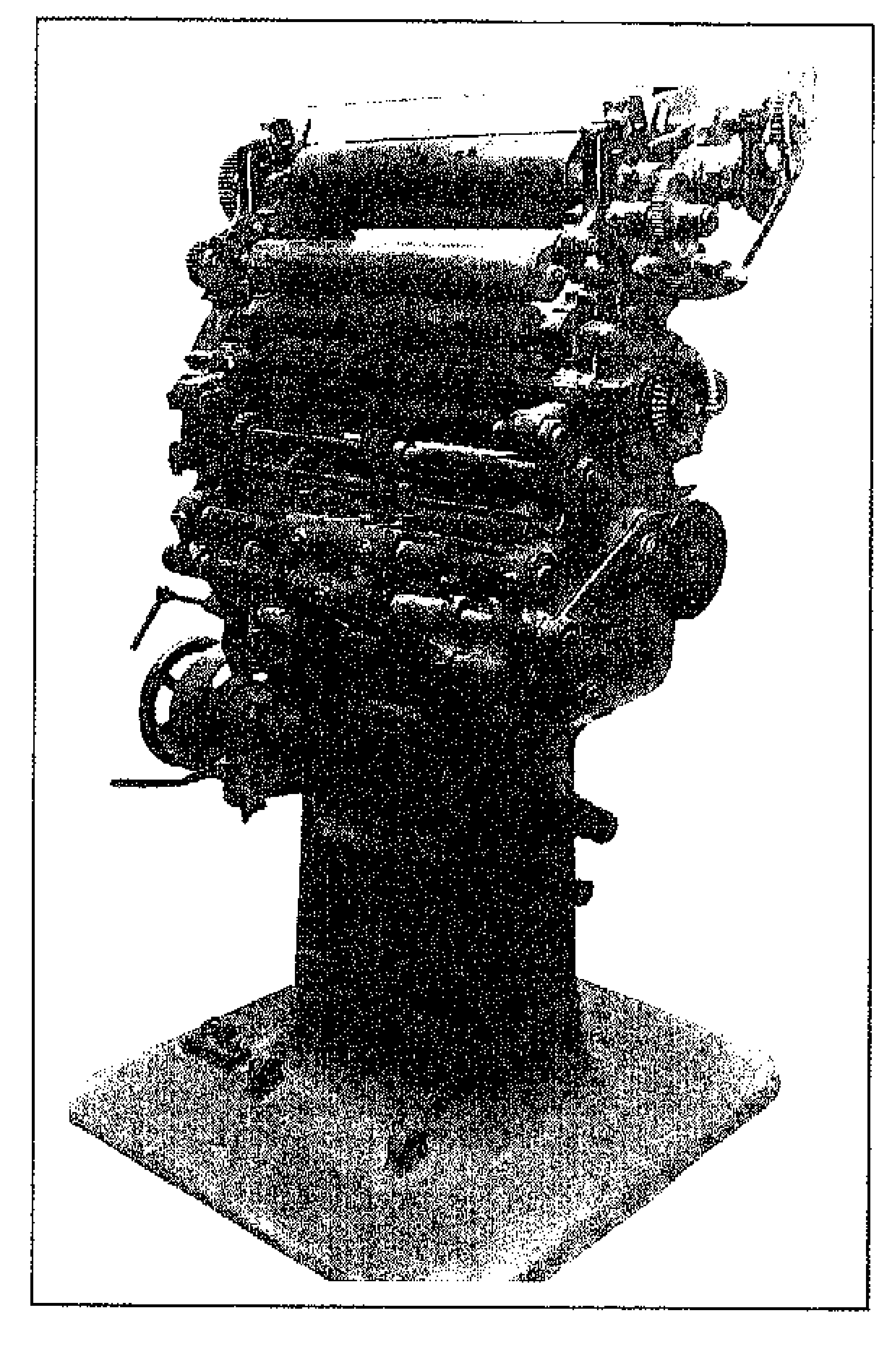
وقد سافر ناظر المطبعة لهذه المهمة إلى باريس في يناير سنة ١٨٦٧م، حيث اشترى محركًا بخاريًا لإدارة آلات المطبعة كان أول ما دخل من نوعه في مصر كما ورد في دفاتر المطبعة وقد وصل هذا المحرك إلى المطبعة في إبريل سنة ١٨٦٧م.

في سنة ١٨٦٦م أمر الخديوي إسماعيل بشراء آلات جديدة للمطبعة، فقد أراد الخديوي إسماعيل أن تزود المطبعة بآله لطبع "الرسومات والأشكال والخرائط الجغرافية فأصدر أمرًا شفويًا إلى ناظر المطبعة بجلب هذه الآلة، كان هذا النوع من آلات يمتلكها رجل فرنسي اسمه ونجونس "ويطبع فيها الرسومات المذكورة بجميع الألوان وكذا تطبع فيها حروف مثل الماكينات العادية فاشتراها بخمسمائة بنتو"[٧٥] واشترط الخديوي أن يقيم ونجونس في المطبعة شهرًا ليدرب اثنين أو ثلاثة من الطباعين الموجودين بالمطبعة على استعمالها وقرر الخديوي أن يدفع له الثمن على دفعتين الأولى قدرها مائتان وخمسون بنتو وتدفع له مقدمًا والثانية وقدرها ثلاثمائة بنتو وتدفع له بعد مضي الشهر وتدريب العمال على استخدامها، مع دقة الاعتناء والالتفات لتدريبهم على تشغيلها للحصول على كفاءة إنتاجية.

ومن الآلات التي استحدثت بالمطبعة في عهد الدائرة السنية أيضًا آلتان لترقيم تذاكر السكك الحديدية، وردتا في سنة ١٨٦٧م وعين عليهما موظف خاص بملاحظتها وتشغيلها وفي سنة ١٨٦٩م اشتريت آلة لعمل ظروف الخطابات(شكل٥٦).

تجديد حروف الطبع

لم يقتصر تجديد المطبعة في عهد الدائرة السنية على شراء آلات ومحركات بخارية فحسب، بل تعداه إلى حروف الطبع وقد سبق القول بأن حروف المطبعة في أول عهد عبد الرحمن بك رشدي كانت قد تآكلت من طول ما استعملت وفسد رونق المطبوع بها، ثم جُددت حروف الطبع فعاد للمطبوعات رونقها، ولم يقتصر الأمر على صب حروف على الأمهات القديمة بل أنشئت قاعدة جديدة رفيعة في غاية الجمال والرونق. وقد كتب هذه القاعدة خطاطٌ اسمه حسني[٧٦]. وصنع آباءها وحفر أمهاتها عبد الله خيرت حكاك المطبعة وكان ذلك في سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧٢م



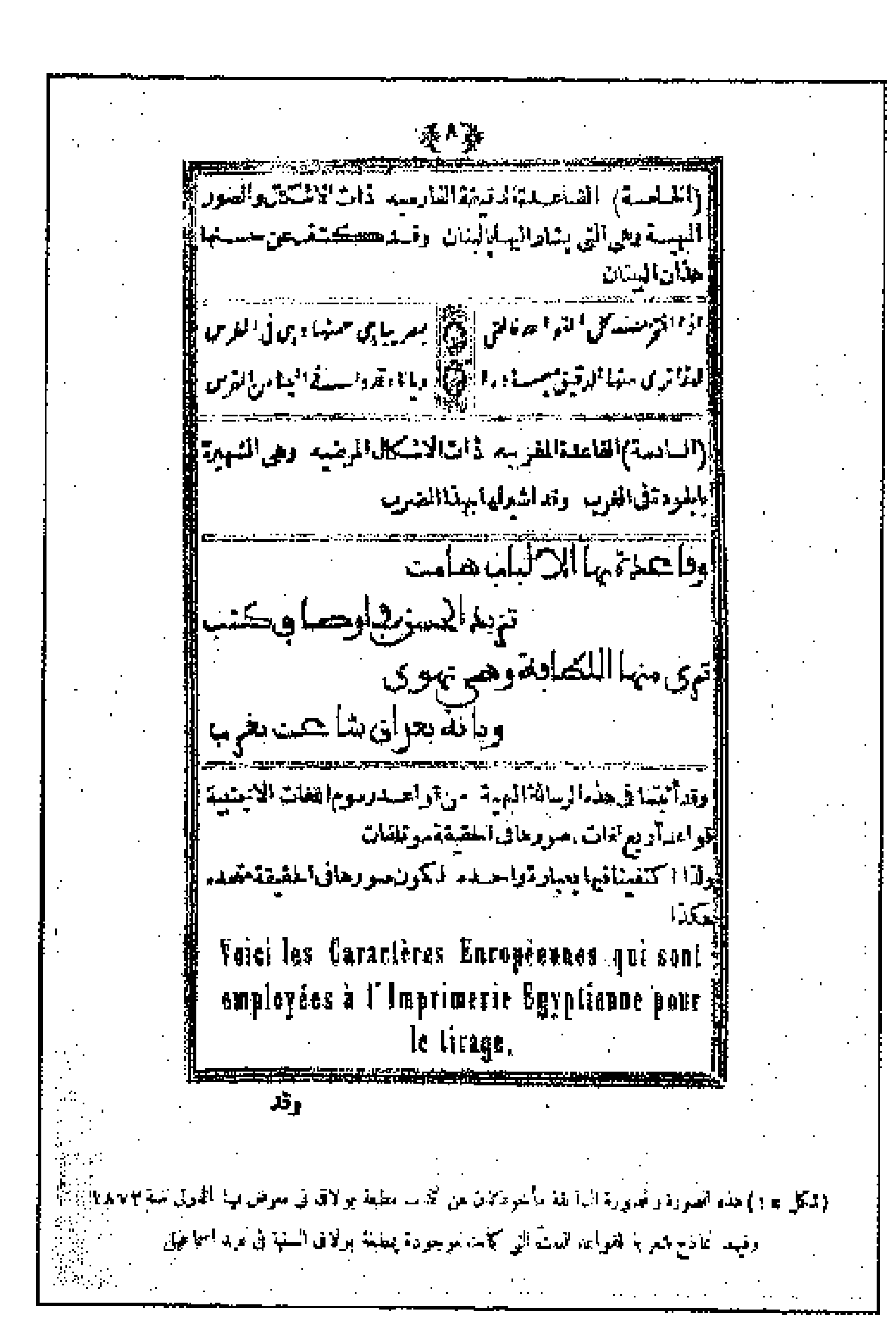
(شكل٥٦) ماكينة طبع الظروف (صناعة إنجليزية موديل ١٩٠٢م).

وقد ورد في وصف هذه القاعدة في دفتر استحقاقات المطبعة لتلك السنة ما يظهرنا على دقتها وجمالها.

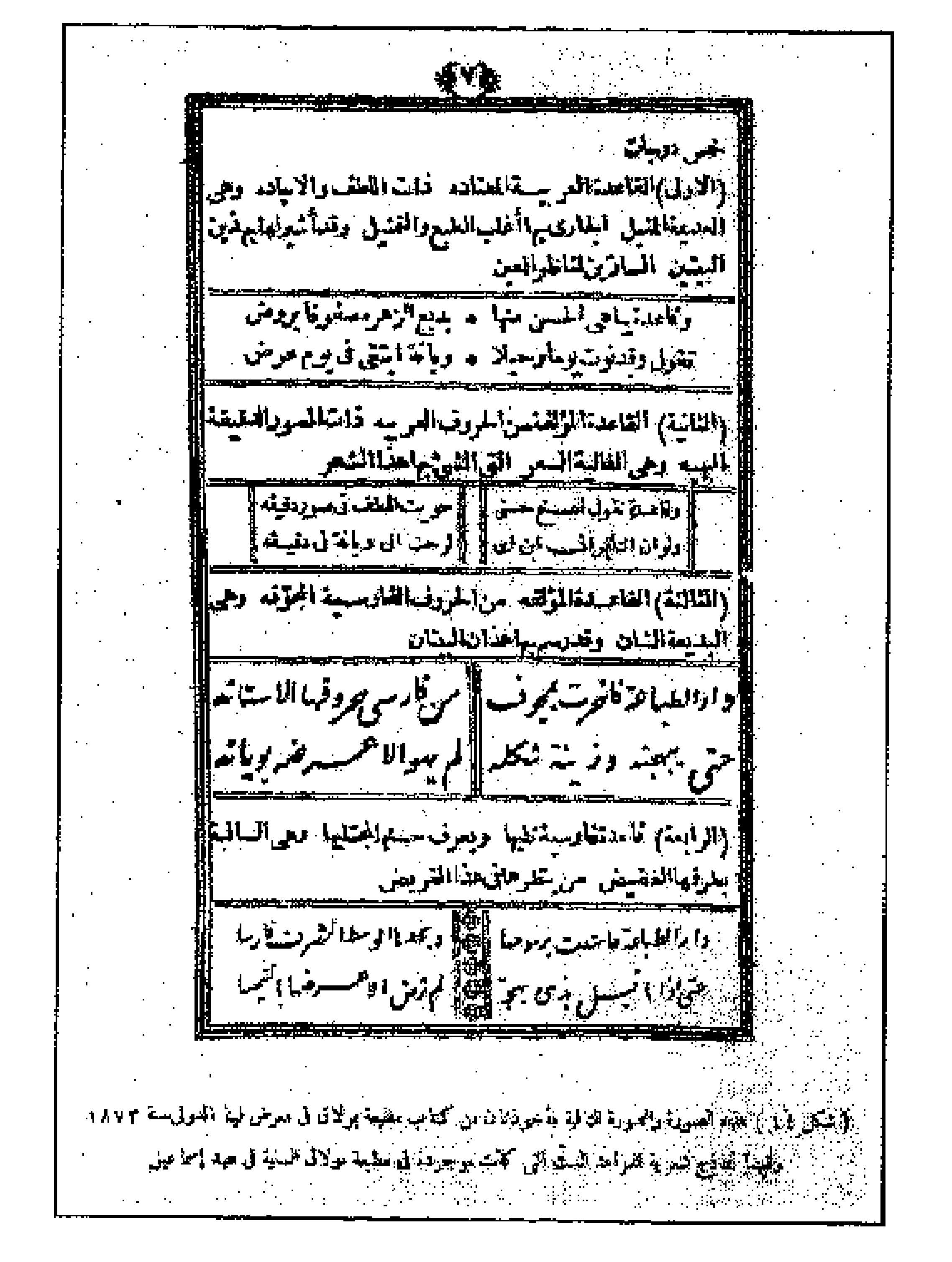
ومن الحروف التي استحدثت في المطبعة في عهد الدائرة السنية مجموعة من الحروف الأوروبية صُنعت جديدة على نمط الحروف الغربية التي كانت مستعملة في مطابع أوروبا في ذلك الوقت وقد كان بمطبعة بولاق حروف أوروبية منذ إنشائها في عهد محمد علي.

يضاف إلى ما تقدم أنواع الحروف التي كانت موجودة بمطبعة بولاق قبل عهد الدائرة السنية وبقيت تستعمل بعدها وقد مكننا الكتيب الذي وضعه ناظر المطبعة بمناسبة اشتراك مطبعة بولاق في معرض فيينا عام ١٨٧٣م من معرفة أنواع الحروف التي كانت مستعملة في المطبعة في ذلك العهد وهي كما يلي: (شكل ٥٧، ٥٨)

١- القاعدة العربية النسخية المعتادة وهي التي ورثتها الدائرة السنية عن العهود السابقة وكانت تستعمل في غالب المطبوعات.
٢- القاعدة العربية النسخية الدقيقة التي استحدثها حسني الخطاط وخيرت الحكاك في عهد الدائرة السنية وسبقت الإشارة إليها.
٣- قاعدة عربية فارسية كبيرة الحجم وصفت بأنها "المجوفة".
٤- قاعدة عربية فارسية متوسطة الحجم.
٥- قاعدة عربية فارسية صغيرة الحجم. وهذه القواعد الفارسية ورثتها المطبعة من عصر محمد علي باشا.
٦- قاعدة عربية مغربية أي على قاعدة خط أهل المغرب وهي في غاية الجمال ولا ندري متى استحدثت بالمطبعة (شكل ٥٩).
٧- قاعدة غربية هي التي استحدثت في عهد الدائرة السنية.



Voici les Caractères Européennes qui sont employées à l'Imprimerie Egyptienne pour le tirage.



(شكل٥٧، ٥٨) صفحتان من كتاب عن مطبعة بولاق كانت المطبعة قد شاركت به في معرض فيينا عام ١٨٧٣م.ويظهر بهما نماذج شعرية لقواعد الحروف الستة التي كانت موجودة في مطبعة بولاق، في عهد الخديوي إسماعيل.

(شكل٥٩) صفحة من كتاب "مختصر العلامة خليل بن اسحق" في مذهب مالك. طبع في بولاق سنة ١٨٧٦م، ويظهر به القاعدة المغربية التي استحدثت في عهد الدائرة السنية.

أثبت حسين بك حسني(شكل٦٠) ناظر المطبعة في الكتيب الذي وضعه عن المطبعة بمناسبة اشتراكها في معرض فيينا ثبتًا بمطبوعات المطبعة منذ تسلمتها الدائرة السنية في أوائل سنة ١٨٦٥م إلى سنة ١٨٧٣م وهو تاريخ إقامة المعرض وهذا ما يعتبر دليلاً على مدى نشاط المطبعة في ذلك العهد.

بلغ عدد الكتب التي طُبعت في هذه السنوات التسع على ما جاء في الكتيب المشار إليه ٣٩٥ كتابًا بلغ المطبوع منها جميعًا ٢٤٢٠٧٥ نسخة، وجدير بالذكر أن عدد الكتب التي طبعت في عصر محمد علي باشا في المدة من ١٨٢١م إلى ١٨٤٢م أي في إحدى وعشرين سنة طبقًا لما ورد في قوائم المطبوعات التي وصلت إلينا من ذلك العهد ومع ملاحظة أنها



(شكل٦٠)حسين حسني مدير المطبعة من فبراير ١٨٦٥م إلى سبتمبر ١٨٨٠م، ومن أكتوبر ١٨٨٢م إلى مارس ١٨٨٦م.

ليست كاملة هو ٢٥٢ كتابًا، يضاف إلى هذا أن من هذه الكتب التي طبعت في عصر إسماعيل ما بلغ عدد أجزائه عشرين جزءًا ككتاب "الأغاني" لأبي الفرج ومنها ما كان يقع في عشرة أجزاء "كشرح القسطلاني على البخاري".

جدير بالملاحظة أن عدد كتب العلوم الطبيعية لم يتجاوز ستة عشر كتابًا من هذه الكتب التي طبعت ببولاق في السنوات التسع الأولى من عهد إسماعيل والتي بلغ عددها ٣٩٥ كتابًا وهذا عدد قليل جدًا إذا ما قورن بما طبع من كتب هذه العلوم في عصر محمد علي وهذا أهم نقد يوجه إلى مطبوعات المطبعة في عصر إسماعيل، فقد كانت سياسة إسماعيل أن يجعل مصر قطعة من أوروبا وكان الواجب أن تسهم مطبعة بولاق في تحقيق هذه السياسة بنشر كتب العلوم الطبيعية، ولعل السبب في هذا القصور أن مطبعة بولاق في عهد الدائرة السنية لم تكن مطبعة حكومية تحدد سياستها الأهداف القومية العليا وإنما كانت مطبعة خاصة يوجه سياستها حساب الربح والخسارة.

ويكفي إعطاء فكرة واضحة عن تقدم المطبعة وانتعاشها في ذلك العهد أن نورد الإحصاء الآتي لمرتبات موظفي المطبعة وعمالها في الثماني السنوات الأولى من عهد إسماعيل مع ملاحظة أن الإحصاء يشمل مرتبات المطبعة والكاغدخانة معًا فقد كانتا مصلحة واحدة.

مرتبات موظفي المطبعة وعمالها من ١٨٦٥م إلى ١٨٧٢م

السنة	بارة	قرشًا
١٨٦٥م	٢٩	١٦٨ , ٠٥٢
١٨٦٦م	١١	٤٣٨ , ٤٣٣
١٨٦٧م	٢٠	٥١٧ , ١٦٨
١٨٦٨م	٢١	٦٦١ , ٥٦٣
١٨٦٩م	٢	٩١٥ , ٤٢٣
١٨٧٠م	٢٠	١٣١ , ٢٥٣ , ١
١٨٧١م	٣٤	١ , ٤٣٥ , ٣٨٨
١٨٧٢م	—	١ , ٤٧٧ , ٤٩٩

وواضح من هذا الإحصاء أن مرتبات موظفي المطبعة وعمالها قد زادت إلى أكثر من ثمانية أضعاف في خلال الثماني السنوات التي تضمنها الإحصاء.

المطبعة والمعارض الدولية

كان من نتيجة التقدم الذي شمل مطبعة بولاق في هذا العهد أن اشتركت في معرضين دوليين أقيم أحدهما في باريس سنة ١٨٦٧م، وأقيم الثاني في ڤيينا في سنة ١٨٧٣م.

لم تكتف بولاق بعرض مطبوعاتها بل عرضت أيضًا نماذج للخطوط العربية الجميلة كما عرضت قطعة من الخط الزخرفي الجميل كانت عبارة عن ثلاثة عشر بيتًا من الشعر نظمها الشيخ مصطفي سلامة وكتبها بشكل زخرفي "كامل الخطاط" وكان الشطر الأول من كل بيت من أبيات القصيدة يُقرأ بحساب الجمل[٧٧] "عام ١٢٨٣هـ" والشطر الثاني من كل بيت يُقرأ "عام ١٨٦٦م" وكتبت القصيدة بحيث كانت كل شطر يتكون من ستة مقاطع كتبت كل ثلاثة منها بلون خاص فإذا قرئت المقاطع من أحد اللونين في الشطرات الأولي من أعلي إلى أسفل كانت أبياتًا من الشعر، وأعطت بحساب الجمل سنة ١٢٨٣هـ. فإذا قرأت المقاطع من نفس اللون وبنفس الطريقة في الشطرات الثانية كانت هي الأخرى شعرًا وأعطت بحساب الجمل سنة ١٨٦٦م.

أما في معرض ڤيينا سنة ١٨٧٣م فقد أرسلت مطبعة بولاق نوعين من المعروضات: فقد عرضت فيه أنواعًا مختلفة من الورق الذي أنتجه مصنع الورق الملحق بها كما عرضت مجموعة من مطبوعاتها تبلغ تسعة وستين كتابًا منها أطلس وخريطة للإسكندرية وقد حفظ لنا "دفتر أثمان ومصاريف مأمورية المعرض" سجلاً كاملاً بعناوين هذه الكتب وعدد النسخ التي أرسلت من كل كتاب وثمنه ومن الكتب التي عرضت في معرض ڤيينا "تاريخ ابن خلدون" في سبعة أجزاء و"القاموس المحيط" للفيروزابادي، و"الكشكول" لبهاء الدين العاملي، و"حاشية الصفطي" على ابن تركي، و"غرر الخصايص"، و"قاموس بقطر" للغتين الفرنسية والعربية، و"مقامات الحريري"، و"قلائد العقيان"، و"شرح ديوان المتنبي" للعكبري، و"حاشية العطار" على الأزهرية، و"حاشية أبو النجا" على الشيخ خالد، و"تذكرة داود"، و"البجيرمي" على المنهج وغير ذلك.

صناعة التجليد

كان من ضروب الإصلاح التي تمت للمطبعة في عهد إسماعيل استحداث صناعة التجليد بها وكان في سنة ١٨٦٧م. من المعروف أن صناعة التجليد قديمة جدًا في المطبعة فقد كان فيها قسم خاص بالتجليد في عهد محمد علي وربما أبطلت هذه الصناعة بالمطبعة وأُلغي قسم التجليد منها في أيام تدهورها في عهد عباس باشا حلمي وسعيد باشا ثم أعيدت في عهد الدائرة السنية.

عهد الخديوي توفيق (المطبعة الأميرية ببولاق)

ظلت المطبعة تابعة للدائرة السنية إلى أن انتهى عصر اسماعيل وتولى حكم مصر الخديوي توفيق (شكل٦١)، وكانت الحركة الوطنية لا تزال حديثة العهد وكان الشعور القومي قد أخذ يشتد فعملت الحكومة على استرداد مطبعة بولاق إلى حوزتها خشية استخدام المطبعة في نشر الوعي السياسي والثقافي بين أفراد الشعب المصري، خاصة وأن البلاد كانت على أعتاب مرحلة



(شكل٦١) الخديوي محمد توفيق، في عهده أعيدت مطبعة بولاق إلى تبعية الدولة، وقام بتجديد المطبعة، ويوجد نص التجديد في مدخل المطبعة حاليًا.

من الغليان السياسي نتيجة لازدياد التدخل الأجنبي في شئون البلاد.

استردت حكومة توفيق المطبعة من الدائرة السنية في ٢٠ يونيه سنة (١٢٩٧هـ/١٨٨٠م) في عهد وزارة رياض باشا بعد أن بقيت خارجة عن إدارتها ما يقرب من ثماني عشرة سنة، ووضعت بهذه المناسبة لوحة رخامية ذات أرضية زرقاء (شكل ٦٢، ٦٣، ٦٤) وحروفها بارزة مذهبة تشير إلى إسترداد الحكوم المصرية لملكية المطبعة وتجديد الخديوي توفيق لها، ونصه:

مكان سما بالطبع سلك بنائه

وخصته آلاء العزيز بتجديد

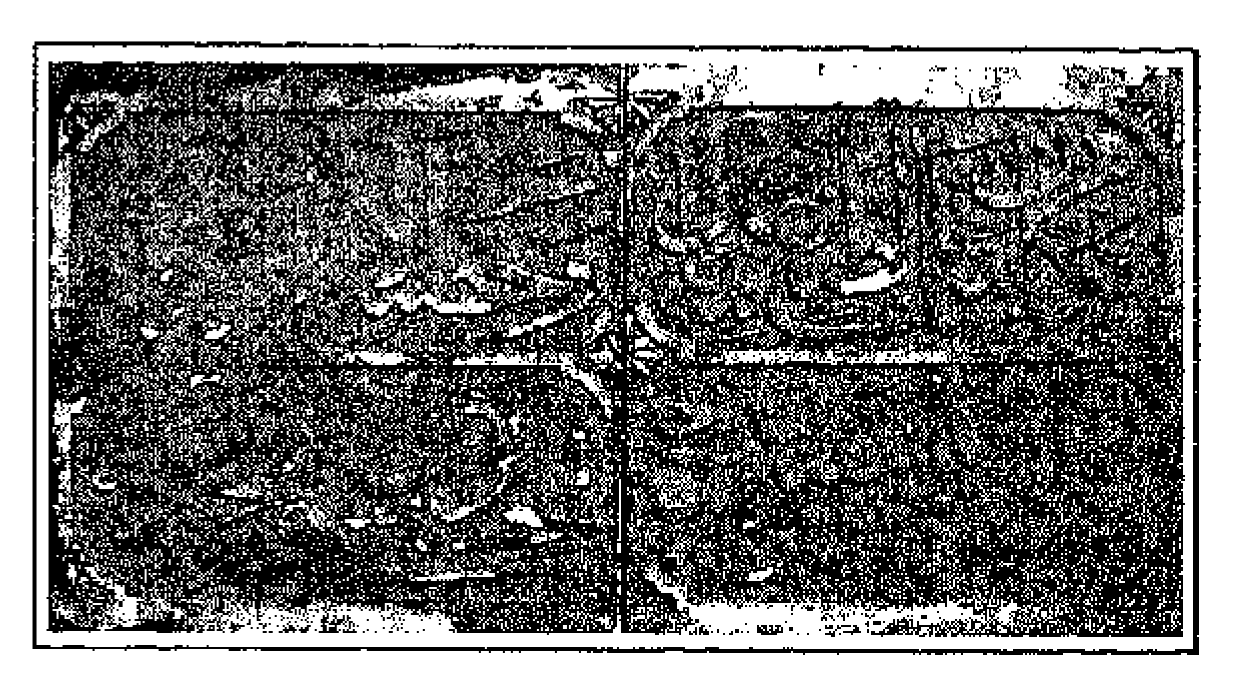
مشيد له حسن التشيد مؤرخ

لحسنى توفيق سنى بتجديد١٢٩٧

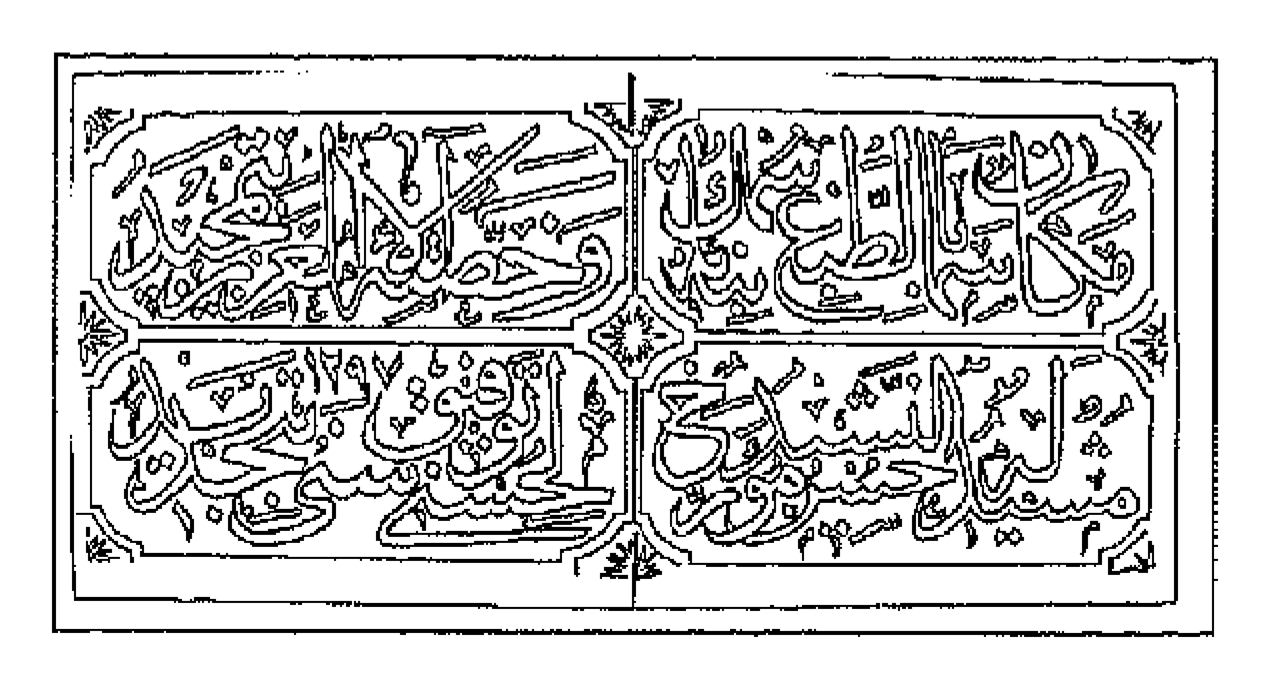
تنظيم المطبعة ١٨٨٠م

وقد نُظِمت المطبعة بعد استرداد الحكومة لها بمقتضى ثلاثة أوامر هي:

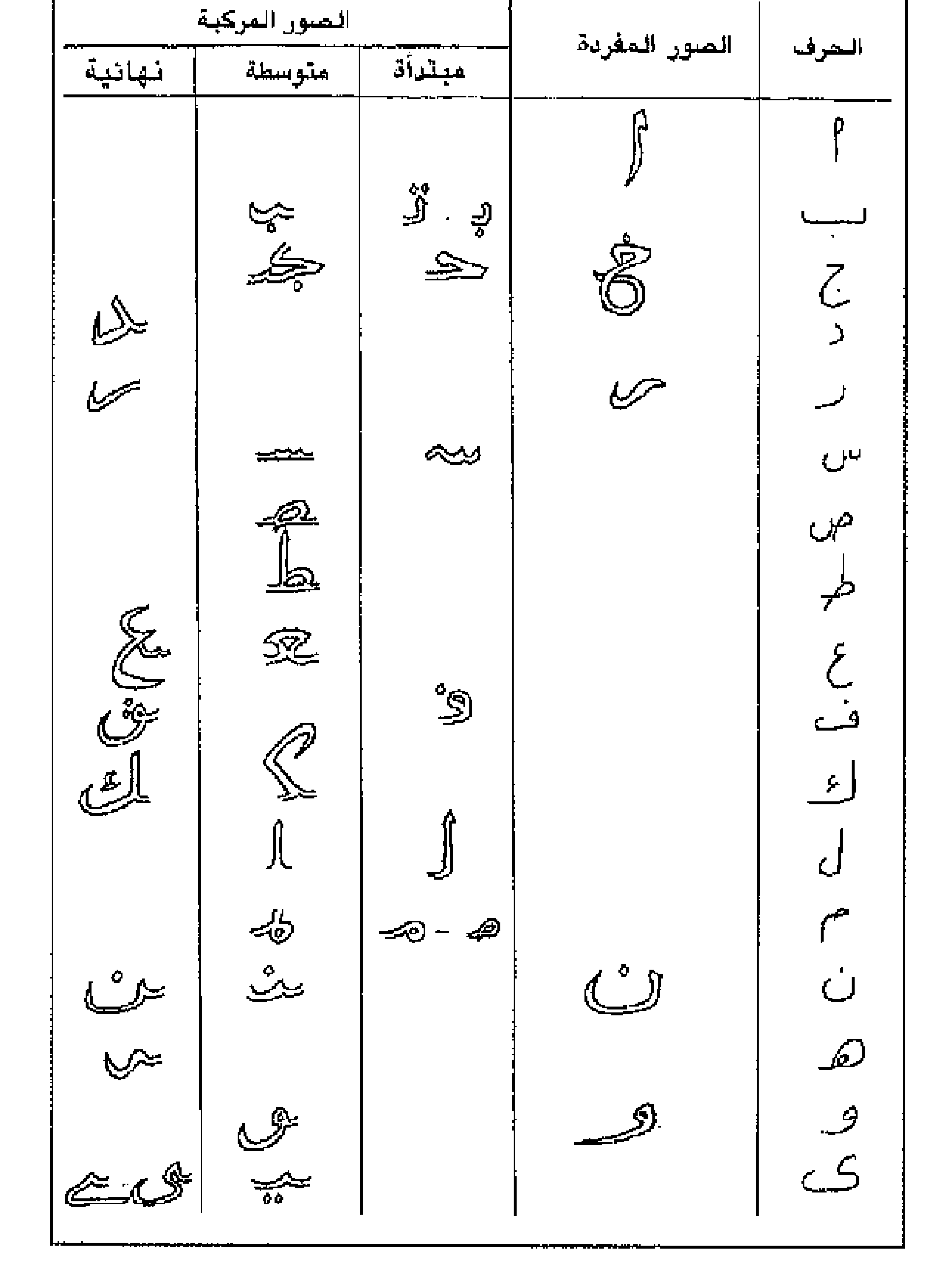
١- أمر من وزارة المالية صدر في ٢٢ رجب سنة ١٢٩٧هـ/٢٩يونيه سنة ١٨٨٠م ينص على اعتبار مستخدمي المطبعة وعمالها موظفين بالحكومة المصرية بمرتباتهم التي كانوا يتقاضونها في عهد الدائرة السنية وقيدوا بالحكومة ابتداء من ٢٠ يونيه سنة ١٨٨٠م تاريخ إعادة المطبعة إلى



(شكل٦٢) اللوحة التذكارية التي تشير إلى عودة مطبعة بولاق لملكية الدولة عام ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م.



(شكل٦٣) تفريغ النص



(شكل٦٤) جدول حروف نص التجديد

أملاك الحكومة، وينص الأمر على أن هذا الاعتماد مؤقت لحين صدور ترتيب نهائي آخر وقد نفذ هذا الأمر فعلاً ونُقل موظفو المطبعة وعمالها في آخر عهد الدائرة السنية معها إلى الحكومة المصرية كما كانوا في العهد السابق.

٢- أمر ثان من وزارة المالية صدر في ١٨ شعبان ١٢٩٧هـ/ ٢٥ يوليه سنة ١٨٨٠م وهذا هو الترتيب النهائي الذي نُص عليه في الأمر الأول السابق، وقد حدد هذا الأمر وظائف المطبعة وراتب كل وظيفة، فقرر خلق وظائف جديدة وإلغاء بعض الوظائف التي كانت موجودة بها وترتب على ذلك فصل بعض الموظفين وخفض مرتبات البعض وترقية آخرين، فمن الوظائف التي قررها هذا الأمر وظيفة وكيل للمطبعة وعُين فيها عبد الله افندى خيرت حكاك المطبعة أما الوظائف التي أُلغيت بمقتضى هذا الأمر فهي وظيفة "مساعد مصحح" ففُصل مساعدو المصححين نهائيًا وأُنقص عدد كتاب المطبعة ففُصل بعضهم وكذلك ألغيت وظيفة "مساعد الجدولجي" ووظيفة "مساعدي الجماعين" ووظيفة "مساعد العطشجي"، وحدد الأمر أيضًا وظائف السعاة والخدم فأنقص عددهم ثم إن الأمر أنقص مرتبات بعض الوظائف فأنقص مرتب وظيفة المعاون إلى سبعمائة وخمسين قرشًا بعد أن كان ألفًا ومائتين وترتب على ذلك أن استقال المعاون لأنه رفض المرتب الجديد وخفض مرتب "الجمَّاع" إلى ثمانية جنيهات بعد أن كان عشرة جنيهات وزاد الأمر بعض المرتبات كمصحح الفرقة الثانية فرفع مرتبه إلى الضعف فأصبح ألفًا ومائتي قرشًا بعد أن كان ستمائة قرشًا.

٣- ترتيب العمل بمعرفة قومسيون (أي مجلس إدارة المطبعة) المطبعة وصدر عنه أمر دولة ناظر المالية رقم ٢٦ في ٩ ذي القعدة سنة ١٢٩٧هـ / ١٤ أكتوبر سنة ١٨٨٠م وهو تنقيح وتعديل للأمر السابق بمناسبة النظر في أمر ورشة التجليد وزاد بعض الوظائف التي دعت حاجة المطبعة إليها في عهد تبعيتها للحكومة كما ألغي وظائف المجلدين.

في ٨ شوال ١٢٩٧هـ/ ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٠م صدر أمر من ناظر الداخلية بفصل مطبعة الوقائع المصرية عن مطبعة بولاق وبناء على هذا الأمر نقل كل ما كان مخصصًا لطبع الوقائع المصرية في بولاق من الآلات والعدد والحروف وغيرها، كما نقل كل من كان يقوم بطبعها من الموظفين والعمال إلى مطبعة الوقائع بالداخلية وتمت عملية النقل هذه في ٢٩ شوال سنة ١٢٩٧هـ/ ٤ أكتوبر سنة ١٨٨٠م ونقصت الآلات بمطبعة بولاق من ذلك التاريخ بقدر ما كان مستعملاً منها في طبع الوقائع وكان أول عدد من الوقائع صدر عن مطبعتها المستقلة هو العدد رقم ٩٣٣ المؤرخ بـ ٤ ذي القعدة سنة ١٢٩٧هـ/ ٩ أكتوبر سنة ١٨٨٠م وقد كتب عليه " طبعت بمطبعة الداخلية الجليلة".

أما التغيير الثاني: فأضاف إلى مطبعة بولاق مطبعة أخرى هي مطبعة أركان حرب الجهادية، وبذلك زادت مطبعة بولاق بضم مطبعة أركان حرب إليها أضعاف ما خسرته بفصل مطبعة الوقائع عنها، فموظفو الوقائع الذين نُقلوا إلى الداخلية كان عددهم ستة موظفين على حين أن موظفي مطبعة أركان حرب الذين نُقلوا إلى بولاق كانوا ثلاثين موظفًا وفي ذلك ما يدل على أن مطبعة أركان حرب كانت أكبر بكثير من مطبعة الوقائع ومع ذلك فلم يطل استقلال الوقائع المصرية بمطبعتها فعادت إلى الصدور من مطبعة بولاق ابتداء من يوليو سنة ١٨٨٤م.

على هذا النحو استقرت مطبعة بولاق للحكومة وتغير اسمها تبعا لذلك فأصبحت تسمى "مطبعة بولاق الأميرية".

حروف المطبعة وقت تسليمها للحكومة

وجدت لجنة استلام المطبعة أياء تلك الحروف ناقصة العدد، ووجدت من أحوال حفظها ما يستدعي الشك فشكلت ثلاث لجان لتحقيق هذا الأمر، ويُؤخذ من أوراق هذا التحقيق أن المطبعة كان بها حينئذ ثلاث قواعد نسخية عربية[٧٨]:

١- قاعدة قديمة أهملت من مدة ولا يطبع بها كتب وهذه هي القاعدة التي كانت قد تخلفت عن عصر محمد علي.

٢- قاعدة سُميت في بعض الأوراق "القاعدة المشهورة" وفي بعضها الآخر "القاعدة النسخية السميكة" وهي أهم قواعد مطبعة بولاق إذ هي آخر ما وصل إليه تحسين الخط وتجميل الحروف منذ بداية صب الحروف بالمطبعة في عهد محمد علي إلى وقت استلام الحكومة للمطبعة في سنة ١٨٨٠م وتتبين أهمية هذه القاعدة من بعض الأوصاف التي وُصفت بها في أوراق تحقيق أمرها فمن هذه الأوصاف قول لجنة استلام المطبعة: "هذه القاعدة المعلومة في جميع الأقطار الشرقية

المشهورة بها مطبعة بولاق وتكلفت مبالغ على الحكومة "ثم ما ورد من وصفها في كلام خيرت أفندي وكيل المطبعة من أن : "القاعدة المشهورة ما وصلت لدرجة الجودة والحسن والمتانة إلا بعد مشقات ومصاريف كلية وتنقيحات متعددة وتصليحات تكررت اجتمعت فيها أرباب المعارف وتعاونوا في تحسينها تدريجيًا" .

٣- القاعدة النسخية الدقيقة التي صُنعت بمعرفة عبد الله أفندي خيرت حكاك المطبعة في عهد الدائرة السنية والتي سبقت الإشارة إليها فيما تقدم وقد كانت كل مطبوعات بولاق تطبع بها منذ أتمها خيرت أفندي. وكان يوجد بالمطبعة غير هذه القواعد العربية قواعد أخرى فارسية، وتركية، ومغربية، وفرنسية وهذه القائمة مطابقة تمامًا لما سبق أن قدمناه عن حروف المطبعة في عهد الدائرة السنية.

قصة اختفاء أقلام المطبعة

عند تسلم الحكومة المطبعة تبين لها أن هذه القواعد لم تكن سليمة، فالقاعدة الدقيقة وجدت كاملة ولم يكن للقائمين بالأمر أي اعتراض على الحالة التي وجدوها عليها أما القاعدة السميكة المشهورة فلم يوجد منها إلا أقل من نصف آبائها ووجد أنه قد دس فيها بدلاً من نصفها الفاقد آباء قديمة متآكلة من قواعد قديمة مهملة لا تتفق معها في الرسم ولا في الذوق ولا في الصناعة. أما القاعدة النسخية القديمة فقد كانت في حالة سيئة من الإهمال ولم يكن هذا مستغربًا فقد حلت محلها القاعدة السميكة المشهورة على أنه لوحظ أن بعض أباء هذه القاعدة القديمة قد اُستخدم في سد الناقص من القاعدة السميكة المستعملة.

تدهور المطبعة من ١٨٨١م إلى ١٨٩٦م

استقرت مطبعة بولاق الأميرية على الوجه المتقدم وتحولت إليها جميع أعمال الحكومة الطباعية تقريبًا، ويؤخذ من دفاتر المطبعة بعد استرداد الحكومة لها مباشرةً في سنة ١٨٨٠م وكذلك من دفاترها في سنة ١٨٨١م أن حركة العمل بها قد اتسعت اتساعًا عظيمًا أدى إلى إدارة المطبعة نهارًا وليلاً بدون انقطاع.

لكن الفترة من سنة ١٨٨١م إلى ١٨٩٦م كانت فترة ركود في مطبعة بولاق فمع قيامها بكل ما احتاجت إليه الحكومة من أعمال الطباعة فإنها لم تتقدم في أي ناحية من النواحي التقنية والاقتصادية بل وتدهورت تمامًا كما قاست مطبعة بولاق من انشغال الحكومة بالثورة العرابية، حيث توقفت مطبعة بولاق عن العمل بعض الوقت خلال الثورة العرابية واحتلال الإنجليز للبلاد، ونزح عدد كبير من الأجانب عن مصر، ومن بينهم بالطبع بعض عمال المطبعة من الفنيين، ثم ما لبث أن عاد الجميع بعد أن هدأت الأحوال. واستأنفت المطبعة أعمالها خلال شهر سبتمبر من سنة ١٨٨٢م، ولم تتمكن المطبعة من أن تعمل بآلات جديدة إلا في سنة ١٨٨٤م، وكانت أكثر الآلات التي اُشتريت في المدة من سنة ١٨٨٤م إلى سنة ١٨٩٦م آلات التجليد فقد كان قسم التجليد قد ألغي في ترتيب ١٤ أكتوبر سنة ١٨٨٠م وتم فصل طائفة المُجلِّدين جميعًا، ثم رأت الحكومة إعادة هذا القسم وكانت آلاته قد تلفت من طول ما أُهملت، فاشتريت حوالي عشرين آلة من آلات التجليد بمختلف عملياته أما آلات الطبع فلم تشتر منها إلا أربع آلات فقط وكان شراؤها في سنة ١٨٨٦م.

تولى نظارة المطبعة في عهد التدهور هذا ثلاثة نظار أولهم حسين بك حسني الذي انتقل معها من الدائرة السنية إلى الحكومة في يونيو سنة ١٨٨٠م وبقي ناظرًا إلى أن أثيرت قضية أقلام المطبعة التي سبقت الإشارة إليها فاستقال في ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٨٠م، ثم أحيلت نظارة المطبعة إلى علي بك جودت على سبيل الندب لا التعيين، وبقيت المطبعة بدون ناظر يديرها علي بك جودت من ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٨٠م إلى أول مايو سنة ١٨٨١م عندما عُين علي بك جودت ناظرًا للمطبعة بمرتب النظارة البالغ خمسة آلاف قرشًا في الشهر، وبقي علي بك ناظرًا سنة ونصف إلى ١٦ أكتوبر سنة ١٨٨٢م، ثم نقل وأعيد حسني بك إلى النظارة ومُنح رتبة الباشاوية ورُفع مرتبه إلى ستين جنيها وظل حسني باشا متوليًا نظارة المطبعة قرابة الأربع السنوات إلى أن تُوفي في ١٩ مارس سنة ١٨٨٦م.

من ناحية أخرى نجد في دفتر استحقاقات المطبعة لسنة ١٨٨٦م أن للمطبعة ناظرين أحدهما هو حسين باشا حسني بلقب "ناظر القسم الأدبي" وبانجيه بك الفرنسي بلقب " ناظر القسم الإداري" بمرتب قدره خمسة وستون جنيهًا أي بزيادة خمسة جنيهات عن مرتب حسني باشا ويظهر أن حسني باشا كانت صحته قد اعتلت في آخر سنة من نظارته فأُعفي من الإدارة التي أُحيلت إلى بانجيه بك واقتصر هو على إدارة القسم الأدبي.

عهد بانجيه (١٨٨٤م-١٨٩٤م)

بدءًا من سنة ١٨٨٤م أُدرجت ميزانية مطبعة بولاق في ميزانية الحكومة العامة، وهكذا التزمت المطبعة ابتداء من تلك السنة بجميع الأحكام المتعلقة بتأدية ما يلزم المصالح

الحكومية من مستلزمات الطباعة، ولما كانت كافة المصروفات التي تدفعها المطبعة يجرى احتسابها من أصل الاعتمادات الواردة لها الميزانية، فقد صار يخصم على الجهات قيمة الأصناف التي تصرف لها من المطبعة.

في عام ١٨٨٤م استقدمت الحكومة المصرية إدمون بانجيه (شكل ٦٥) Banget من مطبعة "شيه" chaix بباريس ليقوم بالتفتيش على المطبعة فنيًا وإداريًا، وقد أبدى بانجيه إعجابه بمقدرة رؤساء الأقسام جميعًا، وبعد أن قام بانجيه بجولته التفتيشية قام بتقديم تقريره لنظارة المالية، وصدر قرار في ٢٢فبراير سنة ١٨٨٥م بتعيينه مديرًا للمطبعة ليصلح نظامها ويدير حركها، أما حسين حسني(باشا) فقد نُقل مديرًا للقسم الأدبي.

مع تعيين بانجيه مديرًا فعليًا للمطبعة تغير اسمها فأصبح يطلق عليها رسميًا بالفرنسية l'Imprimerie Nationale "المطبعة الأهلية"

لزم تعيين عدد آخر من العمال من أجل تنظيم العمل واستقراره والرفع من شأن المطبعة، (شكل٦٦) فكان بانجيه يلحق كل من تقدم له ،ولو أنه كان يفضل الإيطاليين الذين يعود إليهم فضل إعادة طريقة الطبع بالقوالب المصبوبة المعروفة فنيًا باسم[١٩]



(شكل٦٥) بانجيه بك ناظر المطبعة من ١٨٨٦م إلى ١٨٩٤م



(شكل٦٦) قولبة (إستريوتيب) وهي طريقة صب الأسطح الطباعية (فورم) من سبيكة معدنية. يتم الحصول على هذه الفورم بالصب المتكرر في قالب صب مصنع من الورق "الماشيه" ويسمى "القالب الأم" (المتريس). تستخدم عمومًا في طبع الجرائد والمطبوعات الزهيدة الثمن

stéréotypie والطلاء بالكهرباء المعروف باسم galvanoplastie والحفر على الزنك المعروف باسم photo zincotypie.

كانت المطبعة في عهد بانجيه بك مقسمة إلى: ورشة الجمع اللاتيني، ورشة الجمع العربي، ورشة الطباعة بالحروف المتفرقة، ورشة الطباعة بالحجر، ورشة الحفر على الحجر، ورشة التصوير، الحفر على الزنك، ورشة التجليد، المسبك والأكليشيهات. وكان جميع رؤساء هذه الورش من الأجانب عدا رئيس ورشة الجمع العربي.

في سنة ١٨٩٣م استخدمت طريقة طبع الصور الفوتوغرافية في المطبعة الأهلية لأول مرة في مصر phototypie، إلا أن مطبعة بولاق ظلت محتفظة بطباعة الحجر.

يعتبر عهد بانجيه عهد المطبعة الذهبي؛ فقد جددت فيه آلاتها وأعيد تنظيمها وأدخلت وسائل جديدة في الطباعة لم تكن تعرفها المطبعة الأهلية واستقدم خبراء أجانب دربوا العمال المصرين على أصول فن الطباعة، فغدا الطابع المصري في ذلك الوقت في مقدمة عمال الطباعة في الشرق العربي.

استقال بانجيه بعد مرضه في سنة ١٨٩٤م وتولى إدارة المطبعة الفريد شيلو بك.

تنظيم المطبعة (١٨٩٤م – ١٩٠٧م)

(عهد ألفريد شيلو بك)

تسلم شيلو بك (شكل ٦٧) المطبعة في سنة ١٨٩٤م، واعتزم إجراء تصليحات وتجديدات شاملة في المطبعة ولم يكن يستطيع أن يعتمد على الحكومة في تمويل عملية الإصلاح والتجديد. فقد كانت طبيعة المطبعة أنها مؤسسة تجارية تدر الربح على صاحبها، وكانت الحكومة تكتفي بأن تدفع مرتبات موظفيها وتنتظر أن يرد إليها ما دفعت في آخر العام من أرباح المطبعة.

بناء المطبعة

وضع شيلو مشروعًا لإصلاح المطبعة وتقدم به إلى نظارة المالية في سنة ١٨٩٩م فوافقت عليه، وبدأ من تلك السنة في تنفيذه.

كانت مباني المطبعة ومساحتها أول ما اتجهت إليه عناية شيلو بك وكان يلي المطبعة من ناحية الجنوب مبنى قديم للدائرة السنية، اشترته المطبعة وقد ضم التنظيم بعضه وضم الباقي من مساحته إلى المطبعة ولم تنته سنة ١٨٩٩م، حتى كان قد تم بناء منزل لمدير المطبعة وورشة للتجليد، وفي تلك السنة اصطحب شيلو بك رئيس ورشة التجليد إلى باريس لكي يتعلم طرق التجليد الجديدة بواسطة آله الخياطة بالسلك، أو بالخيط المصنوع من الكتان وآلات طي الورق وماكينات طبع البروفات (شكل ٦٨) وغيرها من الآلات التي اخترعت في ذلك العهد لتسهيل تجليد الكتب، وكذلك ماكينة تسطير الكتب (شكل٦٩) وكذلك مكبس للتذهيب(شكل٧٠) وقد تبين شيلو بك عظم فائدة آلات الطبع المعروفة عند أهل الفن باسم machines a reiteration، وهي آلة سريعة تطبع وجهي الورقة دفعة واحدة، كما لمس أيضًا النجاح الذي أحرزته آلات تنضيد



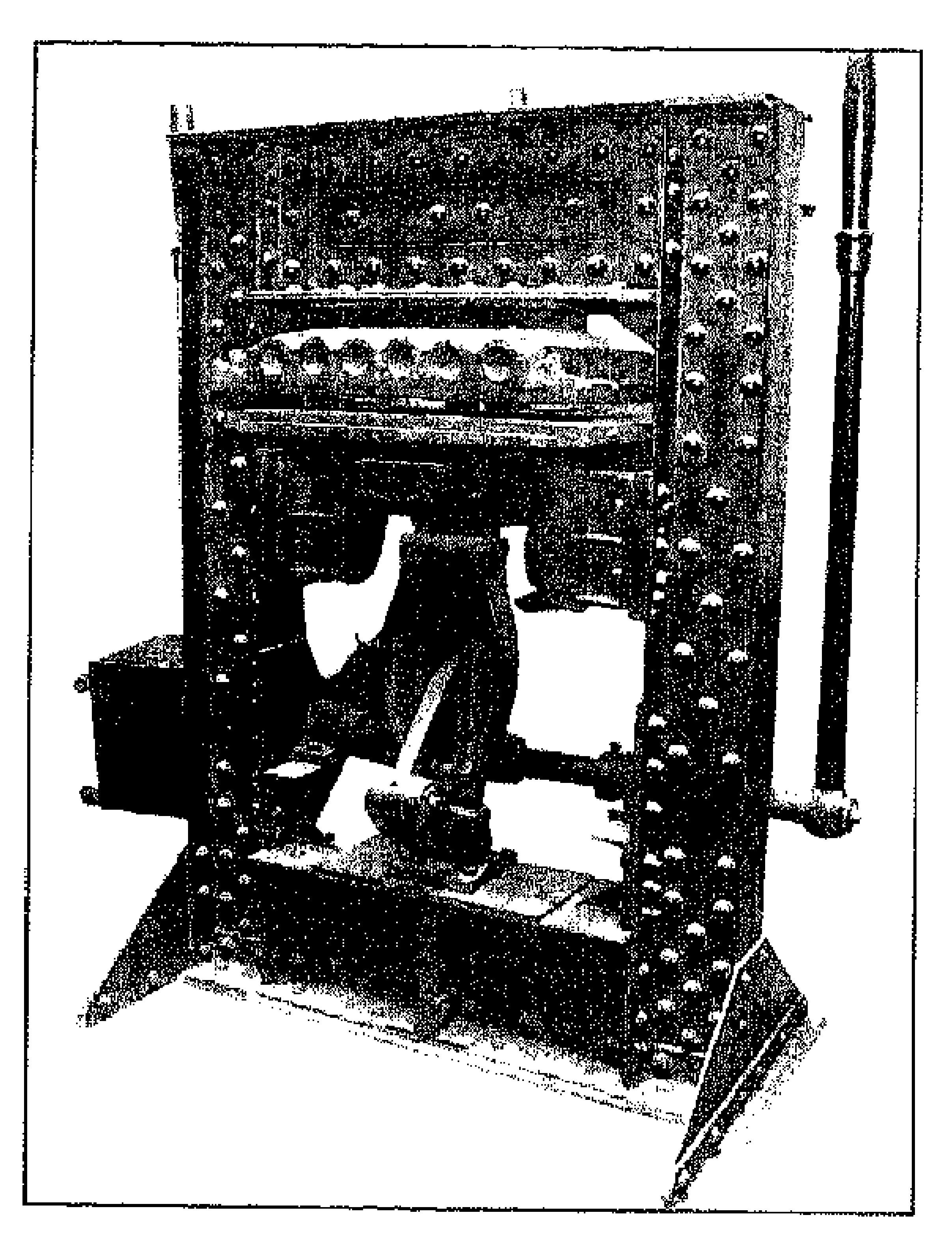
(شكل٦٧) ألفريد شيلو بك ناظر المطبعة من ١٨٩٤م إلى ١٩١١م

الحروف المعروفة باسم مونوتيب Monotype فأرسل في طلبها وركبت حال وصولها، كما بُني رصيف أمام المطبعة على النيل وقد تكلف ذلك كله مبلغ ٢.٤٠٠ جنيه سددت على ثلاثة أقساط سنوية كان آخرها في ديسمبر سنة ١٩٠٠م، وكان مقدرًا أن ينتهي تجديد البناء في الجزء الأول من سنة ١٩٠١م دون أن تتكلف نظارة المالية شيئًا من النفقات وانتهت عملية تجديد مباني المطبعة وافتتحت رسميًا في ١٢ مارس سنة ١٩٠٢م ومُنح العمال مكافآت سخية بهذه المناسبة.

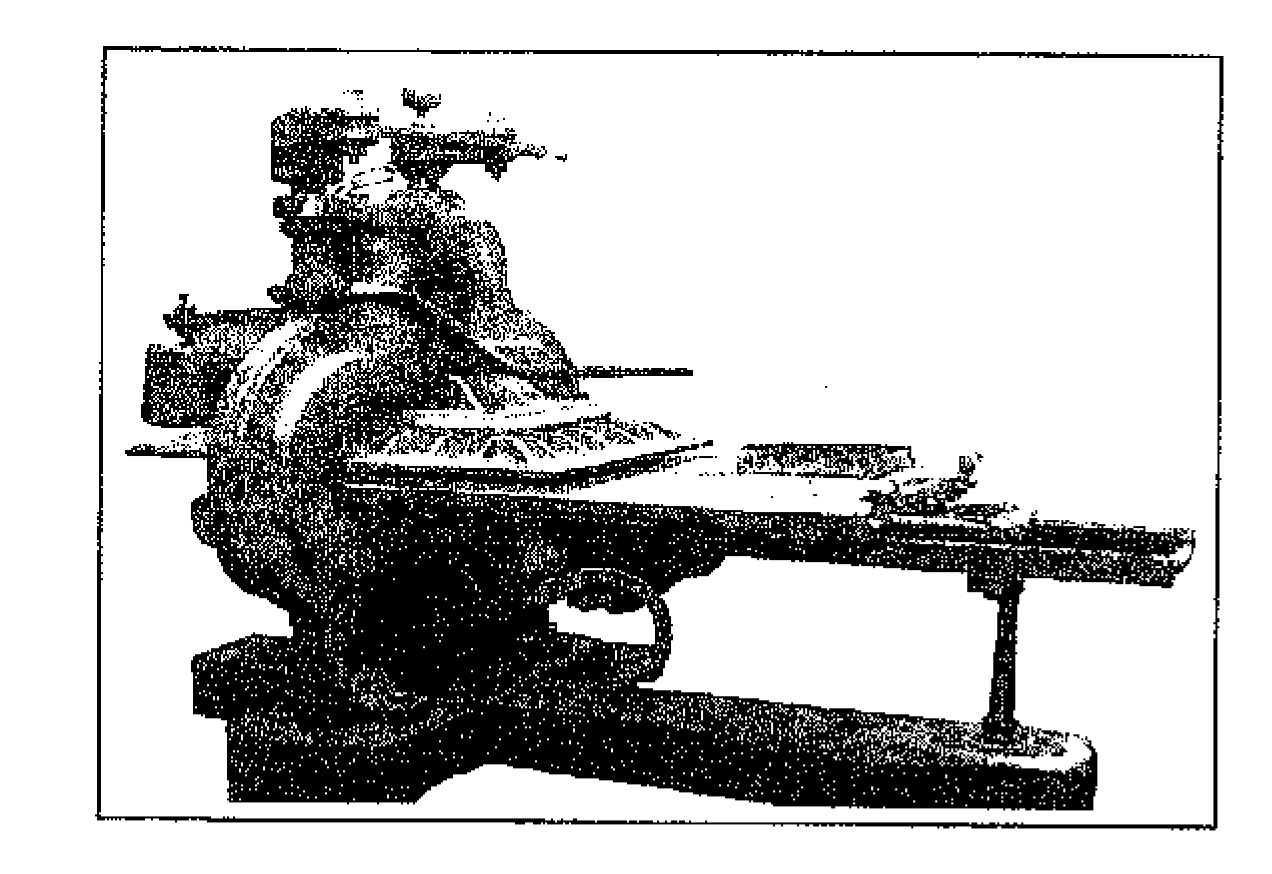
مساكن العمال

اعتنى شيلو بك ببناء مساكن للعمال بجوار المطبعة ربما كانت أول مساكن تُبنى للعمال في مصر ولتحقيق ذلك حصلت المطبعة في سنة ١٩٠٣م على قطعة من الأرض تبلغ مساحتها ٩,٦٢٠ مترًا مربعًا تكفي لإقامة خمسة وسبعين مسكنًا للعمال وقد قدرت نفقات إقامة هذه المساكن بمبلغ ٧,١٢٥ جنيهًا تسدد سنويًا من أرباح المطبعة.

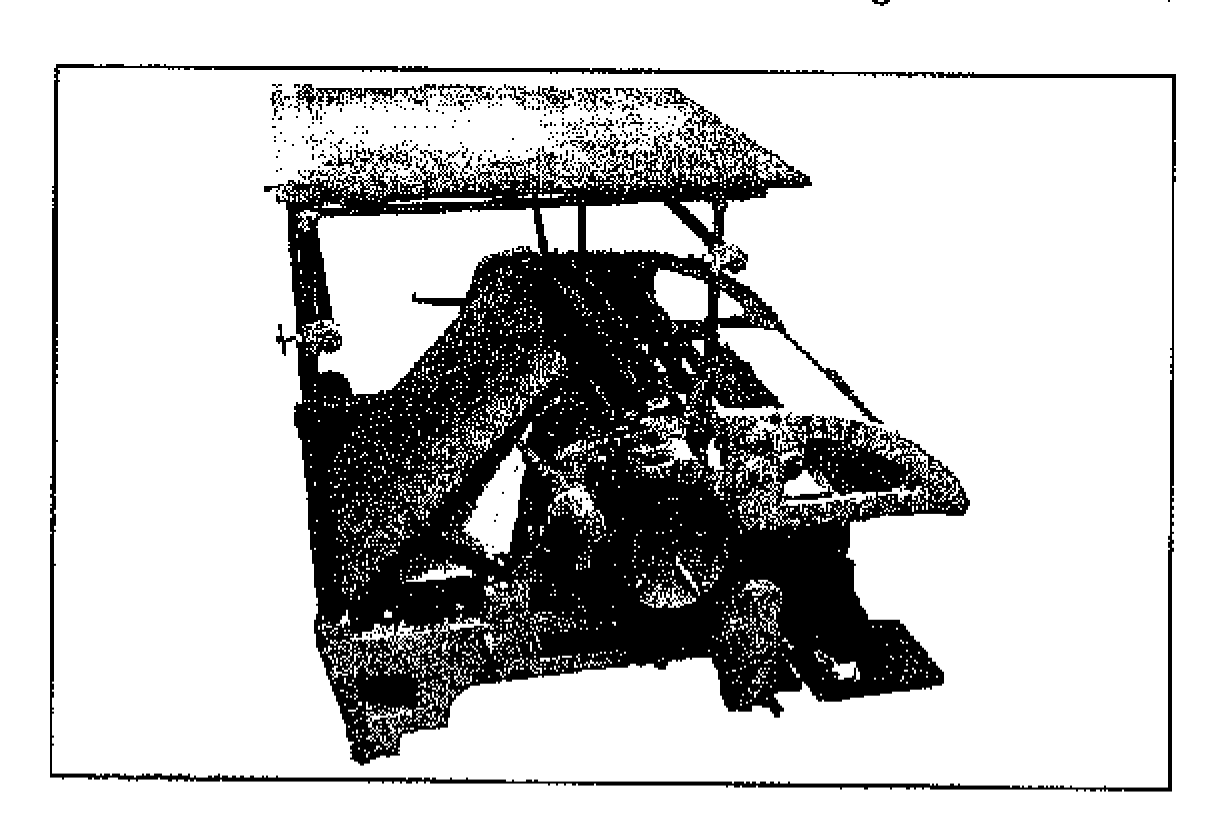
في سنة ١٨٩٨م كانت الحروف اللاتينية قد تآكلت وأصبح كثير منها غير صالح للاستعمال وفي نفس الوقت كانت المطبوعات باللغتين الإنجليزية والفرنسية قد زادت كثيرًا في ظل الاحتلال نظرًا لتزايد عدد الموظفين الأجانب، ولذا فقد اهتم شيلو بك بتجديدها تخصيص لذلك مبلغ ٢٠٠ جنيه في سنة ١٨٩٨م وفي



(شكل ٧٠) مكبس للتذهيب، صناعة فرنسية.



(شكل ٦٨) ماكينة طبع البروفات



(شكل ٦٩) ماكينة طبع الأسطر بالصفحات البيضاء.

السنة التالية اشتركت وزارتا المالية والمعارف في تخصص مبلغ ٧٠٠ جنيه أُنفقت في شراء ٤,٦٠٠ كيلوجرام من الحروف اللاتينية.

القاعدة العربية الجديدة:

لقيت الحروف العربية في هذه الفترة عناية لم تصادفها منذ أن استحدثت الحروف النسخية الصغيرة في عهد الخديوي إسماعيل، ففي سنة ١٩٠١م أعيد صب ١١,٧٠٠ كيلوجرام من الحروف العربية المتآكلة وأضيف إليها ٢٤,١٠٠ كيلوجرام من الحروف الجديدة وبذلك زاد مقدار الحروف العربية الموجودة في المطبعة في سنة ١٩٠١م عما كان موجودًا منها في السنة السابقة بمقدار ١٧,٨٠٠ كيلوجرام وكانت هذه الحروف مصنوعة على القاعدة التي وُضعت منذ أيام محمد علي باشا مع قليل من التحسين أدخل عليها في العهود التالية وفي سنة ١٩٠٢م لُوحظ عدم ملاءمتها لنوعية المطبوعات، كما عِيب عليها أيضًا أنها معقدة نظرًا لكثرة عدد حروفها. في ٤ يونيه سنة ١٩٠٢م تكونت لجنة لبحث "عيوب حروف المطبعة وأشكالها وتركيبها وللدلالة على الوسائل التي تترتب على اعتماد العمل بها تقليل عدد الحروف المستعملة مع المحافظة على جودة الخط لتناسب احتياج العصر الحالي، ثم رأت اللجنة أن تنتدب شيلو بك وأحمد زكي بك لدراسة تقدم صناعة الحروف في الخارج، فزارا أشهر المطابع والمسابك بالآستانة وڤيينا وليبزج وبرلين وأكسفورد وباريس.

اهتم أحمد زكي باختصار صندوق الطباعة والعمل على تسهيل جمع الحروف، فتمكن بعد جهد من تقليل عدد الحروف اللازمة للطباعة إلى ١١٢ حرفًا، فحين كانت الحروف المستعملة في مطبعة أكسفورد العربية تبلغ ٢٨٢ حرفًا، بينما وصلت قاعدة مطبعة ليبزج إلى ٣٢٩ حرفًا، وبرلين إلى ٥٠١ حرفًا والآستانة إلى ٦٣٨ حرفًا، وڤيينا إلى ٦٦٠ حرفًا، وباريس إلى ٨٠٠ حرفًا[٨٠].

أجرى أحمد زكي عدة تجارب في مطبعة بولاق، وبعد ثلاثة شهور من العمل المتواصل، تمكن من اكتشاف قاعدة جديدة أتاحت له جمع أية كلمة عربية أو تركية أو فارسية وكانت الطريقة القديمة المستعملة في مطبعة بولاق تقتضي من الجماعين معرفة ١٥٧٧ شكلاً للحروف، أما الطريقة الجديدة فهي لا تطلب منهم أكثر من معرفة ١٤٥ حرفًا أو شكلاً.

أضاف أحمد زكي إلى حروفه علامات الرسم والإملاء المستعملة في اللغات الأوروبية. وهي: علامات الوقف، والوقف القليل، والوقف المتوسط، والتفسير والبيان، والاستفهام والتعجب، والنداء، والقسم، والتحذير، والاستغاثة وأشكالها كالتالي:، ؛،: ؟،!. ولم يغفل أحمد زكي الأقواس في المشروع الذي تقدم به، كذلك قرر أن تبقى بعض التراكيب مجموعة جاهزة مثل "الله".

خفضت الطريقة الجديدة عدد أدوات الطباعة والجهد والتكاليف وقللت مدة الطبع فضلاً عن أنها حسنت شكل الطباعة العربية وجعلت الكتب في متناول الجميع بعد أن أنزلت سعرها، وأتاحت استخدام الحروف الجديدة في الطبع بست لغات، وهي العربية، والتركية، والفارسية، والهندية، والجاوية، والماليزية.

قام جعفر بك بكتابة خط القاعدة الجديدة، حيث كانت حروفها تعد من خيرة الحروف العربية لجمال خطها وحسن تركيبها وسهولة جمعها وأول عدد من الوقائع المصرية صدر بالحروف الجديدة هو العدد الصادر في ٣ نوفمبر سنة ١٩٠٦م[٨١] ورقمه ١٢٤. ويلاحظ أن حروف القاعدة الجديدة قد أدخلت بالتدريج. وابتداء من العدد الصادر في أول يناير سنة ١٩٠٧م أصبحت الوقائع تطبع كلها بالقاعدة الجديدة.

ومما جد في عهد شيلو بك الحروف اليونانية والحروف اللاتينية المائلة وتكلفت حوالي مائة جنيه وقام شيلو بك بشراء مجموعة من العلامات الهيروغليفية حتي يتمكن من طبع ما أُحيل إلى المطبعة من مطبوعات هذه الكتابة "إذ لا يصح أن تكون المطبعة الأميرية في حاجة إلى مساعدة غيرها من المطابع".

كما اهتم شيلو بك بتطوير كل من:

- القوي المحركة.
- البعثات.
- تأمين العمال وصندوق الإدخار.
- القسم الأدبي.
- الوقائع المصرية

مركز المطبعة المالي

لقد أُنفق على كل ما تقدم من الإصلاحات من أرباح المطبعة دون أن تسهم فيه وزارة المالية بشئ ومعنى هذا أن المطبعة كانت تجني أرباحًا طائلة من أعمالها ويتبين ذلك من الجدول الموضح لإحصاء ميزانية المطبعة من سنة ١٨٩٧م إلى ١٩٠٧م.

المرتبات والإنتاج

تتضح القدرة الإنتاجية لموظفي المطبعة وعمالها من الجدول الموضح لإحصاء مرتبات المطبعة وإنتاجها من سنة ١٨٩٦م إلى ١٩٠٧م.

ميزانية المطبعة من سنة ١٨٩٧م إلى ١٩٠٧م

السنوات	جملة الإيراد	جملة المنصرف	صافي الربح
	جنيه	جنيه	جنيه
١٨٩٧م	٢٧.٠٠٠	٢٦,٠٠٠	١,٠٠٠
١٨٩٨م	٢٧,٦٤٠	٢٥,٤٣٦	٢,٢٠٤
١٨٩٩م	٣٢,٠٥٥	٢٦,١٢٥	٥,٩٣٠
١٩٠٠م	٣٢,٢٥٠	٢٦,٩٩٦	٥,٢٥٤
١٩٠١م	٣٤,١٥٦	٢٨,٦٦٧	٥,٤٨٩
١٩٠٢م	٣٤.٠٠٨	٢٧.٧٦١	٦,٢٤٧
١٩٠٣م	٣٥.٣٤٨	٣٢,٢١٩	٣.١٢٩[٨٢]
١٩٠٤م	٤٠,٠١١	٣٤,٠٢٦	٥,٩٨٥
١٩٠٥م	٤٢,٨٢٩	٣٣,٤٣٥	٩,٣٩٤
١٩٠٦م	٥٣,٣٩٥	٤٠,١٢٦	١٣,٢٦٩
١٩٠٧م	٦١,٦٢٩	٤٤.٨٧٨	١٦.٧٥١

مرتبات المطبعة وإنتاجها من سنة ١٨٩٦م إلى ١٩٠٧م

السنوات	مجموع المرتبات	قيمة الانتاج بالجنيه المصري	النسبة المئوية
	جنيه	جنيه	جنيه
١٨٩٦م	١٣.٣٥٠	٢٧,٦٠٠	٤٨.٣٪
١٨٩٧م	١١,٤٥٠	٢٩,٠٠٠	٣٩.٤٪
١٨٩٨م	١٠.٩٨٠	٣٢,٣٩٠	٣٣.٩٪
١٨٩٩م	١٠.٦٩٠	٣٤.٧٠٠	٣٠.٨٪
١٩٠٠م	٩.٥٢٣	٣٥,٣٨٢	٢٧,٢٪
١٩٠١م	٩,٩٢٦	٣٩,٣٦١	٢٥,٢٪
١٩٠٢م	١٠.٤٩٥	٤٠.١٤٠	٢٦,٠٪
١٩٠٣م	١١,٥٨٤	٣٩,٧٥١	٢٩.٧٪
١٩٠٤م	١١,٨٣٠	٤٠.١٢٨	٢٩.٤٪
١٩٠٥م	١٣,٥٣٢	٤٣,٥٢٦	٣١,٠٪
١٩٠٦م	١٤,٤٨٤	٥٢,٨٧٥	٢٧,٤٪
١٩٠٧م	١٧,٣١٩	٥٤,٤٦١	٣٠,٠٪

تنظيم المطبعة (١٩٠٨م – ١٩١١م)

انتظم العمل في مطبعة بولاق وفق التنظيم الذي وضعه شيلو في عام ١٨٩٧م، وظلت المطبعة تسير به، حتى واجهت عدة مشكلات في بداية عام ١٩٠٨م، إلى جانب الصراع بين إدارة المطبعة الفرنسية وبين الإنجليز المحتلين والمسيطرين على البلاد. ومن هذه المشكلات:

مشكلة التأخير

أول مشكلة واجهت المطبعة وأثارت توابع أخرى كانت شكوى المصالح الحكومية المختلفة إلى وزارة المالية من تأخر المطبعة في تسليم المطبوعات في المواعيد المحددة.

وقد عُولجت مشكلة التأخير بأن أُعفيت المطبعة من أعمال مصلحة البريد وكانت تبلغ سدس عمل المطبعة وكان ذلك في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٧م كما تقرر أيضًا توحيد الاستمارات المتشابهة في جميع مصالح الحكومة تسهيلاً لعملية الطبع وأن تطبع حاجة المصالح منها للسنة كلها مضافًا إليه قدرًا للاحتياط، واقترحت وزارة المالية نظاما يضمن وقوفها على ما يحدث من المطبعة من تأخير فعندما تتسلم المطبعة طلبًا من أي مصلحة ترسل إليها ردًا يفيدها بورود طلبها وبموعد تسليم المطبوعات إليها فإذا تأخر التسليم عن الموعد المحدد، وجب أن ترسل المطبعة مذكرة إلى الوزارة تخبرها بسبب التأخير.

مشكلة تقدير الأثمان والأرباح[٨٣]

اقترنت شكوى المصالح من التأخير بشكواها في التقدير فقد ذهبت بعض المصالح إلى أن مطبعة بولاق تغالي في تقدير أثمان المطبوعات وبذلك تستهلك ميزانياتها السنوية دون أن تطبع كل ما تريد على حين تربح المطبعة ربحًا ظنت المصالح والوزارة أنه أكثر مما ينبغي.

وقد أثارت مشكلة التقدير مشكلة أخرى هي مشكلة الربح فقد اعترضت وزارة المالية على أنه تكون المطبعة مؤسسة قائمة على فكرة الربح، ولقد بلغت أرباح المطبعة من سنة ١٨٩٧م إلى ١٩٠٦م مبلغ ٦٠,٠٠٠ جنيه وخسرت في هذه المدة مبلغ ١٢,٩٦٣ جنيهًا قيمة مطبوعات قامت بها المطبعة بالمجان لوزارة المالية وغيرها من المصالح.

ولم تر وزارة المالية حلًا لهذه المشكلة إلا أن تجعل ميزانية المطبعة جزءًا من ميزانية الدولة بحيث تتحمل الحكومة مصروفات المطبعة في نظير أن تتقاضى المطبعة من المصالح المختلفة نفقات الطبع بدون أرباح وقد أصدر وزير المالية أمرًا إلى المطبعة في ١٨ مارس سنة ١٩٠٩م يحتوي على المسائل الآتية:

١- تتولى وزارة المالية حسابات المطبعة ولكن المطبعة عارضت في هذا فلم ينفذ وبقيت المطبعة تتولى حساباتها بنفسها.

٢- يخصص في ميزانية الدولة بند خاص بميزانية المطبعة على أساس مصروفاتها في السنوات الأخيرة ويخصم من هذه الميزانية مصروفات المطبعة كل شهر على أساس المصروفات الفعلية للمطبعة فإذا نفدت ميزانية المطبعة قبل نهاية السنة نظرًا لزيادة في العمل لم تكن منتظرة فإن وزارة المالية مستعدة لفتح اعتماد إضافي يكفي المطبعة لآخر السنة.

٣- يخصص للمصالح المختلفة مبالغ في ميزانيتها خاصة بما تحتاجه من المطبوعات وتكون كل مصلحة مسئولية عن مراعاة ما خصص لها.

٤- تحاسب المطبعة مصالح الحكومة على أساس الأثمان الحقيقية للمواد مضافًا إليها الأجور التي صرفت فعلًا على المطبوع المقدم عنه الحساب ويضاف إلى هذا نسبة خاصة في نظير حفظ الآلات ونفقات الإدارة ولا يضاف في هذه الحالة شئ نظير إيجار مكان المطبعة ومبانيها.

٥- أما الأعمال التي تقوم بها المطبعة لغير مصالح الحكومة فتقدر أثمانها على نفس الأساس المتقدم مضافا إليه نسبة معينة في نظير إيجار مباني المطبعة[٨٤]ومكانها بحيث لا يقلل هذا من أثمان المطابع الخاصة.

٦- كل الأخبار والإعلانات التي تنشرها مصالح الحكومة في جريدة الوقائع تحاسب عليها على أساس النفقات الفعلية.

٧- أجور الإعلانات التي ينشرها الأفراد والشركات والهيئات غير الأميرية تتقاضى المطبعة عنها أجرًا يتناسب مع أسعار السوق الحرة في وقت النشر.

٨- القاعدة العامة أن تتقاضى المطبعة نفقات ما تقوم به كاملة، فإذا طُلب إليها أن تتقاضى أقل منه كما هي الحالة في نشر كتب الأدب وجب أن يخصم الفرق على حساب المصلحة أو الوزارة التي أمرت بهذا التخفيض وعلى المصالح أن تضيف هذه النفقات إلى ميزانياتها.

٩- تورد إيرادات المطبعة أسبوعيًا إلى الخزينة العامة.

ويقوم تنفيذ هذا النظام على أن تطبع جميع المصالح الحكومية جميع مطبوعاتها في مطبعة بولاق ويتوقف تمامًا الطبع في المطابع الخاصة ومن ثم عادت مطبوعات مصلحة البريد إلى مطبعة بولاق وتنفيذًا لهذا أخذت المطبعة تحسب الأجور المنصرفة في تشغيل كل مطبوع وتضيف إليها نسبة تبلغ ٧٥٪ من هذه الأجور في نظير الإدارة والقوة المحركة والإضاءة والإصلاحات وحفظ الآلات ونفقات سبك الحروف والتعبئة والتسليم مضافًا إلى هذا كله أثمان الورق بزيادة ٥٪ في نظير التخزين والتلف: وهذا آخر تنظيم شامل للمطبعة.

أقسام المطبعة

كانت المطبعة مقسمة حسب هذا التنظيم الأخير إلى الأقسام التالية:

- قسم الجمع العربي
- قسم السبك
- قسم الجمع اللاتيني
- قسم القوة المحركة
- قسم المصححين
- قسم المخزن
- قسم الطبع
- القسم الإدارى والحسابات
- قسم التجليد

هذا هو التنظيم الذي ما زالت المطبعة تسير على أساسه إلى قبيل نقلها إلى حي إمبابة.

حروف التاج

في سنة ١٩٢٩م أمر الملك فؤاد الأول بتأليف لجنة لعمل مسابقة بقصد تحسن الكتابة العربية وذلك بإدخال الحروف

حروف التاج

خط النسخ

(شكل٧١) حروف التاج

الكبيرة على أوائل الكلمات لتؤدي ما تؤديه الحروف الكابيتال (capital) في اللغات الغربية. فبذلت اللجنة مجهودًا كبيرًا حتى أخرجت الحروف المسماة "حروف التاج" (شكل٧١).

المطبعة وأثرها في تطوير المجتمع المصري

تطلع محمد علي إلى بناء دولة قوية تمتد في مصر والشام والحجاز، ولم يكن له من سبيل في تحقيق ذلك إلا بالعلم الذي هو أساس النهضة؛ فعزم على ذلك، وكان ذا همة وجَلَد.

في تلك الفترة لم تكن نظم التعليم في مصر على درجة عالية من التقدم والرقي، إذ ارتكز التعليم في تلك الأثناء على تلقي العلوم الدينية المختلفة من تفسير، وسيرة، وعلوم القرآن، .. إلخ، وكان ذلك متمثلاً في الجامع الأزهر، ولم ترغب الدولة العثمانية في ازدياد أعداد المتعلمين والمثقفين في البلاد الإسلامية إيمانًا من حُكامها أن إغراق البلاد في ظلمات الجهل والخرافات أمر ضروري لاستمرار حكمهم.

مع تولي محمد علي حكم مصر في عام ١٨٠٥م بتفويض من السلطان العثماني وتحت ضغط شعبي، بدأت بوادر النهضة السياسية، والحربية، والاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية تظهر إلى النور. فلقد آمن محمد علي بأن بناء الدولة القوية والحكم المستقر لا يتم إلا من خلال بناء جيش قوي يعتمد عليه في الدفاع على البلاد ضد الأخطار والمطامع الخارجية، والقضاء على أي تمرد أو عصيان داخلي، لكن بناء الجيش وتدعيم أركان الدولة لم يكن ليتم وأغلبية الشعب المصري غارق في ظلمات الجهل والخرافات، وكانت لجملة محمد علي الشهيرة "تعليم العباد لعمار البلاد" الأثر السحري في نشر التعليم بين طبقات الشعب، حيث نجد الصلة والربط بين العباد والبلاد في المجال التعليمي، كما سبق وحدث في غيره من المجالات، وعليه فقد قام محمد علي بإرسال البعثات التعليمية إلى الخارج في فترة مبكرة من حكمه لتلقي العلوم في شتى جوانب المعرفة، فقد أرسل في عام ١٨١٥م نيقولا المسابكي إلى إيطاليا لتعلم فن الطباعة(٨٥).

و بعد ذلك اختار ٤٣ من الشباب المتميز من الأزهر وغيره من المؤسسات، وابتعثهم إلى فرنسا في سنة ١٢٥٢ هـ/ ١٨٢٦م فيما عُرف بـ"بعثة محمد علي الأولى". كانت هذه البعثة موضع اهتمام الوالي الطموح: فاختار لها العالم الفرنسي "جومار" مشرفًا عامًا عليها، يدرس أحوال أعضائها فردًا فردًا، ويكتب عنهم التقارير التي تسجل مدى تقدمهم في الدراسة واستجابتهم لها، وسافر مع هذه البعثة الشيخ "رفاعة الطهطاوي" إمامًا لها ومرجعًا لشؤونها الدينية.

وقد احتفظ كتاب "البعثات العلمية" للأمير "عمر طوسون" بأسماء هذه البعثة وغيرها من البعثات، مع ذكر التخصصات العلمية التي ابتعثوا من أجلها، وهي تشمل: العلوم العسكرية، والهندسة، والميكانيكا، والكيمياء، والطب والجراحة، والزراعة، والتاريخ الطبيعي.

إنشاء شورى المدارس

كان تنظيم المدارس تابعًا لديوان الجهادية التي تتولى أمره والإشراف عليه، حتى أصدر محمد علي أمرًا بتأليف مجلس عام للنظر في تنظيم المدارس سنة ١٢٥١هـ / ١٨٣٦م برئاسة مصطفى مختار، وعضوية عدد من أكابر المصريين ونظار المدارس، مثل: "كلوت بك" ناظر مدرسة الطب، و"هاملون" ناظر مدرسة الطب البيطري، و"كياني بك"، و"رفاعة بيومي" أستاذ الرياضيات بمدرسة المهندسخانة.

وقام هذا المجلس بعد مناقشات طويلة وجادة بتقديم اقتراح بتنظيم المدارس يقضي بتقسيم التعليم إلى ثلاث مراحل: ابتدائية، وتجهيزية، وخصوصية؛ وأشار المجلس العام إلى إنشاء خمسين مدرسة ابتدائية، وتوزيع مدارس الأقاليم حسب عدد سكانها، وإنشاء مدرستين تجهيزيتين بالقاهرة والإسكندرية؛ ليكون الغرض منهما توسيع التعليم بين المتخرجين في المدارس الابتدائية، وإعدادهما للمدارس الخصوصية (التعليم العالي)، مثل: مدرسة الألسن، والهندسة، والطب، والفرسان، والمدفعية(٨٦).

ولمّا كانت تلك المدارس -بعد تنظيمها- تحتاج إلى هيئة فنية تشرف عليها، وخاصة في سنواتها الأولى، وكانت مثل هذه الهيئة غير متوافرة في ديوان الجهادية: فقد صدر قرار من محمد علي بإنشاء ما يُعرف باسم "شورى المدارس" أو "مجلس المدارس" لمتابعة الشؤون الفنية للمدارس، غير أنها ظلت من الناحية الإدارية تابعة لديوان الجهادية، وكان أعضاء شورى المدارس من خريجي مدارس أوروبا برئاسة مصطفى مختار.

وبدأ هذا المجلس عمله بطبع لائحة التعليم الابتدائي، وإرسال المفتشين إلى الأقاليم لتنظيم مكاتب التعليم، وتوزيع التلاميذ على الفرق، وترتيب الدروس، وكذلك تنظيم المدارس التجهيزية، وإقرار المناهج الدراسية، وتعيين النظار والمدرسين، وإمداد المكاتب بما تحتاجه من أدوات.

ديوان المدارس

غير أن شورى المدارس لم تكن مطلقة اليد فيما يختص بعملها: فالمدارس التي تشرف عليها أو تقوم على أمرها لا تزال تابعة لديوان الجهادية، وكثيرًا ما كان ينشأ صدام بينهما بسبب توتر العلاقة بين شورى المدارس باعتبارها هيئة فنية استشارية وبين ديوانٍ الجهادية باعتبارها الهيئة التنفيذية، ولمّا اشتد النزاع بينهما دون الوصول إلى حل لتسيير أمور المدارس رُفع الأمر إلى محمد علي، وكان على علم بالنزاع القائم بين الطرفين، وكثيرًا ما كان يقر شورى المدارس على ما تأخذه من إجراءات وقرارات.

فلما وجد محمد علي أن تبعات شورى المدارس قد اتسعت وأنها تقوم بعملها على خير وجه، رأى من الأفضل لها أن تستقل بشؤونها عن ديوان الجهادية، ويكون لها ديوانها الخاص، وأصدر قرارًا في الخامس من ذي القعدة ١٢٥٢ هـ/الحادي عشر من فبراير ١٨٣٧م بإنشاء ديوان المدارس تتبعه المدارس الموجودة في مصر، وتنفصل تبعيتها عن ديوان الجهادية، وتولّى مصطفى مختار رئاسته: فكان أول وزير للمعارف في تاريخ مصر الحديث.

وحددت اللائحة الصادرة لهذا القرار اختصاصات ديوان المدارس بإدارة المدارس والكتبخانات (دور الكتب)، والمعامل، والمتاحف، وقناطر الدلتا، ومطبعة بولاق، وجريدة "الوقائع المصرية".

من المعروف أن العلاقة بين الحاكم والمحكوم قبل عهد محمد علي قد وصلت إلى حالة من التدهور كبيرة، فقد فسد الحكام، وبات لا هم لهم إلا جمع الضرائب دون أية مراعاة لرعاياهم. كان العلماء في ذلك الوقت يمثلون عماد المجتمع المصري على اعتبار أنهم همزة الوصل بين أفراد الشعب والحاكم. وهذه المرتبة التي وصل إليها العلماء كانت نتيجة لنتاجهم الثقافي والأدبي، كما انعكست تلك الوضعية على إضفاء نوع من المهابة والتبجيل على حامل لقب "العالم"، وهذا ما يفسر لجوء عامة الناس إليهم والتفافهم حولهم في النوازل مما أضفى بدوره على مركزهم أهمية جديدة[٨٧].

بعد تولي محمد علي سدة الحكم، عمل على تقويض شوكة هذه الطبقة من العلماء، وذلك خشية تأليب الشعب المصري عليه، فسلبهم امتيازاتهم، ونفى بعضهم، إلى جانب إهماله الأزهر تمامًا وتوقيف دوره في الحياة العامة، وذلك بخلق مؤسسات تعليمية حديثة، ذات طابع مدني، الأمر الذي أوجد في النهاية نواة لطبقة جديدة من المتعلمين حديثًا[٨٨]، فأصبح يطلق على الذين يتلقوا تعليمًا عصريًا يتفق مع ميول محمد علي في تحديث وتمدين مصر لقب "الأفندي"، وهي كلمة تركية تعني المولى أو السيد، ويشترط فيمن يتمتع بهذا اللقب أن يكون من حملة القلم من الكتاب والعلماء. وأولئك الذين كانوا يتمتعون به في مصر كانت مجموعة من الموظفين الفنيين الذين يعملون في ديوان الروزنامة (المالية).

كانت هذه مقدمة موجزة عن أحوال التعليم فيما سبق عصر محمد علي وأولى سنوات حكمه، أما عن دور الطباعة ومطبعة بولاق في إثراء المجتمع المصري ثقافيًا، واجتماعيًا وبالتالي سياسيًا، واقتصاديًا فيظهر من اهتمام محمد علي بانشاء مطبعة في وقت مبكر من فترة حكمه أي في سنة ١٨٢٠/١٨٢١م، وقبل ذلك قام بإرسال نيقولا المسابكي إلى إيطاليا في عام ١٨١٥م لتعلم فن الطباعة.

بدأت الطباعة بالعناية بالكتب الدراسية في العلوم العسكرية والطبيعية، خاصة في الطب والرياضيات جنبًا إلى جنب مع كتب العلوم الإنسانية، خاصة تلك الأعمال التي عمد رفاعة الطهطاوي إلى ترجمتها[٨٩]، ويلاحظ أن ترجمة هذا النوع من المؤلفات قد نشط خلال الأربعينات بعد أن تقلص الجيش المصري، وتبرز أهمية هذه الترجمات في أنها فتحت أكثر من باب في اتجاه تكوين المثقف الجديد في مصر ثقافة مدنية معاصرة.

غير أن الدور الذي قام به المثقفون "الأفندية" في عملية التطوير والتحديث لم يسر على النحو المطلوب، ذلك أن غالبية أبناء هذه الطبقة قد شهدوا لونًا من الحبس أو الكبت بين أسوار الخدمة الجيش، حيث انصرفت اهتماماتهم إلى العلوم العسكرية والطبية أو الطبيعية. بالإضافة إلى أن قاعدة الأفندية لم تكن قد اتسعت بالرغم من إنشاء وزارة للمعارف، وإرسال البعثات.

لكن عصر الخديوي إسماعيل شهد اتساعًا في قاعدة هذه الطبقة، وأصبحت هذه الطبقة تمثل ركيزة أساسية في صناعة وتحديث المجتمع المصري، فإلى جانب اضمحلال طبقة المشايخ والعلماء نمت هذه الطبقة بالتعليم الحديث، واكتسبت مكانة اجتماعية بمنح رجالها الإقطاعيات والامتيازات وتغلغلت في دواوين الدولة وأجهزتها الإدارية التي وقرتها نظم وقوانين محمد علي. فلقد توسعت الحكومة في إنشاء المدارس بكافة أنواعها: الابتدائية، الثانوية، ومن أمثلة هذه المدارس: مدرسة المهندسخانة التي أنشئت عام ١٨٦٦م بالعباسية، ومدرسة الحقوق التي أنشئت في عام ١٨٦٨م، وكان اسمها مدرسة "الإدارة والألسن"، ومدرسة دار العلوم التي أسست في عام ١٨٧٢م، وكان الغرض منها تخريج أساتذة للغة العربية، بالإضافة إلى مدارس الطب والولادة، والمدارس الصناعية، مدرسة (الفنون والصنائع ١٨٦٨م، ومدرسة التلغراف ١٨٦٨م، وفرقة النقاشين ١٨٦٩م، وفرقة عمليات المرور ١٨٧٠م) وكذلك المدارس الخصوصية (مدرسة المساحة والمحاسبة ١٨٦٨م، مدرسة اللسان المصري القديم (اللغة المصرية القديمة) ١٨٦٩م، ويجب الإشارة في هذا المقام إلى فضل إسماعيل في إنشاء أولى مدارس تعليم الفتيات في القطر المصري، إيمانًا منه بأهمية تعليم الفتاة وتأكيدًا على الدور المحتمل للمرأة في تلك الفترة، والمؤكد فيما بعد. ففي سنة ١٨٧٣م أنشأت السيدة جشم آفت هانم ثالث زوجات الخديوي إسماعيل مدرسة السيوفية، وكان بها نحو مائتي طالبة يتعلمن مجانًا، فضلاً عن الإنفاق على مأكلهن وملبسهن ويتعلمن القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم... إلخ[٩٠].

فنلاحظ هنا أن التعليم الحكومي في عصر إسماعيل وإن استمر على نفس الدرب والمنوال الذي رسمه له محمد علي باشا من حيث كفالة الطلاب من خلال النظام الداخلي ومن ناحية توفير الوظائف لهم في الإدارة الحكومية إلا أنه اتخذ في هذا العصر طابعًا قوميًا وليس طابعًا عسكريًا كما كان في عهد محمد علي.

أدى اتساع قاعدة طبقة الأفندية إلى ظهور بصماتها واضحة جلية على مجال الطباعة والنشر وكذلك الصحافة، فمع ازدياد عدد المدارس التي أنشئت في عهد الخديوي إسماعيل، ازداد عدد المثقفين، مما أدى إلى التوسع الهائل في كمية الكتب المطبوعة سواء من قبل الحكومة، أو من قبل الملتزمين. وظهرت العديد من المطابع الخاصة سواء للمصريين أم للأجانب، وبذلك تحولت الطباعة من أداة حكومية تتحكم فيما تنشره للناس، بحيث يكون موافقًا ومسايرًا لسياستها إلى أداة مجتمعية في أيدي الشعب، حيث أصبح الكثير من أفراده على علم بما يجري في الداخل والخارج. ويتضح ذلك من كثرة عدد الكتب التي نشرت في عهد الخديوي إسماعيل، وأعداد الصحف التي طبعت في عصره، سواء أكانت حكومية مثل الوقائع المصرية، أم كانت أهلية وأولها وأهمها: صحيفة وادي النيل التي أصدرها عبد الله أبو السعود في ٥ يوليه ١٨٦٧م[٩١].

المطابع الأخرى التي نشأت في مصر

تأخر ظهور المطابع الأهلية المصرية شيئًا ما فلم تظهر إلا بعد مضي نحو أربعين سنة من إنشاء مطبعة بولاق، وبرزت ثلاث مطابع رسمية في هذه الفترة من تاريخ الطباعة في مصر، وهي مطبعة بولاق أو المطبعة الأميرية ومطبعة مصلحة المساحة ومطبعة السكة الحديدية، أما بقية المطابع الرسمية فكانت صغيرة معاونة ليست ذات شأن. وتنقسم إلى:

أ- المطابع الرسمية

١- مطبعة أبي زعبل

تحوي المطبعة أربع طابعات مما يدل على أنها لم تكن من المطابع الصغيرة إذا ما قورنت بمطبعة بولاق. ويبدو أن مطبعة أبي زعبل ظلت تطبع بواسطة الحجر حتى سنة ١٨٣٣م على الأقل، ذلك أن كتب الطب كانت لا تخلو من الرسومات الإيضاحية التي لم يكن في الاستطاعة نقلها إلا بالطباعة الحجرية لعدم اكتشاف وسيلة الحفر على الزنك بعد.

كانت مطبعة أبي زعبل تُزَود بعمال من مطبعة بولاق، فقد أرسلت إليها الأخيرة في سنة ١٢٤٧هـ/١٨٣١م ثمانية عمال لمساعدتهم على أداء العمل. وكان لعمال مطبعة أبي زعبل كأقرانهم المستخدمين بمطبعة بولاق ملابس من الصوف وسجادات من الصوف.

أغلقت مطبعة أبي زعبل أبوابها في سنة ١٨٣٧م عندما استقر الرأي على نقل مدرسة الطب من أبي زعبل إلى القصر العيني. وقد توقفت المطبعة عن العمل منذ ذلك التاريخ وأحيلت أشغالها إلى مطبعة بولاق التي قامت بطبع كتب الطب بالحروف المتفرقة.

٢- مطبعة الطوبجية بطره

أنشئت في نفس السنة التي فتحت خلالها مدرسة الطوبجية، أي في سنة ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م، وذلك لنشر الكتب والقوانين باللغة

التركية والعربية على رجال الجيش وإنجازًا للأعمال اللازمة للنظام الجديد. ومن مطبوعات تلك المطبعة "كتاب الكنز المختار في كشف الأراضي والبحار" وهو مختصر في الجغرافيا. قام بتصحيحه الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي وتم طبعه سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م.وطبع بتلك المطبعة أيضًا كتاب كليلة ودمنة سنة ١٢٥١هـ/١٨٣٥م.

٣- مطبعة ديوان الجهادية

تم تعيين عثمان نور الدين مديرًا للمدرسة الحربية ببولاق، وكان بها مطبعة حجر لطبع الكتب التركية، والعربية، والفارسية وصحيفة أسبوعية تصدر بالعربية والإيطالية. وقد اختير عمال تلك المطبعة من بين عمال مطبعة بولاق الذين أمضوا فترة طويلة في التدريب، وكان هؤلاء العمال يعاملون المعاملة نفسها من حيث المرتبات والتعيين. وكانت مطبوعاتها غاية في الإتقان: فصحف التعليمنامة التي كانت قد طبعت طبعًا رديئًا في إحدى مطابع الحجر، قد أعيد طبعها جيدًا في مطبعة ديوان الجهادية.

٤- مطبعة ديوان الخديوي

يرجح أنها تعود إلى ما قبل سنة ١٢٤٨ هـ/١٨٣٢م بقليل. ومهما يكن من أمرها فقد كانت تقوم بطبع الأوراق الخاصة بديوان الخديوي. وقد زادت أعمالها في سنة ١٢٤٨هـ عما كانت عليه من قبل، الأمر الذي حدا برئيسها أن يطلب من الديوان المذكور تعيين ثلاثة رجال لإدارتها من مطبعة بولاق وقاية للمصالح من التعطيل. وقد وافق الديوان على ذلك.

٥- مطبعة القلعة

في أغلب الظن هي مطبعة ديوان الخديوي نفسها التي كانت تقوم بطبع جورنال خديوي قبل إنشاء الوقائع المصرية في سنة ١٨٢٨م. طبعت مطبعة القلعة صحيفة الوقائع المصرية من العدد ٥٣٥ الصادر في ٢٦ صفر سنة ١٢٤٦ هـ/١٥ يونيه سنة ١٨٣٣م إلى العدد السادس الصادر في ٢٦ جمادى الآخرة سنة ١٢٦١هـ/ يوليه سنة ١٨٤٥م، وطبع في تلك المطبعة أيضًا قانون نامة، وكان ذلك في سنة ١٢٥١هـ/١٨٣٥م، ووزع هذا القانون على المديرين ونظار الأقسام ونظار الدواوين والمصالح الأميرية والسودان والحجاز وكريت.

٦- مطبعة رأس التين بالإسكندرية

هي أول مطبعة رسمية عرفتها الإسكندرية بعد مطبعة الحملة الفرنسية. ويشمل تصميم ترسانة الإسكندرية مبنى يضم مخزن الحكومة ومطبعة حجر وحروف ومكاتب. ويقع ذلك المبنى بالقرب من ورشة الحدادة الكبرى ومعمل المزاليج والبرادة. ولم يشر التصميم الذي وضع لترسانة مدينة الإسكندرية قبل سنة ١٨٢٩م إلى أي مبنى خاص بالمطبعة أو إلى وجود مطبعة في تلك الجهة بالذات، مما يرجح أن مطبعة رأس التين تأسست بعد ذلك التاريخ بسنة أو سنتين على الأكثر.

من المرجح أن تكون مطبعة رأس التين هي المطبعة الوحيدة التي أنشئت في الإسكندرية حوالي سنة ١٨٣٢م، وأنها المطبعة التي قامت بطبع المونيتور إجبسيان أو المرشد المصري، وفي مكتبة المطبعة الأميرية ببولاق كتاب إنشاء تركي مطبوع في ١٦ربيع أول سنة ١٢٤٩هـ باللغة التركية ويقع في ١٠٣ صفحة، وذكر فيه أنه طبع بمطبعة ولي النعم محمد علي في السراي بالإسكندرية بتصحيح عزيز أفندي، وأصدرت المطبعة نفسها في سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م كتاب "تاريخ نابليون" ترجمة حسن أفندي، وقام بتصحيحه عزيز أفندي. وقد اقتضى الأمر إرسال مطبعة حروف جديدة من بولاق إلى الإسكندرية ليأتي الطبع سريعًا وأنيقًا. ولم يتوصل إلى معرفة السنة التي توقفت فيها تلك المطبعة عن العمل ولو أنه يرجح أن تكون قد أغلقت في أواخر حكم محمد علي شأنها في ذلك شأن عدد كبير من مؤسسات ذلك العهد.

٧-مطبعة مكتب الموسيقى

كان في مكتب الموسيقى مطبعة حجرية لطبع النوتات الموسيقية الخاصة بالجيش ولم يكن في تلك المطبعة قسم للتجليد.

٨-مطبعة جزيرة كريت

لم تكتف الحكومة القائمة بإنشاء المطابع في مصر، بل ذهبت تنشئ المطابع في الخارج

ففي سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣١م صدر أمر بتأسيس مطبعة في كريت لطبع جريدة وقائع كريتية. وقد صبت الحروف التركية في مصر، أما الحروف اليونانية فقد طلب من مصطفى باشا محافظ كريت أن يجتهد في الحصول عليها من مصر أو من كريت أو بلاد المورة. وبعد إعداد المطبعة وتغذيتها بالحروف، أرسلت الحكومة علي أفندي إلى كريت لخدمة الوقائع التي ستطبع فيها.

وكان عمال تلك المطبعة العشرة يعاملون معاملة حسنة وكانت تصرف لهم ملابس من الصوف مثل ملابس الرجال المستخدمين في مطبعة بولاق. لم تعش مطبعة كريت طويلاً فقد اضطرت إلى أن تغلق أبوابها، حين توقف إصدار وقائع كريتية.

٩- مطبعة المهندسخانة

في سنة ١٨٣٤م أسست الحكومة مدرسة في بولاق لتعليم الهندسة وألحقت بها مطبعة لطبع الدروس التي كانت تلقى على تلاميذها. ظلت هذه المطبعة تعمل طوال حكم محمد علي، وعلى الرغم من ميل عباس باشا إلى إغلاق المدارس التي تأسست في عهد جده، فقد ظلت مدرسة الهندسة مفتوحة، وكذلك مطبعتها. ولكنها تعطلت بعض الوقت حين باع سعيد باشا مدرسة الهندسة.

١٠- مطبعة أركان حرب الجهادية

أنشئت بالقلعة سنة ١٨٧٢م حيث كانت المطبعة آنذاك بالقسم الثاني من مكتبة أركان الحرب، ولم يكن فيها سوى بضعة صناديق حروف لاتينية منظمة وفق النظام الأمريكي، وصناديق للحروف العربية وطابعة قديمة وطابعتين حجريتين بدائيتين. ولكن بعد بضعة أشهر من تأسيس المطبعة أرسلت من أمريكا طابعة تدار بالقدم وآلة حديثة للقص وآلة طبع عادية وطابعة حجرية ومجموعة من الحروف الجديدة. كما اشتريت طابعة طراز مارينوتي وطابعتان عاديتان وطابعة حجرية من محلات بناسون بالإسكندرية. وفي الوقت نفسه جلبت للمطبعة آلة لتذهيب الكتب وبعض المعدات المصنوعة بالقاهرة.

لم يكن عمل المطبعة مقصورًا على طبع الكتب، بل تعداه إلى طبع الخرائط المختلفة مثل خريطة بحيرة ألبرت نيانزا، كما طبعت كتبًا خاصة بفرق المشاة والفرسان، وتضمنت تلك الكتب بعض الرسوم ونوتات الموسيقى العسكرية. قامت المطبعة بتجليد تلك الكتب تجليدًا فاخرًا وتقديم نسخ منها إلى الخديوي، وعندما تفجرت الأزمة المالية سنة ١٨٧٦م، شملت خفض الإنفاق بمطبعة أركان حرب الجهادية فامتنعت عن دفع مرتبات الموظفين وأجور العمال سنتين كاملتين مما تسبب في تقديم رؤساء الأقسام والعمال لاستقالاتهم وكان على رأس المستقيلين مدير المطبعة.

جدير بالذكر أن الموسيقي الإيطالي الشهير ڤردى، كان قد لحن لمسرح الأوبرا الخديوية أوبرا عايدة. وجاء مصر خصيصًا نخبة من أشهر مغني الأوبرا الإيطالية لتقديم تلك المسرحية الغنائية في القاهرة. وانتهز المصور الكاريكاتيري فينشنزو فالنته الفرصة وقام بتصوير هؤلاء الممثلين ثم جمع تلك الرسوم في كتاب أطلق على اسم "الحيوانات التي تصدح على مسرح الأوبرا". وقامت مطبعة أركان حرب الجهادية بطبع هذا الكتيب بالألوان على مطبعة الحجر وبموافقة الجنرال ستون. حفر الفنان مارزيني الرسوم على الحجر، وكان هذا الكتيب خير دعاية للمطبعة وللقائمين على شئونها.

١١-مطبعة الداخلية

في ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٠م أمر ناظر الداخلية بإنشاء مطبعة الداخلية لتقوم بطبع الوقائع المصرية. وتزودت بالآلات والمعدات من مطبعة بولاق، وقد نفذ أمر الناظر في أكتوبر سنة ١٨٨٠م. وطبعت فيها الوقائع ابتداء من العدد ٩٣٣ الصادر في ٩ أكتوبر سنة ١٨٨٠م. ثم عادت الوقائع إلى الصدور من مطبعة بولاق ابتداءً من أول يوليو سنة ١٨٨٤م.

١٢- مطبعة مدرسة الفنون والصنائع

وهي مطبعة حجرية بدأت نشاطها بعد سنة ١٨٨٢م وقامت بطبع الكتب الخاصة بمدرسة الفنون والصنائع.

١٣- مطبعة نظارة المالية

في أواخر ديسمبر سنة ١٨٨٤م تأسست هذه المطبعة، وابتداء من أول يناير سنة ١٨٨٥م أصبحت صحيفة الوقائع المصرية والصحيفة الرسمية الفرنسية تطبعان فيها. وأدوات ومعدات هذه المطبعة هي عبارة عن أدوات ومعدات المطبعة الفرنسية لصاحبها فرنان موريس وشركاه. ووضعت المطبعة في مقر النظارة نفسها وكان أكثر عمالها من الإيطاليين.

١٤-مطبعة ديوان الأوقاف

يعود إنشاؤها إلى حوالي سنة ١٨٨١م فقد طبعت في تلك السنة " قانون ديوان عموم الأوقاف".

كانت المطبعة في ذلك العهد عبارة عن ثلاث حجرات، الأولى لصف الحروف والثانية للطبع. وكان فيها آلة طبع كبيرة وأخرى صغيرة والثلاثة للتجليد. ومن مطبوعاتها في تلك الحقبة "روض القلوب المستطاب" للشيخ حسن رضوان (١٣٢٢هـ) و"أحكام الأوقاف" للإمام أحمد بن عمر الخضاف (١٣٢٢هـ) و"التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية " لإبراهيم باشا القوقاسي.

١٥-مطابع سكك حديد الحكومة المصرية

أنشئت في سنة ١٨٨١م، وظلت إلى سنة ١٩٠٥م تابعة لقلم المخازن ثم انتقلت تبعيتها إلى قلم المراقبة العام لسكك حديد وتلغرافات الحكومة المصرية. وكانت حتى سنة ١٩١٤م تقوم بتزويد السكك الحديدية والتلغرافات بالمطبوعات المستعجلة أما الكتب والمستندات

فكانت تطبع في الخارج. كانت المطبعة في سنة ١٩١٠م تتكون من ورشة للجمع الأجنبي، وأخرى للجمع العربي وورشة لصب الأشكال، وورشة للطبع تحتوي على تسع طابعات بينها اثنتان ماركة بابكوك الأمريكية ووحدة ماركة ألوزيه الفرنسية وواحدة ماركة برمر وواحدة ماركة كوهينور وثلاث آلات ماركة هاريلد، والآلات الخمس الأخيرة كانت تدار بالقدم، وكانت توجد أيضًا طابعتان حجريتان الأولى ماركة ألوزيه والثانية ماركة بوليتو، عدد كبير من آلات الترقيم ماركة رافاس. كانت مطبعة السكة الحديدية هي المطبعة المصرية الوحيدة التي تطبع بالمقاسات الإنجليزية إذ أن المطابع في مصر جرت على اتخاذ القاعدة الفرنسية مقياسًا لها.

قامت مطبعة مصلحة المساحة خلال الحرب العالمية الثانية بطبع عدد من الكتب لجيوش الحلفاء وأوراق النقد لسوريا ولبنان وللبنك الأهلي المصري من فئة المائة جنيه وطوابع بريد العراق والأردن وطوابع الدمغة للقنصلية اليونانية. وتطبع هذه المطبعة منذ سنة ١٩٤٣م نتيجة سنويًا مصورة كما طبعت صور مساجد مصر بالألوان لحساب وزارة الأوقاف، وقامت إلى جانب طبع الخرائط بإصدار طوابع البريد والتمغة وأوراق النقد فئة خمسة وعشرة قروش، وعندما دخلت التليفونات تحت سيطرة الحكومة في سنة ١٩١٨م أصبحت المطبعة تنجز جميع أشغال السكك الحديدية والتلغرافات والتليفونات كجداول المواعيد وتعاريف البضائع ودفاتر تليفونات المشتركين والأدوات الكتابية.

١٦- مطبعة مصلحة المساحة[٩٢]

عندما أنشئت في سنة ١٨٩١م لم تكن مطبعتها تطبع إلا الخرائط الخاصة بالمصلحة ذات المقياس ١/٤٠٠ و١/٢٥٠٠ وجاءت بعد ذلك الخرائط الطبوغرافية مقياس ١/١٠٠٠٠ التي طبعت باللونين الأسود والأزرق وفي سنة ١٩٠٦م، بدئ في إصدار مجموعة من الخرائط ذات المقياس الصغير (١/٥٠٠٠٠) وبلغ عدد خرائطها ١٥٣ خريطة سنة ١٩١١م، ثم بدأت تطبع بأربعة ألوان سنة ١٩٠٩م حيث كانت تستعمل الألوان الأسود، والأزرق، والأخضر، والبني.

كان يعمل في هذه المطبعة حوالي ثمانين عاملاً ما بين رسام وعامل، وكان لديها اثنتا عشرة آلة طباعة بينها ثمان ماركة فيتشتر وآلة طبع حجر تدار باليد وثلاث آلات أخرى ماركة فواران واثنتان أخريان من طراز إنجليزي. وكانت تلك المطبعة أول مطبعة في مصر تقتني طابعة أوفست، وقد اشترتها من مصانع مان Mann سنة ١٩١٢م. وقامت المطبعة خلال الحرب العالمية الأولى بطبع الخرائط الطبوغرافية للجيش البريطاني، ولما انقطع ورود البضائع من أوروبا في تلك الحرب، قامت مصلحة المساحة بطبع طوابع بريد الحكومة الحجازية وطوابع حملة فلسطين. وقامت المصلحة أيضًا برسمها، وطبعت أوراق النقد من فئة الخمسة قروش .

كان لنجاح التجربة التي قامت بها المطبعة في طبع طوابع البريد أن فكرت الحكومة المصرية جديًا في أن تكلفها بإصدار طوابع البريد المصرية، وبدأت مصلحة المساحة منذ سنة ١٩١٩م في دراسة طريقة إخراج هذه المطبوعات الجديدة إلى حيز الوجود. واستطاعت المطبعة في سنة ١٩٢٣م أن تصدر طابع بريد وكان يحمل صورة الملك فؤاد رسمًا خطيًا. تقدمت المطبعة بخطوات سريعة وقد نالت مطبوعاتها الدبلوم والميدالية الذهبية في المعرض الدولي الذي أقيم بمدينة لييج ببلچيكا سنة ١٩٣٠م، وجائزة سوق الشرق الذي أقيم سنة ١٩٣٣م بمدينة باري بإيطاليا، والدبلوم والجائزة الأولى من المعرض الدولي الذي أقيم بمدينة بروكسل سنة ١٩٣٥م وغيرها من الجوائز.

قامت مصلحة المساحة في سنة ١٩٥٢م بطبع المصحف الشريف على ورق ممتاز بحجم كبير وبكمية كبيرة للوفاء بحاجة مصر والبلاد الإسلامية والمسلمين في العالم وجاء المصحف آية في فن الطباعة والرسم، وتعتبر مطبوعات مصلحة المساحة من أدق المطبوعات وأجملها لا في الشرق العربي فحسب بل في أوروبا وأمريكا أيضًا

١٧- مطبعة قصر عابدين

كان الديوان السلطاني يطبع مطبوعاته في المطابع الأهلية المختلفة ثم رؤى عند تولي الملك فؤاد أن تنشأ مطبعة بقصر عابدين لتوحيد طبع النماذج المطلوبة للخاصة والأوقاف. كانت المطبعة في أول الأمر عبارة عن طابعتين صغيرتين وبعض الأدوات الضرورية اللازمة لتشغيلها.

١٨- مطبعة جامعة القاهرة

بدأ التفكير في إنشاء مطبعة لجامعة القاهرة في سنة ١٩٣٨م وأدرجت في ميزانية الجامعة بعض الدرجات للموظفين الإداريين في المطبعة وظل الأمر عند هذا الحد إلى بداية الحرب العالمية الثانية، حيث لم يكن في الاستطاعة تزويدها بما هي في حاجة إليه من أدوات ومعدات وظل الحال كذلك إلى أن تمكنت إدارة الجامعة من شراء بعض آلات الطباعة من مخلفات الجيوش البريطانية بحوالي خمسة آلاف جنيه.

اشترت جامعة القاهرة في سنة ١٩٤٠م طابعة وكمية من الحروف العربية ظلت مخزونة إلى أواخر سنة ١٩٤٥م، ثم كتب للمطبعة أن ترى النور وبدأ العمل في مطبعة الجامعة رويدًا رويدًا وفي سنة ١٩٥٢م كانت تطبع إلى جانب ذلك مؤلفات جامعة الإسكندرية ومجلس الدولة والذي عطل نمو مطبعة جامعة القاهرة في أول الأمر.

هكذا قامت المطابع الرسمية في مصر بدور رئيسي في إرساء صناعة الطباعة في مصر إذ أنها تحملت العبء بمفردها حوالي أربعين سنة، وبفضلها ارتقت الطباعة بعد أن رسخت أقدامها وتعلم المصريون فنًا رفيعًا لم يكن لهم دراية به، وأصبحت المهمة التي ألقيت على عاتق المطابع الرسمية في مصر من أخطر المهام، فقد أسهمت إسهامًا فعالاً في نشر العلم والمعرفة وجعلت الكتاب في متناول كل من يطلبه فقيرًا كان أو غنيًا.

ب- مطابع الأجانب

سوف نتعرض لمطابع الأجانب بنظرة شاملة من خلال الحقب التاريخية المختلفة:

الفترة من ١٨٤٢م-١٨٨٣م[93]

عرفت القاهرة أول مطبعة أجنبية في سنة ١٨٤٢م، وهي مطبعة إمبلوني Imbelloni وفي وثائق عابدين ما يؤيد وجود تلك المطبعة في حوالي ذلك التاريخ، كانت الحكومة تطبع فيها الكتب الفرنسية الخاصة بتلاميذ مدرسة الألسن والمدارس الخصوصية الأخرى، ومن المرجح أنها أغلقت في أواخر عهد محمد علي أو في عهد عباس الأول. وكان بالقاهرة في سنة ١٢٦١هـ/١٨٤٤م مطبعة كاستللي. وقد طبعت كتبًا بالعربية نذكر منها " الخطب السنية للجمع الحسينية " للشيخ مصطفى البولاقي، وأول مطبعة كبيرة أنشئت بالإسكندرية هي مطبعة فانسان بناسون Vincent Penasson وهو طابع من جزيرة كورفو، فرنسي الأصل إيطالي الجنسية وأخذت مطبعته منذ تأسيسها في سنة ١٨٥٧م تتقدم بخطى واسعة وبعد موته انتقلت ملكيتها إلى شقيقه أنطوان هورن.

في حوالي سنة ١٨٦٠م أسس أنطوان موريس بالإسكندرية مطبعته، وجلب لها طابعة أوتوماتيكية طراز ألوزيه وهي أول طابعة من نوعها عرفتها مصر وأطلق موريس على مؤسسته اسم المطبعة الفرنسية بالإسكندرية.

اشترك موريس بعد ذلك مع زميلين له اسم الأول ري Ry واسم الآخر رافيولو Raviolo وعرفت المطبعة باسم موريس وشركائهما ثم باسم أنطوان موريس وشركائه بعد أن سافر ري وسميت آخر الأمر بالمطبعة الفرنسية أنطوان موريس بعد وفاة رافيولو.

عمل موريس على توسيع مطبعته بعد أن ضم إلى رأس المال المبلغ الذي ناله من بيع مطبعة بولاق في عهد عبد الرحمن رشدي، وازداد الضغط على مطبعة موريس وانهالت الطلبات عليها من شركة قناة السويس، واضطر موريس أن يقوم بتوسيعها مرة أخرى وجلب لها أحسن المعدات واشتركت المطبعة الفرنسية في معرض باريس الذي أقيم في سنة ١٨٦٧م فنالت مطبوعاتها المعروضة الميدالية الفضية أسوة بمطبعة بولاق.

كما طبع صحيفة "إيجبت" الفرنسية لمدة خمس سنوات اعتبارًا من شهر مارس سنة ١٨٧٤م وكان يتقاضى في مقابل ذلك ستين ألف فرنك سنويًا، وطبعت مطبعة موريس "فهرس دار الآثار المصرية" وتقاضت عنه أربعة وعشرين ألفًا وخمسمائة وثمانية قرشًا، و"مختصر تاريخ مصر" باللغة الفرنسية كما طبعت بعض المطبوعات لوزارة العدل وكان أنطوان موريس يقوم بطبع المونيتور إجبسيان لحساب الحكومة المصرية.

في سنة ١٨٧٥ أسس موريس المطبعة الفرنسية ببورسعيد وسلم إدارتها إلى سريير Serrière الذي أصبح فيما بعد صاحب المطبعة، وعرفت مطابع الأجانب المطابع الحجرية في سنة ١٨٦٧م حين أسس بناسون بالإسكندرية أول مطبعة حجرية فنية أجنبية واستقدم بناسون الخبراء والفنيين من أوروبا وتمكن بعد قليل من إخراج أشغال غاية في الدقة والإتقان مما دفع بالحكومة المصرية أن تطلب إليه في سنة ١٨٦٧م طبع المجموعة الثانية من طوابع بريدها. عرفت المطبعة بعد ذلك باسم "المطبعة الخديوية" وقام على إدارتها أنطوان هورن.

وفي الإسكندرية تأسست "المطبعة الأمريكية" لطبع الكتب الدينية على المذهب البروتستانتي، وكانت حروفها هي حروف المطبعة الأمريكية ببيروت، وعرفت القاهرة المطابع الحجرية الفنية الأجنبية بعد الإسكندرية بوقت طويل، وأول من أنشأ مطبعة من هذا النوع هو دي لاروكا سنة ١٨٧٧م. وكانت مطابع الأجانب في تلك الحقبة من تاريخ الطباعة في مصر في تقدم مستمر نظرًا لكثرة الأجانب وازدياد عدد الشركات التجارية والملاهي وما إليها من الدور التي كانت في حاجة إلى مطبوعات مختلفة الأنواع ولما اشتعلت الثورة العرابية انكمش الأجانب في مصر وخاصة بالقاهرة حيث أغلقت بعض المطابع الأجنبية أبوابها.

الفترة من ١٨٨٣م-١٩٢٤م[٩٤]

تعتبر هذه الحقبة من تاريخ الطباعة في مصر أفضل حقبة بالنسبة لمطابع الأجانب فقد نمت تلك المطابع وازدهرت بسبب زيادة عدد الأجانب، واستتباب الأمور بالنسبة لهم بعد إخماد الثورة العرابية فتأسست المصارف ودور التجارة والصناعة في القاهرة والإسكندرية وبعض مدن الوجهين البحري والقبلي، وعلى الرغم من بيع أنطوان موريس مطبعته بالإسكندرية إلى مطبعة بولاق في سنة ١٨٨٥م، فقد قام ابنه في السنة التالية بتأسيس مطبعة جديدة بالاشتراك مع لويس كارير. في سنة ١٩٠٠م استطاع موريس الابن أن يشتري المطبعة من شريكه فأصبحت تعرف باسم "المطبعة العمومية".

احتلت هذه المطبعة الجديدة الصف الأول بين دور الطباعة في القاهرة والإسكندرية ولما تبين لصاحب المطبعة أن مقرها ضاق بعمالها والذين بلغ عددهم ثمانين عاملاً، ضم إليها محلين آخرين وهي أول مطبعة أجنبية في مصر تجلب آلات تنضيد الحروف لينوتيب ماركة مارجنتالر الأمريكية، وكان ذلك في سنة ١٩٠٨م.

في سنة ١٨٨٢م تأسست بالقاهرة مطبعة متاندوس وهارسيادیس وتخصصت في طبع البرونز، والألوان، وورق السجاير، وأغلفة العلب المطبوعة بالكرومو، والعلب الملونة ذات الكتابة البارزة.

أنشئت في سنة ١٨٨٣م مطبعة بوهم واندرر وهي مطبعة ألمانية تخصصت في طبع الكراسات ومن المرجح أنها صفيت خلال الحرب العالمية الأولى مثلها في ذلك مثل جميع المؤسسات الألمانية.

في سنة ١٨٨٥م تأسست في القاهرة مطبعة مونافو. وابتداءً من سنة ١٨٩٤م طبعت صحيفة الإميرسيالي الإيطالية، وعمل صاحب تلك المطبعة قبل أن يؤسسها في مطبعة صحيفة البوسفور إجبسيان وفي مطبعة صحيفة الجورنال إجبسيان.

في سنة ١٨٩٨م تأسست بالقاهرة مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، وقد قام بتنظيمها إميل جيوم الذي كان يعمل في قسم صف الحروف الشرقية في المطبعة الأهلية بباريس وقد تمكن بسهولة من العثور على صفافي الحروف العربية والقبطية، ولم يجد عناءً كبيرًا في إيجاد من يصف حروفًا عبرية ويونانية ولكنه صادفته أكثر من عقبة عندما بدأ في تعليمهم صف العلامات الهيروغليفية. رصدت الحكومة الفرنسية لعام ١٨٩٨م اثني عشر ألف فرنك لعمال المطبعة وثلاثة آلاف فرنك لتجديد معداتها وأول مطبوع ظهر عن تلك المطبعة هو لائحة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة. وهي أول مطبعة في مصر تستخدم العلامات الهيروغليفية. وكانت مصلحة الآثار المصرية من أكبر عملائها.

في منتصف شهر سبتمبر سنة ١٩٠٣م وصل ألبير جيس القاهرة ليحل محل مدير المطبعة السابق بول باربيه وفي عهد المدير الجديد نقلت المطبعة إلى مقرها الحالي بالمنيرة بعد أن كان في قصر النيل، واستخدمت المطبعة الحروف العربية، واليونانية، والعبرية، والقبطية، والآشورية، والهيروغليفية.

في سنة ١٨٩٨م تأسست بالإسكندرية مطبعة مدرسة الفرير للفنون والصنائع وألحقت بها ورشة للتجليد وكان الغرض من إنشاء هذه المؤسسة تعليم فن الطباعة وفن التجليد لكل من يرغب في ذلك، وطبع مطبوعات مدارس الفرير المنتشرة في مصر. وقد ألف الأخ سيريل لوسيان مدير المطبعة كتابًا في الطباعة نشره سنة ١٩٢٣م.

إذن كثر عدد مطابع الأجانب في مصر خلال الربع الأول من القرن العشرين وترجع أسباب هذه الكثرة إلى الانتعاش الاقتصادي الذي عم البلاد وتأسيس الشركات المساهمة وازدياد عدد المدارس وانتشار العلم والصحف انتشارًا لم تعرفه مصر في القرن التاسع عشر، وكان لتشجيع المصريين للأجانب أطيب الأثر على الطباعة. فقد نزح من إيطاليا وفرنسا وألمانيا عدد كبير من رجال الطباعة وافتتحوا بالقاهرة والإسكندرية وبورسعيد مطابع كانت لا تقل كثيرًا عن مطابع أوروبا، وقد عمل المصريون في هذه الدور فتعلموا الكثير من الفنون المطبعية التي كانت خافية عليهم وإن كانت مصر تفوقت على غيرها من الدول العربية بل بعض دول أوروبا.

الفترة من ١٩٢٤م -١٩٣٩م[٩٥]

بدأت مطابع الأجانب في مصر تشعر بوطأة منافسة المطابع المصرية التي ظهرت واضحة بعد سنة ١٩٢٤م الأمر الذي حدا ببعض أصحاب المطابع أن يصفي مركزه، ولم يثبت في الميدان إلا مطابع الهيئات وشركات النشر ودور الصحف، وبعض مطابع الأفراد،

أما مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية فقد ظلت معداتها على ما كانت عليه حتى سنة ١٩٣٠م تقريبًا، غير أن عدد عمالها وصل إلى الستين ثم قل بالتدريج تبعًا لقلة المطبوعات وقد منحت الجمعية الزراعية الملكية المطبعة في أوائل أبريل سنة ١٩٣١م الميدالية الذهبية ودبلوم الشرف بناء على قرار لجنة التحكيم.

الفترة من ١٩٤٠م – ١٩٥٢م[٩٦]

وضعت الحراسة على جميع مطابع الإيطاليين في مصر بعد إعلان إيطاليا الحرب على الحلفاء، وعندما صفيت هذه المطابع اشترى معظمها مصريون وعلى أي حال، فقد انخفض عدد المطابع الأجنبية عمومًا. أما المطابع التي ثبتت في الميدان فقد زودها أصحابها بكل مستحدث جديد، ففي حوالي سنة ١٩٤٠م جلبت مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية آلة تنضيد حروف طراز مونوتيب للجمع اللاتيني، وأتبعتها بآلة أخرى من الطراز نفسه تستطيع أن تنضد الحروف اللاتينية والحروف العربية حسب الحاجة. وقد تم شراء هذه الآلة الأخيرة في سنة ١٩٥١م.

جـ- مطابع الصحف

كان للصحافة وانتشارها أثر كبير في تطور آليات الطباعة، نتيجة للحاجة الملحة لسرعة الطباعة بكميات كبيرة نسبيًا، نتيجة لتزايد نطاق الكلمة المطبوعة، علاوة على اطراد واتساع نطاق عادات القراءة؛ فجاءت أول خطوة في اتجاه مكننة الطباعة في عام ١٨١٤م، حينما طبقت صحيفة التايمز طريقة فريدريك كيونج "أسطوانة التشكيل بالكبس". وهذه عبارة عن ماكينة طبع تتحكم في قوة دفع البخار الواصل إلى فرشة أحرف ترددية بحيث تنتج صحائف بمعدل ١١٠٠ في الساعة، وهو ما يعادل أربعة أضعاف ناتج الطباعة اليدوية. وجاءت الخطوة الثانية، وهي التحول إلى الحركة الدورانية في الطباعة بما يسمح للمطبعة بالدوران في حركة مستمرة وليست متقطعة. وأنتج الأمريكي أر.إم. هو أول مطبعة دوارة تعمل بصورة مرضية في عام ١٨٤٤م. وتميزت إحدى ماكيناته التي ركبتها صحيفة التايمز في عام ١٨٥٦م بالقدرة على طبع ٢٠ ألف نسخة في الساعة. وجاءت بعد ذلك خطوة أبعد مدى وهي استخدام بكرة الورق التي تدور في حركة مستمرة، وأدى هذا إلى استحداث ماكينات الطبع الأوتوماتيكية بالكامل. وأول من أنجزها هو دبليو بولوك في الولايات المتحدة في ستينيات القرن التاسع عشر، ثم الماكينة الدوارة التي أنجزها والتر، وأدخلت عليها صحيفة التايمز تحسينات لتبلغ حدًا كبيرًا من الإتقان[٩٧].

لم يكن للصحف المصرية مطابع خاصة بها في أول الأمر، بل كانت تطبع في المطابع التجارية وأول مطبعة أنشئت لطبع صحيفة هي مطبعة وادي النيل وقد أسسها في سنة ١٨٦٦م أبو السعود أفندي والد أنسي بك مفتش المعارف سابقًا، وكانت حروف صحيفة وادي النيل هي حروف مطبعة بولاق ثم صب صاحبها حروفًا جديدة على قاعدة تخالف قاعدة بولاق وأعلن خفض أجور المطبوعات إلى الثلثين[٩٨].

من ناحية أخرى، كان الخديوي إسماعيل شديد الاهتمام بتلك الصحيفة، يغدق على صاحبها المال ويمدها بالأخبار فقد قرر لها سنة ١٨٧٢م ثمانية وعشرين ألف قرش إعانة تشجيعًا لصاحبها على المضي في نشرها، واشتهرت مطبعة وادي النيل بكثرة عدد عمالها وآلاتها وظلت تعمل ما يقرب من عشرين سنة ولم يقتصر نشاطها على طبع صحيفة وادي النيل بل تعداه إلى طبع نشرة أركان حرب الجيش المصري ومجلة روضة المدارس، إلا أن طبعها للصحيفة الأولى كان أقل أناقة من مطبعة عموم أركان حرب، وطبعت أيضًا صحيفة روضة الأخبار لمحمد أنسي.

في سنة ١٨٧٢م تأسست مطبعة جريدة كايرون اليونانية وكان عمالها عددهم أحد عشر، ثمانية لصف الحروف وثلاثة لإدارة الطابعة الوحيدة الإيطالية الطراز، وإلى جانب طبع الصحيفة كانت المطبعة تقوم بإنجاز بعض المطبوعات التجارية.

بدأت قصة مطابع صحيفة الأهرام بالإسكندرية سنة ١٨٧٥م حين تقدم سليم تقلا في تلك السنة إلى الخديوي إسماعيل يستأذنه في إنشاء جريدة الأهرام وقد وافق المسئولون في وزارة الخارجية على الطلب[٩٩].

كانت الجريدة تحتوي على التلغرافات والمواد التجارية والعلمية والزراعية والمحلية وكذا من المقاصد طبع بعض كتب "كمقامات الحريري"، وبعض ما يتعلق بالصرف، والنحو، واللغة، والطب، والرياضيات، والتاريخ، والحكم، والنوادر، والأشعار، والقصص الأدبية، ..إلخ

لم تكن مطبعة الأهرام مقصورة إذن على الصحيفة فحسب بل كانت تقوم أيضًا بطبع الكتب الأدبية والقصص ولم تصدر الأهرام إلا بعد حصول صاحبها على الترخيص بسبعة أشهر وتسعة أيام. وفي تلك الأثناء أرسل تقلا في طلب أخيه بشارة، وقد حضر هذا الأخير في الحال وبدأ الشقيقان يعملان معًا فاشتريا مطبعة واحدة هزيلة بطيئة، وأول مطبوع أخرجته هو "مثال الأهرام"، وكان ذلك في ١٥ يوليه سنة ١٨٧٦م وكانت المطبعة تستخدم في أول الأمر الحروف المسبوكة في بيروت وكانت لديها أيضًا حروف لاتينية مختلفة الأشكال والأحجام، وتنقسم حروف مطبعة الأهرام العربية إلى نوعين فالنوع الأول كبير واضح قليل الهمزات يشبه إلى حد كبير حروف الوقائع المصرية. أما النوع الآخر فهو صغير يشبه حرف بنط ١٢ المستعمل اليوم وإن متصفح الأعداد الأولى لتلك الجريدة لابد وأن يحكم أنه لم يكن بها مصحح، وأغلب الظن أن الشقيقين سليم وبشارة كانا يقومان بتلك المهمة بقدر ما كان يسمح لهما وقتهما. ولذا جاءت الأعداد الأولى كثيرة الأخطاء المطبعية بينما

جاءت حروف أعداد السنة الثانية من الأهرام أكثر وضوحا، وقليلة الأخطاء المطبعية إن لم تكن نادرة وأخذت مطبعة الأهرام تقوم بنشر الروايات المترجمة إلى اللغة العربية وتعرضها للبيع بأرخص الأثمان.

لم تستمر مطبعة الأهرام على الحروف الكبيرة مدة طويلة، فقد رأت ابتداء من العدد السادس أن تستبدل الحروف الكبيرة بحروف أصغر وقد كتبت تقول " نظرا إلى إقبال المشتركين على الأهرام اعتمدنا أن نجعل حروفها في العدد الآتي وما فوقه من الجنس الثاني – أي الصغير – فتكون جامعة أكثر من الجنس الأول وكافلة بدرج ما يجب وضعه مما يفيد المطالع".

ولم يقتصر اهتمام مطبعة الأهرام على الحروف وأحجامها وأنواعها فحسب، بل تضيف إلى أقسامها فرعًا لتجليد الكتب أعلنت عنه أحد أعدادها، إذ تقول إن "إدارة الأهرام قد استحضرت مجلد لتجليد الكتب متقن هذه الحرفة حق الإتقان ويأتي حسب إرادة سواء كان المطلوب تذهيبًا أم كتابة وما شابه ذلك. فمن يرغب تجليد شيء فليخاطب الإدارة "[100].

اتسع نشاط مطبعة الأهرام وكثر الطلب عليها ويقرر آل تقلا شراء طابعة جديدة يعلن عنها في عدد الأهرام الصادر في ١٦ أغسطس سنة ١٨٧٨م على النحو الآتي :

"إن الوابور الذي كنا ننتظر حضوره حضر في هذا الأسبوع، وهو آلة جميلة تطبع في الساعة نحو ألف طلحة من الورق طبعًا نظيفًا متقنا للغاية واستحضرنا قبله ومعه جميع أشكال الحروف اللاتيني الجميل لتقوم إدارتنا بحقوق الجريدة الرسمية المختصة بمجالس الحقانية التي تطبع عندنا الآن بالعربية والفرنسوية والإيطالية ولنقوم أيضا بخدمة من يشرفنا بطبع ما يروم، فنرجو من الجمهور أن يثق باستعدادنا لمرضاته وهي حسبنا".

استطاعت الأهرام بعد فترة وجيزة من إنشائها أن تستحضر حروفًا عليها الهمزات والشداة، بينما كان معظم مطابع مصر خالية منها.

قامت مطبعة الأهرام بطبع صدى الأهرام وهي جريدة يومية أصدرها سليم وبشارة تقلا ويرجح أن يكون عددها الأول قد صدر في العاشر من شهر أكتوبر سنة ١٨٧٦م. وصدرت عن مطبعة الأهرام أيضًا مجلة "حقيقة الأخبار" وهي مجلة صغيرة أنشأها بشارة تقلا سنة ١٨٧٨م لينشر فيها البرقيات التي ترد إلى الأهرام عن الحرب الروسية التركية، ولما أغلقت صدى الأهرام أصدر سليم تقلا بدلا منها جريدة أطلق عليها اسم "الوقت" وقد ظهرت في أوائل سنة ١٨٧٨م، وطبعت مطبعة الأهرام في سنة ١٨٧٩م.

مع نشوب الثورة العرابية في صيف سنة ١٨٨٢م أمر عرابي باشا ناظر البحرية والجهادية بتعطيل صحيفة الأهرام شهرًا واحدًا ابتداء من أول يونيه سنة ١٨٨٢م، غير أن حريق الإسكندرية لم يلبث أن أتى على المطبعة ومحتوياتها وتجبر الظروف جريدة الأهرام على الاحتجاب بعد صدورها بأسابيع ويعود سليم تقلا مع أسرته إلى لبنان. عاد سليم تقلا إلى الإسكندرية بعد الثورة العرابية وافتتح مطبعة جديدة، ويعود فضل استكمال معدات مطابع الأهرام إلى فتح الله بك جاويش، فقد كان وكيلا للأهرام في سوريا لمدة عشرين سنة، وكان يقوم بشراء أدوات الطباعة والمسابك والحروف ويرسلها إلى الإسكندرية برسم مطابع الأهرام. توفي سليم تقلا في أغسطس سنة ١٨٩٢م وانتقلت ملكية الأهرام ومطابعها إلى شقيقه بشارة تقلا، وفي أول نوفمبر سنة ١٨٩٩م انتقلت الأهرام ومطابعها إلى القاهرة وظلت مطبعة الإسكندرية تطبع جريدة الأهرام صغيرة الحجم الخاصة بذلك الثغر، وكان لمطابع الأهرام بالقاهرة اثنتا عشرة طابعة يدار أكثرها بالبترول ولما توفي بشارة تقلا في سنة ١٩٠١م انتقلت ملكية الأهرام ومطابعها إلى أرملته وابنه جبرائيل.

في شهر يوليه سنة ١٩٤٣م توفي جبرائيل فانتقلت ملكية الأهرام إلى ابنه بشارة وابنتيه وأرملته ومضت الأهرام في طريقها المرسوم بنفس الهمة والنشاط وزاد عدد قرائها مما حدا بها في سنة ١٩٥٢م إلى شراء طابعة روتاتيف جديدة ماركة هاوآند كرابتري من لندن. وتطبع هذه الآلة بأربعة ألوان وسرعتها ١٢٠ ألف نسخة في الساعة إن كانت الصحيفة ذات ست عشرة صفحة ومن خاصيتها أنها تغير بكرات الورق أوتوماتيكيا دون توقف حركتها ويتحكم في إدارة المطبعة أربعة محركات قوة كل واحد منها خمسون حصانا.

ففي سنة ١٩٦١ أدخلت مؤسسة الأهرام قاعدة جديدة على ست وحدات من آلات الإنترتيب بعد أن اختصرت المتاريس أو القوالب من ١٢٣ إلى ٩٠، فارتفع الإنتاج من ٨٠ سطرًا إلى ١٢٠ سطرًا في الساعة بنط ٩ وفي مطابع الأهرام الآن عشرون وحدة جمع إنترتيب.

تأسست صحيفة الإجبشان جازيت بالقاهرة سنة ١٨٨٠م لصاحبيها ساك ومانسون Sack & Manson وكان مقرها في عمارة البورصة القديمة، وكانت تقوم إلى جانب طبع صحيفة الإجبشان جازيت بطبع الأشغال التجارية المختلفة[101].

ومن المطابع الكبرى التي أنشئت في ذلك العهد مطبعة المقتطف والمقطم ففي شهر مايو من سنة ١٨٧٦م أنشأ يعقوب

صروف وفارس نمر مجلة المقتطف ببيروت ثم انتقل بها إلى القاهرة في سنة ١٨٨٥م وكانت المقطم حتى سنة ١٩٠٨م تطبع على آلات الطباعة المسطحة، ثم حذت حذو المؤيد والأهرام واللواء فابتاعت آلة طباعة دوارة روتاتيف.

أما الطابعات فقد جددت في أعقاب الحرب العالمية الأولى وقامت تلك المطبعة بطبع عدد كبير من الكتب العلمية والأدبية على نفقة أصحابها، كما قامت بطبع بعض مطبوعات الحكومة في أواخر القرن الماضي.

أنشأ الشيخ علي يوسف صحيفة المؤيد في سنة ١٨٨٩م وكانت مطبعتها صغيرة تدار باليد طبعًا مسطحًا ولا يزيد عدد ما تطبعه في الساعة على مائة نسخة وبعد سنتين من إنشاء الجريدة اشترى لها صاحبها طابعة ألوزيه تطبع بكابس أسطواني إلى ٦٠٠ نسخة في الساعة الواحدة[١٠٢].

رأى صاحب المؤيد في سنه ١٩٠٦م أن يشتري لجريدته طابعة من اختراع مارينوني الفرنسي المشهور باختراعاته المطبعية حيث كانت هذه أول مطبعة من نوعها وهكذا عرفت مصر أول روتاتيف في أكتوبر سنة ١٩٠٦م بفضل همة الشيخ علي يوسف.

في سنة ١٨٩١م أنشأ جورجي زيدان بالاشتراك مع نجيب متري مطبعة صغيرة أطلقا عليها اسم "مطبعة التأليف".

أصدر جورجي زيدان في تلك السنة مجلة الهلال وكانت مطبعة الهلال حتى سنة ١٨٩٩م لا تطبع إلا الكتب التي تقوم بنشرها على حسابها، وقد استوردت مطبعة الهلال في أوائل فبراير سنة ١٨٩٩م آلة كبيرة من طراز ألوزيه المشهور بدقته وسرعته.

وكان لدى مطبعة الهلال في نهاية القرن الماضي ستة أنواع من الحروف العربية وهي "الحرف الفارسي الجديد، والحرف الثلث ،وحرف النوع الأول الإسلامبولي، وحرف النوع الثاني الأسود والحرف الثاني الأميركي، وحرف النوع الثالث المصري الجديد" وجلبت المطبعة لطبع بطاقات الدعوة والبطاقات الخصوصية سبعة عشر نوعا من الحروف اللاتينية وكان في المطبعة قسم للتجليد يجلد كل أنواع التجليد موسومة بالذهب.

رأى الزعيم مصطفى كامل أن لابد له من جريدة يومية يتصل بالرأي العام عن طريقها فأسس جريدة "اللواء" واشترى لذلك الغرض مطبعة كاملة المعدات، وصدر العدد الأول من اللواء في ٢ يناير سنة ١٩٠٠م. وعندما أصبحت صحيفة اللواء تصدر في ثماني صفحات استورد لها أصحابها طابعة روتاتيف تطبع في الساعة الواحدة اثني عشر ألف نسخة وطبعت مطبعة اللواء صحيفتي The Egyptian Standard، ومجلة اللواء.

وطبعت تلك المطبعة أيضًا جريدة أسبوعية اسمها "العالم الإسلامي"وسافر مصطفي كامل بنفسه إلى أوروبا لشراء الطابعة الروتاتيف والمعدات المطبعية الأخرى التي لابد منها لطبع ثلاث صحف يومية وانتقلت ملكية المطبعة بعد وفاة صاحبها إلى علي (بك) كامل وشركاه. واستخدمت المطبعة آلتين لينوتيب من طراز أمريكي. وكانت مطبعة اللواء أكبر مطبعة مصرية في سنة ١٩١٠م.

في سنة ١٩٠٦م تأسست مطبعة شركة النشر المصرية وهي عبارة عن مطبعتي بناسون والبورص بعد أن ضمتا إلى بعضهما البعض، وتأسست مطبعة الجريدة في سنة ١٩٠٧م.

هكذا نرى أن عدد مطابع الصحف قد زاد زيادة كبيرة في الفترة الواقعة بين سنة ١٨٨٢م وسنة ١٩٢٤م، حيث أن ظهور الأحزاب جعل كل حزب يفكر في إصدار جريدة أو مجلة تدافع عن وجهة نظره فجلبت الطابعات الحديثة وانتشرت طابعات الروتاتيف بحيث أصبحت معظم الصحف اليومية المصرية تطبع بها. أما الصحف الأجنبية فقد تسابقت على اقتناء آلات تنضيد الحروف من صنع إنجلترا وأمريكا وتوسعت المجلات في نشر الصور الفوتوغرافيا فجلبت ورش الحفر على الزنك وبدأت بعض المجلات في طبع أغلفتها بالألوان فاستخدمت لهذا الغرض مطابع الحجر في انتظار الوسائل الطباعية الأخرى التي لم تكن تعرف في مصر إلا في مطبعة مصلحة المساحة، ولقد احتلت الطباعة في مصر في هذه الفترة من حياتها المكانة اللائقة بها بفضل الجهود التي بذلتها الحكومة من ناحية والأفراد من ناحية أخرى[١٠٣].

تقدمت المطابع العادية والمطابع التجارية جنبًا إلى جنب مع مطابع الصحف بفضل إقبال الناس على القراءة وتطور الحركة السياسية وتعدد الأحزاب، واتساع رقعة الإعلانات في الصحف ففي حوالي سنة ١٩٢٧م سعى جبرائيل تقلا في استحضار آلة لصف الحروف العربية من شركة لينوتيب ولكن الاتفاق لم يتم بين صاحب الأهرام وبين تلك الشركة. ذلك أن الأول طلب عمل بعض التعديلات في أشكال الحروف وعددها وطريقة تركيبها. فلما رفضت اللينوتيب إجراء تلك التعديلات، اتفق مع شركة منافسة تدعى شركة إنترتيب، قبلت أن تصنع أمهات الحروف بالوصف الذي تريده الأهرام واعتمد جبرائيل تقلا على بعض الخطاطين والفنانين مثل نجيب هواويني الذي استنبط أشكال الحروف التي كانت أساسًا لصنع أمهات حروف الإنترتيب.

أما قصة دخول آلات الإنترتيب إلى مصر فيذكر صاحب مطبعة بروكاشيا بالإسكندرية أن أنجلو بروكاشيا هو أول من أدخل آلات تنضيد الحروف المعروفة باسم إنترتيب في سنة ١٩٣٠م، وقد رأى أن هذه الآلة يمكن الاستفادة منها فائدة كبرى فيما لو استطاعت تنضيد الحروف العربية، فلم يلبث أن أوحى برأيه هذا إلى جبرائيل تقلا بواسطة وكيل تلك الشركة في مصر ورحب صاحب الأهرام بتلك الفكرة واستعان بمحمود الليثي الأخصائي في آلات اللينوتيب وبسليم حداد الأخصائي في الآلات الكاتبة العربية وابتداء من شهر يوليه سنة ١٩٣٢م بدأت الأهرام تجمع حروفًا بآلات الإنترتيب.

نشطت مطابع الصحف نشاطًا كبيرًا خلال الحرب العالمية الثانية وذلك على الرغم من قلة ورود الورق وقطع الغيار، ذلك أن الصحف قد استعدت للحرب منذ سنة ١٩٣٨م فخزنت كميات هائلة من الورق وحبر الطباعة وقطع الغيار.

من ناحية أخرى عمت حركة التجديد مطابع صحف الإسكندرية فاشترت جريدة البصير لمطبعتها في سنة ١٩٥١م آلة مونوتيب حديثة لتنضيد الحروف العربية اللاتينية، في حين تعاقدت شركة الإعلانات الشرقية مع ماكس كوخ Max Koch الذي كان يعمل حتى سنة ١٩٤٥م مديرًا فنيًا لمطبعة شندلر بالقاهرة. فارتفع في عهده مستوى الطباعة في مطابع هذه الشركة وآية ذلك مجلة "المرأة الجديدة" التي كانت تطبع طبعا فاخرًا، وبالألوان الأربعة على ورق مصقول[١٠٤].

كانت أصول صحيفة أخبار اليوم التي صدرت في نوفمبر سنة ١٩٤٤م تجمع في مطبعة مصر ثم ترسل إلى مطابع جريدة الأهرام لتقوم بطبعها وظلت تجمع بتلك الطريقة إلى أن اشترى مصطفى أمين وعلي أمين الأرض الكائنة ببولاق والتي أقيمت عليها الدار بعد ذلك. وقد بُني أول ما بني من الدار عنبر قسم اللينوتيب وهو عبارة عن آلتين اشتريتا من إنجلترا ثم استوردت إدارة الصحيفة آلتي إنترتيب من أمريكا، وكان ذلك في نهاية سنة ١٩٤٥م وأصبح عدد تلك الآلات في سنة ١٩٥٢م اثنتي عشرة آلة. وعندما وصل عدد الآلات إلى أربع، بدأت المطبعة تجمع أصول جريدة أخبار اليوم التي أصبحت تطبع في مطبعة الجورنال ديجيت، ونظرًا لضخامة الكمية التي كانت تطبع من أخبار اليوم فقد تقاسم طبعها مطبعة الجورنال ديجيبت ومطبعة شركة الإعلانات الشرقية.

استمر الحال كذلك مدة من الزمن إلى أن تعاقدت أخبار اليوم على صنع آلة روتاتيف في مصانع سكوت فيكرز تطبع حوالي مائة ألف نسخة في الساعة الواحدة من جريدة يبلغ عدد صفحاتها عشرة صفحة بلونين أو بأربعة ألوان، ووصلت تلك الآلة من إنجلترا سنة ١٩٥٢م وقامت أول ما قامت بطبع صحيفة الأخبار الجديدة التي صدر عددها الأول في ١٥ يونيه سنة ١٩٥٢، وجريدة أخبار اليوم، وآخر لحظة يضاف إليها الصحف التي تصدر عن غير دار أخبار اليوم الاشتراكية واللواء الجديدة ومجلة المهندسين[١٠٥](شكل ٧٢).

إن تقدم فن الطباعة في مصر يرجع إلى انتشار الصحافة وازدهارها فلولا صحيفة الوقائع المصرية لما فكر محمد على في توسيع مطبعة بولاق وجلب الطابعات الحديثة لها، ولولا الوقائع أيضًا، لما قرر إنشاء مطبعة خاصة في القلعة لهذا الغرض وإذا انتقلنا إلى سنة ١٨٦٦م ألفينا عبد الله أبو السعود أفندي ينشئ مطبعة وادي النيل لطبع صحيفته ورأينا مطابع أجنبية تؤسس في القاهرة والإسكندرية لتطبع الصحف الفرنسية والإيطالية والإنجليزية التي ظهرت في تلك الحقبة من تاريخ مصر. ولولا الصحافة وانتشارها والتنافس بينها لما بادر الشيخ على يوسف في سنة ١٩٠٦م بشراء أول آلة روتاتيف عرفتها مصر لجريدته المؤيد ولما تبعه الزعيم مصطفى كامل فاشترى في السنة التالية طابعة روتاتيف قامت بطبع صحفه الثلاث[١٠٦].

أخيرًا، قامت الصحافة بدور مهم في تطور الطباعة في مصر، وأسهم في ذلك المصريون والأجانب على حد سواء.

د- المطابع الأهلية[١٠٧]

استطاعت مطبعة بولاق أن تشعل الحركة الثقافية بين أفراد المجتمع المصري، فنشطت الأفراد والجماعات في مجال طبع ونشر الكتب، مفعمين بروح الإصلاح، والانفتاح، والتحديث؛ فانتشرت عشرات المطابع في قلب القاهرة، وبالأخص في تلك المنطقة المتصلة بالأزهر الشريف، ودار الكتب المصرية، وهو أمر طبيعي أن تنشأ المطابع والمكتبات حول دور العلم والفكر، على الرغم من تأخر ظهورها، حيث ظهرت بعد مضي نحو أربعين سنة من إنشاء مطبعة بولاق، ومن أشهر المطابع الأهلية التي ظهرت معاصرة لمطبعة بولاق:

١- المطبعة الأهلية القبطية

عرفت بعد ذلك باسم مطبعة الوطن، أنشئت هذه المطبعة في عام ١٨٦٠م. نشرت عددًا من كتب التراث مثل "قوانين الدواوين" لابن مماتي عام ١٢٩٩هـ/١٨٨١م، "حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة" للسيوطي عام ١٢٩٩هـ/١٨٨١م.

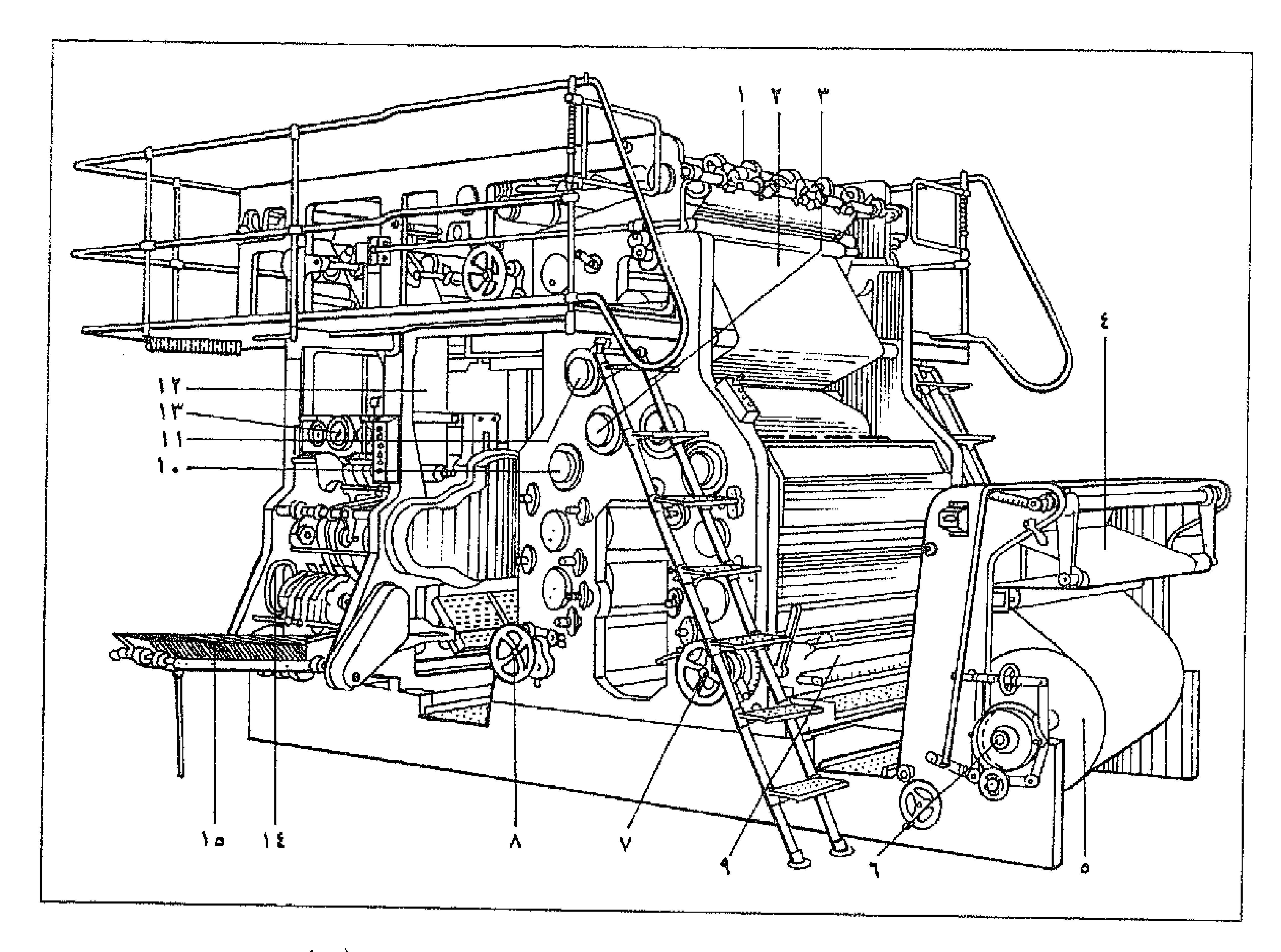
٢- مطبعة وادي النيل

أنشأها عبد الله أبو السعود أفندي عام ١٨٦٦م، وطبع فيها صحيفة وادي النيل، إلى جانب نشر بعض كتب التراث، منها "الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر" لعبد اللطيف بن يوسف البغدادي ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م، "كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ" لابن الأجدابي ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م

٣- مطبعة جمعية المعارف (المطبعة الوهبية)

عرفت باسم المطبعة الوهبية نسبة إلى صاحبها ومنشئها مصطفى وهبي بن محمد، وكان رئيس تصحيح اللغة التركية بمطبعة بولاق، وقد اقترن اسم المطبعة الوهبية باسم جمعية المعارف التي كانت تطبع كتبها التي تختارها في المطبعة الوهبية.

جدير بالذكر أن جمعية المعارف أسسها محمد عارف باشا[١٠٨] أحد أعضاء مجلس الأحكام بمصر عام ١٨٦٨م. طبعت هذه الجمعية مجموعة قيمة من الكتب في اللغة، والتاريخ، والأدب من أهمها خمسة أجزاء من كتاب "تاج العروس" للزبيدي بين أعوام ١٢٨٥-١٢٨٧هـ/١٨٦٨-١٨٧٠م.



(شكل٧٢) ماكينة طبع الصحف، تطبع من سطح بارز، لها عديد من المسميات، مثل ماكينة طبع دوارة حروف، وماكينة طبع دوارة (تيبو).

١- أسطوانات لقطع أو شق الورق طوليًا
٢- شريط الورق
٣- طنبور أو أسطوانة الطبعة أو الضغط
٤- أسطوانة شد شريط الورق
٥- لفة أو بوبينة الورق
٦- فرملة ذاتية للفة الورق
٧- عجلة ضبط الكبسة الطباعة الأولى
٨- عجلة ضبط الطبع على الوجهين
٩- حوض الحبر
١٠- طنبور السطح الطباعي
١١- طنبور طبع اللون الثاني
١٢- وحدة تسليم شريط الورق المطبوع إلى جهاز الطي
١٣- عداد النسخ المطبوعة.
١٤- جهاز الطي
١٥- صحف مطوية.

٤- المطبعة الميمنية

أسسها مصطفى البابي الحلبي، وأخواه بكري وعيسى، سنة ١٢٧٦هـ/١٨٥٩م.

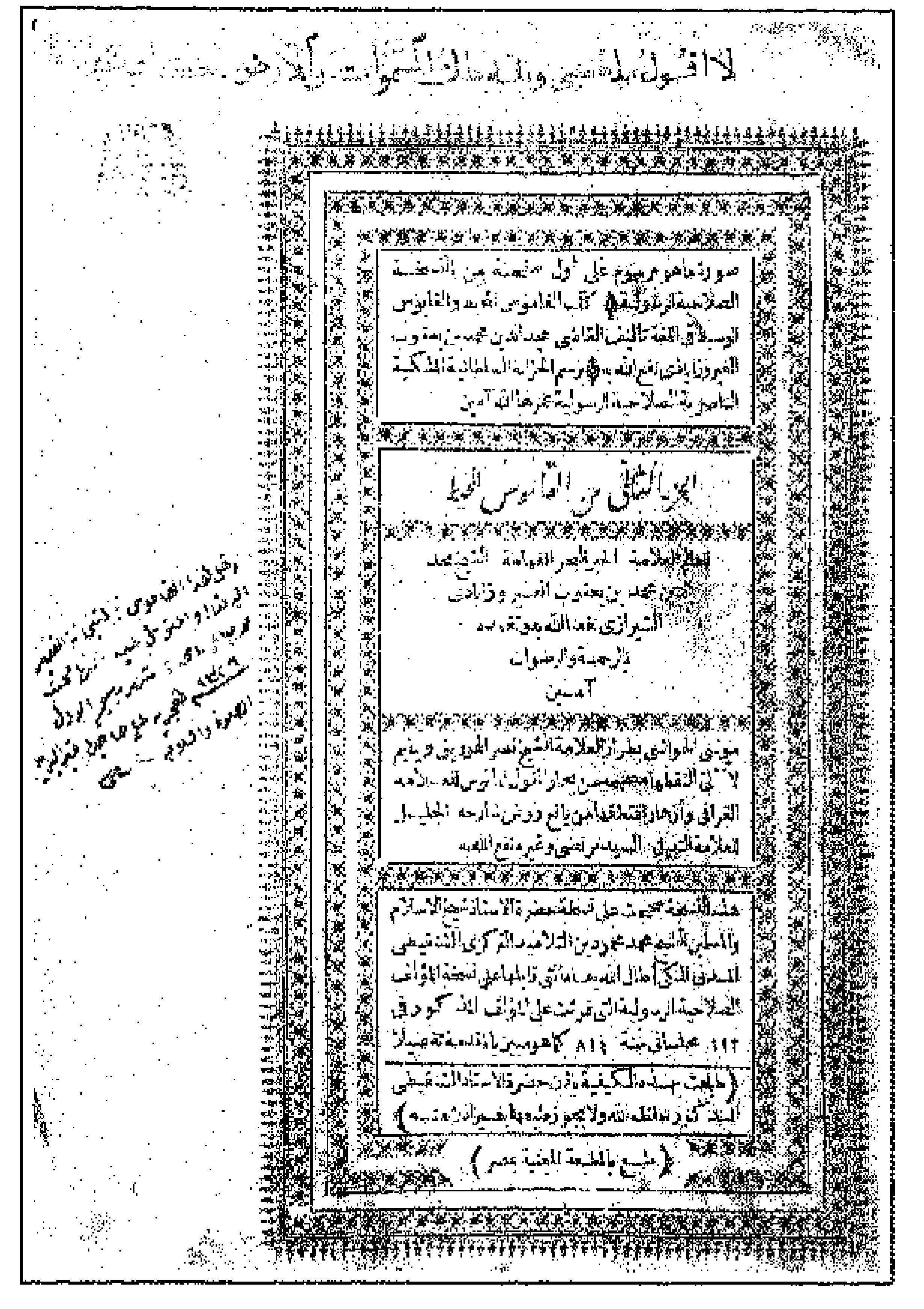
تمتاز هذه المطبعة عن سائر المطابع الأهلية بعنايتها الفائقة بطبع الموسوعات أو الكتب ذات الأجزاء الكبيرة، ومن ذلك "مسند الإمام أحمد بن حنبل" طبع في ستة أجزاء من القطع الكبير عام ١٣١٣هـ/١٨٩٥م، وكذلك "القاموس المحيط "للعلامة الفيروزابادي (شكل٧٣)، وهو معجم للغة العربية، وقد تم تحقيقه وتوشيته بالهوامش على يد الشيخ نصر الهوريني أحد علماء اللغة في ذلك العصر. وقام بمراجعتها الشيخ الشنقيطي، وهو الذي قام بطبعها في المطبعة الميمنية على نفقته، لذا فحقوق الطبع محفوظة له كما هو موضح بالشكل.

على هامش الصفحة نجد "بيانات فهرسة" لهذا المُؤلف، حيث قد اشتراه شخص يُدعى محمد سامي وقد أثبت تاريخ الشراء بعام ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م(١٩٠٩م) هذا وقد تفرعت المطبعة الميمنة بعد ذلك إلى مطبعتين كبيرتين، الأولى مطبعة مصطفى البابي الحلبي، بجوار الأزهر الشريف، بشارع التبليطة.

أما الثانية فهي مطبعة عيسى الحلبي، التي تغير اسمها إلى "دار إحياء الكتب العربية"، وتوجد بمنطقة خان الخليلي، خلف مسجد الحسين.

٥- المطبعة الخيرية

أنشأها عمر حسين الخشاب، اهتمت بطباعة كتب التراث مثل "تاج العروس في شرح القاموس" للمرتضى الزبيدي، وقد طبعته في عشرة أجزاء من القطع الكبير عام ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م، بعد طبعة جمعية المعارف التي وقفت عند نهاية الجزء الخامس.


الجزء الثاني من القاموس المحيط

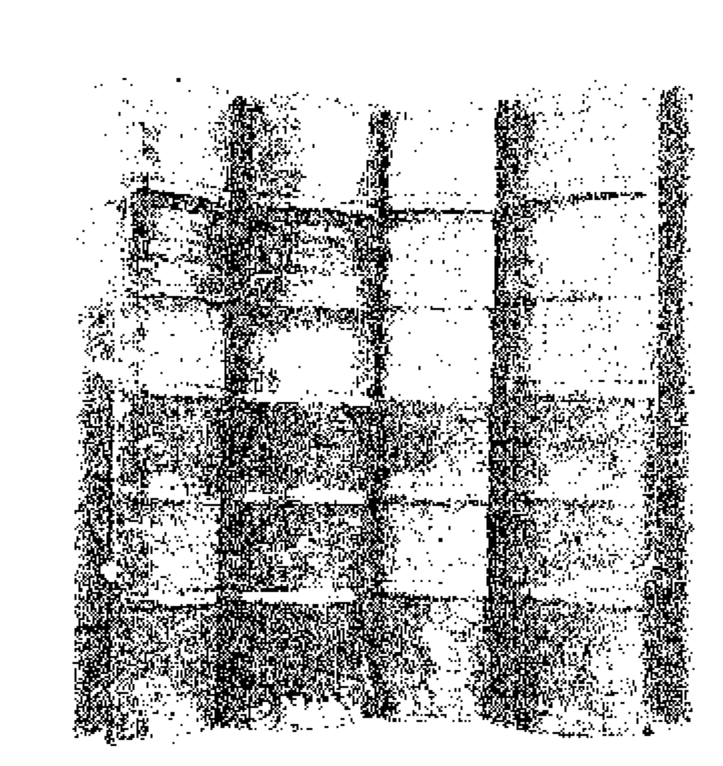
آمين

(طبع بالمطبعة الميمنية بمصر)

(شكل٧٣) "القاموس المحيط"

الفصل الرابع

إصدارات مطبعة بولاق وقواعد النشر الخاصة بها



تنوعت إصدارات مطبعة بولاق فشملت عدة أنواع مثل: القوانين، والكتب، والتقاويم، والوقائع المصرية، والقرآن الكريم، والأوراق، والدفاتر الحكومية، إلخ

أولاً: القوانين

بعد أن وضع محمد علي باشا النظام الإداري وبعد أن دوّن الدواوين ونظّم الحكومة، كانت الدولة لا تستغني عن نشر القوانين وما يلحق بها من اللوائح والمنشورات في جميع أنحاء القطر حتى تسير أمور الولاية على نحو ما يريد، وقد كان محمد علي دائم الإصدار لمثل هذه القوانين والمنشورات كلما ظهرت ضرورة لوضع الحدود وتحديد وجوه العمل، وقد كان كل ما يصدره من هذا القبيل يطبع بمطبعة بولاق ويُنشر على أربابه من أصحاب السيوف والأقلام.

كان أمر إصدار القانون يتضمن أيضًا الأمر بطبعه ونشره ومثال ذلك الأمر الذي صدر في سنة ١٢٦١هـ/١٨٤٥م هذه ترجمته:

"صار منظوري هذا القانون الذي وضع في حق رجال الهندسة وموظفيها عند وقوع المخالفات منهم فيلزم اتخاذ ذلك ذيلاً للقانون ونشره للعموم ولعمد ومشايخ القرى والتنبيه عليهم بالسير على موجبه"[١٠٩].

وقد خلت قوائم مطبوعات بولاق من ذكر القوانين التي طُبعت فيها، لذلك ليس لدينا قائمة كاملة بتلك القوانين التي لا شك في أنها ضخمة العدد، وذلك لأن الذين أعدوا تلك القوائم كانوا من الأوروبيين الذين ما كان يعنيهم شئ غير الكتب فلم يسجلوا غيرها، أما القوانين فحكمها حكم مطبوعات المطبعة ضاع معظمها وبقي القليل منها فلا سبيل إلى تحرير قائمة مؤكدة كاملة بها.

أمثلة القوانين

١- قانون باللغة التركية مطبوع في سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م خاص بترتيبات مجلس أحكام ملكية ويشتمل على تسعة بنود.[١١٠]

٢- سياسة نامة، صدرت في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٥٣هـ/يوليه سنة ١٨٣٧م، وهي عبارة عن قانون جنائي يشتمل على أربعين مادة جنائية تتضمن أربعين حدًا لجرائم مختلفة.

٣- قانون جنائي صدر في ربيع الثاني سنة ١٢٦٠هـ/مايوسنة ١٨٤٤م، يشتمل على ١٥ حدًا.

٤- قانون طبع في الثالث والعشرين من ربيع الثاني سنة ١٢٦٠هـ/ ٢٢ مايو سنة ١٨٤٤م يشتمل على بيان ترتيب الكشوف المعتاد تقديمها في سائر الجهات بمواعيدها وبيان ما يلزم تقديمه أوعدم تقديمه من ذلك، وهوقانون طويل فيه بيان الكشوف التي ترد لكل ديوان على حده.

٥- قانون عقوبات صدر في السادس عشر من رجب سنة ١٢٦٥هـ/٧ يوينو سنة ١٨٤٩م.

٦- قانون عثماني مطبوع في أوائل شعبان سنة ١٢٦٥هـ / أواخر يونيه سنة ١٨٤٩م " يشتمل على أحكام التجارة وينقسم إلى أربعة أقسام: القسم الأول في معاملات التجارة وعقد الشركة، والقسم الثاني في التجارة البحرية وما يتعلق بها من أمور الأمن والأمان، والقسم الثالث في ترتيب قضايا الإفلاس، والقسم الرابع في ترتيب محاكم التجارة وانتظامها وكل قسم ينقسم إلى بنود تحتوي على ثلثمائة وخمس عشرة مادة".

٧- قانون الأجازات العسكرية البرية و البحرية، صدر في ١٢٩٨هـ/١٨٨١م في عهد الخديوي توفيق(شكل ٧٤)

كانت هذه أمثلة لقوانين طبعت ببولاق، وقد كان كل قانون من هذه القوانين يطبع بشكل كتاب يختلف في الحجم من القطع الصغير إلى القطع الكبير على حسب عدد مواد القانون فإن كان قليل المواد طبع في قطع صغير حتى تكثر صفحاته، وإن كان كثير المواد طبع في حجم كبير في عدد لا بأس به من الصفحات. يبدأ القانون بمقدمة بسيطة عن الغرض منه وقد يذكر في سياق هذه المقدمة اسم القانون ثم تكتب المواد تباعًا وفي آخره يُؤرخ طبعه في سطر أوسطرين.

ويجري مجرى القانون ما كان يطبع ببولاق من اللوائح والمنشورات التي كانت تصدر للدواوين المختلفة.

أمثلة اللوائح

١- لائحة طبعت في سنة ١٢٥٧هـ/١٨٤١ م خاصة بعدم تأخير الأعمال في الدواوين، وهي طويلة تحتوي على اثنى عشر بندًا وخاتمة.

٢- لائحة خاصة بمدارس الإبتدائية مطبوعة في بولاق وتحتوي على ٢٧ بندًا تحتوي على نظام هذه المدارس من جميع النواحي التلاميذ، والدروس، والمديرين.

أمثلة المنشورات

١- منشور للتشويق للزراعة ومنع هروب الفلاحين، طبع سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م.

٢- منشور لمشايخ وحكام الأخطاط بالاعتناء في جمع القطن ووقاية محصوله من التلف، وطبع سنة ١٢٤٣هـ/١٨٢٧م.

صورة أمر عالي

نحن خديو مصر

بعد الاطلاع على القانون المقدم بتاريخ ٢٦ رجب سنة ١٢٩٨ من ناظر الجهادية والبحرية وموافقة رأي مجلس نظارنا أمرنا بما هو آت

قانون الاجازات العسكرية البرية والبحرية

المادة الاولى

حكمدار كل الاي أو اورطه مستقلة أو سرية مستقلة يجوز له أن يرخص بالاجازات للعساكر التابعين له متى سمحت بذلك أحوال الخدمة بحيث ان الاجازة المذكورة لا تزيد عن عشرة أيام في الشهر الواحد ولا عن الاثنين يوما في السنة الواحدة للشخص الواحد

المادة الثانية

ينبغي ان يقيد في التقرير اليومي الذي يحرر بالالاي أو بالاورطه المستقلة أو بالسرية كل اجازة يصرح بها وفي آخر كل شهر يعمل تقرير خصوصي عن ذلك ويرسل الى نظارة الجهادية بالطريقة التدريجية بحيث يكون مبينا فيه جميع الاجازات التي صرح بها في مدة الشهر

المادة الثالثة

يجوز لامير اللواء أن يرخص للعساكر الاجازات التابعين له ولمن له معية بمدة لا تزيد عن خمسة عشر يوما في ظرف كل ثلاثة اشهر وتبقى هذه الرخصة

١٥

على حسب الطلب التدريجي

المادة الرابعة

يجوز للفريق أن يرخص للعساكر الاجازات التابعين له ولمن له معية بمدة لا تزيد عن ثلاثين يوما في السنة الواحدة حسب الطلب التدريجي

المادة الخامسة

يجوز لحكمدار الجيش أن يرخص للعساكر الاجازات التابعين للجيش بمدة لا تزيد عن ستة أشهر في السنة الواحدة حسب الالتماسات التدريجية ومن طرف المشار اليه يصير اخطار نظارة الجهادية بذلك تحريرا

المادة السادسة

ناظر الجهادية يرخص بالاجازات لغاية سنة كاملة تحريرا على الالتماسات التي تقدم له من حكمدار الجيش

المادة السابعة

كل ضابط أو عسكري تحصل على رخصة اجازة أو اجازات لا تزيد عن ثلاثين يوما في السنة الواحدة لا يستقطع من استحقاقه شيء في مدة اجازته فان زادت عن شهر يستقطع منه نصف استحقاقه في المدة التي تزيد عن الثلاثين يوما المقررة له في السنة ومع ذلك فالضباط والصف ضباط والاونباشية والعساكر الموجودون بالسودان وهرر وسواحل البحر الاحمر وما أشبه ومن يطلب اجازة خارج المملكة المصرية يضم الى مدة الاجازة التي له الحق فيها بالاستحقاق الكامل خمسة عشر يوما بالماهية الكاملة أيضا

(شكل ٧٤) نماذج من القوانين التي كانت تطبع بمطبعة ببولاق، وهذا القانون خاص "بالإجازات العسكرية البرية والبحرية" صدر في عهد الخديوي توفيق بتاريخ ١٢٩٨هـ/١٨٨١م

٣- منشور لمشايخ وحكام الأخطاط باتباع العدالة في فصل الخصومات بين المزارعين، طبع سنة ١٢٤٣هـ/١٨٢٧م.

٤- منشور صدر في العشرين من شوال سنة ١٢٤٨هـ/ ١٢مارس سنة ١٨٣٣م باللغة التركية لمديري الأقاليم خاص بمنع الشباب المجندين من تشويه أنفسهم وهم في طريقهم إلى الجندية وبالتنبيه على من يعتزم منهم بأن يشوه نفسه سيؤخذ بدله عدد من شباب عائلته ويُرسل هو إلى البحرية طول حياته.

أما عدد النسخ التي كانت تطبع من كل قانون، أو لائحة، أومنشور فلم نعثر على تحديد له والمعقول أنه كان يطبع منها نسخ تتناسب عدد من سيوزع عليهم: فالمنشور الأخير الخاص بمنع تشويه الشبان المجندين لأنفسهم طبع منه ثلاثون نسخة فقط وذلك لأنه كان صادرًا إلى حكام الأقاليم وهؤلاء لم يكن يتجاوز عددهم

الثلاثين، بينما المنشورات الخاصة بمشايخ القري كان لابد من طبع عدد كبير منها لأنهم أكثر عددًا.

ثانيًا: الكتب

كانت الكتب المطبوعة في مطبعة في بولاق ذات طبيعة خاصة، فهناك أنواع تلائم روح محمد علي باشا وفكرته في إحياء مصر وهي على ذلك ثلاثة أنواع: كتب حربية خاصة بالجيش، وكتب مدرسية خاصة بتعليم المدارس، ثم كتب الثقافة الإسلامية ككتب الدين وكتب الآداب.

أما عن كتب الفن الحربي فهي أقرب الكتب إلى طبيعة الوالي وطبيعة إنشاء مطبعة بولاق فقد سبق القول بأنها أنشئت خصيصًا من أجل الجيش ولذا نرى أن أول ما طبع فيها من الكتب كانت كتبًا حربية حيث أن هذا النوع من الكتب احتكر إنتاج المطبعة إلى سنة ١٨٢٦م.

أما الكتب المدرسية فقد تم البدء في طبعها بمطبعة بولاق منذ الابتداء في إنشاء المدارس وجمع التلاميذ أي منذ سنة ١٨٢٤م تقريبًا ولكن الكتب المدرسية على أنواع فمنها الكتب التي كانت تدرس بالأزهر ومنها الكتب التي كانت تدرس بالمدارس الحديثة التي أنشأها الوالي **فأي نوع من هذين أصدرته المطبعة؟**

بالطبع كانت كتب العلوم الحديثة التي كانت تدرس في مدارس الوالي الحديثة هي النوع الوحيد من الكتب المدرسية التي طبعت ببولاق في عهد محمد علي، أما كتب الأزهر فلم يكن يطبع منها شيء في عهده.

هناك أسباب يمكن أن نرجع إليها عدم طبع الكتب الأزهرية في بولاق في عهد محمد علي والاقتصار على كتب العلوم الحديثة.

فمن هذه الأسباب أن محمد علي مع احترامه للأزهر لم يكن يعول عليه في النهضة والتجديد اللذين حاول إحداثهما في مصر، بل كانت نهضة تقوم على الأسس الحربية والإصلاحات الزراعية والصناعية وقد كانت علوم الدين واللغة أبعد ما تكون صلاحية لهذا النوع من المشروعات على الرغم من اعتماد محمد علي فعليًا وحصريًا على علماء وطلبة الأزهر في إدارة وتشغيل مطبعة بولاق ويتضح ذلك من خلال طبقتي المصححين والطابعين. ومن هذه الأسباب أيضًا أن عصر محمد علي لم يكن إلا انقلابًا حديثًا على العصور الوسطى -على حد تعبير أبو الفتوح رضوان- التي كانت سائدة قبله، فاستعمال المدافع في الحرب واتباع النظام الحربي الحديث لم يكن إلا نفيًا لنظام الفروسية واللعب بالسيف الذي كان سائدًا عند المماليك وكذلك كان الانقلاب الصناعي والزراعي وما نشأ عن هذين من انقلاب في التجارة لم تكن جميعها إلا نفيًا للنظام الإقطاعي ونظام النقابات التي كانت عماد الاقتصاد في العصور الوسطى السابقة. وعلى هذا النحو كان الانقلاب في مناهج البحث وموضوعات الدرس؛ فلم تعد علوم الدين والجدل المدرسي السائد في الأزهر يناسب الانقلاب الحديث بل كان لابد من علوم حديثة ومناهج حديثة كذلك يشتغل بها رجال من علماء العلوم الطبيعية الذين تم على أيديهم ذلك الانقلاب، ولذا أصبح الأزهر بما كان سائدًا بين علمائه من الجهل بالعلوم الطبيعية وبطرق التفكير العلمية وبين محاوريه من الاستظهار والقعود عن البحث وبما كان سائدًا فيهم جميعًا من المحافظة على طريقة الحياة القائمة وعدم معالجة موضوعات جديدة تقول بأن الأزهر كان بعيدًا كل البعد عن روح محمد علي وانقلابه وعصره.

من ناحية أخرى، مقاومة الأزهريين أنفسهم إصلاحات الباشا وعدم رغبتهم في الاشتراك فيها وجعلهم من أنفسهم طبقة رجعية تناولت تلك الإصلاحات بكثير من القلق والحذر بل بكثير من عدم الرضى وإعلان السخط فالمطبعة عندهم كانت بدعة واستعمال الحروف المعدنية في كتابة اسم الله كان شيئًا محرمًا وضغط تلك الأسماء المقدسة بالآلات كان عملاً مكروهًا وبعد هذا كله فكتابة ما يتعلق بالخلق والدين والنصوص الإسلامية بالمداد المركب من مواد منافية للطهارة لم يكن عندهم يناسب احترام الدين في شيء ولذا قاوموا طبع القرآن الكريم مدة طويلة ورغبوا عن طبع كتبهم في المطبعة ولو أنهم قد تبينوا فائدة ذلك ومزاياه وطلبوا طبع كتب الأزهر لما تأخر محمد علي عن إجابة طلبهم فمحافظة طائفة الأزهريين كانت من أهم الأسباب التي أبعدت كتب الأزهر عن آلات المطبعة ردحًا طويلاً من الزمن.

ومع هذا كله فإن الأزهريين لم يكن بهم حاجة إلى طبع كتبهم ذلك بأن كتبهم كانت قليلة العدد والمطابع إنما تظهر فائدتها وضرورتها في حالة الرغبة في الانتفاع بكل كتاب ظهر أويظهر في كل علم من العلوم وكل فن من الفنون. فقد كان الأزهريون يدرسون كتبًا بعينها لا يغيرونها أبدًا، وقد كانت قليلة العدد منعدمة الزيادة فكانوا يدرسون في كل علم كتابين أوثلاثة كتب، فكل الكتب التي كانت تدرس في الأزهر لم تكن تزيد على خمسة عشر كتابًا لا تزيد ولا تتغير في سنة عن أخرى وواضح أن مثل هذا العدد القليل الثابت من الكتب لم يكن أصحابه في حاجة إلى مطبعة، وإنما كان يكفيهم فيه طريقة النسخ وهي ما كانت متبعة من قديم.

لهذه الأسباب لم تطبع كتب الأزهر في بولاق في عصر محمد علي واقتصر عملها على كتب العلوم الحديثة ولم تبدأ المطبعة في

طبع شيء من الكتب الأزهرية إلا في عهد سعيد باشا. ومناسبة ذلك فهي أن رفاعة بك الطهطاوي وبعض رجال الحكومة وقتئذ طلبوا من سعيد باشا أن يصدر أمره بطبع الكتب الأزهرية على نفقة الحكومة فأصدر أمره بطبع تلك الكتب فطبعت وقد كانت هذه أول مرة تطبع بها كتب للأزهر في مطبعة بولاق.

أما النوع الثالث من الكتب المطبوعة في بولاق وهي كتب الثقافة الإسلامية ككتب الدين والآداب من غير كتب الأزهر فهي أقل من النوعين السالفين عددًا ذلك لأنها لم تكن تطبع من أجل تلاميذ المدارس ولا من أجل عرض معين أوفئة معروفة فمقياسه في الكتب كان الفائدة فحسب ومعنى الفائدة عنده أن يكون الكتاب محتويًا على معلومات تنفع في تعليم بعض رجال حكومته فنًا من الفنون أوصناعة من الصنائع لها قيمة عملية في مشروعاته الحربية أو الصناعية أوالزراعية وكانت كتب الدين والآداب إذا ما تناولها بهذا القياس قليلة الفائدة فلا هي تعلم فنا ولا هي تشرح صناعة فليس لها إذن قراء في مدارس، أضف إلى ذلك أنها بدون قيمة مالية لقلة القراء بل انعدامهم فالقراءة بعد تلاميذ المدارس الحديثة كانت تنحصر في علماء الأزهر ومجاوريه.

إلا أن محمد علي كان بطبعه يحترم الدين ويعمل دائمًا على نشره وقد كان هذا داعيًا إلى طبع عدد لا بأس به من الكتب الدينية التي تتناول شرح الفرائض وتفسير أحكام الدين والتصوف في مطبعة بولاق، حيث إن الذين قاموا على نشر كتب التراث بتلك المطبعة كانوا يستهدفون غاية ضخمة هي إبراز كنوز الفكر العربي والإسلامي فعمدوا إلى نشر الأمهات والأصول في كل علم ولم يطغ فن على فن فنشرت مطبعة بولاق: "منهاج السنة النبوية" لشيخ الإسلام ابن تيمية في أربعة أجزاء ثم طبعت "الفتوحات المكية" لمحيي الدين بن عربي في أربعة أجزاء أيضًا وطبعت من تراجم المشارقة: "وفيات الأعيان" لابن خلكان ثم طبعت " ألف ليلة وليلة" طبعتين و"رجوع الشيخ إلى صباه في القوة على الباه" لابن كمال باشا وهو أشهر كتاب جنس في المكتبة العربية"[١١١].

تلك كانت أنواع الكتب التي طبعت في مطبعة بولاق وهي وإن كانت قد حصرت في الأنواع الثلاثة المتقدمة إلا أنها متنوعة غاية التنوع ففيها إلى كتب الحرب وكتب الطلب كتب مدرسية كثيرة متنوعة في الحساب والهندسة والجبر والجغرافيا والنبات والنحووفيها إلى هذا كله معاجم.

أما عدد النسخ التي كانت تطبع من كل كتاب فلم يكن ثابتًا بالمرة بل كان يتغير تبعًا لنوع الكتاب وما يتوقعه الباشا من عدد قرائه، يمكننا أن نقول إن النسخ التي كانت تطبع من أي كتاب كانت تتراوح بين خمسمائة نسخة و ألفي نسخة غير أن الكتب التي طبع منها نسخ يصل عددها إلى هاتين النهايتين كانت قليلة جدًا أما الغالبية العظمى من الكتب فكان يطبع منها ألف نسخة.

أما الكتب التي كانت تطبع على نفقة الملتزمين فقد جرت العادة ألا يطبع منها زيادة على خمسمائة نسخة وقد لاحظنا هذا العدد في كتاب "ملتقى الأبحر" الذي طبعه عطا بك قاضي المحروسة على نفقته في سنة ١٢٦٣هـ/١٨٤٧م. والظاهر أن أي ملتزم ما كان يمكنه أن يطبع أكثر من هذا القدر إذا لو طبع ألف نسخة من كتابه لزادت النفقات إلى الضعف لأن نظام الطبع في المطبعة لم يكن فيه أي امتياز لمن يطبع عددًا كبيرًا من النسخ. ومن أمثلة إصدارات المطبعة من الكتب:

١ – قاموس إيطالي وعربي:

يتضمن بالاختصار كل الألفاظ الجاري التعامل بها لفهم اللغتين على الصحيح وقد قُسِم إلى قسمين:

القسم الأول في القاموس المرتب على حسب المعتاد بموجب ترتيب حروف الهجاء، والقسم الثاني ويتضمن مجموع مختصر من أسماء وأفعال من الأشد إلزامًا وأكثر فائدة لتدريس اللغتين.

"Dizionario Italiano e Arabo, Che contiene in Sussinto tuuti I Vocabolui che sono piu in uso e piu necessari per imparare a parlare le due lingue Correttamente."

طبع ببولاق وانتهى طبعه في يوم الاثنين ٢٦ من ذي القعدة سنة ١٢٣٨هـ/٤ أغسطس سنة ١٨٢٣م.

٢ – كتاب صباغة الحرير:

خاص بصباغة الحرير وهو ترجمة كتاب " La Teinture en Soie " تأليف " Macquer " وقد طبع بباريس سنة ١٨٠٨م، ترجمه إلى العربية الراهب روفائيل، وطبع ببولاق في ٢٦ من ذي القعدة سنة ١٢٣٨هـ/٤ أغسطس سنة ١٨٢٣م.

٣ – تلخيص الأشكال:

وهو خاص بالألغام جزء واحد باللغة التركية انتهى طبعه قبل ٢٤ جمادى الأول سنة ١٢٣٩هـ/٢٦ يناير ١٨٢٤م، وهو تأليف حسين رفقي الطماني. وطبع بالأستانة قبل ذلك عام ١٢١٥هـ/١٨٠١م.

٤ – الأجرومية:

كتاب في النحو العربي للإمام محمد بن داود الصنهاجي المتوفى سنة ١٣٢٣هـ، جزء واحد

طبع في آخر رمضان سنة١٢٣٩هـ/مايو١٨٢٤ وقد نقل هذا الكتاب إلى اللغة اللاتينية وعلق عليه .

٥- آلاي تعليمي:
خاص بحركات الصفوف، جزء واحد بالتركية، طبع سنة ١٢٤٠هـ/١٨٢٤م.

٦- جوهرية بهية أحمدية في شرح الوصية المحمدية :
وهي حاشية كتبها قاضي زادة إسطنبول أحمد أفندي على كتاب البركوي في الدين الإسلامي، طبع المتن والحاشية في جزء واحد في سنة ١٢٤٠هـ/١٨٢٥م وقد طبع في الآستانة قبل ذلك في ١٢١٩هـ/١٨٠٥م وترجمة Garcin de Tassay إلى الفرنسية ببعض الاختصار.

٧- أصول هندسية:
ترجمة حسين رفقي الطماني عن الإنجليزية عن " Bonney Castle " وبه رسوم لا يعلم تاريخ طبعه ببولاق وسبق أن طبع بالآستانة سنة ١٨٠١م.

٨- لغم رسالة سي :
جزء واحد بالتركية وبه رسوم، طبع سنة ١٢٤١ هـ/١٨٢٥م(وهو أول كتاب طبع بحروف مصنوعة في مصر) وقد كتبه حسين رفقي الطماني المدرس بمدرسة الهندسية بالآستانة على نمط كتاب فرنسي في نفس الموضوع في عهد سليم الثالث.

٩- مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومشير الغرام إلى دار السلام:
وهو كتاب في أحكام الجهاد(الحرب الدينية) وهو يتضمن الآيات القرآنية ومقطوعات من الكتب الدينية الأخرى التي وردت في موضوع الجهد طبع باللغة العربية في جمادى الأولى سنة ١٢٤٢هـ/ديسمبر سنة ١٨٢٦.

١٠- محاسن الآثار وحقائق الأخبار :
وهو تاريخ للإمبراطورية العثمانية من ١١٦٦هـ-١١٨٩هـ/ ١٧٥٢م-١٧٧٥م تأليف واصف أفندي طبع ببولاق في جزء واحد بالتركية سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م، وكان قد طبع بالآستانة قبل ذلك في سنة ١٨٠٤م، ولواصف أفندي كتاب آخر اسمه"وقايع نويس "يكمل هذا التاريخ إلى سنة ١٨٠٢م وعن كتاب محاسن الآثار أخذ Caussin de Perceval "تاريخ الحرب التركية الروسية الذي نشره بالفرنسية.

١١- كتاب كلستان السعدي :
جزء واحد باللغة الفارسية ١٢٤٤هـ/١٨٢٨م.

١٢- المجلد الرابع من كتب شاني زاده في علم الطب:
جزء واحد باللغة التركية وهو يتعلق بالعمليات الجراحية ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م طبع بالآستانة سنة ١٨٢٠م.

١٣- تشريح بيطاري:
ترجمه من الفرنسية إلى العربية يوسف فرعون. جزء واحد ١٢٤٩هـ/١٨٣٤م الثمن ٣٠ قرشًا.

١٤- لوغاريتمه:
كتاب في اللوغاريتمات. جزء واحد ١٢٥٠هـ/١٨٣٥م الثمن ١٢ قرشًا سبق طبعه بالآستانة سنة ١٨١٧م.

١٥- همايون نامة :
أي الكتاب السلطاني إشارة إلى إهداء الكتاب إلى السلطان سليم الأول وهو ترجمة تركية لكتاب كليلة ودمنة، وصيغت هذه الترجمة التركية عن النسخة الفارسية بقلم علي شلبي المدرس بمدرسة أنقرة التي أسسها مراد الثاني شعرًا ونثرًا في جزء واحد، طبع في سنة ١٢٥١هـ/ ١٨٣٦م. الثمن ٦٧قرشًا.

١٦- كليلة ودمنة:
الطبعة العربية بقلم عبد الله بن المقفع. جزء واحد ١٢٥١هـ/ ١٨٣٦م. الثمن ١٧ قرشًا و٣٠ بارة.

١٧- " الهندسة الوصفية":
ترجمة من الفرنسية إلى العربية بيومي أفندي. جزء واحد ١٢٥٢هـ/١٨٣٧م . الثمن خمسة قروش و١٢ بارة.

١٨- تاريخ قدماء الفلاسفة:
ترجمة عن الفرنسية رفاعة أفندي. جزء واحد بالعربية ١٢٥٢هـ/١٨٣٧م الثمن ٢٨ قرشًا و٥ بارة.

١٩- خواب نامة:
أي كتاب تفسير الأحلام تأليف "ويسي" جزء واحد بالتركية ١٢٥٢هـ/١٨٣٧م .الثمن ٣ قروش.

٢٠- ديوان راغب:
شعر تركي. جزء واحد وعليه شرح ١٢٥٢هـ/١٨٣٧م. الثمن ٢٧ قرشًا.

٢١- سياسة نامة يعني قانون للملكة المصرية:
جزء واحد ١٢٥٧هـ/١٨٤٢م. الثمن ١٠ قروش و٨ بارة.

٢٢- بند عطارة:
طبعة ثالثة لكتاب وصايا العطاره باللغة الفارسية ١٢٥٧هـ/١٨٤٢م. الثمن ٤ قروش، وقد نشر دي ساسي هذه البندنامة بالفارسية مع ترجمة لها بالفرنسية في سنة ١٨١٩م.

٢٣- علم النباتات:
نقله من الفرنسية إلى العربية حنا عنحوري، جزء واحد ١٢٥٧هـ/١٨٤٢م. الثمن ٢ قرشًا و٢٠ بارة.

٢٤- كتاب علم الحساب:
جزء واحد باللغة العربية تأليف على بدوي طبع حجر خاص بالمهند سخانة ١٢٥٧هـ/١٨٤١م.

٢٥- شرح قصيدة البردة:
ترجمها من العربية إلى التركية أحمد مصطفى جزء واحد ١٢٥٦هـ/١٨٤١م. الثمن ١٣ قرشًا.

٢٦- حاشية الطهطاوي على الدر المختار:
وهي حاشية على كتاب الدر في مذهب الإمام أبي حنيفة. جزء واحد بالعربية ١٢٥٤هـ/١٨٣٩م. الثمن ٣٦ قرشًا.

٢٧- جغرافية عمومي في كيفية الأرض:
ترجمها من الفرنسية إلى العربية رفاعة أفندي. جزء واحد ١٢٥٤هـ/١٨٣٩م. الثمن ٢٠ قرشًا.

٢٨- تحفة وهبي:
طبعة ثانية لكلماته الفارسية والتركية الخاصة باستعمال النشء جزء واحد ١٢٥٤هـ/١٨٣٩م. الثمن ١٧ قرشًا و٣٠ بارة.

٢٩- تاريخ المصريين:
تاريخ قدماء المصريين تأليف رفاعة أفندي جزء واحد بالعربية ١٢٥٤هـ/١٨٣٩م. الثمن ٢١ قرشًا.

٣٠- تاريخ إسكندر رومي:
أي الإسكندر الأكبر جزء واحد بالتركية ١٢٥٤هـ/١٨٣٩م. الثمن ١٧ قرشا و٣٠ بارة.

٣١- طوطي نامة:
أي كتاب الببغاء. حكايات خرافية. ترجمها من الفارسية إلى التركية ساري عبد الله أفندي. جزء واحد ١٢٥٣هـ/١٨٣٨م. الثمن ٦٤ قرشًا.

٣٢- ديوان راغب:
شعر تركي. جزء واحد وعليه شرح ١٢٥٢هـ/١٨٣٧م. الثمن ٢٧ قرشًا.

٣٣- تاريخ قدماء الفلاسفة:
ترجمة عن الفرنسية رفاعة أفندي. جزء واحد بالعربية ١٢٥٢هـ/١٨٣٧م. الثمن ٢٨ قرشًا و٥ بارة.

ثالثًا: التقاويم

كان يطبع في أول كل سنة تقويم لتلك السنة وهو تقويم جيبي يشمل سنة شمسية، تبدأ وتنتهي بالاعتدال الربيعي وكان هذا التقويم يتناول السنة التي وضع لها يومًا يومًا ويذكر أمام كل يوم اسمه من أيام الأسبوع وموقعه أي تاريخه من الشهر العربي، والشهر القبطي، والشهر العبري، والشهر الغربي. كما يذكر أيضًا موقع الشمس من البرج الذي تكون فيه ثم مواقيت الصلاة أي أوقات المغرب والعشاء والفجر والشروق والظهر والعصر[١١٢]، وكل هذا يستغرق صفحتين متقابلتين من التقويم مقسمتين إلى أنهر لكل مادة من المواد نهر خاص ويستغرق كل شهر عربي زوجين من الصفحات على هذا النحو كل صفحتين متقابلتين الخمسة عشر يومًا. وللتقويم مقدمة تسبق هذا كله يذكر فيها أيام المواسم والأعياد الإسلامية والقبطية وأيام للعطلات الرسمية ثم ملاحظات عن الفصول ويلحق بها توقيعات تتضمن ملاحظات طبيعية وزراعية عن كل يوم من أيام السنة ثم توقيعات فلكية أيضًا خاصة بكسوف الشمس وخسوف القمر وكذلك توقيعات أخرى خاصة بالخرافات الكثيرة الشائعة بين ناس ذلك العصر.وقد كان مثل هذا التقويم يصدر سنويًا بانتظام عن مطبعة بولاق وهو من حساب يحيى أفندي الحكيم الذي كان قسيسًا سوريًا ثم أسلم ودخل في خدمة محمد علي باشا وتعهد تحرير تلك التقاويم السنوية وقد كانت مثل هذه التقاويم تجذب إلتفات السياح الأوروبيين واهتمامهم فكتب عنها كثير منهم وبالغ بعضهم في الاهتمام بها فترجم تقويمًا كاملا وألحقه بكتاب رحلته.ولم تكن هذه التقاويم السنوية هي النوع الوحيد الذي كان يصدر من مطبعة بولاق بل كان يصدر عنها أنواع أخرى من التقاويم العامة مثل "جداول موقع عقرب الساعة على الشهور القبطية" وهي نتيجة قبطية من عمل يحيى أفندي نفسه وطبعت في سنة ١٢٤١هـ/١٨٢٥م ومثل "معرفة سنة شمسية" أي مقابلة السنة الشمسية بالسنة القمرية وهي من عمل يحيى أفندي وطبعه ببولاق في نفس السنة التي طبع بها التقويم السابق.

رابعًا: الوقائع المصرية

الوقائع المصرية هي الجريدة الرسمية لحكومة محمد علي وكان ابتداء طبع الوقائع في مطبعة بولاق في يوم الثلاثاء ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٢٤٤هـ/٣ ديسمبر سنة ١٨٢٨م وهوتاريخ صدور أول عدد من الوقائع[١١٣].

يُعزى إنشاؤها إلى النظام الإداري الذي وضعه محمد علي فإنه بعد أن قسم القطر إلى مديريات والمديريات إلى أقسام لم يكن يمكن أن يتجح هذا النظام نجاحًا تامًا إلا إذا انتشرت الأخبار الإدارية بين سائر المديريات الأخرى.

فالنظام الإداري المصري وُضع في سنة ١٨٢٦م أي قبل صدور الوقائع بسنتين وحاجة هذا النظام إلى جريدة رسمية واضحة تمام الوضوح، ولكن يرى أبو الفتوح رضوان أن هذا الرأي غير مكتمل الجوانب إذ أن السبب الاقتصادي ومشروعات الباشا الاقتصادية في رأيه كانت هي السبب الأول في إنشاء الوقائع ثم يأتي السبب الإداري بعد ذلك، وهذا يتضح من خطبة الوقائع التي بها قدم أول عدد للقراء فقد ورد في هذه الخطبة بعد حمد الله باري الأمم والصلاة والسلام على سيد العرب والعجم:

"إن تحرير الأمور الواقعة من اجتماع جنس بني آدم المندمجين في صحيفة هذا العالم...هي نتيجة الانتباه والتبصر بالتدبير والإيقان...وسبب فعال منه يطلعون على كيفية الحال والزمان...ومن حيث إن الأمور الدقيقة الحاصلة من مصالح الزراعة والحداثة وباقي أنواع الصنائع التي استعمالها يأتي الرخاء والتيسير هي أسباب للحصول على الرفاهية وعلى الاجتناب والاحتراز مما ينتج منه الضرر والأذا خصوصا في مصر... ففكر حضرة أفندينا ولي النعم في ترتيب أحوال البلاد وتمهيدها واعتدال أمور أهلها وفي نظام القرى والبلدان... ووضع ديوان الجنرال..."

من هذه الخطبة يتضح أن أصل الفكرة يتعلق "بالزراعة والحراثة وباقي أنواع الصنائع التي بها يأتي الرخاء والتيسير"ثم بعد ذلك يأتي "نظام القرى والبلدان" الذي لم يوضع وليست له أهمية إلا من أجل المسائل الاقتصادية من زراعة وحراثة وختمت هذه الخطبة بهذه العبارة "ومن كون هذا الشيء قد لاح في ضمير الذات السنية ولي النعم صدر أمره بطبع الأمور المذكورة وانتشارها عمومًا مستعينا بالله وقد سميت واشتهرت بالوقائع المصرية وبالله حسن النية" ففكرة الوقائع المصرية شيء لاح في ضمير الذات السنية ولم يكن تقليدًا لجريدة المونيتير ولوكان الأمر كما ذكروا لأتت إشارة إليه في الخطبة.

صدر العدد الأول من الوقائع في أربع صفحات وعلى رأس الصفحة الأولى رسم أصيص به زهور كتب تحتها بالخط الثلث الكبير "وقائع مصرية" وإلى يسار هذا العنوان في أقصى الصفحة كتب يوم الثلاثاء وإلى يمينه كتب التاريخ الهجري وإلى يسار الأصيص كتب "نمرة ١" وتحت هذا كله خط عريض مزخرف قسمت الصفحة من أسفله إلى نهرين كتبت الخطبة باللغة التركية في الناحية اليمنى وباللغة العربية في الناحية اليسرى وفي أسفل الصفحة خطان أفقيان متوازيان يبلغ البعد بينهما ملليمتر واحد وكتب في أسفلهما: "طبعت هذه الوقائع المصرية بعون خالق البرية بمطبعة صاحب الفتوحات السنية ببولاق مصر المحمية" ثم وردت الأخبار التي أريد نشرُها في بقية الصفحات بنفس نظام الصفحة الأولى أي أن الصفحة تقسم إلى قسمين الأيمن باللغة التركية والأيسر باللغة العربية.

لغة الوقائع

كانت الوقائع تصدر في أول إنشائها باللغتين العربية والتركية في نهرين متقابلين- ينشر الخبر باللغة التركية في نصف الصفحة الأيمن وفي مقابل ترجمته بالعربية في نصفها الأيسر. والظاهر أن الأصل فيها كانت النسخة التركية وأن النسخة العربية كانت تؤخذ ترجمة عن النسخة التركية إلا أن الترجمة كانت دقيقة وكاملة ولم تقف عند حد التلخيص، وكون النسخة التركية هي الأصل في الوقائع أمر طبيعي فقد كانت التركية هي اللغة الرسمية للباشا وللحكومة وللقائمين عليها من أفراد الطبقة الحاكمة الذين كانوا كلهم من الأتراك إلا أن هذا النظام- أي صدور الوقائع باللغتين معًا- قد تغير ابتداء من العدد ٦٨ الصادر في ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٢٦٣هـ/٦ يونيه سنة ١٨٤٧م وأصبح يصدر كل منها نسختين مستقلتين إحداهما بالعربية والأخرى بالتركية- يصدران في يوم واحد ويحملان نفس الرقم ونفس التاريخ ويحتويان على نفس الأخبار بنفس الترتيب والنظام. وآخر عدد من الوقائع اتبع فيه النظام القديم- الجمع بين اللغتين في نسخة واحدة. كان العدد ١٧ الصادر في ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٢٦٢هـ/١٥ يونيه سنة ١٨٤٦م، وقد كانت الصفحة في هذا النظام الجديد مقسمة نهرين وظلت كذلك إلى العدد رقم ٧٠ الصادر في ٨ رجب سنة ١٢٦٣هـ/٢١ يونيه سنة ١٨٤٧م حين قسمت الصفحة ابتداء منه إلى ثلاثة أنهر.

خامسًا القرآن الكريم

ظل طبع القرآن محرمًا بمقتضى فتاوى العلماء إلى تاريخ متأخر من عهد محمد علي بناءً على حجج واهية كمنافاة مواد الطبع للطهارة وكعدم جواز ضغط آيات الله بالآلات الحديدية وكاحتمال وقوع خطأ في طبع القرآن وقد كانت هذه المعارضة

من طبيعة الأشياء فقد كان فن الطباعة جديدًا في مصر، ولم يكن هؤلاء العلماء قد عرفوا بالضبط ماهيته.

ولم يكن طبع القرآن ضروريًا لمشروعات محمد علي الاقتصادية والسياسية فآثر أن يوافق العلماء فأحجم عن طبع القرآن على أن عدم طبع المصحف لم يكن من الأمور الطبيعية التي يمكن أن تستمر وكان الباشا ذا عاطفة دينية قوية كانت كافية على أن تحفزه إلى جعل المصحف في يد كل مسلم ولم يكن من الممكن الاعتماد على النسخ إلى ما شاء الله ثم إن وقوف العلماء ضد رغبات الهيئة الحاكمة لم يكن من تقاليدهم منذ قرون مضت ولعلمهم ألفوا الطباعة وفهموا ما تنطوي عليه فلم يجدوا مبررًا للاستمرار في تحريمهم طبع القرآن. وأيا ما كان السبب فقد دفع محمد علي باشا بمخطوط القرآن إلى مطبعة بولاق ووافق العلماء على طبعه. طبع المصحف بعد ذلك في مطبعة بولاق، دون معارضة من جانب العلماء، وقد بلغ من العناية بطبع القرآن أن خُصص جزء من مطبعة بولاق لطبعه، وعرف باسم "مطبعة المصحف الشريف" وكان لها رئيس مستقل وقد شغل هذه الوظيفة رجل اسمه عبد الرحمن أفندي في سنة ١٨٤٥م.

سادسًا: المستندات الحكومية

كانت أوراق الحكومة تطبع في مطبعة بولاق فدفاتر الدواوين والمصالح الحكومة المختلفة كانت تطبع فيها ولا يزال كثير من هذه الدفاتر موجودًا في دار المحفوظات المصرية وهي على درجة كبيرة من إتقان التسطير والتقسيم وإتقان الصناعة مع كبر الحجم.

ومن أهم الأوراق الحكومية التي طبعت بمطبعة بولاق أوراق الدمغة وقد صدر أمر الباشا بطبعها في ٢٥ شعبان سنة ١٢٦١هـ/١٨ أغسطس سنة ١٨٤٥م، وقد اشتمل هذا الأمر على فئات هذه الأوراق وهي تتراوح بين ١٦ بارة إلى ١٥٠ قرشًا للسند الذي تبلغ قيمته من ٢٠٠ , ١٠٠ قرشًا إلى نهاية الأعداد وطبع بها تذاكر السكك الحديدية بعد إنشاء تلك السكك وجعلها في متناول الناس نظير أجور معلومة.

سابعًا: المقامات الموسيقية

بدئ في طبع مقامات الموسيقى في مطبعة بولاق في فبراير سنة ١٨٣٢م، وحيث أن ديوان الجهادية كانت لديه الرغبة في تيسير تعليمها لفرق الموسيقى الملحقة بالجيش، فأرسل إلى رئيس الموسيقيين يسأله في إمكان طبع المقامات الموسيقية في المطبعة وانتهى الأمر بطبعها.

تحديد أثمان المطبوعات

اختلفت القواعد التي اتبعت في تحديد أثمان مطبوعات بولاق على حسب أنواع المطبوعات فمنها ما كان غالي الثمن لا يقدر إلا القليلون على شرائه ومنها ما كان يوزع بالمجان.

أما أثمان الكتب فقد كانت تتراوح بين كسر من القرش وبين مئات من القروش فكتاب "رسالة في علاج الجرب" ١٢٥١هـ/ ١٨٣٦م ثمنها ثلاثون بارة على حين أن "روح البيان في تفسير القرآن" ١٢٥٥هـ/١٨٤١م ثمنه سبعمائة قرش وتتراوح أثمان بقية الكتب بين هذين الحدين فبعضها يبلغ قرشًا واحدًا وبعضها يصل إلى مائة قرش أومائتين أويزيد.

والباحث في أثمان مطبوعات بولاق يلاحظ فيها أن ثمن الكتاب دائما يتناسب مع حجمه، وتكاليف طبعه فالكتاب المكون من ثلاثة أجزاء أعلى ثمنًا من الواقع في جزئين، وهذا بثمنه يزيد على الكتاب ذي الجزء الواحد والكتاب الواحد يزيد ثمنه أو ينقص تبعًا لحجمه ونفقات طبعه، ومثال ذلك كتاب في المدفعية طبع مرة بدون رسومات وصور وطُبع ثانية برسومات وصور، فكان ثمنه في الحالة الثانية أكبر من ثمنه في الحالة الأولى. فقد طبع هذا الكتاب باسم "طوبجية بغير أشكال" في سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣١م وكان ثمنه ٢٤ قرشًا و١٢ بارة ثم طبع في نفس السنة باسم "طوبجية بأشكال" مزودًا برسوم وصور فكان ثمنه ٤٥ قرشًا و١٤ بارة فالكتاب طبع مرتين في سنة واحدة أي أن تكاليف الطبع كانت واحدة في الطبعتين ومع ذلك فقد كان ثمن الطبعة الثانية ضعف ثمن الطبعة الأولى تقريبًا.

ونلاحظ أيضًا في أثمان هذه الكتب دقة متناهية في تقدير الثمن، فثمن كل كتاب عادة يتكون من عدد من القروش مضافًا إليه عدد من البارات. ونحن نلمح في هذه البارات المضافة إلى القروش دقة التقدير، فمثلاً "رسالة في علم البيطارية" ثمنها سبعة قروش وست وثلاثون بارة أي ثمانية قروش تنقص أربع بارات فهذا التحديد في عدد البارات المضافة إلى القروض يدلنا دلالة واضحة على الدقة المتناهية في تقدير الأثمان. إذا كان من المعقول جدًا أن يجعل ثمن هذه الرسالة ثمانية قروش.

وكان ثمن الكتاب يقدر على أساس نفقات طبعه على أساس قيمة العلم الموضوع فيه؛ فكتب الحرب غالية جداً مع أنها وقليلة الطلب قليلة القراءة وإنما غلاء ثمنها يأتي من أن أكثرها به رسوم وصور وكتاب "مثنوي" وهوعبارة عن أشعار في الأخلاق والزهد طبع في ثلاثة أجزاء وكان ثمنه ثلاثمائة قرشًا وهو ثمن مرتفع مع أن نوع الكتاب ليس مما يكثر طلابه وقراؤه.

يلاحظ أيضًا أن الكتب التركية على العموم أغلى ثمنًا من الكتب العربية فكتب الأدب كلها تقريبًا تركية وكلها مرتفعة الثمن بلغ ثمن بعضها مائة قرش ولا يقل ثمن أحدها من عشرين قرشًا بينما الكتب العربية قليل منها ما يرتفع ثمنه إلى هذا الحد وأوضح مثال لذلك كتاب كليلة ودمنة فقد طبع بالعربية في سنة ١٢٥١هـ/١٨٣٦م وكان ثمنه ١٧ قرشًا و٣٠ بارة ثم طبع في نفس السنة بالتركية باسم "همايون نامة" شعرًا ونثرًا في جزء واحد أيضًا وكان ثمنه ٧٦ قرشًا. وغلاء الكتب التركية نعلله بأن تلك الكتب لم يكن لها قراء كثيرون في مصر وإنما كانت تطبع لترسل إلى الأستانة وأزمير وسلانيك لتباع هناك حيث موطن قرائها وحيث كانت تباع بأثمان عالية لرواج تجارة الكتب هناك.

أما الأوراق والدفاتر الحكومية والقوانين واللوائح فقد كانت تُوزع على أربابها من موظفي حكومة محمد علي بدون ثمن أي أنها كانت تطبع في مطبعة بولاق وتتحمل الحكومة نفقاتها.

ويجري مجرى الأوراق الحكومية سائر الدفاتر الحكومية كدفاتر الصادر والوارد، وقيد الأوامر، وضبط الحسابات، ودفاتر قيد المولودين والمتوفين.

وكذلك كانت تُوزع القوانين واللوائح بالمجان على موظفي الحكومة ومثال ذلك "ذيل قانون نامة ملكي" و"لائحة المعاونة" وقد ورد في شأنهما في خطاب من ناظر ديوان المدارس إلى ناظر مطبعة بولاق "أن يصير توزيعهم لجهات لزومهم وسداد ثمنهم متأخرات المصلحة والقوانين المماثلة لذلك في العادة جاري خصم ثمنهم بالأبعادية".

قانون سعيد للمطبوعات

إن السياسة التي أدت إلى صدور هذا القانون إنما تنطوي على الرغبة في عدم طبع الكتب التي تتعارض مع الدين أو سياسة الدولة، أو ما يضر بالدولة العلية أو الدول الأجنبية، أو يتنافى مع الآداب والأخلاق، و قد وضع حد صارم لحماية هذه السياسة وهو غلق المطبعة ومصادرة المطبوع ومعاقبة صاحب المطبعة عقابًا يتناسب مع جرمه وليس في القانون على صرامته ما يمكن أن يترتب عليه مضايقة لأصحاب المطابع، أو ما يسبب إحجامهم عن فتح المطابع وطبع الكتب فليس في هذا القانون، على حد تعبير أبي الفتوح رضوان، بند واحد يفرض نفقة أو إتاوة أو مضايقة تؤثر في حركة الطبع وانتشار الكتب، وعلى ذلك فشدة القانون شدة مستنيرة مفيدة لا تعطل إنشاء المطابع ولا تعوق طبع الكتب المفيدة ولكنها دقيقة تحول دون نشر ما يضر بالدين أو الدولة أو الخلق ومع ذلك ففيه كقانون للمطبوعات ما يضع على حرية الفكر بعض القيود وهو ما لا يستساغ إلا مقرونًا بالزمن الذي وُضع فيه.

أصدر والي مصر في ذلك الوقت هذا القانون ونصه كما يلي:

أولاً: أن كل كتاب أو رسالة يراد طبعها لا يصير البدء في طبعها ولا تجهيز لوازمها ولا عقد شروط مع من يريد الطبع والالتزام ولا أخذ شيء منه ما لم يقدم نسخة ذلك إلى نظارة الداخلية لأجل مطالعتها والنظر فيها إن كانت مضرة للديانة ولمنافع الدولة العلية والدول الأجنبية والعامة أم لا، ومتى وجد أن لا مانع من طبع ذلك ووافق هذا الديوان فيعطى إليه الرخصة اللازمة وإن طبع شيء من هذا بدون إذن يصير من المخالفين.

ثانيا: لا يطبع ولا ينشر جرانيل (جرائد) وغازيتات (مجلات) وإعلانات من دون استحصال (الحصول على) الرخصة من ديوان الداخلية وإن فعل ذلك بدون استئذان تغلق وتسد مطبعته.

ثالثا: إذا طبع ونشر كتب ورسائل إهانة للديانة وللبوليتيقة (السياسية) والآداب والأخلاق فيجري ضبط وتوقيف هذا بمعرفة الضبطية.

رابعا: المطبعجي (عامل الطباعة) لا له أن يطبع عدد زيادة عن الشروط المنعقدة ما بينه وبين الملتزم أومن يريد الطبع بمطبعته وأن طبع شيء زيادة عن الشروط يعد سارق ويترتب جزاه بمقتضى القانون مع ضبط ما يوجد زيادة وإجراء الأصول فيه.

خامسا: إن حصل من المطبعجي(عامل الطباعة) أدنى مخالفة في هذه البنود فيعد مخالف إلى النظام ويجري غلق مطبعته وترتيب جزاه بالنسبة لخفة وجسامة الجنحة تطبيقًا للقانون.

الخاتمة: عندما يختص بالتعهد الذي يؤخذ على المطبعجي(عامل الطباعة) يذكر فيه أني قد قبلت هذه الشروط الموضحة بالخمسة بنود وللمعاملة بموجبها ويشرط على نفسه أن لا يعقد مع أحد شروط على طبع كتب أو رسائل أوغازيتات(مجلات) أو إعلانات أو خلافه بدون استحصال (الحصول على) الإذن من ديوان الداخلية وصدور الأمر بالرخصة وأنه قابل برضاه واختياره بالأجر على وجه ما شرح بهذا وعلى هذا النسق يصير الإجراء مع كل من يعرض من ذوي المعارف في إدارة مطبعة لمعاشه كما استقر الرأي بالمجلس.

نحب أن نقف وقفة قصيرة على هذا القانون، إذ إنه من الأهمية بمكان فهو أقدم قانون للمطبوعات في مصر. يبدو لأول وهلة أنه قانون صارم: فصاحب المطبعة ليس له أن يتفق على طبع كتاب أو رسالة مجرد اتفاق، أو أن يأخذ من صاحب الكتاب نقودًا إلا بعد عرض الكتاب على وزارة الداخلية لفحصه وإصدار ترخيص بطبعه؛ وليس للمطبعة أن تصدر جرائد أو صحفًا أو إعلانات أو مجلات إلا بعد الحصول على الترخيص اللازم من وزارة الداخلية؛ وليس للطابع أيضًا أن يطبع نسخًا أكثر من المتفق عليها بينه وبين صاحب الكتاب أو ملتزم طبعه وهذا الشرط في صالح المؤلفين والملتزمين يحميهم من طمع أصحاب المطابع.

قانون توفيق للمطبوعات

ثم كان عهد الخديوي توفيق ولم يكن لديه اعتراض على نشر المعرفة في أول الأمر فكثر عدد المطابع وإقبال الناس على إنشائها، فأنشئ منها في أول عهده المطبعة الوهبية ومطبعة الشيخ شرف وغيرهما ولكن سرعان ما اندلعت الثورة العرابية: فظن توفيق وحكومته أن المبالغة في حرية الطبع والنشر هي التي أدت إليها، ففكر في تقييد المطبوعات والتشديد على المطابع كوسيلة لإخماد الثورة فصدر في نوفمبر سنة ١٨٨١م قانون للمطبوعات ضيق فيه الخناق على أصحاب المطابع نورد مواده فيما يلي:

المادة الأولى: لا يسوغ لأحد أن يكون صاحب مطبعة إلا بعد أن تعطى له رخصة من نظارة الداخلية وبعد أن يودع عشرة آلاف قرش بصفة تأمين وللحكومة في كل حالة أن تنزع منه هذه الرخصة عند الاقتضاء.

المادة الثانية: المطابع السرية تقفل وتضبط أدواتها ويجازى مالكها أو المودعة عنده بغرامة.

المادة الثالثة: لا يجوز لأحد من أرباب المطابع أن يطبع صحفًا قبل أن يقدم لإدارة المطبوعات بنظارة الداخلية كتابة معلنة عزمه على طبعها وكذلك لا يجوز له بأي طريقة كانت بيع أو نشر تلك الصحف بعد طبعها إلا بعد أن يقدم خمس نسخ منها للإدارة المذكورة.

المادة الرابعة: يصير حجز وضبط أي مطبوع كان في الأحوال الآتية :

١- إذا لم يبرز صاحب المطبعة إيصالاً من إدارة المطبوعات بتقديمه الكتابة والنسخ المقررة في البند السابق.

٢- إذا لم يتضح في كل نسخة اسم ومحل سكن صاحب المطبعة الحقيقيين.

٣- إذا أقيمت في إحدى المحاكم دعوى تتعلق بمضمون ذلك التأليف.

وفي هذه الحالة الأخيرة لا يكون الحجز والضبط نافذين إلا بعد صدور الحكم على صاحب التأليف المذكور في المحاكم المقامة أمامها الدعوى.

المادة الخامسة: عدم تقديم الكتابة قبل الطبع أو عدم تقديم النسخ اللازمة قبل النشر يوجبان مجازاة صاحب المطبعة بدفع غرامة من ألف إلى ألفي قرش.

المادة السادسة: إذا لم يضع صاحب المطبعة اسم ومحل سكنه على كل نسخة من التأليف فيجازى بدفع مبلغ من ألف إلى ألفي قرش غرامة وإذا وضع أسماء ومحل سكن مفتعلين يُغرم بدفع مبلغ من ألفين إلى أربعة آلاف قرش.

المادة السابعة: يجوز في الأحوال المبينة ببندي ٥ و ٦ استبدال الغرامة بنزع الرخصة وإقفال المطبعة.

المادة الثامنة: يصير إثبات المخالفات بموجب محاضر يحررها مأمورو الأثمان أو مأمورون مخصصون يُعينون للتفتيش على المطابع.

المادة التاسعة: يسري هذا القانون على مطبوعات الحجر وباقي المطبوعات السائر أنواعها مهما كانت الطريق المستعملة لطبعها.

هذا هو قانون المطبوعات الثاني وقد تبعه شروط أخرى لإنشاء الجرائد وطبع الكتب. وقد ألقيت التبعة فيها على أصحاب المطابع، وإن نظرة واحدة يلقها الإنسان على هذا القانون لكافية لأن يتبين أنه صارم شديد وأنه إذا قيس بقانون سعيد، فإنه قد أضر بحركة الطبع والنشر: وتكفي مادته الأولي التي تنص على أن كل صاحب مطبعة يجب أن يدفع تأمينًا قدره مائة جنيه لإثبات ضرر هذا القانون وبيان كيف كان ضربة قاضية على حركة إنشاء المطابع الخاصة إذ ليس من السهل على أي إنسان أن يودع مائة جنيه ويتركها دون استغلال.

ليس من شك إذن في أن قانون المطبوعات الذي أصدرته حكومة توفيق كان معرقلاً لحركة إنشاء المطابع، عائقًا لانتشارها على حد تعبير أبو الفتوح رضوان بل هو قد وُضع لهذه الغاية خاصة فلا غرابة إذن في الأثر السيئ الذي أحدثه في هذا السبيل وظل هذا القانون معمولاً به بضع سنوات تعطل فيها انتشار المطابع ووقفت حركة إنشائها إلا أن الدول لم توافق عليه وعلى ذلك

لم يكن نافذ المفعول مطبق المواد إلا على المصريين بحكم قانون الامتيازات ولم يكن من طبيعة الأشياء أن تصر الحكومة على أخذ الوطنيين بقانون صارم كهذا بينما الأجانب معفون، وكانت نار الثورة قد أخمدت فأهملته الحكومة بالتدريج حتى أصبح بعد عدد من السنوات في حكم المُلغى فأقبل الناس من جديد على إنشاء المطابع ونشر الكتب.

وهكذا لم يمض على دخول فن الطباعة إلى مصر بإنشاء مطبعة بولاق قرن من الزمان حتى كانت المطابع قد عمت ربوع البلاد، وأصبح العمل الذي لم يستقم للحكومة إلا بعد مشقة وجهد في متناول عامة الناس.

تقويم أعمال مطبعة بولاق

تميزت إصدارات مطبعة بولاق بالدقة والتنوع في موضوعاتها، فلم تركز على موضوع أو مجال بعينه بل تنوعت إصدارتها لتشمل كل المجالات[١١٤]؛ فنجد أن حصيلة ما نشر في كل موضوع خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر–أي الفترة من ١٨٢٠م إلى ١٨٤٩م ما يقرب من ٨٦٧ إصدارًا، وتصدرت كتب اللغات رأس القائمة بمجموع ١٤٩ كتابًا، ويليها ما نشر في مجال العلوم التطبيقية بمجموع ١٤٧ كتابًا، ثم ما نشر في مجال العلوم الاجتماعية بمجموع ١٣٣ كتابًا، ثم الآداب بمجموع ١١٦ كتابًا، والديانات بمجموع ٩٠ كتابًا، والعلوم البحتة بمجموع ٨٩ كتابًا، والجغرافيا والتاريخ بمجموع ٨٨ كتابًا، والفلسفة بمجموع ٤٠ كتابًا، وجاءت المعارف العامة في ذيل القائمة بمجموع ١٥ كتابًا، ولم يصدر في الفنون أي إنتاج[١١٥]. وتقويم هذا الوضع يعود في الأساس إلى احتياج محمد علي الشديد لإنشاء مدارس اللغات وآدابها، وذلك لنشر التعليم بين أفراد الشعب المصري، أو تنشيط حركة الترجمة من اللغات الأوروبية إلى العربية، وهذا ما يفسر بالتالي تفوق المطبوعات باللغة العربية على مثيلاتها باللغات الأخرى "التركية، والإيطالية، والفرنسية، والانجليزية، والفارسية"؛ فجاءت نسبة ما طبع بالعربية ٥٥٪ من مجموع الإصدارات، ثم تليها التركية بنسبة ٣٦٪، ثم اللغات الأجنبية الأخرى (الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والإيطالية) بنسبة ٦٪، ثم أخيرًا الفارسية بنسبة ٣٪[١١٦].

اختلف الحال في إصدارات النصف الثاني من القرن التاسع عشر –أي الفترة من ١٨٥٠م إلى ١٨٩٩م – فقد بلغ عددها ٩٥٣٨ إصدارًا، احتلت الديانات مركز الصدارة بمجموع ٢٦٠٤ كتابًا، تليها الآداب بمجموع ١٦٤٧ كتابًا، ثم اللغة بمجموع ١٣٢٦ كتابًا، تليها العلوم الاجتماعية بمجموع ١٠٤٢ كتابًا، ثم العلوم البحتة بمجموع ٤٨٠ كتابًا، تليها العلوم التطبيقية بمجموع ٤٣١ كتابًا، ثم المعارف العامة بمجموع ٢٨٦ كتابًا، وأخيرًا الفن بمجموع ٣١ كتابًا[١١٧].

أما عن اللغات التي طبعت بها هذه الإصدارات فقد تصدرت اللغة العربية القائمة بنسبة ٨٨٪، تلتها التركية بنسبة ١,٧٢٪، ثم اللغات الأجنبية بنسبة ١٠٪، في حين جاءت الفرنسية بنسبة ٠,٢٧٪.

على صعيد آخر، كان مجموع الإصدارات –سواء الكمية أو النوعية– يختلف من حاكم إلى آخر، وذلك حسب ميوله السياسية والثقافية، وكذلك نشأته وتربيته. فعلى سبيل المثال رأى محمد علي أن المطبعة تحقق أهدافه من خلال طبع الكتب الحربية والعسكرية إلى جنود الجيش المصري وبالأخص باللغة العربية، فحين رأى عباس باشا حلمي أن المطبعة مصدر من مصادر الإنفاق دون الحصول على فائدة مادية ذات شأن قرر إغلاقها، فلم تصدر عنها أية مطبوعات في تلك الفترة، وهكذا استمرت في عهد سعيد باشا، حتى وهبها إلى عبد الرحمن رشدي باشا، فكانت بداية إصدار المطبوعات المختلفة باللغات المختلفة، ومع شراء الخديوي إسماعيل بلغت المطبعة ومطبوعاتها درجة عالية من الازدهار، ووصلت إصدارات المطبعة إلى الدول العربية، ووصلت إلى الآستانة، وشاركت مطبعة بولاق في المعرض الدولية مثل معرض فيينا، ومعرض باريس، وكانت الغلبة لكتب الثقافة، والفن، والآداب، والفلسفة، والدين، وليست للكتب العسكرية أو الحربية.

ويمكن أن نورد تقويمًا موجزًا لإصدارات المطبعة في بعض النقاط التالية[١١٨]:

أولا: كان إنشاء محمد علي لمطبعة بولاق متزامنًا مع إرساله البعثات لتلقي العلم في أوروبا، ومن أعلام هذه البعثات رفاعة الطهطاوي وهو مؤسس مدرسة الألسن بالقاهرة.

ثانيًا: إذا كانت مطبعة بولاق قد أنشئت سنة ١٨٢١م فإن أقدم مطبوع بها هو"قاموس إيطالي وعربي" طبع سنة ١٨٢٢م وقد ألفه القس رافائيل زخور راهب وفيما تلا هذه السنة وفي تلك السنوات المبكرة من هذا القرن نلاحظ غلبة للكتب المترجمة في الشئون الطبية والصحة والزراعية والهندسة وتدبير المعاش.

ثالثًا: أقدمت مطبعة بولاق في ذلك الزمان المبكر على طبع المطبوعات الضخمة وبعض هذه الموسوعات جاء في ثلاثين جزءًا مثل تفسير الطبري وبعضها في عشرين جزءًا كالأغاني ولسان العرب أما الكتب ذات الجزء والأربعة والسبعة وما فوق العشرة فكثيرة.

رابعًا: حرصت مطبعة بولاق في كتب كثيرة من منشوراتها على طبع كتاب أو أكثر بهامش الكتاب الأصلي أو بآخره لصلة ذلك بالكتاب أو لمجرد الرغبة في نشر الكتب على أوسع نطاق وهذه الظاهرة لم تعرف قبل مطبعة بولاق. وعلى سبيل المثال فقد طبع كتاب "الكامل في التاريخ" لعز الدين بن الأثير سنة ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م في اثنى عشرة جزءًا بتصحيح إبراهيم الدسوقي الملقب عبد الغفار- وبهامشه ثلاثة كتب:

١- أخبار الدول وآثار الأول، للقرماني، من الجزء الأول إلى آخر السادس.

٢- روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر لابن الشحنة من أول السابع إلى آخر التاسع.

٣- تاريخ العتبي من أول العاشر إلى آخر الثاني عشر.

خامسًا: حظيت مطبعة بولاق بعناية فائقة في الإدارة والتصحيح والمراجعة، وقد تولى إدارتها نفر من علية القوم، كان من أبرزهم وأعلاهم حسين باشا حسني ثم انتقل إلى المطبعة الأميرية سنة ١٢٦٨هـ/١٨٥١م بوظيفة كاتب ومصحح تركي بالوقائع المصرية وفي سنة ١٢٩١هـ/١٨٧٤م جعل ناظرًا على مطبعة بولاق وفي سنة ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م توجه مع الخديوي إسماعيل لمشاهدة معرض باريس، ثم انتقل في بعض بلدان أوروبا كالنمسا ولندن لرؤية إنتاجها من آلات الطباعة فاشترى جملة من تلك الآلات وفي سنة ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م ثم توجه إلى لندن مرة ثانية فأحضر منها (فابريقة) مصنعًا للورق أقامه ببولاق على شاطئ النيل بجوار المطبعة وهي (الكاغدخانة) أي دار الورق وقد أنتجت هذه (الفابريقة) المصنع ورقًا جيدًا.

كان محررو المطبعة ومصححوها من طلبة الأزهر الذين دُربوا لذلك تدريبًا خاصًا استغرق نحو ست سنوات ثم كان إسناد رئاسة تصحيح المطبعة إلى الشيخ نصر الهوريني الأزهري الشافعي آية كبرى على هيمنة الأزهر على هذه المطبعة الكبرى وإلباسها الوجه العربي الصحيح. وهذا الشيخ نصر الهوريني من علماء الأدب واللغة، تعلم بالأزهر ثم أرسله محمد علي باشا إلى فرنسا إمامًا لإحدى البعثات المصرية فأقام هناك مدة تعلم فيها الفرنسية ولما عاد إلى مصر تولى رئاسة تصحيح مطبعة بولاق فصحح كثيرًا من كتب العلم والأدب والتاريخ واللغة وصنف كتبا كثيرة منها: "المطالع النصرية للمطابع المصرية"، "في أصول الكتابة".

سادسًا: يُؤخذ على هذه المرحلة من النشر أن العلماء الذين تولوا تصحيح الكتب والإشراف على إخراجها لم يعنوا بذكر الأصول المخطوطة التي اعتمدوا عليها في إخراج الكتب، فنحن لا نعرف تاريخًا أو وصفًا كاملاً للنسخ المخطوطة التي طبع عليها كثير من أمهات كتب التراث في ذلك الزمان، وقد شذّ عن ذلك ما نراه في بعض المطبوعات من وصف موجز للأصول الخطية ومن ذلك ما جاء في آخر لسان العرب المطبوع سنة ١٣٠٠- ١٣٠٨هـ/١٨٨٢-١٨٩٠م حيث ذكر مصححه الشيخ محمد الحسيني أن هذه المطبعة اعتمدت على نسخة ابن منظور نفسه، كانت في وقف السلطان الأشرف برسباي ونسخة أخرى أحضرت من مكتبة راغب باشا بإسطنبول.

سابعًا: إذا كانت مطبعة بولاق حكومية أنشأها محمد علي باشا ثم رعاها من بعده أبناؤه وحفدته؛ فليس كل ما طبع فيها على نفقة الدولة والحكومة فقد رأينا جهود الأفراد والأعيان والجماعات وأموالهم وراء كثير من مطبوعات تلك المطبعة العتيقة.

وهؤلاء الأفراد إما أصحاب مكتبات وناشرو كتب يمولون طبع الكتاب من نفقتهم الخاصة، ثم يعود الربح على حسب أحوال ذلك الزمان، وإما أهل علم محبون له راغبون في نشره وهناك طائفة ثالثة: أهل خير وبر أفاء الله عليهم بالمال فأنفقوه في وجه البر والإحسان ثم جعلوا منه نصيبًا مفروضًا لنشر العلم وإذاعته ومعظم هؤلاء من التجار.

فمن الطائفة الأولى السيد عمر حسين الخشاب صاحب المطبعة الخيرية من المطابع الأهلية الشهيرة، فقد أنفق السيد عمر هذا وابنه السيد محمد عمر على طبع تفسير الطبري، ونبه على ذلك مصححه الشيخ نصر العادلي في خاتمه الجزء المتم الثلاثين، ومنهم مصطفى الحلبي صاحب المطبعة الميمنية فقد أنفق على طبع الكشاف للزمخشري المطبوع ببولاق سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٠م، وأما الطائفة الثانية طائفة أهل العلم الذين قاموا على نشر الكتب وصرفوا أموالهم في طبعها وإذاعتها فمنهم العلامة أبو الطيب صديق بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني القنوجي البخاري، الذي طبع على ذمته ونفقته أعلى كتاب في شروح الحديث وهو"فتح الباري بشرح صحيح البخاري" للحافظ ابن حجر العسقلاني المصري الشافعي.

وقد شاعت ظاهرة طبع الكتب على نفقة محبي العلم بعد أن عرفت في مطبعة بولاق، وإن كان ذلك قد جاء في مطالع القرن العشرين ولكن هذه من تلك.

ومن ذلك أيضا كتاب الأغاني طبعة دار الكتب المصرية الذي صدر الجزء الأول منه سنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م على نفقة السيد علي راتب؛ فقد كتب رسالة إلى مدير دار الكتب المصرية بتاريخ يوم الثلاثاء ٥ من شوال سنة ١٣٤٣هـ يعرض فيها رغبته في الإتفاق على طبع كتاب الأغاني ويقول في ختام رسالته: "وقد وقع اختياري للبدء في تحقيق تلك الأمنية– أمنية إحياء اللغة العربية الشريفة– على كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني فإن أحاديثه شيقة وأسلوبه السهل الممتنع فالمتأدب ونفعه الذي أملت أمرتم من عندكم من المصححين بمراجعته وتصحيحه وضبطه وتفسير مغلقه كاملاً كما وضعه مصنفه من غير حذف ولا إبدال وأنا المتكفل بنفقة الطبع".

ثامنًا: حرصت إصدارات مطبعة بولاق أن تكون ملبية ومشبعة لكل رغبات فئات المجتمع: لذا فقد تعددت الاتجاهات الفئوية للإنتاج الفكري لإصدارات المطبعة، ويمكن تصنيفها حسب الفئات التي نشرت من أجلها إلى:

١– كتب الكبار.
٢– كتب الأطفال.
٣– الكتب المدرسية.
٤– كتب الجيش.
٥– مطبوعات إدارية.

و إذا ما رجعنا إلى الإحصائية التي قامت بها الدكتورة عايدة إبراهيم نصير عن نوع الكتب التي أصدرتها مطبعة بولاق خلال القرن التاسع عشر حسب الفئات الموجهة إليها نجد:

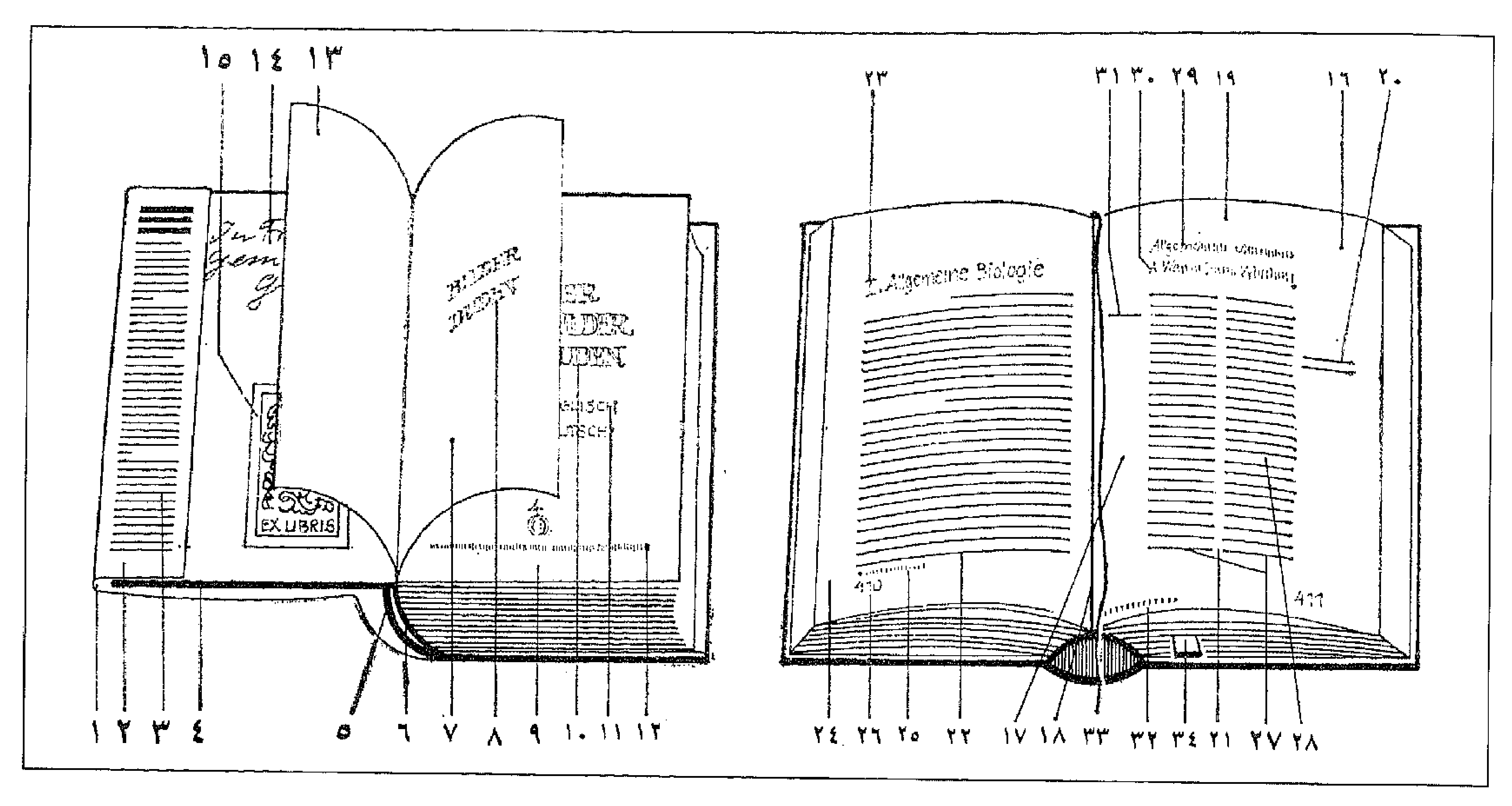
١–أن عدد ما طبع من كتب الأطفال وصل إلى ٧٤ إصدارًا بنسبة ٠,٧٪ من مجموع الكتب المنشورة[١١٩]. ويذكر أبو الفتوح رضوان "أن كتب تعليم الأطفال وتأديبهم لقيت عناية كبيرة فقد صدر أمر من الباشا إلى ديوان المدارس في ٨ محرم سنة ١٢٦١هـ/١٨٤٥م بطبع وتجليد ٥٠٠ نسخة من الكتاب المسمى "بعقود اللآليء في تعليم الأطفال القراءة والكتابة" وتوزيعها على الجهات[١٢٠].

٢–أما الكتب المدرسية فقد بلغت ٥٨٦٨ كتابًا بنسبة ٥٦,٤٪ بما يمثل نصف الكتب المنشورة خلال هذا القرن. كانت الكتب المدرسية توزع على التلاميذ عند انتظامهم في الدراسة على أن يخصم خمس ثمن الكتب من مرتبات التلاميذ كل شهر مع مراعاة تحديد ثمن الكتاب بقدر ما تكلفه في المطبعة.

٣–فيما يخص كتب الجيش، فنجد أن أول إشارة وردت عن المدارس العسكرية وقوامها في عام ١٨٢٨م، حيث يذكر عبد الرحمن الرافعي في حديثه عن الجيش المصري أن عدد طلبة المدارس العسكرية وصل إلى ١٠٠٠ طالب من مجموع الجيش البالغ عدده ٥٥,١٤٤[١٢١].

٤–المطبوعات الإدارية: كان عدد المطبوعات الإدارية قليلا بالنسبة إلى كميات المطبوعات الأخرى، وذلك لأن محمد علي لم يدون الدواوين إلا في سنة ١٨٢٦م. بعد تأسيس الدواوين دعت الحاجة إلى تأليف المجلس العالي: مما اقتضى نشر القوانين وما يلحق بها من اللوائح والمنشورات في جميع أنحاء القطر حتى تسير أمور الولاية على نحو ما يريد[١٢٢]. ووصل عدد المطبوعات الإدارية خلال القرن التاسع عشر إلى ٨٤٦ بنسبة ٨,١٪.

٥–كتب الكبار: حظيت كتب الكبار بنصيب كبير من النشر، فنشرت كتب في السيرة والتاريخ والآداب، والحديث، والفقه، والنحو وغير ذلك من أمهات الكتب العربية إحياءً للتراث العربي من مخطوطات نادرة. كذلك كان الانفتاح على الغرب في زمن الخديوي إسماعيل عاملاً مؤثرا في ازدياد الأعداد المنشورة من الكتب، وتعتبر نسبة الكتب المنشورة للكبار أعلى نسبة بين ما مجموع ما نشر بعد الكتب المدرسية حيث وصلت نسبتها إلى ٣٠,٥٪[١٢٣]، ويتكون الكتاب فنياً من العناصر التالية(شكل٧٥)



(شكل ٧٥) تقسيمات الكتاب المطبوع

١– سترة الكتاب (جاكيت)
٢– لسان السترة (لسان الجاكيت)
٣–تعريف بالكتاب (تنويه)
٤–غلاف (جلدة) الكتاب
٥– كعب الكتاب
٦– حبكة ذيل كعب الكتاب
٧– صفحة العنوان المختصر للكتاب
٨– عنوان مختصر للكتاب
٩–صفحة عنوان الكتاب (العنوان الداخلي)
١٠– عنوان الكتاب (العنوان الداخلي)
١١– عنوان ثانوي (فرعي)
١٢– توثيق الختام (شعار الناشر)
١٣– بطاقة الكتاب
١٤– إهداء بخط اليد
١٥– بطاقة ملكية الكتاب
١٦– الصفحة المطبوعة
١٧– طية (ثنية)
١٨– هامش داخلي
١٩– هامش علوي (هامش الرأس)
٢٠– هامش خارجي (هامش الذيل)
٢١– هامش سفلي (هامش الذيل)
٢٢– صفحة جمع (النص)
٢٣–عنوان الفصل أو الباب
٢٤– نجمة أو علامة إحالة إلى مرجع
٢٥– ملاحظة أو حاشية بهامش الذيل
٢٦– رقم الصفحة
٢٧– جمع على عمودين
٢٨– عمود جمع
٢٩– عنوان متكرر (عنوان سيار)
٣٠– عنوان متكرر ثانوي
٣١– ملاحظة أو حاشية في الهامش الخارجي (الجانبي)
٣٢– علامة تسلسل الملزمة
٣٣–شريط لتحديد الصفحة في الكتاب
٣٤–جذاذة لتحديد الصفحة في الكتاب

و لمزيد من الإيضاح حول أقسام الكتاب المطبوع فإنه يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام رئيسية كما يلي:

أولاً: الأوليات

١- الغلاف

٢- صفحة العنوان المجزوء

٣- صفحة العنوان

٤- بيان الطبعة

٥- تصريح النشر

٦- تحديد عدد نسخ الكتاب

٧- الإهداء

٨- التمهيد

٩- المقدمة

١٠- الشكر والتقدير

١١- قائمة المحتويات

١٢- قائمة الإيضاحات

١٣- قائمة تصويب الخطأ

ثانيا: متن الكتاب

١٤- النص

١٥-العنوان الرأسي

١٦- الإيضاحات

ثالثا: التوابع

١٧- الحواشي

١٨- المراجع البيلوجرافية

١٩- الكشاف أو الكشافات

٢٠- سقائمة المصطلحات

٢١- بيانات النشر

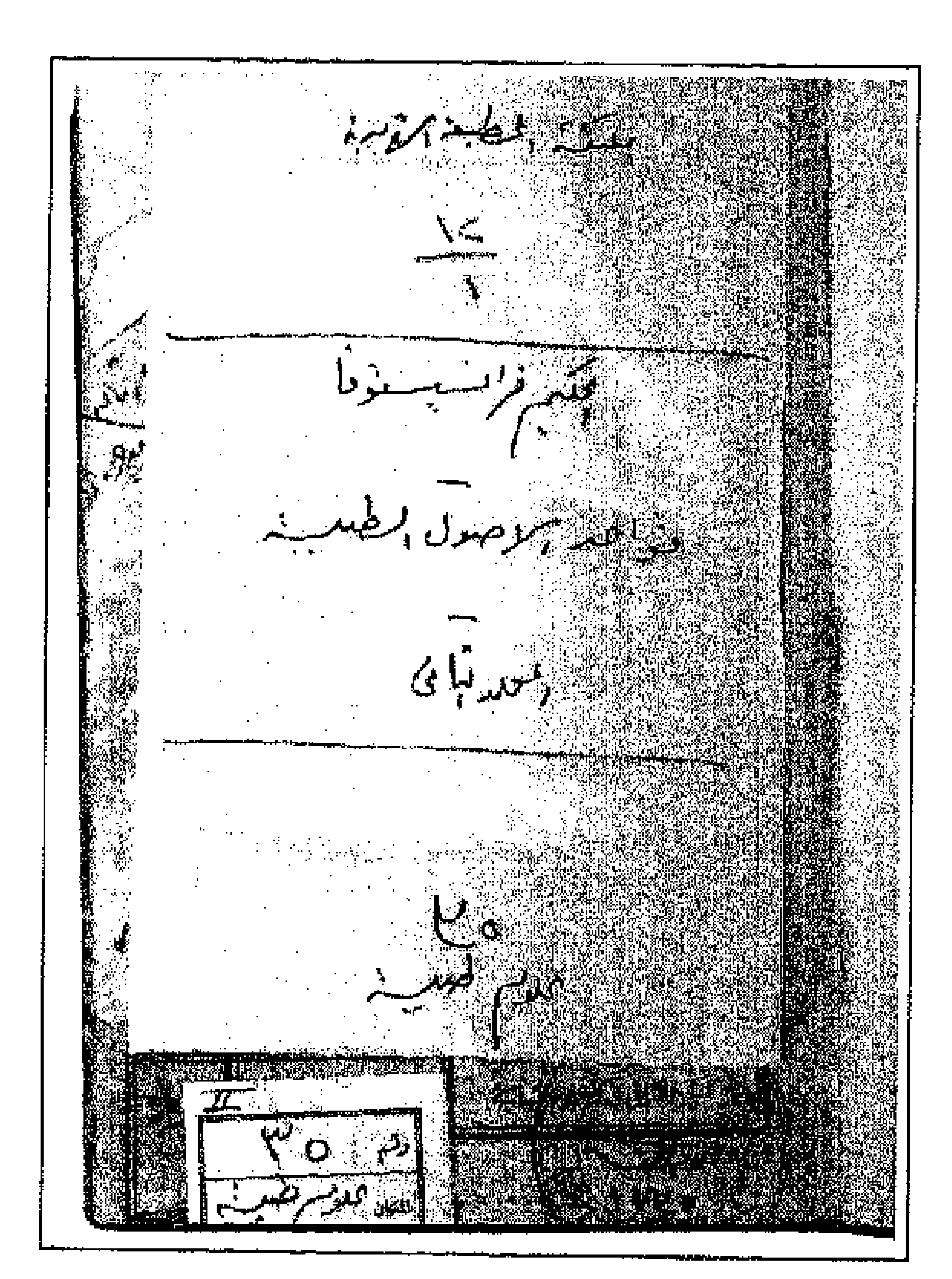
٢٢- النهاية

٢٣- الورقات البيضاء أو الخالية

٢٤- أوراق البطانة

مختارات من الإصدارات

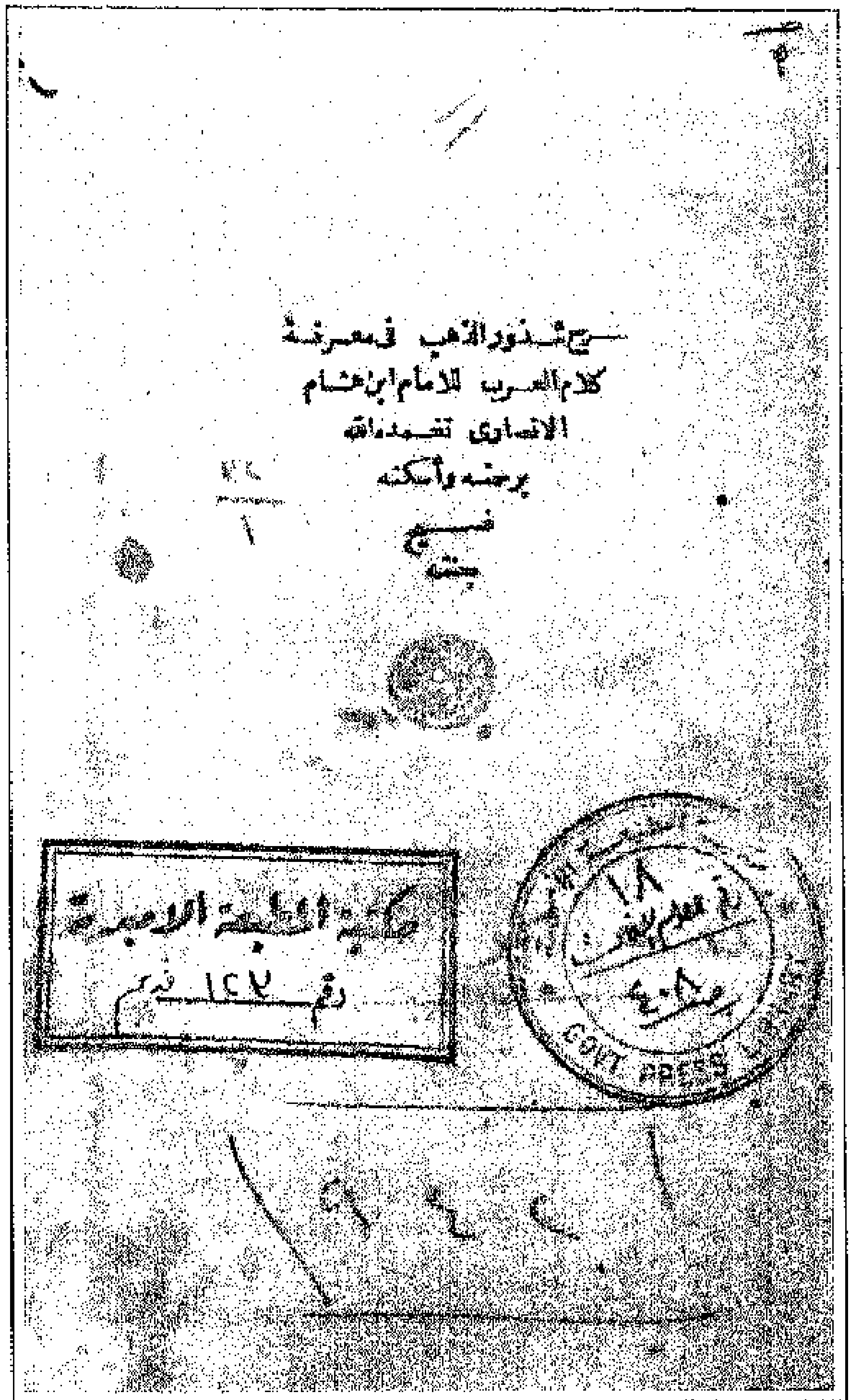
(Gallery)



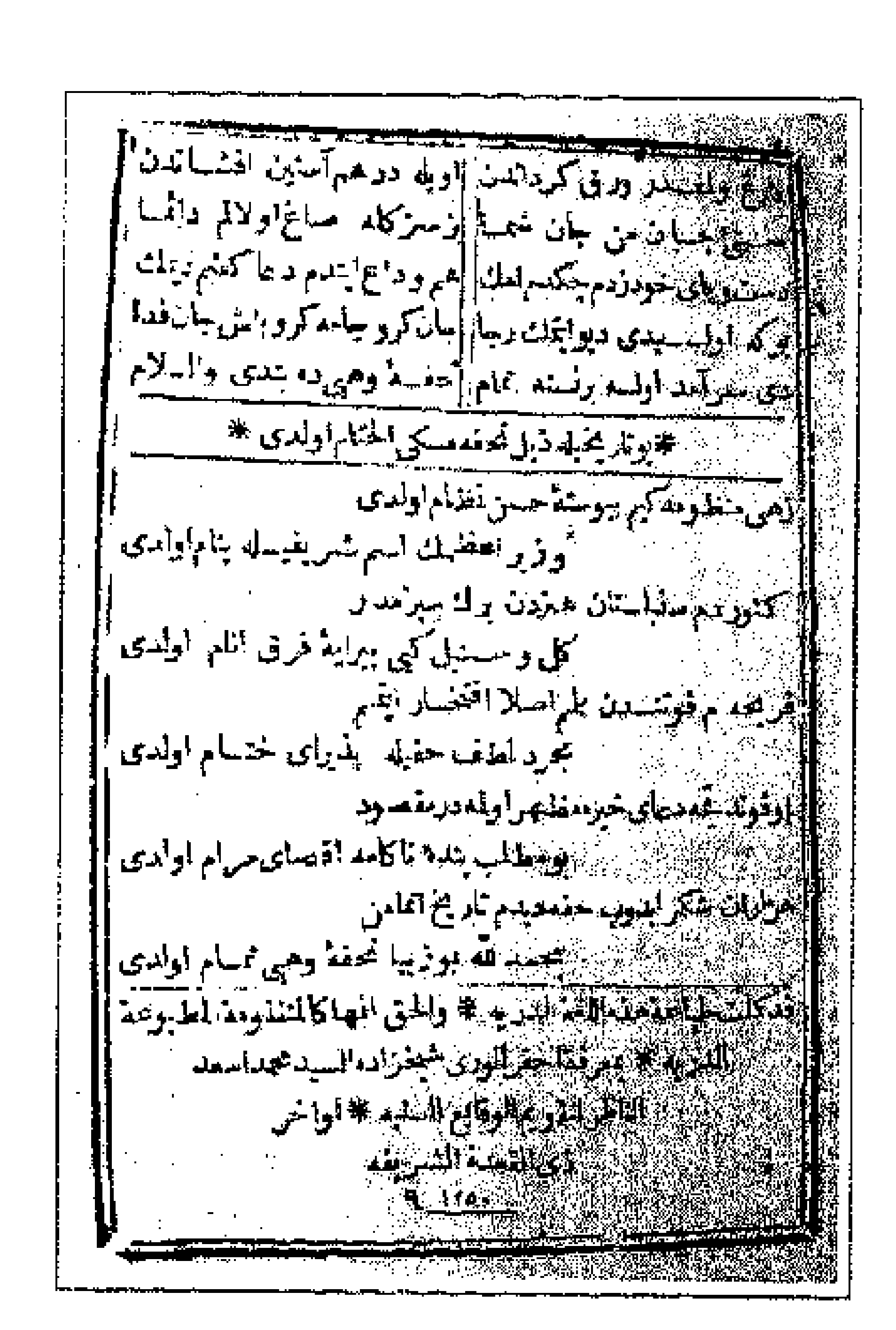
(شكل ٧٦،٧٧) كتاب " قواعد الأصول الطبية" للحكيم فرانسيسنوفا من مدينة بيرافازا، طبع في عام ١٢٤٢هـ/ ١٨٦٣م بمطبعة بولاق، ونلاحظ اسم المطبعة هنا هو "مطبعة صاحب السعادة"

الهادية في هذا الشرح من المقدمة والحمد لله على احسانه واداًبت على
ما أردت ايراده في شرح هذه المقدمة ولله سبحانه وتعالى الحمد والمنة
واياه أسأل أن يجعل ذلك لوجهه الكريم خالصا ومصروفا وعلى
التقدم به موقوفا وأن يغفر لي خطيئتي يوم الدين وأن
يدخلني برحمته في عباده الصالحين بمنه وكرمه
آمين والصلاة والسلام على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
والحمد لله رب
العالمين
تم

نحمدك اللهم يا هادي لنحو شذور الذهب ونصلي ونسلم على رسولك سيد العجم
والعرب وعلى آله الذين بلغوا كمال الافعال وأصحابه الذين اعربوا عن صواب
الاقوال (وبعد) فقد تم طبع هذا الكتاب الطبع الثاني الحاكي لزنات
الثالث والثاني بالمطبعة الخديوية التي ببولاق مصر المعزية المحلية بنسبتها
للدائرة السنية لا زالت محاسنها بهية في ظل ذي السعادة الاكرم
الخديو الاعظم محيي رفات المكارم ناشر لواء العلوم فوق المعالم عزيز مصر
ووحيد العصر سعادة أفندينا المحروس بعناية ربه العلي اسمعيل بن ابراهيم
ابن محمد علي حفظ الله دولته كما حفظ رعيته وأدام مجده وشاد مجده
وحرس اشباله الكرام وجعلهم غرة في جبين الايام ملحوظة دار الطباعة
المذكورة بنظر ناظرها المشمر عن ساعد الجد والاجتهاد في تدبير نظارتها
من لا تزال عليه اخلاقه بالطف تثني حضرة حسين بك حسني ثم ان الملتزم

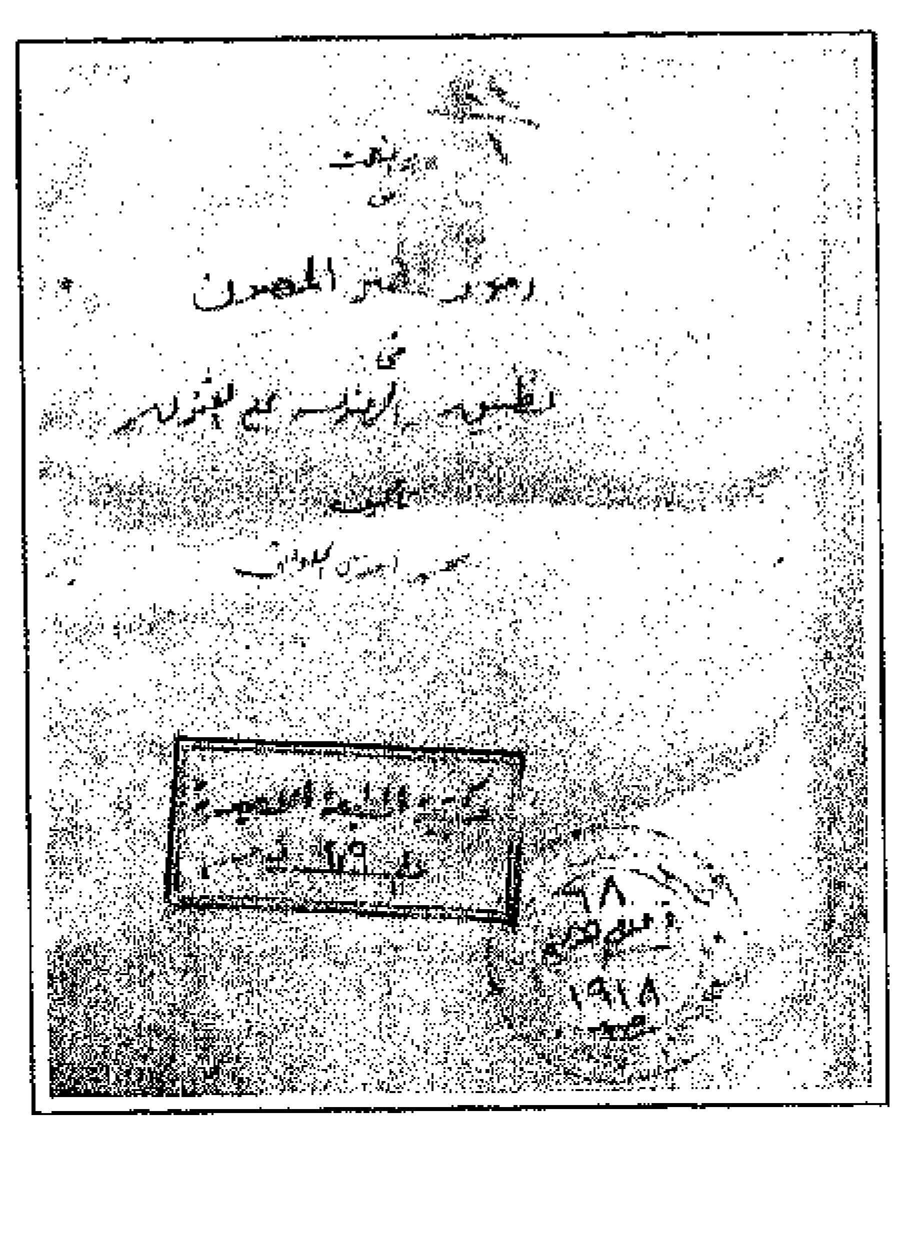

شرح شذور الذهب في معرفة
كلام العرب للإمام ابن هشام
الانصاري تغمده الله
برحمته وأسكنه
فسيح
جنته

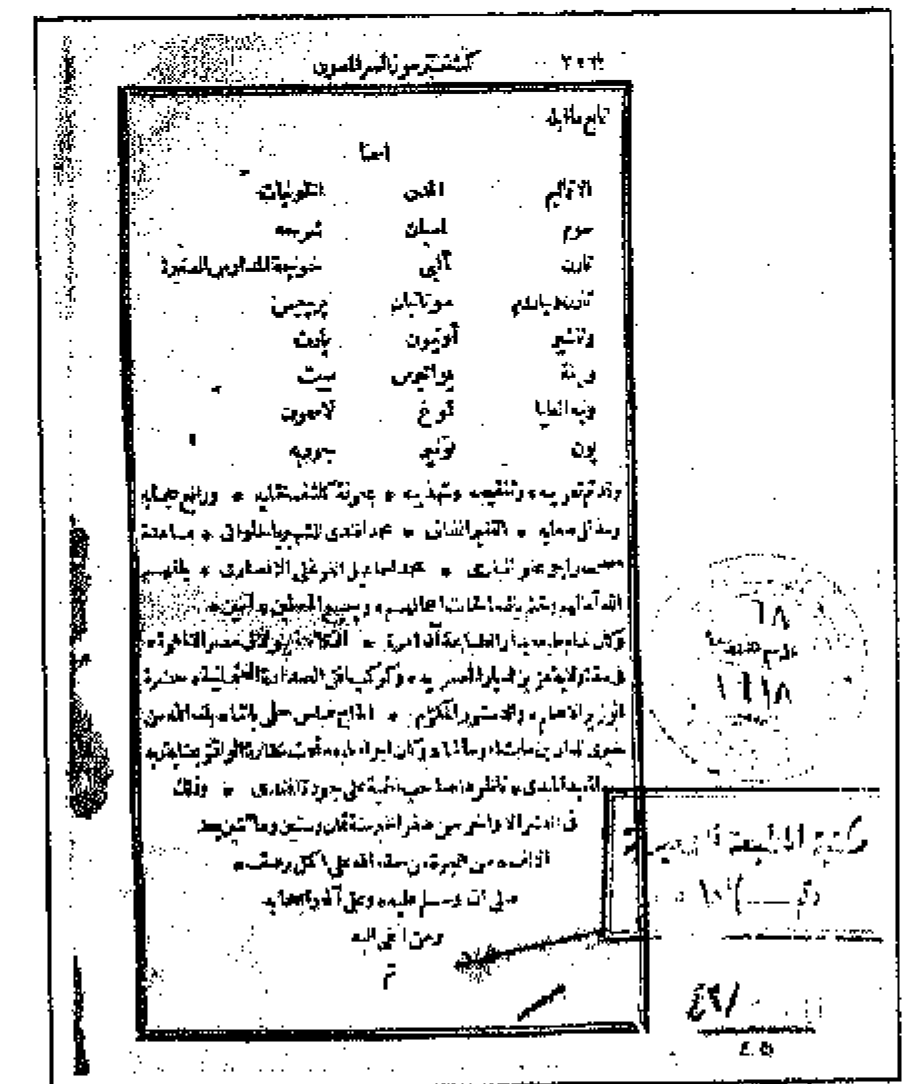
(شكل٧٨، ٧٩) كتاب "شذور الذهب في معرفة كلام العرب للإمام ابن هشام الأنصاري" طبع في عهد تبعية المطبعة للدائرة السنية، "عهد الخديوي إسماعيل"، ونلاحظ ورود ذكر اسم ناظر المطبعة وهو حسين حسني"، كذلك أن اسم المطبعة هنا ورد بلفظ المطبعة الخديوية.

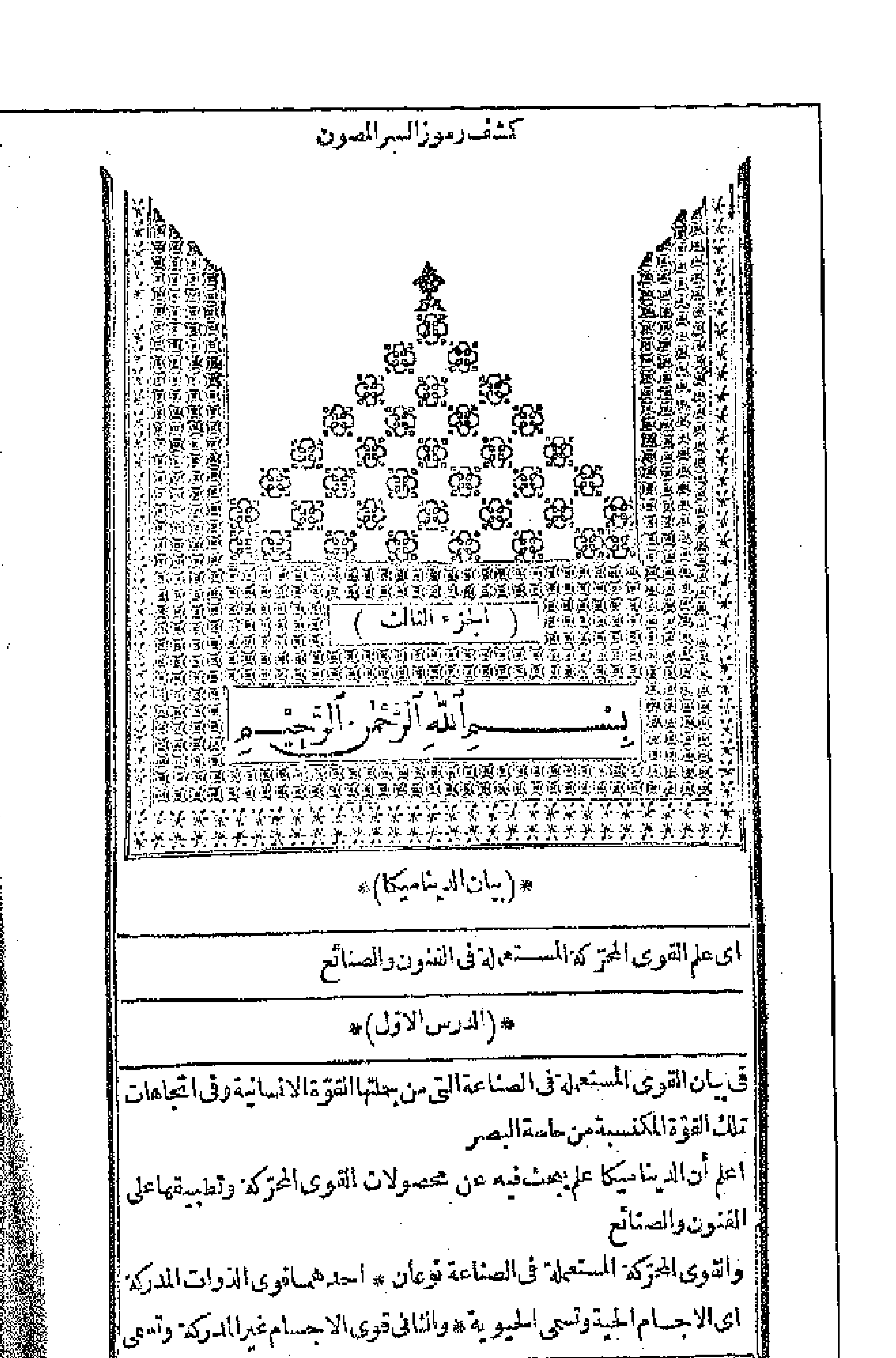




(شكل ٨٠، ٨١) كتاب "تحفة وهبي" طبعة ثانية، وهو باللغة التركية، طبع عام ١٨٣٩م، وكان ثمنه ١٧ قرشًا و٣٠ بارة







كشف رموز السر المصون

(الجزء الثالث)

بسم الله الرحمن الرحيم

(بيان الديناميكا)

اى علم القوى المحركة المستعملة فى الفنون والصنائع

(الدرس الاول)

فى بيان القوى المستعملة فى الصناعة التى من جملتها القوة الانسانية وفى اتجاهات تلك القوة المكتسبة من حاسة البصر

اعلم أن الديناميكا علم يبحث فيه عن محصولات القوى المحركة وتطبيقها على الفنون والصنائع

والقوى المحركة المستعملة فى الصناعة نوعان * احدهما قوى الذوات المدركة اى الاجسام الحية وتسمى الحيوية * والثانى قوى الاجسام غير المدركة وتسمى

في تطبيق الهندسة على الفنون ٣

الجمادية ولنذكر الاولى اولا مبتدئين منها بالقوة الانسانية ثم نتبع ذلك بالقوى الجمادية التى منها قوة التثاقل وقوة الحرارة الموجودتان فى الجامدات والسائلات والغازات فنقول

(بيان القوة الانسانية)

هذه القوة لا دخل لها فى الصنائع زمن الطفولية الا انها تنمو فى الانسان وتزداد بازدياد سنه حتى يبلغ حد الشبوبية وهكذا الى ان يصير كهلا ويتكامل عقله ثم تأخذ فى النقصان حتى يبلغ حد الهرم والشيخوخة ويصل الى ارذل العمر وهذا ما لم يعرض له عارض او يحل به مرض يفضى به الى الموت قبل انتهاء قوته التى يمكنه استعمالها فى الصناعة

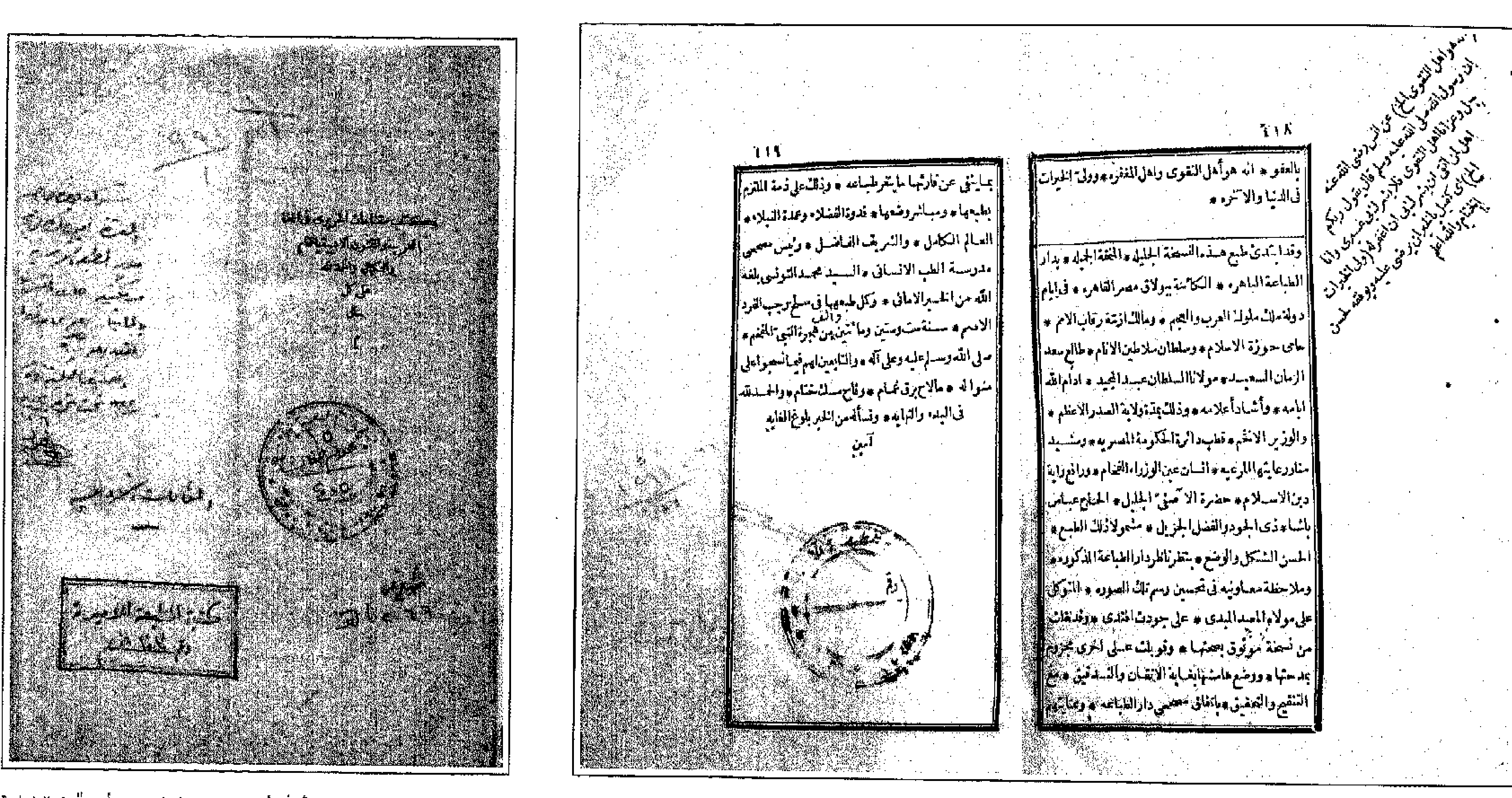
وكذلك العقل وقوة الادراك فانهما يزدادان فى الانسان حتى يبلغا منتهاهما ثم يأخذان فى النقصان شيأ فشيأ الى انقضاء اجله الطبيعى

والعقل يدرك العلوم والمعارف بواسطة الحواس الخمسة ويتقوى بملازمة تلك المعارف وممارستها حتى يصل الى تمييز نسب الاشياء وادراك ما بينها من الاختلاف والتفاوت وهذا هو العلم والمعرفة

وبواسطة الحافظة يرسخ فى الذهن ما يكتسبه من التصورات والبراهين والنتائج الا ان حافظة الحوادث اذا كانت فى زمن الصغر حادة سريعة الادراك تأخذ فى النقص قبل اوانه ما لم يهتم بشغلها على حسب القوانين واما حافظة البراهين فانها تتقوى وتزداد بازدياد العمر والتمرن على الملاحظة والمقابلة والتفكر

ولما كان الانسان فى حال صغره لا يحفظ الا ما يمر به من الاشياء الساذجية صار يحفظ ايام المواسم والمتنزهات والمناظر الغريبة ونحو ذلك حفظا جيدا وليس فى وسعه حفظ المقابلة الصعبة والبراهين الطويلة مع الدقة فمن ثم كان قصور عقل الانسان بقدر صغر سنه فكلما كان اصغر فى السن كان اقرب الى قصور العقل فاذا تقوى عقله واخذ فى الزيادة صار له قدرة على التفكر والنظر الدقيق والاستنباط

(شكل ٨٢، ٨٣) كتاب "رموز السر المصون في تطبيق الهندسة على الفنون"، من تأليف محمد الحلواني، طبعة عام ١٢٦٨هـ/١٨٥١م، كان تنوع موضوعات الإصدارات السمة المميزة لنشاط المطبعة. ونلاحظ اسم المطبعة هنا هو دار الطباعة العامرة ببولاق مصر القاهرة، وقد ذكر اسم علي بك جودت كناظر للمطبعة.



١١٨

بالعفو * انه هو أهل التقوى واهل المغفره * وولي الخيرات
في الدنيا والآخره *

وقد ابتدئ طبع هذه النسخة الجليلة * المحققة الجليلة * بدار
الطباعة الباهره * الكائنة ببولاق مصر القاهره * في أيام
دولة ملك ملوك العرب والعجم * ومالك ازمة رقاب الامم *
حامي حوزة الاسلام * وسلطان سلاطين الانام * طالع سعد
الزمان السعيد * مولانا السلطان عبد المجيد * ادام الله
ايامه * وأشاد أعلامه * وذلك بمدة ولاية الصدر الاعظم *
والوزير الافخم * قطب دائرة الحكومة المصريه * ومشيد
منار عليها المرعيه * انسان عين الوزراء الفخام * ورافع راية
دين الاسلام * حضرة الآصفي الجليل * الحاج عباس
باشا * ذي الجود والفضل الجزيل * مشمولا ذلك الطبع *
الحسن الشكل والوضع * بنظر ناظر دار الطباعة المذكوره *
وملاحظة معاونيه في تحسين رسم تلك الصوره * المتوكل
على مولاه المعيد المبدي * علي جودت افندي * وقد قوبلت
من نسخة موثوق بصحتها * وقوبلت على اخرى مجزوم
بصحتها * ووضع هامشها بغاية الاتقان والتدقيق * مع
التنقيح والتحقيق * باتفاق مصححي دار الطباعه * ومعانيهم

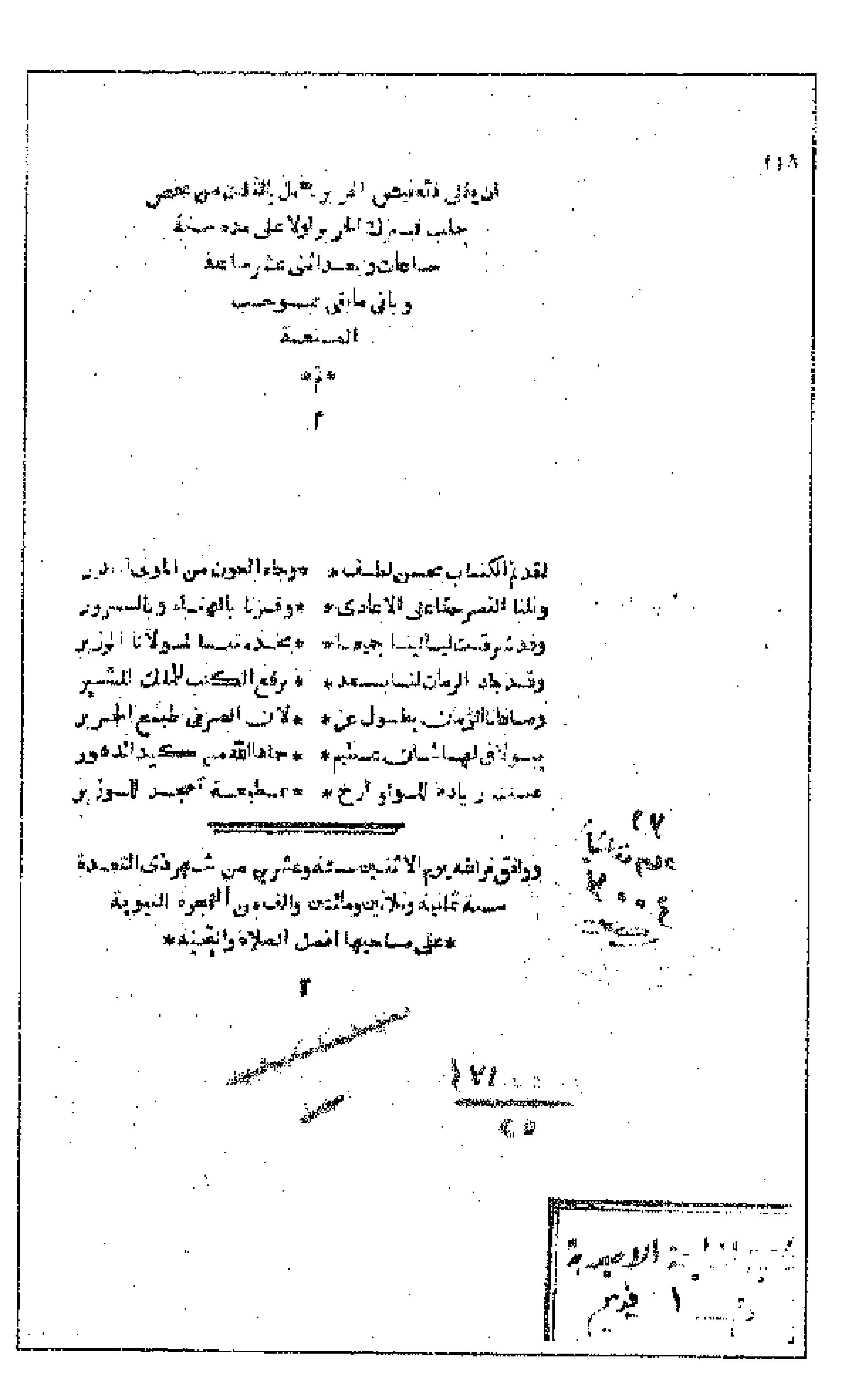
١١٩

بما يخفى عن قارئها ما يتعرض طباعه * وذلك على ذمة الملتزم
بطبعها * ومباشر وضعها * قدوة الفضلاء وعمدة النبلاء *
العالم الكامل * والشريف الفاضل * رئيس مصححي
مدرسة الطب الانساني * السيد محمد التونسي بلغه
الله من الخير الاماني * وكمل طبعها في سلخ رجب الفرد
الاصم * سنة ست وستين ومائتين وألف من هجرة النبي المفخم *
صلى الله وسلم عليه وعلى آله * والتابعين لهم فيما نسجوا على
منواله * ما لاح برق غمام * وفاح مسك ختام * والحمد لله
في البدء والنهايه * ونسأله من الخير بلوغ الغايه
آمين

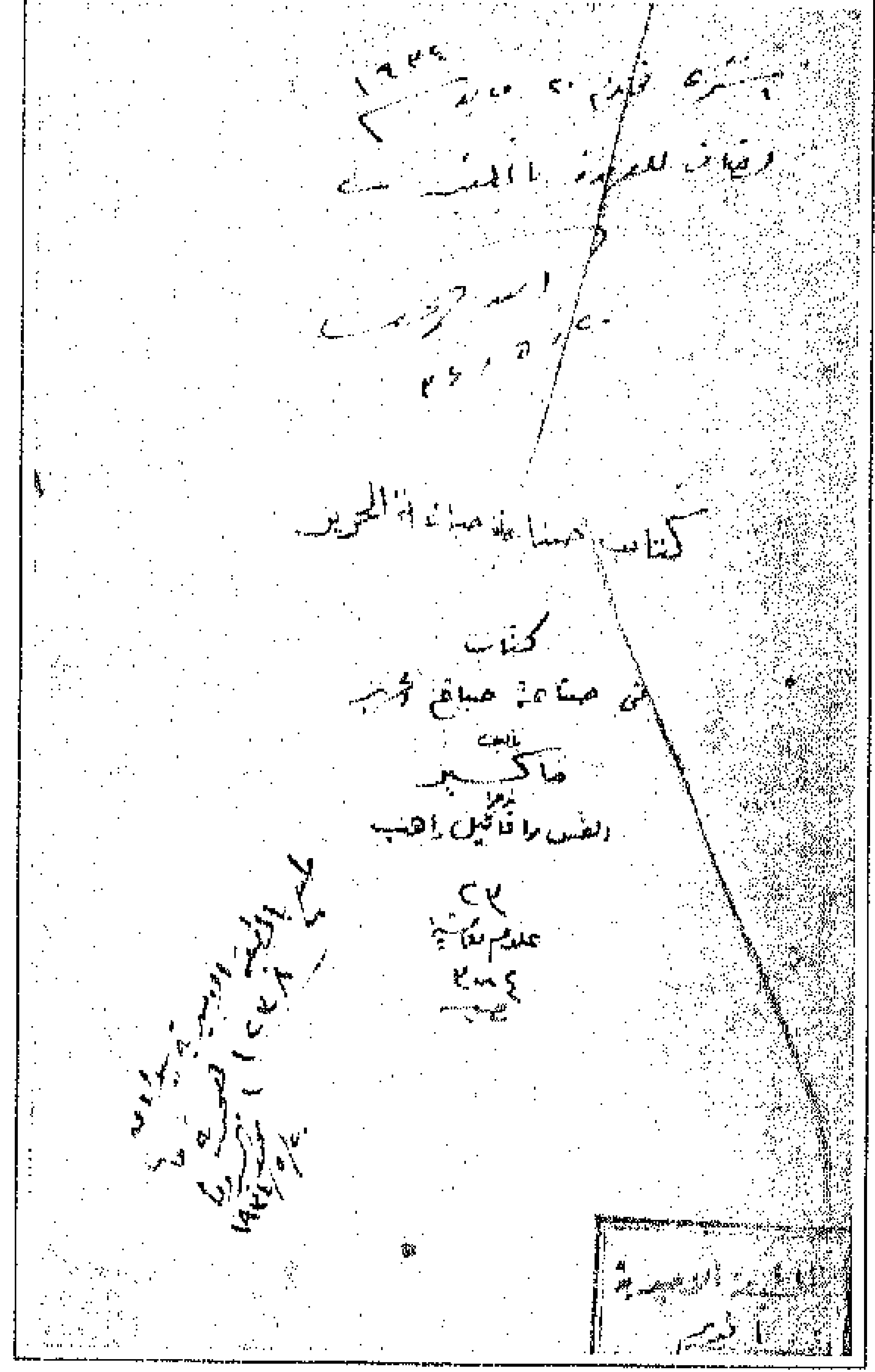
(شكل ٨٥،٨٤) كتاب "مقامات الحريري في اللغة العربية والفنون الأدبية"، طبعة عام ١٢٦٦هـ/١٨٥٢م، ويعتبر من أهم إصدارات المطبعة، حيث يعود إلى الجيل الثاني من إصدارات المطبعة. ونلاحظ أيضًا أن اسم المطبعة ذكر تحت أسم " دار الطباعة الباهرة الكائنة ببولاق مصر القاهرة"، طبع هذا الكتاب في عهد الوالي عباس حلمي الأول، وهو عصر اضمحلال وإغلاق المطبعة، وكان ناظر أو مدير المطبعة في تلك الوقت هو علي بك جودت الذي ذكر اسمه أيضًا، جدير بالذكر أن هذا الكتاب الرفيع المقام بين كتب الأدب واللغات أصدره الملتزم محمد التونسي، ولم يطبع على نفقة الحكومة.

ضياء النيرين
في مداواة العينين

(شكل٨٦، ٨٧) كتاب "ضياء النيرين في مداواة العينين"، ونلاحظ أنه بدأت حركة تزيين وزخرفة لإطار الصفحة، مما يدل على تقدم المستوى الفني لمطبوعات بولاق. طبع هذا الكتاب في ١٢٥٦هـ، أيضًا نلاحظ أن اسم المطبعة يتغير من إصدار إلى آخر حيث ورد هنا "مطبعة صاحب النصر والتمكين والعز والفوز المبين التي أنشاها ببولاق مصر المحمية صانها الله عن الآفات والبلية"



ووافق فراغه يوم الاثنين ستة وعشرين من شهر ذي القعدة
سنة ثمانية وثلاثين ومائتين وألف من الهجرة النبوية
على صاحبها أفضل الصلاة والتحية



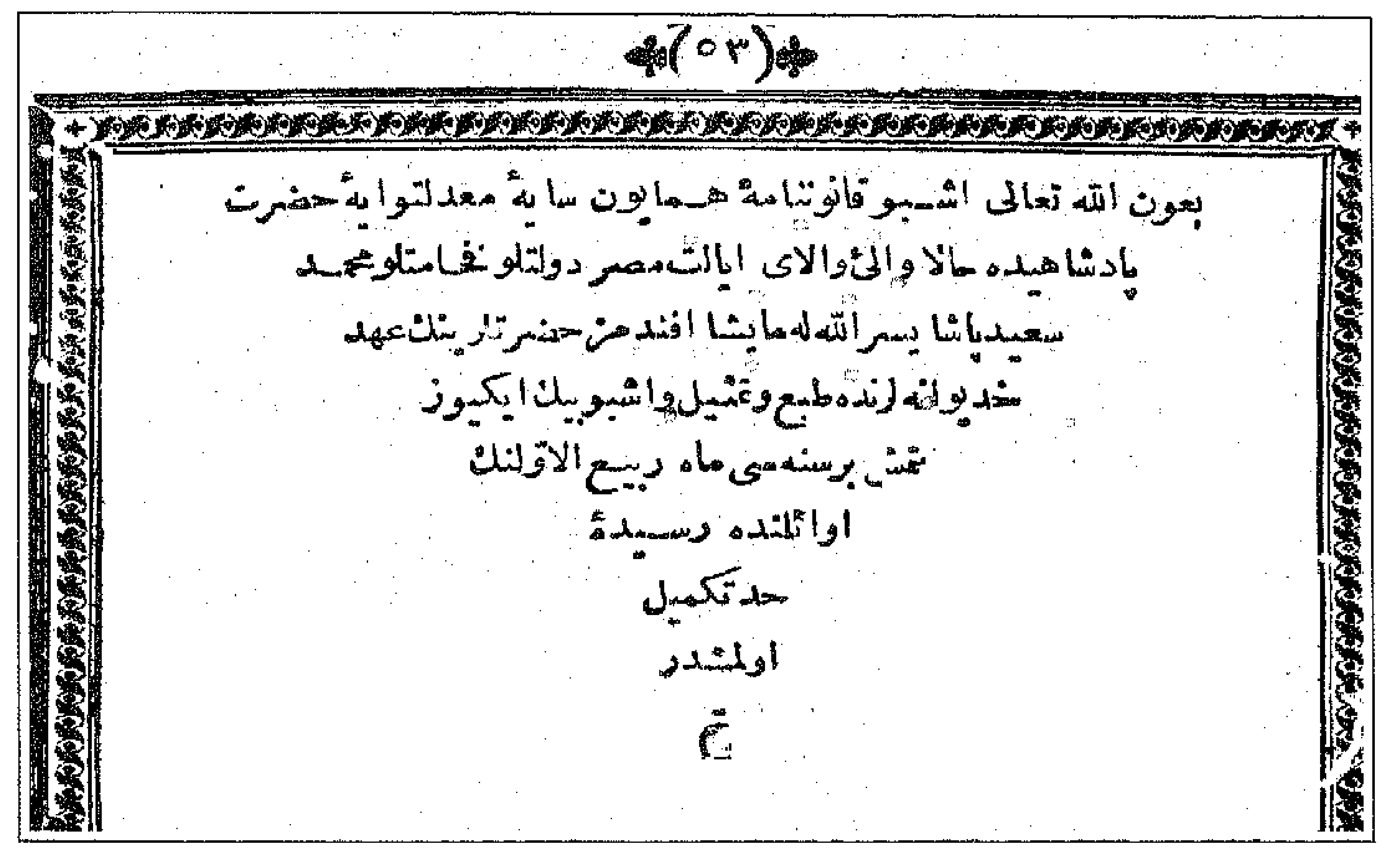
(شكل ٨٨، ٨٩) كتاب "صناعة صباغة الحرير" من تأليف القس رافائيل راهب، ثاني إصدارات مطبعة بولاق، طبع عام ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٤م. يشرح الكتاب كيفية صبغ الحرير بالألوان المختلفة. وهذا يدل على تنوع الاتجاهات الفكرية وكذلك اللغوية لإصدارات المطبعة.

قانوننامهٔ همايون

ذات شوكتسمات حضرت خلافتپناهينك متخلق اولدقلرى اخلاق حسنهٔ مرحمت
ومعدلت سنيهٔ ملكدارى واهالى پرورى اقتضاسندن ناشى محضا تأييد دين ودولت
واحياى اركان ملك ودولت نيت خيريه وارادهٔ خالصه سيله مجددا وضع وتأسيس قوانين
شرعيه خصوصنده متعلق اولان ارادهٔ عليهٔ حقيقيه لرينى حاوى ايكيوز اللى بش سنه سى
شعبان المعظمنك يكرمى التنجى كونشنده عدالت افزاى سنوح وصدور بيوريلوب
كلخانه ميداننده قرائت بيوريلان خط همايون شوكتمقرون شاهانه نك صورتيدر

جمله يه معلوم اولديغى اوزره دولت عليه مزك بدايت ظهورندنبرو احكام جليلهٔ قرآنيه
وقوانين شرعيه يه كماليله رعايت اولنديغندن سلطنت سنيه مزك قوت ومكنتى وبالجمله
تبعه سنك رفاه ومعموريتى رتبهٔ غايته واصل اولمشيكن يوز اللى سنه واردركه غوائل
متعاقبه واسباب متنوعه يه مبنى نه شرع شريفه ونه قوانين منيفه يه انقياد وامتثال
اولنمامق حسبيله اولكى قوت ومعموريت بالعكس ضعف وفقره مبدل اولمش وحالبوكه
قوانين شرعيه تحتنده اداره اولنميان ممالكك پايدار اوله ميه جغى وافعاندن بولنمش اولوب
جلوس همايونمز روز فيروزندنبرو افكار خيريت آثار ملوكانه مز دخى مجردا عمار ممالك

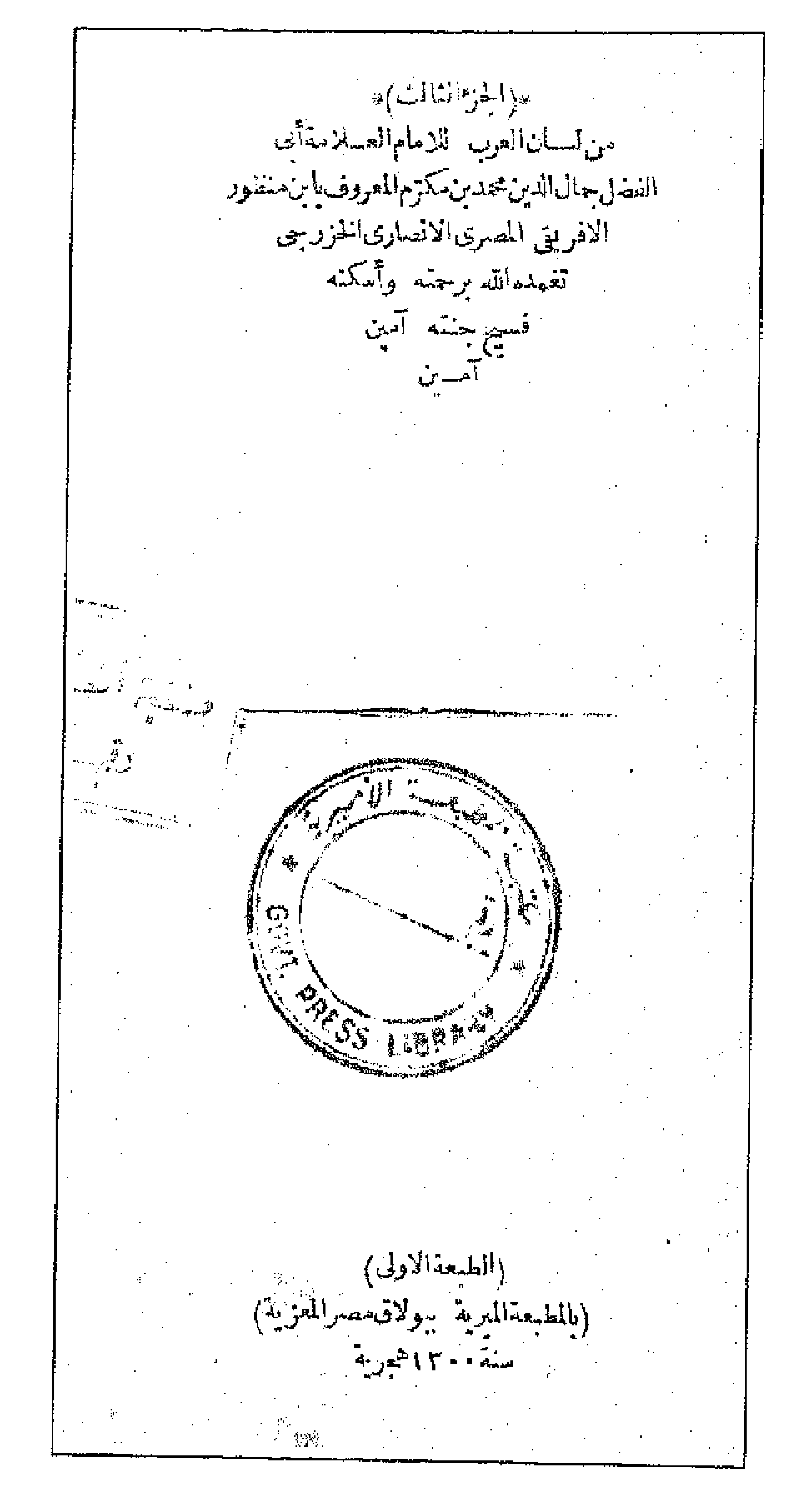
وانحا



(٥٣)

بعون الله تعالى اشبو قانوننامهٔ همايون سايهٔ معدلتوايهٔ حضرت
پادشاهيده حالا والئ والاى ايالت مصر دولتلو نخامتلو محمد
سعيد پاشا يسر الله ما يشا افندمز حضرتلرينك عهد
شديولرنده طبع وتمثيل واشبو بيك ايكيوز
التمش بر سنه سى ماه ربيع الاولنك
اوائلنده رسيدهٔ
حد تكميل
اولمشدر
تم

(شكل ٩٠، ٩١) قانون نامة همايون باللغة التركية، وقد صدر في عهد الوالي محمد سعيد باشا.



(الجزء الثالث)
من لسان العرب للإمام العلامة أبي
الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور
الافريقي المصري الانصاري الخزرجي
تغمده الله برحمته وأسكنه
فسيح جنته آمين
آمين

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة الميرية ببولاق مصر المعزية)
سنة ١٣٠٠ هجرية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(فصل اللام) (لبث) اللَّبْثُ واللَّبَاثُ المُكْثُ قال الله تعالى لابثين فيها أحقاباً القراء الناس
يقرؤون لابثين وروى عن علقمة انه قرأ لبثين قال وأجود الوجهين لابثين لان لابثين اذا كانت
في موضع تنصب كانت بالالف مثل الطامع والباخل قال واللَّبِثُ البطيء وهو جائز
كما يقال طامع وطمع بمعنى واحد ولو قلت هو طمع فيما قبلك كان جائزا قال ابو منصور ويقال
لَبِثَ لَبْثًا ولَبَثًا ولَبَاثًا كل ذلك جائز وتَلَبَّثَ تَلَبُّثًا فهو مُتَلَبِّثٌ قال الجوهري مصدر لَبِثَ لَبْثًا على
غير قياس لان المصدر من فَعِلَ بالكسر قياسه التحريك اذا لم يتعد مثل تعب تعبا قال وقد جاء في
الشعر على القياس قال جرير

ولقد أكون على الحاجات ذا لَبَثٍ * وأحوذيا اذا انضم الذعاليب

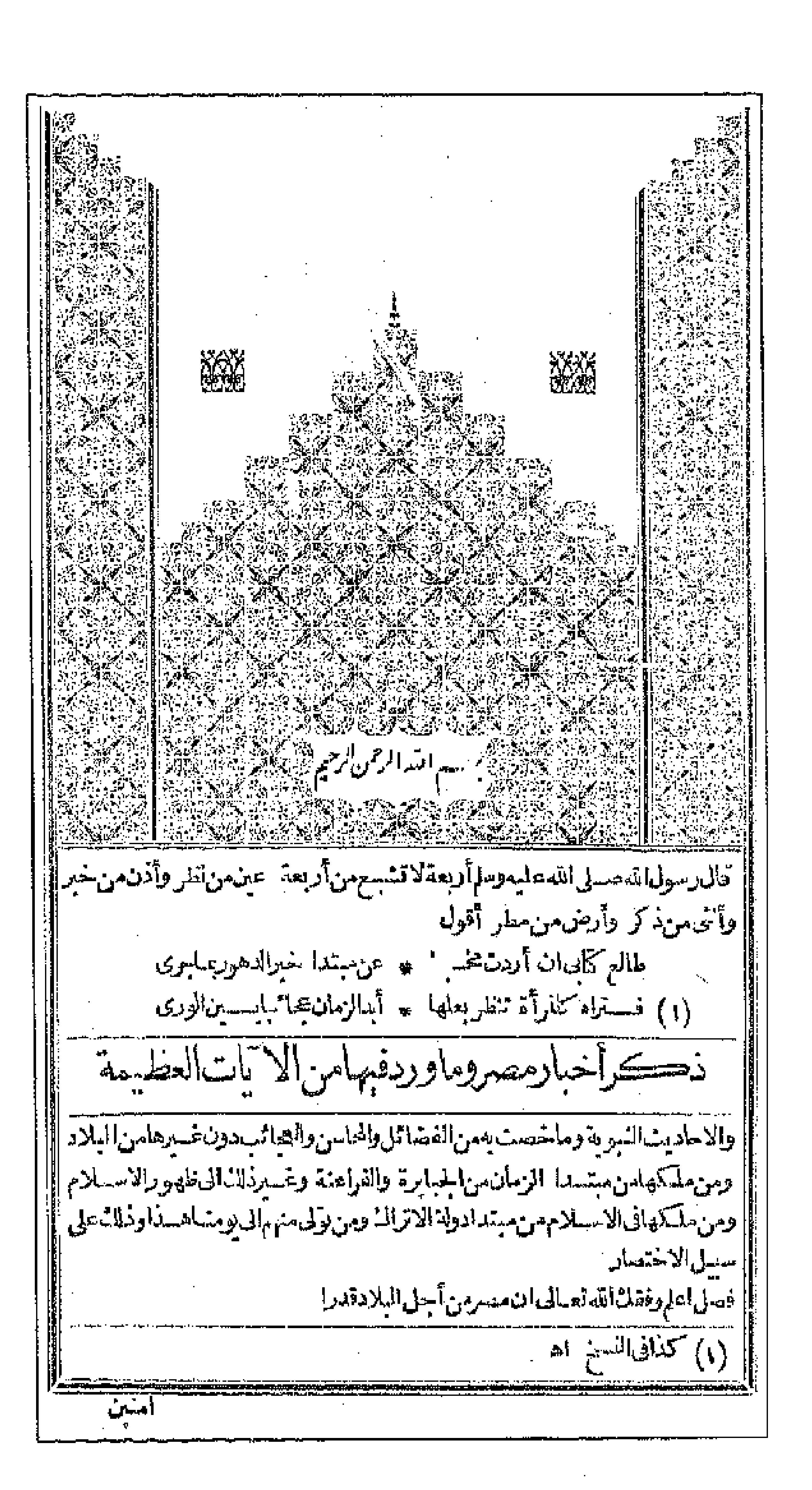
فهو لابث ولبث أيضا ابن سيده لبث بالمكان يلبث لبثا ولبثا ولباثا ولباثة ولبثة وألبثه أنا
ولبثه تلبيثا وتلبث أقام وأنشد ابن الاعرابي

[illegible] * ولم [illegible]

كذا بياض بالاصل ولعل الساقط اذا الفعل أو لابثون اه مصححه

معناه

(شكل٩٣،٩٢) كتاب "لسان العرب" لمؤلفه جمال الدين محمد المعروف بأبي منظور الأفريقي المصري الأنصاري. يتعرض الكتاب للأجرومية العربية وشرح قواعدها المختلفة. طبع في مطبعة بولاق عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م.



بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة لا تشبع من أربعة عين من نظر وأذن من خبر وأنثى من ذكر وأرض من مطر أقول

طالع كتابي ان أردت تخبرا * عن مبتدا خبر الدهور بما جرى

(١) فستراه كمرآة تنظر بعلها * أبدا الزمان عجائبا بين الورى

ذكر أخبار مصر وما ورد فيها من الآيات العظيمة

والاحاديث النبوية وما خصت به من الفضائل والمحاسن والعجائب دون غيرها من البلاد ومن ملكها من مبتدا الزمان من الجبابرة والفراعنة وغير ذلك الى ظهور الاسلام ومن ملكها في الاسلام من مبتدا دولة الاتراك ومن تولى منهم الى يومنا هذا وذلك على سبيل الاختصار

فصل اعلم وفقك الله تعالى ان مصر من أجل البلاد قدرا

(١) كذا في النسخ اهـ

امين

الجزء الثاني من تاريخ مصر

المشهور ببدائع الزهور في وقائع الدهور

تأليف

العلامة المؤرخ محمد بن أحمد بن اياس

الحنفي المصري رحمه الله تعالى

آمين

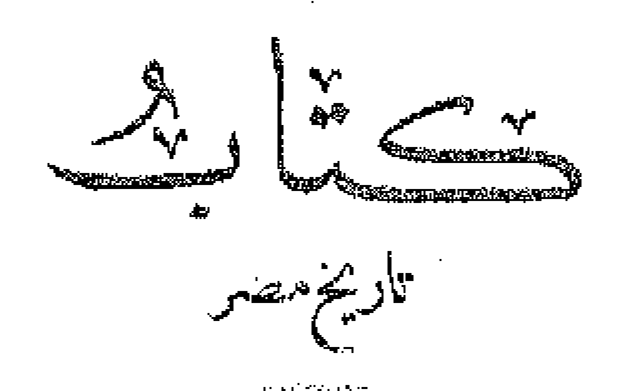
(طبع على نفقة الكتبخانه الخديويه)

(الطبعة الاولى)

بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه

سنة ١٣١١

هجريه



كتاب

تاريخ مصر

المشهور ببدائع الزهور في وقائع الدهور

تأليف

العلامة المؤرخ محمد بن أحمد بن اياس

الحنفي المصري رحمه الله تعالى

آمين

(الطبعة الاولى)

بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحمية

سنة ١٣١١

هجرية

(شكل ٩٤، ٩٥، ٩٦) كتاب "بدائع الزهور في وقائع الدهور" لمؤلفه أحمد ابن إياس. يتناول الكتاب تاريخ مصر على مر العصور المختلفة. ويقع الكتاب في أكثر من جزء، طبع في عام ١٣١١هـ/١٨٩٣م-١٨٩٤م.

٢٧٢ (اتحاف ملوك الزمان)

طويلا فى شمال اوروبا من الصولة ونفوذ الكلمة بخلاف مملكة اسوج
فانها بمجرد خلاصها من حكم الاجانب اخذت فى التقوى وسلكت سبيل
السودد وبعد قليل صارت قوانينها الداخلية محكمة الترتيب حتى غدت
اول دولة بين الممالك الشمالية وارتقت فى مبدأ القرن السابع عشر
بين الدول الافرنجية الى اوج الشوكة والبأس حتى كان المرجع
اليها من ارباب العصبة القوية التى قامت بنصر دين المعتزلة
وبحماية حرية ألمانيا من بدع عائلة الاوستريا
وطمعها الذى لم تكن له نهاية

تم

انتهى الجلد الثالث من اتحاف ملوك الزمان * بتاريخ الامبراطور شرلكان *
وهو آخر التاريخ المذكور وقد جرى طبعه بالمطبعة العامرة * الكائنة
ببولاق مصر القاهرة * فى ايام دولة صاحب السعادة الابدية الباهرة * والهمة
العلية الفاخرة * ولى النعم ذى المن والكرم * افندينا الحاج عباس باشا *
دام كما رام وبلغ ما شا * وكان الاتمام على هذا النظام * فى الخامس والعشرين
من شهر ذى القعدة الحرام * سنة ست وستين ومائتين بعد الالف * من هجرة من
خلقه الله على اكمل وصف * صلى الله عليه وعلى آله * والتابعين على منواله

اتحاف
الملوك الالبا

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن جعل التواريخ تذكرة لما مضى من الزمان * وجعلها مشتملة على سير
كل امة ورسوسها از رعية وسلطان ولولاها لتشتتت الوقائع وغرقت الحوادث
فى بحار النسيان وصارت نسيا منسيا عند كل انسان فسبحانه من اله
خلق الانسان وميزه بالعرفان وجعل لسانه ترجمان الجنان وخصه بالحكمة
وعلو الهمة وجعل مظهر ذلك بعض البلدان فشرف آسيا بفخار الرسالة
والنبوة والكرم والفتوة ثم خص الآن اوروبا بفخار علوم المعاش النافعة
وفنون التربية الساطعة واخرج اهلها من حيز الخشنية الى الحضارة المدنية
وجعلهم ارباب علوم وصناعات سنية وصلاة وسلاما على سيدنا محمد وعلى اله
واصحابه البررة الكرام وامته المفضلين على غيرهم من امم الانام امة ترغب
فى تاريخها الافاضل لكونه يستمد منه انواع الفضائل ثم الدعاء لولى النعم

الخلية الذى ولى عصره على زمن الخلفاء العباسية فاحيى ما كان مندرسا
من الآداب والفنون واظهر ما كان كامنا مستورا عن العيون لا زالت
الباصرة النعم على ابوابه مقصورة وآفات النقم بإعتاب اعدائه محصورة
ولا زالت عساكره [illegible] منصورة و[illegible] مشيدة قواعدها مقهورة
ولا [illegible] لا سيما ديوان المدارس بملاحظة
[illegible] (اما بعد) فيقول راجى رحمة الملك الودود عبده
[illegible] منه [illegible] اقدمه منيفة فى ذكر تقدم الجمعية فى البلاد
الافرنجية مترجمة من الانكليزية الى الفرنساوية حازت عند الافرنج كال
الشهرة وظهرت من كتب التاريخ بالنصرة ودخلت فى غالب اللغات فكان
ادخالها فى اللغة العربية من اعظم المهمات لا سيما وان الخديوى الاعظم
الذى يسلك مسالك حسن التربية والتمدن يرغب فى الاطلاع على مثل هذه
الوقائع ويروم تعليم اهالى مملكته واطلاعهم على هذه المنافع فلهذا اخذت
فى تعريبها لكمل تنقيحها وتهذيبها وسميتها اتحاف الملوك الالبا بتقدم الجمعيات
فى اوروبا وحيث انها باللغة الفرنساوية من مستصعبات التأليف ومختصرات
التصانيف استعنت فى تذليل صعابها وكشف نقابها بمراجعة من لسان
[illegible] فى [illegible] مقال فانا هو آت بيسير
من كثير [illegible] رفاعة [illegible] مدير مدرسة الالسن حين التوقف والحاجة
الى ذلك وهو ايضا الذى صححها على اصلها وقابلها كل المقابلة فبهذا كانت
[illegible] لا سيما من امثالى حيث انه لم يكن لى فى مدرسة الالسن غير [illegible]
[illegible] فالحمد لله الذى جعل مشروعات ولى النعم ناجحة
[illegible] والله الموفق وبه الاعانة

ديباجة

[illegible] من كتاب انموذج العلوم التاريخية حد
[illegible] التاريخ [illegible] نور الحقيقة مدرسة الحياة رسول
[illegible] ولا باس بان يراد فى التعريف استاذ الملوك والرعايا

(شكل ٩٧، ٩٨) كتاب "إتحاف الملوك الألباب" يقع الكتاب في ثلاثة أجزاء، ويتناول سيرة ملوك أوروبا، وهو مترجم من الفرنسية إلى العربية على يد "خليفة محمود"، وقد راجعه الشيخ رفاعة الطهطاوي. طبع بمطبعة بولاق في عهد الوالي عباس حلمي عام ١٢٦٦هـ/١٨٥٠م.



بسم الله الرحمن الرحيم

درود نامعدود وشكر متعاقب الورود معبود بالحق اولان واجب الوجود حضرتلرينه سزادركه احوال امم ماضيه واطوار ملل باليه في محل عبرت اولى الابصار وسبب انتباه صنوف اخيار ايلوب ماضيدن حاله انتقال ايله سوالف اوضاع قياسه استدلال استعدادني افراد عبادنه اعطا وازال ايله تجارب مجاري احوال روزكاره واقف صروف قاصمة الظهور ادوار ايلدي واكمل صلوة واجل تحيات تحفه روضه اشرف موجودات قيلنوركه سير بديع الاثرينه سلوك واقتفا باعث حصول فوز دو سرا ووسيلهٔ تهذيب اخلاق وجها بادر وآل واصحاب وعترت واحبابنه اهداى تفاريق رضا قيلنوركه جملهسي راهنماى جادهٔ صواب وبكه نازمضمار فصل الخطاب ايلشلردر (اما بعد) معلوم اوله كه قرآن عظيم الشان واحاديث شريفه دن جهاندن صكره فن جليل تاريخ اذ واطيب علوم واشرف واعز فنون اولوب شويله كه سير وآثار انبياى عظام جامع وقصص اوليا وملوكى احتوا ايله مبين سوابق وقايع اولديغندن غيرى نظم اذا ما طالع التاريخ شخص رأى الدنيا وابصر كل جيل مفهومى اوزره نظر دن غايب نيجه حوادث ومناقب داخل نظر اطلاع وغرائب اخبار جوانب كوشه كيرده لرى سماع اولوب احوال سلفه علم اليقين دربسنده وصول واطوار مخلوقات ارضين وسماواته وقوف ايله اختبار واقعاض مقاصدى آشيق بوفن عزيز المنال سببى ايله حصول بولوب عقول قاصره ارباب عقل بالملكه مرتبهسنه ايصال ورأى سقيم اصحاب رسوخ امتحان وتجربه ايله مستقيم البال ايلديكنه بناء بو فايده عامه دن خواص نامى محروم روا داشته ملوك عرب وروم ايله وبعد دولتلرنده انقلابات دوزمان ايله وقوع بولان كيفياتى رقته رقته ضبط وتدوين ايجون اصحاب لياقتدن براهل هنرى تخصيص وتعيين ايلوب محصول وقايع مؤلفدن سلفه يادكار وسالفدن خلفه ره آورد اعتبار اولور ابدى دولت عليه ابدى الاستقرارده دخى بو فن جليل كال مرتبه اعتبار اولنوب هر عصرده وقوعات ديوانيه وعوارضات ملكيه ثبت

(۱۹۰)

بو همه و نظم و رات كوتيه نسق واحد اوزره چكيده قلم نادره رقم اولوب انشاء الله تعالى بوندن صكره نيجه سنين وسال اوپاد شاه مظفر خنده فال واو انشم نشاه مروتى خصال حضرتلرينك شهنامهٔ سيد زمان سعد اقترانلرنده نمودار اولان آثار صريحه لرين فكرت صحيحه وصفوت قريحه ايله تحريرا تلك الطاف الهيه دن مستبعد كالدرهمان جناب مسبب الاسباب تعالى ذات والارتياب خديو زمان واسكندر دوران هوشنك هوش افراسياب جيوش سلطان البرين المشتهر بالعدل والاحسان في الخافقين خليفة الله في ارضه القائم بواجبه وفرضه حضرتلرينى الى آخر الادوار سرير سلطنتلرنده برقرار ايدوب اعداى دولتلرينى قوة قاهرهٔ الهيه سيله مدمر ومقهور وزيرسايهٔ حمايت عدالتلرنده اولان توانا وفقرا ورعايا وبرايايى طول عمر وفزونى شوكتيله مسرور ايده آمين

طبع هذا التاريخ الجديد والاثر المفيد المسمى بمحاسن الآثار وحقايق الاخبار لاحمد واصف افندى المؤرخ في الدولة العلية العثمانية لازالت محفوفة بتأييدات الصمدانية باذن صاحب الفتوحات الباهرة والى الآن مصر القاهرة بمطبعة بولاق بمعرفت تصحيح عبد الله سعيد آمدى ومعرفت ناظرها في اواخر شهر جمادى الآخرة سنه ست واربعين ومائتين والالف بعد الهجرة النبوية عليه افضل الصلاة والتسليم

(شكل ۹۹، ۱۰۰) كتاب " محاسن الآثار وحقائق الأخبار"، والذي أعيد طبعه في مطبعة بولاق عام ۱۲۴۳هـ/۱۸۲۷م.

بسم الله الرحمن الرحيم

(شكل ١٠١،١٠٢) كتاب "محاسن الآثار وحقائق الأخبار"، وهو تاريخ للإمبراطورية العثمانية من ١١٦٦هـ-١١٨٩هـ/١٧٥٢م-١٧٧٥م، من تأليف أحمد واصف أفندي، هذه الطبعة أصدرت بالآستانة في عام ١٢١٩هـ/١٨٠٤م، (النسخة التي طبعت في تركيا).

هذه جوهرة بهية احمديه في شرح الوصية المحمديه

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع حمد وثنا واجب الوجود وكامل الاحسان والجود اولان الله تعالى يه مخصوصدر كه امت محمديه يي اصول دينيه وفروع شرعيه ده سائر امم سالفه سابقه اوزرينه تفضيل ايلدى واهل سنت وجماعت مذهب حقه توفيق ايدوب زيغ وضلالدن محفوظ ايلدى وصلوات متواليه وتسليمات متتاليه اول افضل مخلوقات ومفخر كائنات شمس ذات نبوت ورسالت وفلك عالم سعادت وسيادت خاتم انبيا ومرسلين وسيد اولين وآخرين محمد مصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم اوزرينه اولسونكه شمس دين متين ونور شرع مبيني جمله جهاني ظلمات كفر وجهالتي محو ايدوب امتني احيا وتنوير ايلدى ودخى آل واصحابي اوزرينه اولسونكه ملت محمديه وشريعت احمديه يي نقل وروايت ايلديلر ودخى علماء دين اوزرينه اولسونكه شريعت مطهره يي اهل اسلامه تعليم ايتديلر وبعد بو عبد فقير وحقير قاضى زاده اسلامبولي احمد بن محمد امين رحمهما الله تعالى ديركه علماء ديندن اولان شيخ تقي الدين محمد بن پير علي البركوي عليه رحمة الملك القوي تأليف ايلديكي وصيتنامه ذاتنده بر كزيده رساله شريفه اولوب اصول دينيه دن اكثر عقائد اهل سنتي مشتمل وعلم اخلاقدن امهات محاسن اخلاقي حاوي وفروع شرعيه دن بلمسى اهم مهمات اولان مسائل نفيسه يي جامع اولمغله طالب سعادت وسالك آخرت اولان اخوان دين وخلان مخلصين ايچون وسيله وصول سعادت اولوب اهل علم وارباب صلاح

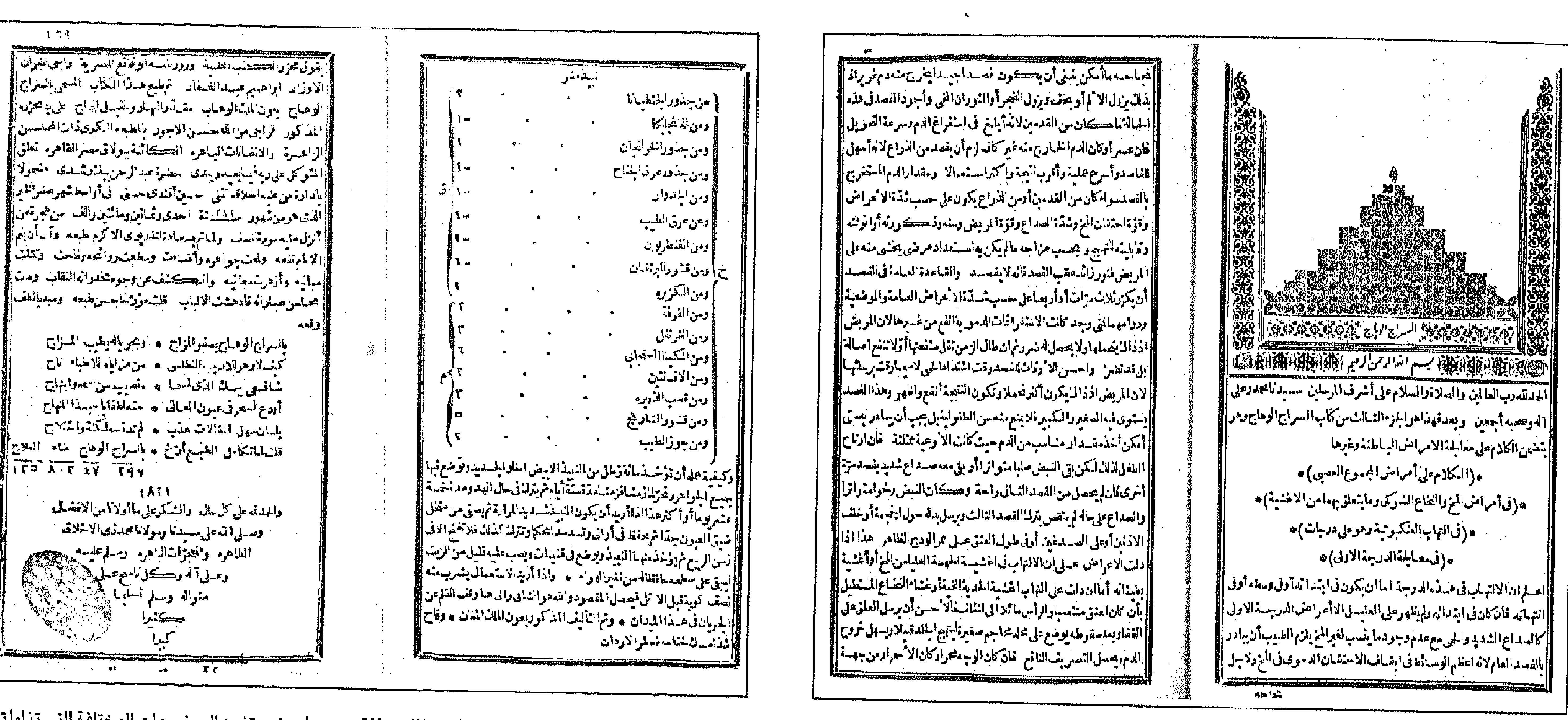
عندنده بالاتفاق ممدوح ومعتبر اولمغله طالب دين اولنلر اندن مستفيد ومسترشد اولوب طريق حقه وصوله سعي بليغ ورغبت ايتمرله لكن بعض محللي حل وبعض مشكلاريني ايضاح ايتمكه برمفيد شرحه محتاج اولديغيچون بو عبد فقيردن بعض اخوان آخرت افاده يي متضمن برشرح عذب البيان وفصيح اللسان تحريريني التماس ايليوب اخوان مخلصينه خدمت وطلب رحمت ومغفرة ايچون بعون الله تعالى شرح مذكورك تحريرينه شروع وبعد الاتمام *جوهرة بهية احمديه* في شرح الوصية المحمديه تسميه اولندي اولا معلوم اولسونكه اهل تصنيف بيننده واجبدر كه كتابلرينك اوللرنده بسمله شريفه يي ذكر ايدوب تاليفاتلرينك طاعت مقبوله اولمسى حقنده اسم جليل الشاني وسيله ايله حق تعاليدن نصرت طلب ايدرلر بعده تاليف كتاب برنعمت عظيمه اولوب آكا موفق اولدقلري ايچون حمدله ايله بدا ايدوب حق تعالى يه ثنا ايدرلر ودخى فخر جهان رسول الله صلى الله عليه وسلم دين اسلامي تبليغ ايلكده حق تعالى ايله قوللري بيننده واسطه جليلة القدر اولوب ظلمات كفر وجهالتدن خلاصه وسيله عظيمه اولديغيچون آكا صلوة وسلام ايدرلر ودخى آل واصحاب رضوان الله عليهم اجمعين رسول الله ايله سائر اهل اسلام آراسنده دين اسلامي نقل وروايت ايتمكده وسيله اولدقلريچون آنلري دخى ذكر ايدرلر ثم هذا مصنف مرحوم رساله سنك اولنده بسمله وحمدله يي ذكر ايلدى تا كيم كتابي برطاعت مقبوله اولوب تصدين مبرا اولوب بيله برتاليف جليل القدره موفق اولديغنه حمد وثنا ايليه وقرآن عظيم الشانك اسلوب حكيمانه سنه موافق وسلف صالحينك تاليفاتنه مطابق اوله بعده صلوة وسلامي ذكر ايلدى تا كيم رسول الله صلى الله عليه

٣٣٦

وشار حنك بادى وباعثلك ارواح رحمت ارتياحلرين ذلال حيوى فاتحه ايله سيراب فيض قدس احيا بيورهلر قد تم طبعه في بولاق مصر القاهره على يد نيقولا مسابكي في اواخر ذي الحجة لسنة اربعين ومائتين والف

م

(شكل١٠٣، ١٠٤) كتاب "الجوهرة البهية في شرح الوصية المحمدية"، يتناول الكتاب شرح السنة النبوية. الكتاب مؤلف باللغة التركية، طبع المتن والحاشية في جزء واحد، ويرجع تاريخ طبعه إلى عهد نيقولا المسابكي، أي إلى تاريخ مبكر من عمر مطبعة بولاق، فقد طبع في عام ١٢٤٠هـ/١٨٢٥م، وقد طبع في الآستانة قبل ذلك في ١٢١٩هـ /١٨٠٥م وترجمه " Garcin de Tassay " إلى الفرنسية ببعض الاختصار



السراج الوهاج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد فهذا هو الجزء الثالث من كتاب السراج الوهاج وهو يتضمن الكلام على معالجة الامراض الباطنة وغيرها

●(الكلام على أمراض المجموع العصبي)●

●(في أمراض المخ والنخاع الشوكي وما يتعلق بهما من الاغشية)●

●(في التهاب المنكبوتية وهو على درجات)●

●(في معالجة الدرجة الاولى)●

اعلم ان الالتهاب في هذه الدرجة اما ان يكون في ابتدا تداركه ... التهابه فان كان في ابتدائه ولم يظهر على العليل الا أعراض الدرجة الاولى كالصداع الشديد والحمى مع عدم وجود ما يسبب لغير المخ يلزم الطبيب أن يبادر بالفصد العام لانه اعظم الوسائط في ايقاف الاحتقان الدموي في المخ ولاجل

(شكل ١٠٥، ١٠٦) كتاب "السراج الوهاج في معالجة الأمراض الباطنة" وضعه السيد إبراهيم عبد الغفار. يتناول الكتاب ذكر الأمراض الباطنة الشائعة في تلك الفترة وطرق علاجها المختلفة، وهو ما يوضح تنوع الموضوعات المختلفة التي تناولتها إصدارات المطبعة. طبع هذا الكتاب في عهد الخديوي إسماعيل خلال فترة تملك عبد الرحمن رشدي للمطبعة، وإدارة حسين حسني لها، وهو ما يظهر لنا في الصفحة الأخيرة من الكتاب في قول المؤلف " تعلق المتوكل على ربه فيما يعدي ويبدي حضرة عبد الرحمن رشدي مشمولاً بإدارة من عليه أخلاقه تثني حسين أفندي حسني"، ويلاحظ أن اسم المطبعة تغير إلى "المطبعة الكبرى ذات المحاسن الزاهرة والإتقانات الباهرة ببولاق مصر القاهرة". أما عن تاريخ الطبع فقد ذكر المؤلف أنه أواسط صفر عام ١٢٨١هـ/١٨٦٤م، ثم أعاد ذكر التاريخ بطريقة حساب الجُمّل في الشطر الأخير من آخر الأبيات الشعرية، إلا أنه قد أخطأ عند كتابة التاريخ بالأرقام فكتب م١٨٢١ بدلاً من ١٢٨١هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

٣

المقدمة

(وفيها سبعة فصول)

الفصل الاول

(في فائدة التاريخ)

العقد الثمين

في محاسن أخبار وبدائع آثار

الاقدمين من المصريين تأليف الفهامة

النجيب الفطن الاديب أحمد افندي كمال معلم

التاريخ واللغة الفرنساوية والبربائية

ومترجم الانتيقخانة

المصرية وناظر

مدرستها

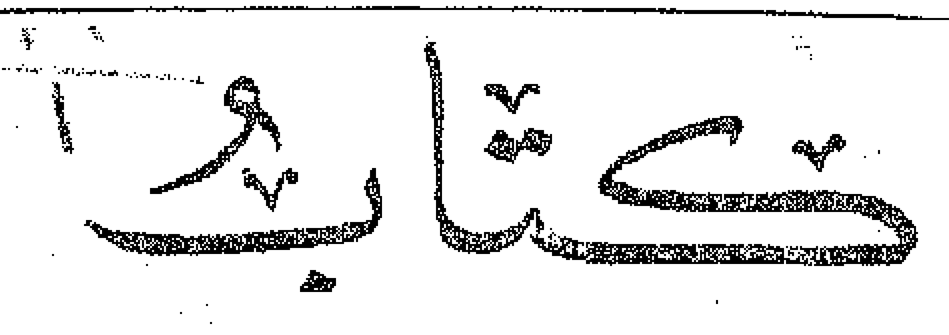
البهية

(الطبعة الاولى)

بالمطبعة الميريه ببولاق مصر المحمية

سنة ١٣٠٠ هجرية

(شكل ١٠٧-١٠٨) كتاب "العقد الثمين في محاسن أخبار وبدائع آثار تاريخ الأقدمين المصريين" لمؤلفه السيد أحمد كمال أفندي، وهو مدرس التاريخ واللغة الفرنسية. يحكي الكتاب تاريخ قدماء المصريين مع بيان أهم إنجازات الحضارة المصرية القديمة. طبع الكتاب في مطبعة بولاق التي كانت تحمل اسم "المطبعة الميرية ببولاق مصر المحمية" في عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م



كتاب

التوفيقات الالهامية

فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنكية والقبطية

تأليف

اللوا المصرى (محمد مختار باشا)

مأمور الخاصة الخديوية الجليلة

(حقوق إعادة الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف)

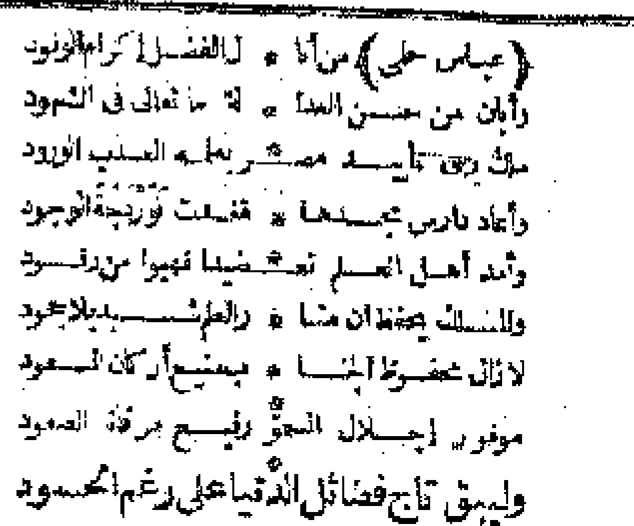
الطبعة الاولى

بالمطبعة الميرية ببولاق مصر المحميه

سنة ١٣١١

هجريه





(عباس حلمى) من أتا * لـ الفضل إكرام الوفود

وأبان من حسن العدا * ئه ما تعالى فى الشهود

ملك رقى تأييد مصـ * ـر بحلمه العذب الورود

وأعاد نادى جمعها * فتمثلت زينة الوجود

وأمد أهل العلم تعـ * ـضيدا فهبوا من رقود

وللمسلك حفظ المنا * ر والطرف بلا جحود

لا زال محفوظ الجنا * ب منيع أركان السعود

موفور إجلال النعو * ت رفيع مرقاة الصعود

وليبق تاج فضائل الدنيا على رغم الحسود

(شكل١٠٩، ١١٠) كتاب "التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنكية والقبطية" لمؤلفه اللواء المصري "محمد مختار باشا". وهو يعتبر مرجع لمقارنة التواريخ الهجرية بمثيلاتها الميلادية والقبطية، ونلحظ عبارة "حقوق إعادة الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف". وهو ما يشير ضمنا إلى أن الكتاب طبع على نفقة مؤلفه في مطبعة بولاق. طبع في عام ١٣١١هـ/١٨٩٣م (١٨٩٤م)، في عهد الخديوي عباس حلمي الثاني. يظهر لنا من خلال الصفحة الأولى شعار الدولة المصرية في تلك الفترة "الهلال والنجمة"

حواشي السيد على المطول

* بسم الله الرحمن الرحيم *

في حصل الناطق والصامت الى غير ذلك على ما يشاهد من الامثلة
ولبس الحال في قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر مع صاحبتها
كذلك قال وادرك ان زرت اه اقول ودود اسم العشيقة كما ان
نجنى في بيت الحريري اسمها ايضا والورد بالفتح ما يشم وبالكسر
الجزء يقال قرأت وردي وخلاف الصدر وبمعنى الوراد
وهم الذين يردون الماء ويوم الحمى يقال وردته الحمى وبالضم
جمع ورد على مثال جون وجون ويقال فرس ورد
واسد ورد وهو الذي بين الكميت والاشقر قال ومثل
الخيفاء اقول يقال فرس اخيف بين الخيف اذا كان
احدى عينيه زرقاء والاخرى سوداء
الخ ومثل الرقطاء اقول الرقطة سواد
يشوبه نقط بياض يقال دجاجة
رقطاء والله
اعلم

قد وقع الفراغ عن طبع هذه الحاشية الجليلة للسيد السند على
المطول بمعرفة الحاج ابراهيم صائب نال ما تمناه في اوائل
شعبان سنة احدى واربعين ومأتين
والف من هجرة من له العز
والشرف
م

(شكل ١١١، ١١٢) كتاب "حواشي السيد علي المطول" وهو يتناول شرح أساليب البلاغة في اللغة العربية، ويظهر لنا في آخر صفحاته اسم المؤلف، وهو الشيخ "علي المطول"، أما طبع الكتاب فكان على نفقة أحد الملتزمين. طبع الكتاب في تاريخ مبكر من عمر مطبعة بولاق سنة ١٢٤١هـ/ ١٨٢٦م.

كتاب اعمار الحيوانات

(بسم الله الرحمن الرحيم)

نحمدك يا كريم يا وهاب * يا من قدرت الآجال في ام الكتاب
وسخرت لنا الشمس والقمر لنعلم بهما عدد السنين والحساب
ان في ذلك لذكرى لاولى الالباب * ونصلى ونسلم على من نطق
بالصواب * وآتيته الحكمة وفصل الخطاب * وعلى آله الطاهرين
واصحابه الفاخرين * وبعد فيقول راجى حسن المآب * مصطفى
حسن كساب * هذه رسالة لطيفه * ونبذة منيفة * في اعمار
الحيوانات الاهلية * ينتفع بها سائر البرية * الفها البيطرى
الماهر جيرار * وسلك فيها مسالك الاختصار * وترجمها من اللغة
الفرنساوية الى اللغة العربية * المترجم الاديب محمد افندى عبد
الفتاح مع مصحح مسائلها * ومنقح دلائلها * المفتقر الى رحمة ربه
التواب * مصطفى حسن كساب * فجاءت بعون الله مرتبة
المبانى * مهذبة المعانى * وسميتها البهجة السنية * في اعمار
الحيوانات الاهلية * وهذا كله باسعاف الوزير الاعظم * والمشير

الافخم

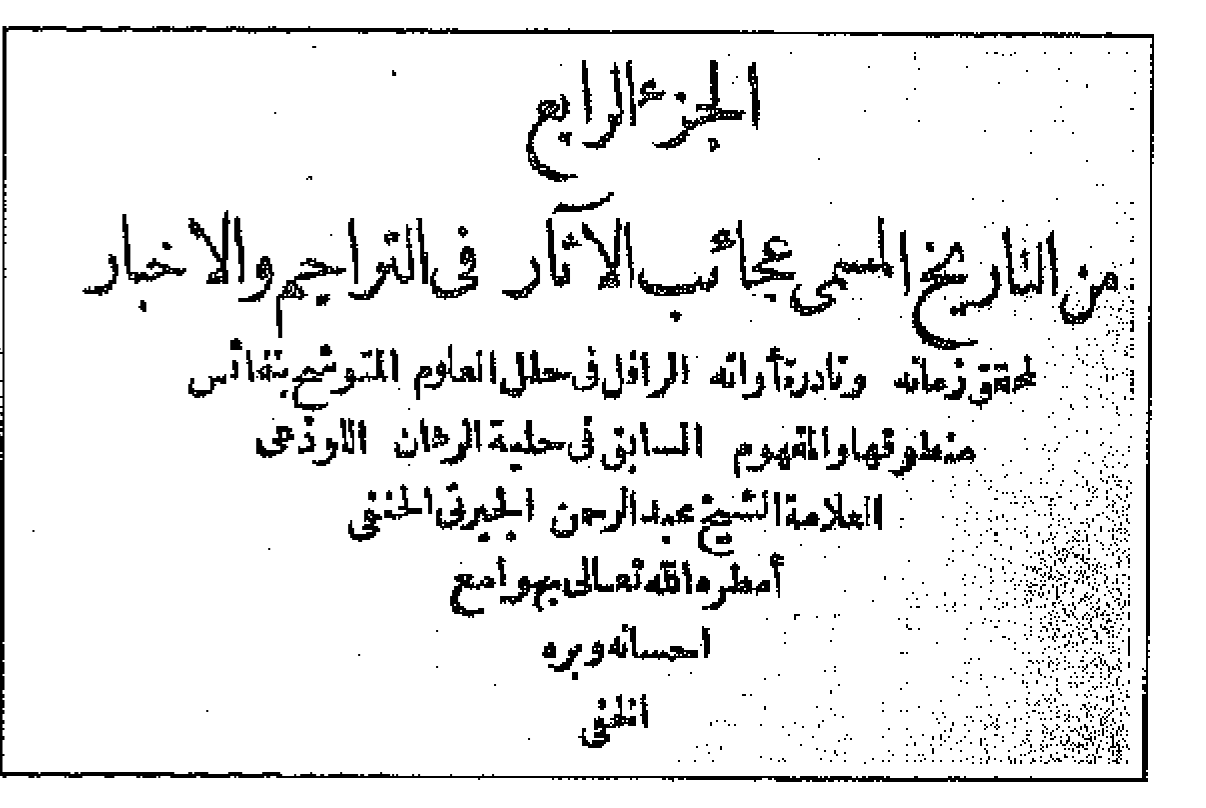
الافخم * من اطلعه الله بدرا في افق المعالى * وغرة في جبهة الايام
والليالى ذى المقام العلى * والفخر الجلى * افندينا الحاج محمد
على * ابد الله دولته * وابد صولته * وجعل مقام ابراهيم حرما
آمنا لسائر البريه وعباس باسه ملجأ للرعيه آمين هذا وقد رتبها
مؤلفها على ابواب وفصول وتذييل

الباب الاول في عمر الفرس وفيه فصول

كان الاقدمون لا يعرفون من الحيوانات الا الحيوان الذى بلغ
من العمر ثمانى سنوات فاقل ومتى جاوزها جهلوا عمره ولم يعرفوه
معرفة حقيقية كما كان عليه ارسطاطاليس ووارن وكولوميل
وابسرت وفجيس وغيرهم من المتقدمين ثم ان المعلم روزيوس
والمعلم تكه والمعلم روبين والمعلم جارزونى والمعلم سوابزيل اضافوا
شيأ يسيرا متعلقا بتركيب وتكوين وبروز ومسح الاسنان
اما المعلم برنيل والمعلم جرسول والمعلم بوفون والمعلم بورجلا فقد
اتبعوا واخطأ بعض الاراء ورفضوه ولم يتمسكوا بالعلامات
الصادرة من ثنيات الجلد ولا العلامات الصادرة من عقد
الذنب بل اقتصروا على البحث عن الاسنان ومع ذلك كله
لم يذكروا شيأ جديدا وانما كانوا متمسكين بقاعدة حقا عدة
السماسرة التى ورثوها عن آبائهم واجدادهم
وللاطلاع المعلم لافوس على ما زعمه المعلم روبين من ان الاضراس
الثلاث الاول تزول ويخلفها مثلها واثبت انمساح الاسنان بادلة
علم ان هيئة الاسنان القواطع تتغير باعتبار عمر الحيوان فيعلم
منها حينئذ اعمار الحيوان المختلفة لكن لم يوضح هذا المعلم هذه
القضية وانما ذكرها اجمالا في تأليفه حتى ان بعضهم

والمسلمين حسن النجاح وقد وافق الفراغ منها يوم الاثنين
المبارك الموافق للثالث عشر من شهر ربيع الاول من شهور
سنة ١٢٦٠ سنة الف ومائتين وستين من
هجرة من له مزيد العز والشرف
سيدنا محمد عليه افضل
الصلاة والتسليم
آمين
م
طبع في مطبعة صاحب السعادة التى انشاها ببولاق في اوائل
رجب الفرد سنة ١٢٦٠ سنة

(شكل ١١٣، ١١٤) كتاب "البهجة السنية في أعمار الحيوانات الأهلية" لمؤلفه "جومار" وقد ترجمه من الفرنسية إلى العربية كل من محمد أفندي عبد الفتاح ومصطفى حسن كساب. يتناول الكتاب أعمار الحيوانات المختلفة مثل الفرس، الجمل، ..الخ. وكما يتضح لنا من الصفحة الأولى أن المترجم ذكر اسم المؤلف دون ذكر اسم العمل الأصلي، ثم قام بمدح محمد علي على سبيل التكريم. طبع بمطبعة بولاق "مطبعة صاحب السعادة" في عهد محمد علي في عام ١٢٦٦هـ/١٨٤٤م.



الجزء الرابع

من التاريخ المسمى عجائب الآثار في التراجم والاخبار

لمحقق زمانه ونادرة أوانه الراتع في حلل العلوم المتوشح بنفائس

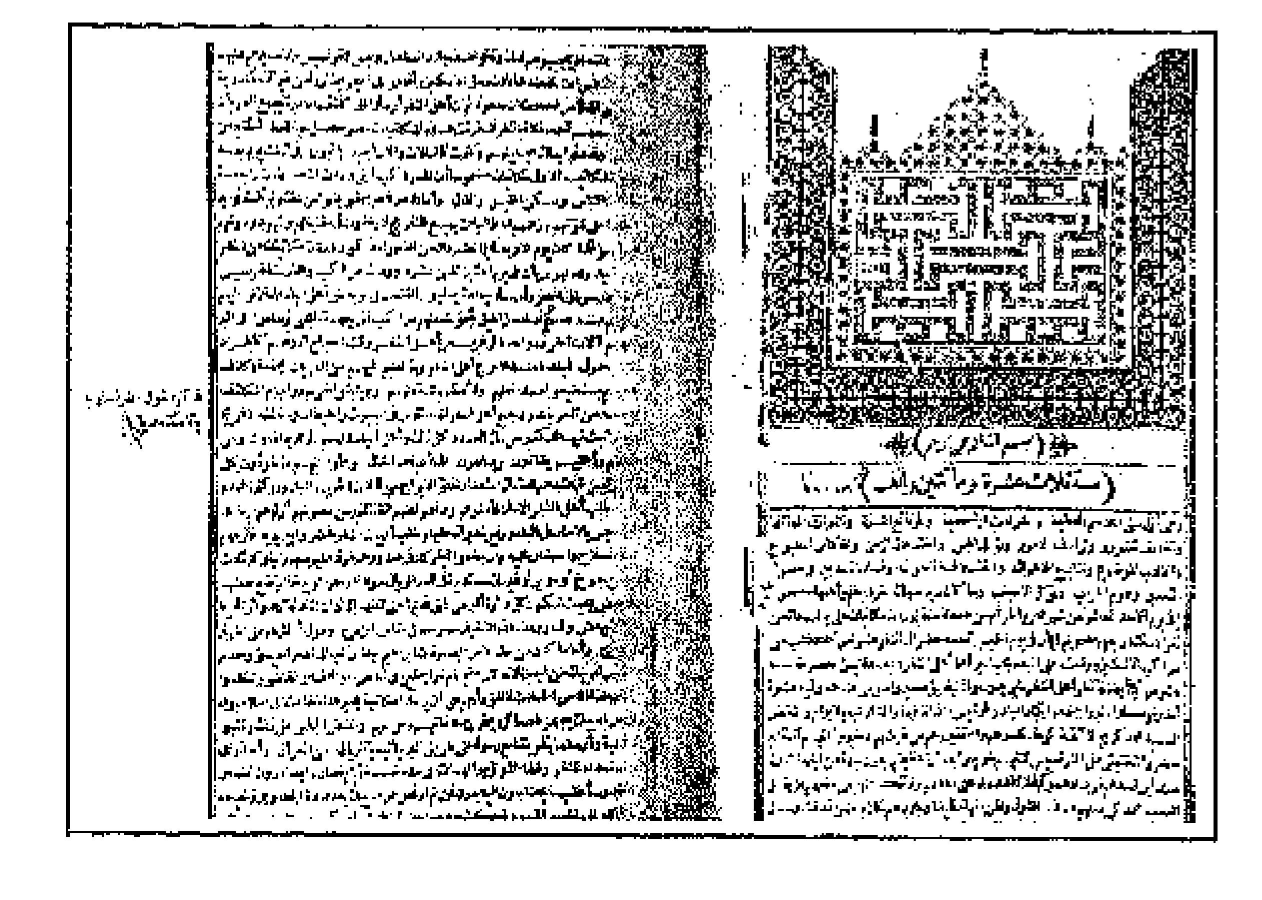
منطوقها والمفهوم السابق في حلبة الرهان اللوذعي

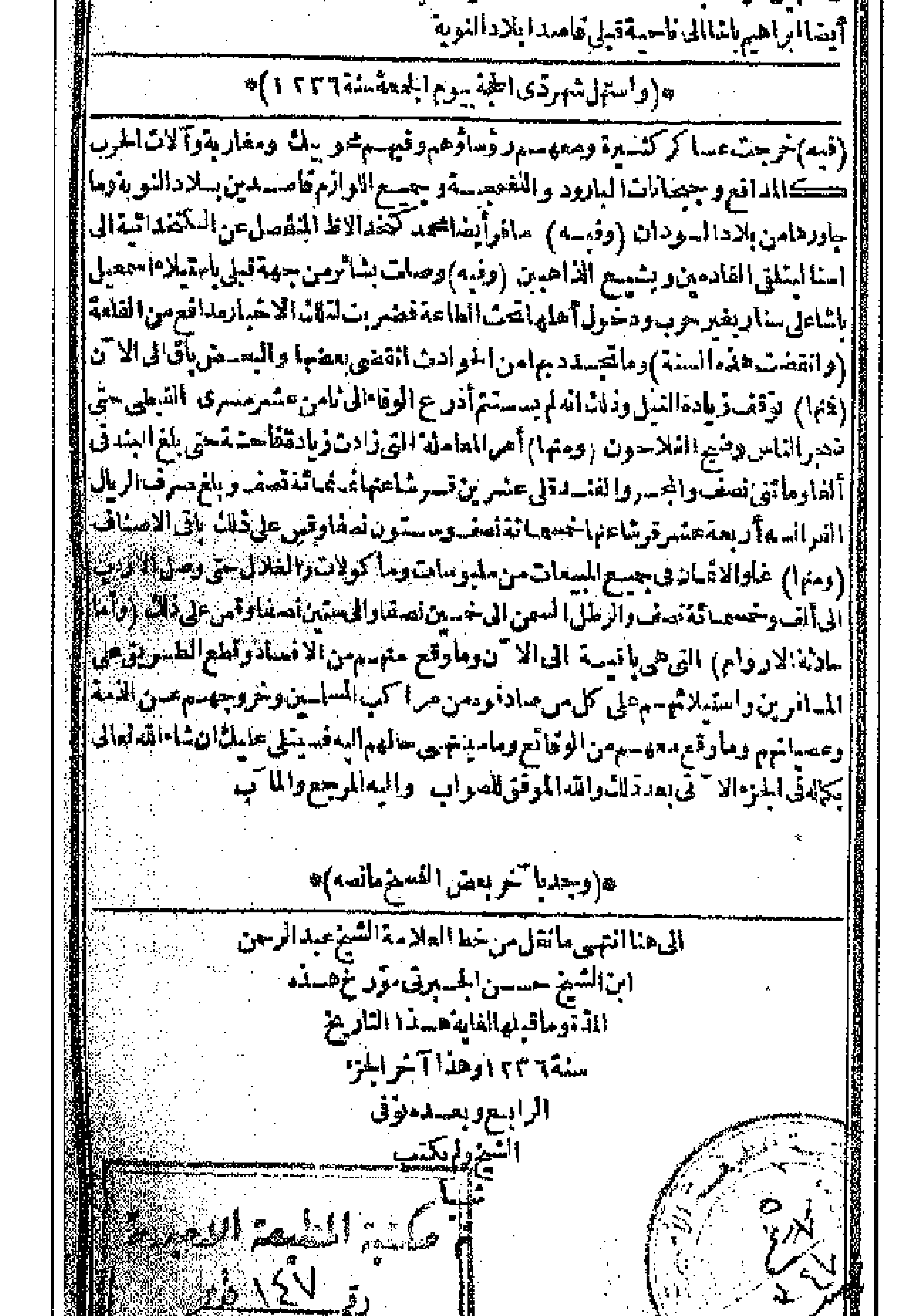
العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الحنفي

أمطر الله تعالى عليه هوامع

احسانه وبره

آمين





٣٢٠

في تشهيل مراكب مساعدة للدولة السلطانية وسيأتي تتمة هذه الحادثة وبعد سفر الباشا سافر أيضا ابراهيم باشا الى ناحية قبلي قاصدا بلاد النوبة

(واستهل شهر ذي الحجة بيوم الجمعة سنة ١٢٣٦)

(فيه) خرجت عساكر كثيرة ومعهم رؤساؤهم وفيهم شو يك ومغاربة وآلات الحرب كالمدافع وجبخانات البارود والقمحة وجميع اللوازم قاصدين بلاد النوبة وما جاورها من بلاد السودان (وفيه) سافر أيضا محمد كتخدا لاظ المنفصل عن الكتخدائية الى اسنا ليلتقي القادمين ويشيع الذاهبين (وفيه) وصلت بشائر من جهة قبلي باستيلاء اسمعيل باشا على سنار بغير حرب ودخول أهلها تحت الطاعة فضربت لذلك الاخبار مدافع من القلعة (وانقضت هذه السنة) وما تجدد بها من الحوادث التي انقضى بعضها والبعض باق الى الآن (فمنها) توقف زيادة النيل وذلك انه لم يستتم أذرع الوفاء الى ثامن عشر مسرى القبطي حتى تضجر الناس وضج الفلاحون (ومنها) أمر المعاملة التي زادت زيادة فاحشة حتى بلغ البندقي ألفا ومائتي نصف والمحبوب الفندقلي عشرين قرشا عنها ثمانمائة نصف وبلغ صرف الريال الفرانسه أربعة عشر قرشا عنها خمسمائة نصف وستون نصفا وقس على ذلك باقي الاصناف (ومنها) غلو الاثمان في جميع المبيعات من ملبوسات ومأكولات والغلال حتى وصل الاردب الى ألف وخمسمائة نصف والرطل السمن الى خمسين نصفا والجبن أربعين نصفا وقس على ذلك (وأما حادثة الاروام) التي هي باقية الى الآن وما وقع منهم من الافساد وقطع الطريق على المسافرين واستيلائهم على كل من صادفوه من مراكب المسلمين وخروجهم عن الذمة وعصيانهم وما وقع معهم من الوقائع وما ينتهي حالهم اليه فسيتلى عليك ان شاء الله تعالى بكماله في الجزء الآتي بعد ذلك والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب

(وجدنا آخر بعض النسخ ما نصه)

الى هنا انتهى ما نقل من خط العلامة الشيخ عبد الرحمن

ابن الشيخ حسن الجبرتي مؤرخ هذه

المدة وما قبلها الغاية هذا التاريخ

سنة ١٢٣٦ وهذا آخر الجزء

الرابع وبعده توفي

الشيخ ولم يكتب

شيأ

(شكل ١١٥،١١٦،١١٧) كتاب "عجائب الآثار في التراجم والأخبار"، للشيخ العلامة عبد الرحمن الجبرتي. صدر هذا الكتاب في أربعة أجزاء عن مطبعة بولاق. وهو كتاب شامل لتاريخ مصر في الفترات التاريخية المختلفة، وقد توفي بعد كتابة الجزء الرابع الذي يقف عند سنة ١٢٣٦هـ/١٨٢١م. والشكل يوضح الصفحة الأولى من الجزء الثالث، وهي خاصة بدخول الحملة الفرنسية إلى مصر عام ١٢٣١هـ/١٧٩٨م، ثم الصفحة الأولى والأخيرة من الجزء الرابع.

MERVEILLES

BIOGRAPHIQUES ET HISTORIQUES

OU

CHRONIQUES

DU

CHEIKH ABD-EL-RAHMAN EL DJABARTI

TRADUITES DE L'ARABE

PAR

CHEFIK MANSOUR BEY – ABDULAZIZ KAHIL BEY – GABRIEL NICOLAS KAHIL BEY ET ISKENDER AMMOUN EFFENDI

Ouvrage publié sous les auspices du Ministère de l'Instruction publique

TOME IX

LE CAIRE

IMPRIMERIE NATIONALE

1896

SEULS DÉPOSITAIRES:

FRANCE: ERNEST LEROUX, PARIS, 28, Rue Bonaparte.

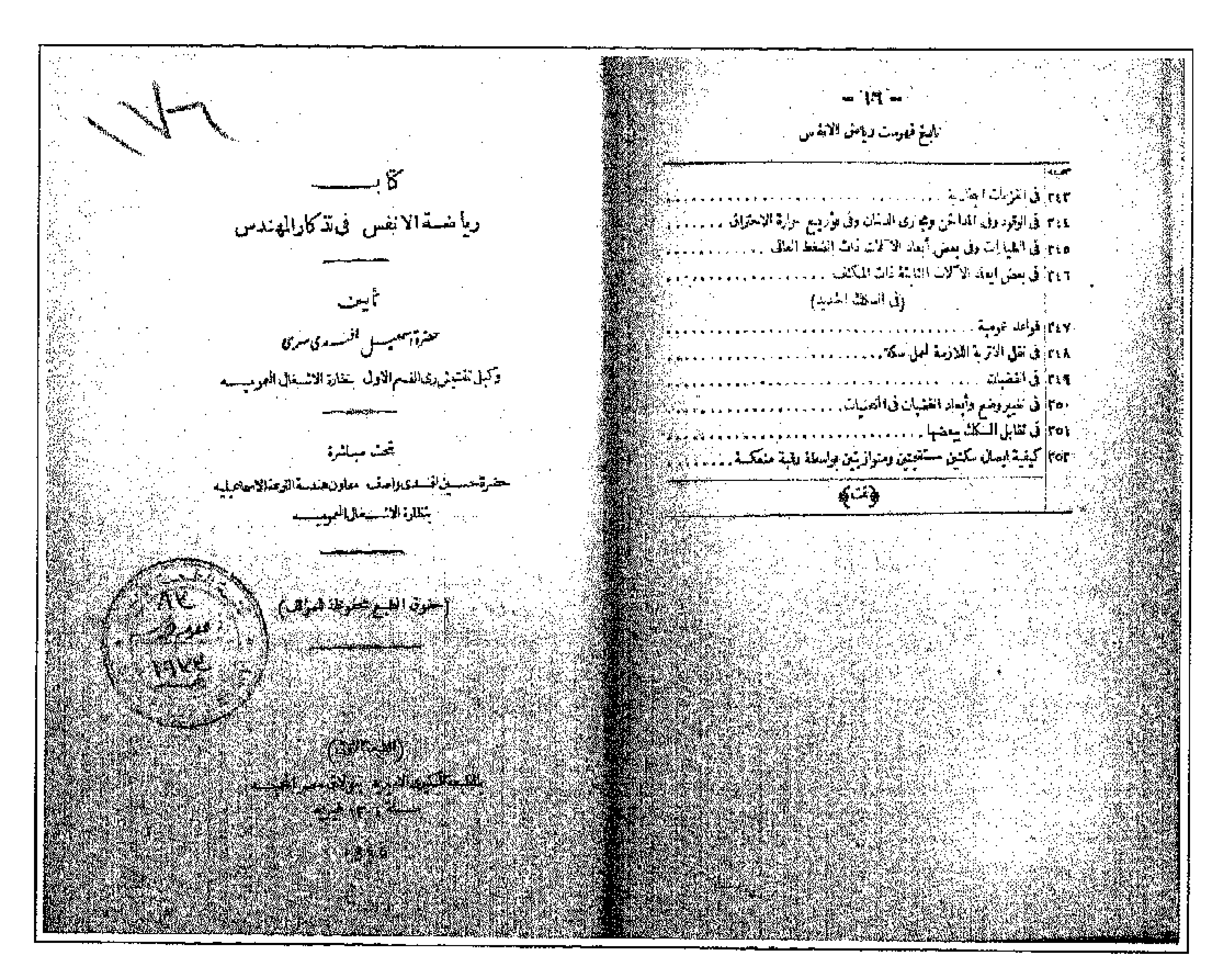
ITALIE: LOESCHER & Cie, Rome, 307, Via del Corso.

ALLEMAGNE ET AUTRICHE-HONGRIE: OTTO HARRASSOWITZ, à LEIPZIG

(شكل١١٨) كتاب "عجائب الآثار في التراجم والأخبار"، للشيخ العلامة عبد الرحمن الجبرتي، وقد ترجم إلى الفرنسية تحت عنوان

"Merveilles Biographiques et Historiques ou chroniques"

و نلاحظ أن اسم مطبعة بولاق تغير إلى "المطبعة الأميرية Imprimerie Royale". وأن الكتاب أصبح يوزع خارج مصر بدليل وجود اسمي لدور نشر، في إيطاليا، وفرنسا، وألمانيا، والنمسا، والمجر.



— ١٦٩ —

تابع فهرست رياض الانفس

صحيفة	
٣٤٣	في ...
٣٤٤	في الوقود وفي المداخن ومجارى الدخان وفي توزيع حرارة الاحتراق
٣٤٥	في ... وفي بعض أبعاد الآلات ذات الضغط العالي
٣٤٦	في بعض أبعاد الآلات الثابتة ذات المكثف
	(في السكك الحديد)
٣٤٧	قواعد عمومية
٣٤٨	في نقل الأتربة اللازمة لعمل سكة
٣٤٩	في ...
٣٥٠	في تغيير وضع وأبعاد ... في ...
٣٥١	في تقابل السكك بعضها
٣٥٢	كيفية ايصال سكتين مستقيمتين ومتوازيتين بواسطة ... منعكسة

(تمت)

كتاب

رياضة الانفس في تذكار المهندس

تأليف

حضرة اسمعيل افندي سرى

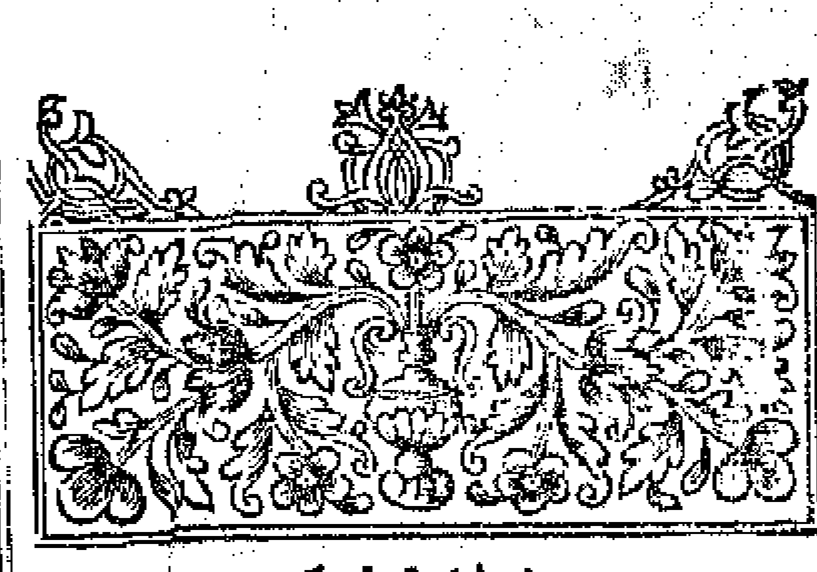
وكيل تفتيش رى القسم الاول بنظارة الاشغال العمومية

تحت مباشرة

حضرة حسين افندي واصف معاون هندسة الترعة الاسماعيلية بنظارة الاشغال العمومية

(حقوق الطبع محفوظة للمؤلف)

(شكل١١٩) كتاب "رياض الأنفس في تذكار المهندس"، طبعة عام ١٨٨٦م، ونلاحظ أن اسم المطبعة هو المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية. يتولى الكتاب شرح هندسة الري، حيث قد ألفه حسين أفندي، المعاون بوزارة الأشغال العمومية.



بسم الله الرحمن الرحيم

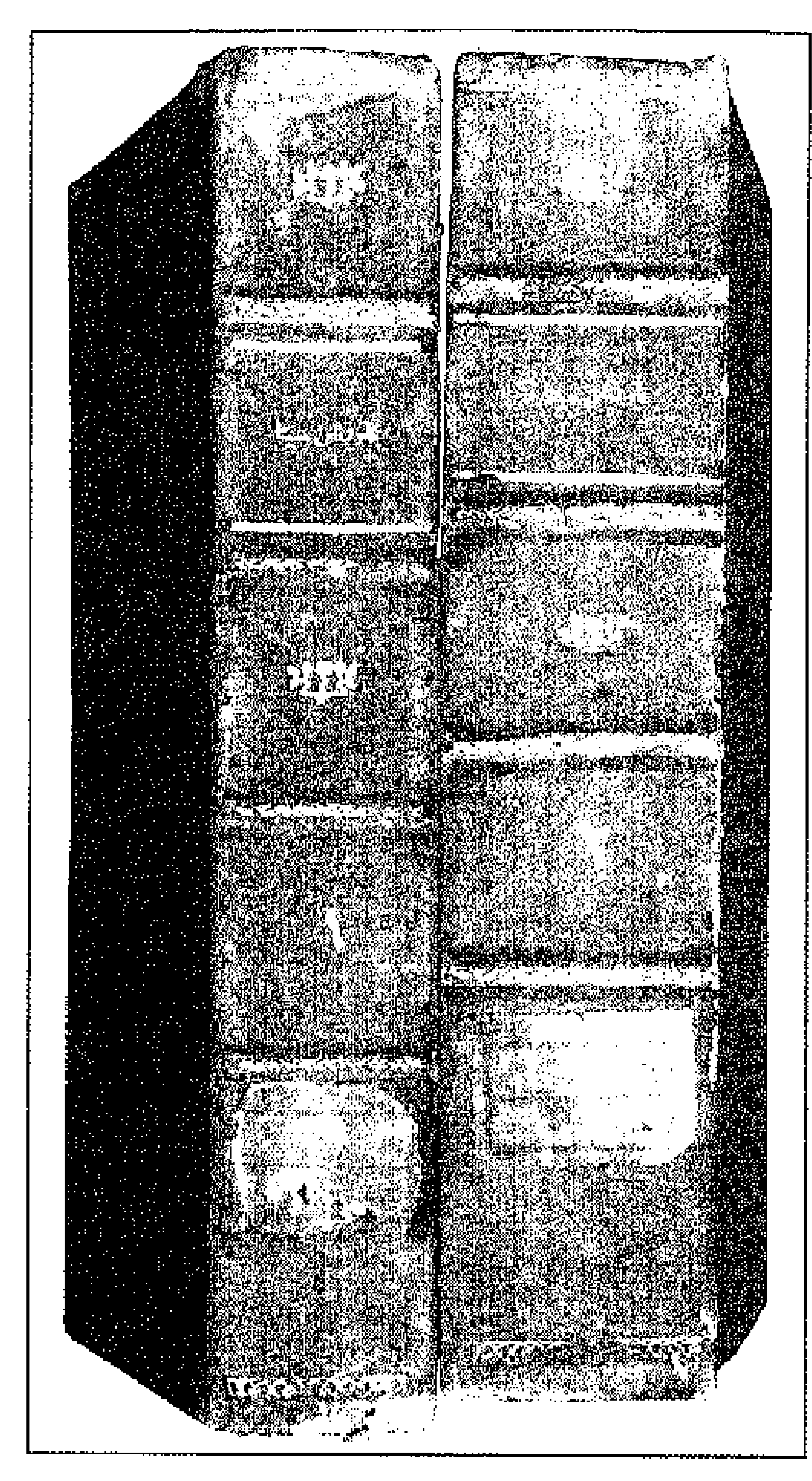
حمد بی غایات * جناب مرسل الریاح المبشرات * تنزهت ذاته عن
الحلول والانتقالات * حضرتلرینه احرادرکه * فلکه ماخرتخون
ذات انسانی بحر عمان عدمدن * هبوب نسایم الطاف ایله *
لیمانرس فلزم عالم اجسام ایلدی * ود رود تسلیمات * اولا لولاک
لما خلقت الافلاک * شان نبوتلرنده نازل اولان * اول باعث وجود
کافهٔ موجودات * علیه اکمل التحیات * افندمزه سزادرکه نرسای
نزهت افزای نبویه‌لرنده * ربط زورق اخلاص ایله لنکرزن ساحل
اختصاص اولان امت عالیهمتك علم سفینهٔ سطوتلرینی بحرنای
فوزانجام وصدای مدافع رعداشوب جلادتلرین * صفحه
بادنمای اعدای لئام ایلدی * امابعد مدت مدیده بروعموم اهل
اسلام * نیاز سایش طرفلرینی کورمکلریله * احوال ملتدن غافل *
ونقصارنده رحت وراحته مائل * اولمقلرندن * کرچه مرکز فرض
اله رق * برطاقم بعد نادرهٔ سفلهٔ ... وریق اصول نادیه

٣

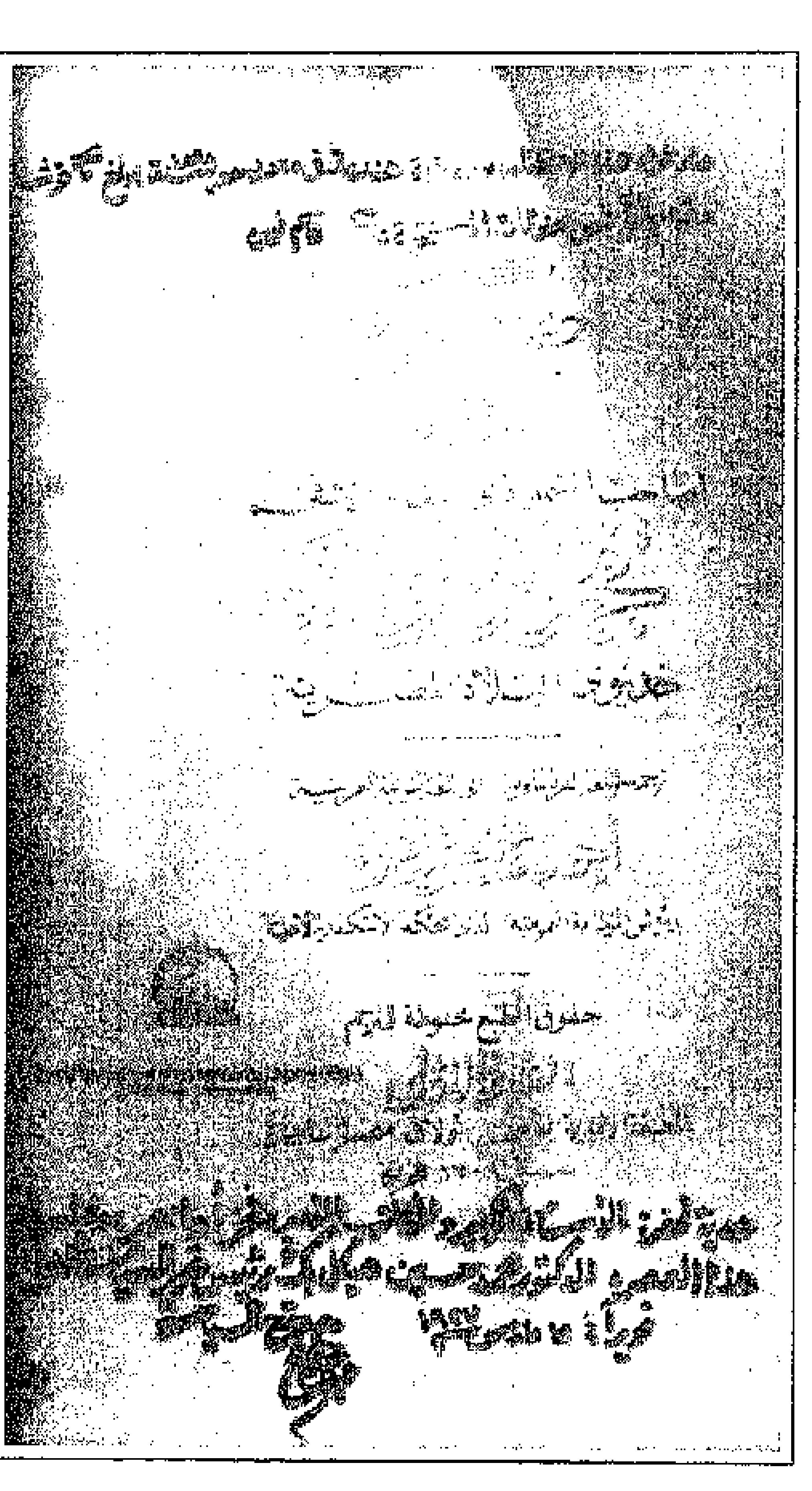
حرب وقتال * ایجاد وترهشیران موحدین ایله * بتجه لشیکه تحصیل
استعداد ایدوب * میدان الهرق وظرف طرف فتنه وفساد آشلرینی
اشعال * وکوشه بکوشه نیرنجات قوه استدراجیه‌لرینی اعمال *
ایدرلر قلوب مسلمانه * فی الجمله حیرت ودهشت صالدقلری * رسیدهٔ
حیزبداهت اولقلدن ناشی * حالا فرمانفرمای ممالك مصر * وزیر
نادر المصر * خیرخواه دین ودولت * غیرتکش ملك وملت *
معین ضعفا ورعایا * مهین سنها واشقیا * داور دادآور * دستور
فلاطون سیر * دولتلو عنایتلو عاطفتلو ابهتلو جلادتلو ولی النعم *
افخم محیط الجود والکرم * الحاج الغازی محمد علی پاشا * یسرالله
فی الدارین مایروم ومایشا * افندمز حضرتلری * کمال غیرت دینیه *
ووفرت حمیت حیدرانه‌لری * اقتضا سنجه امت مرحومهٔ احمدیه *
وملت معصومهٔ محمدیه‌نك * الی اخرالایام اعداسنه غالبیتله مقرون
وبکام * وانواع فتح وظفره مقرونیتله شادکام * اولملری امنیهٔ خیریه
سیله ترتیب جیوش جهاد * ودر رمحله اعدای بدنهاده غالبیتله *
جمله غیرتکش دین وملتی مسرور ودلشاد * بیوردیلر بنابرین روی
دریاده دخی شقاق وعصیانه جسارتله * علم افرازیقی فساد اولان *
کفار ضلالت عتادك قهر واستیصاللری * بابنده لازم کلان تدابیرك
اعمال واجراسنه اقدام تام * ونصب نفس اهتمام * اهم والزم ایدوکندن *
سفائن نصرت ایندینی دخی لشکر بحریه جهادیه ترتیبیله مالامال
بیورملریله * لشکر مذکور نظام ماهوالمرام اوزره * خدمات
معلومه‌لرینی وقت معینده اداو روش وحرکتلرینی * رسوم بحریه یه
تطبیقا اجرا ایلملریچون * برقواعدنامه تسطیر وانشا اولنمسی * ارادهٔ
کرامت افادهٔ خدیویلری اقتضا سندن اولمغله * حالا فرانسه دولتی

... الکرام وأشباله الفخام وتأن بدور بدور هذا الطبع الجميل والشكل البهيج
الجليل بالمطبعة العامرة ببولاق مصر القاهرة ملحوظا بنظر حضرة ناظرها الجناب
الأمجد والملاذ الأسعد الذي انتعشت بروح إدارة الطبع إنعاما سعادة حسين
حسني باشا ونظر حضرة وكيله الجناب الهمام السيف الصمصام
من عليه أخلاقه باللطف تثني حضرة محمد بك الحسيني وقد تم
من هذا الكتاب أصاله وتجلى للناس هلاله في أواخر محرم
الحرام مفتتح العام الأول بعد الثلاثمائة
والألف من هجرته عليه وعلى آله
أفضل الصلاة وأتم
السلام
تم

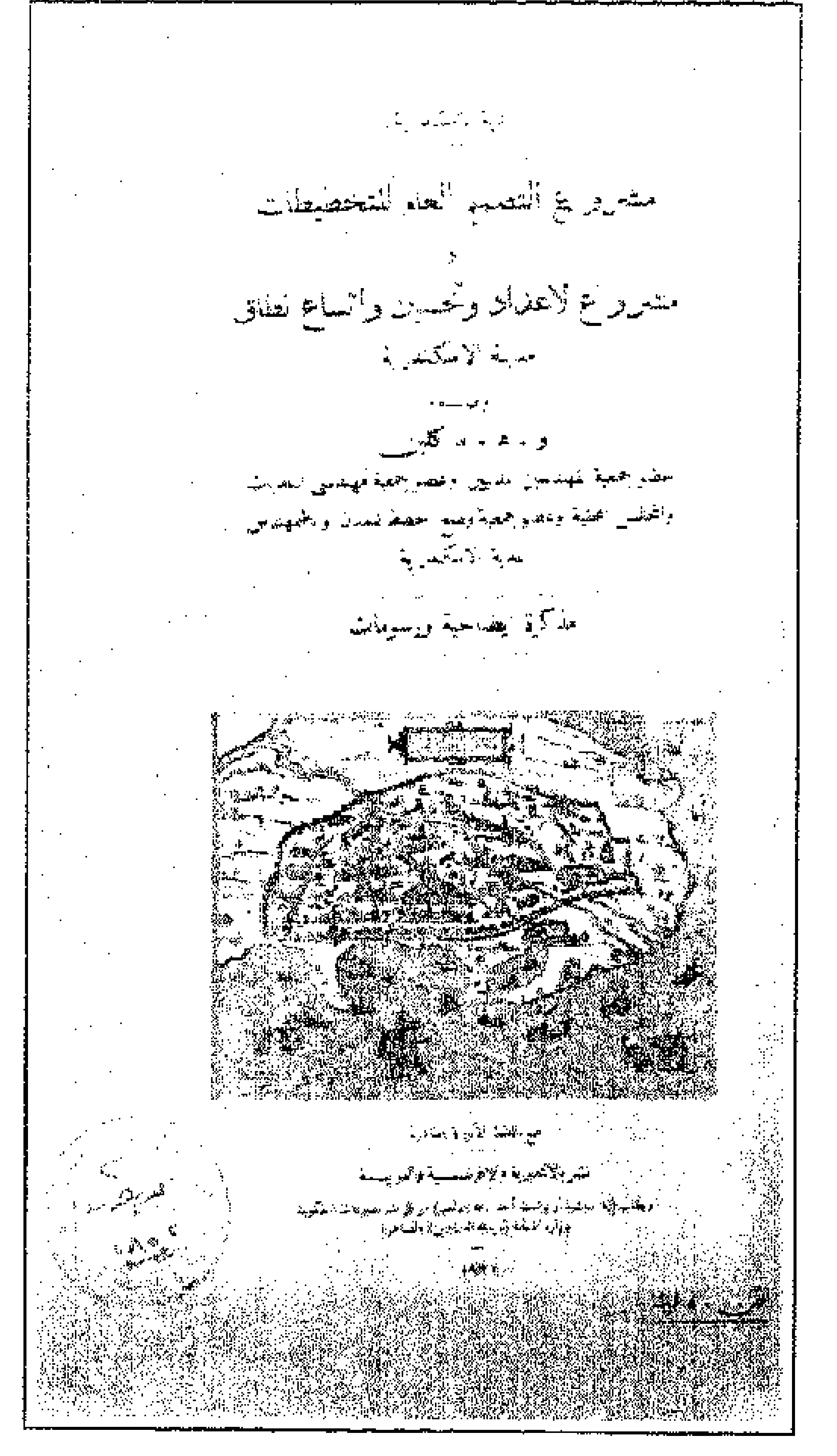
(شكل ١٢٠، ١٢١) كتاب "تعليمات جهادية" لمؤلفه عثمان نور الدين. يتعرض الكتاب لشرح الفنون الحربية، والوسائل القتالية السائدة في تلك الفترة. صدر هذا الكتاب باللغة التركية، وطبع في عام ١٣٠١هـ/١٨٨٣م.



(شكل١٢٣) كتاب "قانون ابن سينا" هو فيلسوف و فيزيائي عربي-فارسي عاش في القرون الوسطى ودوّن مخطوطات عديدة أشهرها:"القانون في الطّب"،وهو موسوعة جامعة لخلاصة علم الطّب عند الإغريق و الرّومان، من أشهر أعماله التي خلّدت ذكره على مرّ العصور، كتاب"القانون في الطّب"وهو موسوعة منهجيّة اعتمدت في معظمها على خلاصة الفيزياء الطبّية الإغريقية في عصر الإمبراطورية الرّومانيّة إضافة إلى الأعمال العربيّة.



(شكل١٢٤) كتاب "أصول الشرائع" وهو ترجمة عربية لكتاب بنثام الشهير من اللغة الفرنسية (يلاحظ أن الكتاب الأصلي باللغة الإنجليزية، وأن المؤلف الأصلي لم يذكر اسمه على صفحة العنوان) وهو من مكتبة محمد حسين هيكل رئيس مجلس الشيوخ. صدر الكتاب عن مطبعة بولاق سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م في جزءين.



مشروع التصميم العام للتخطيطات

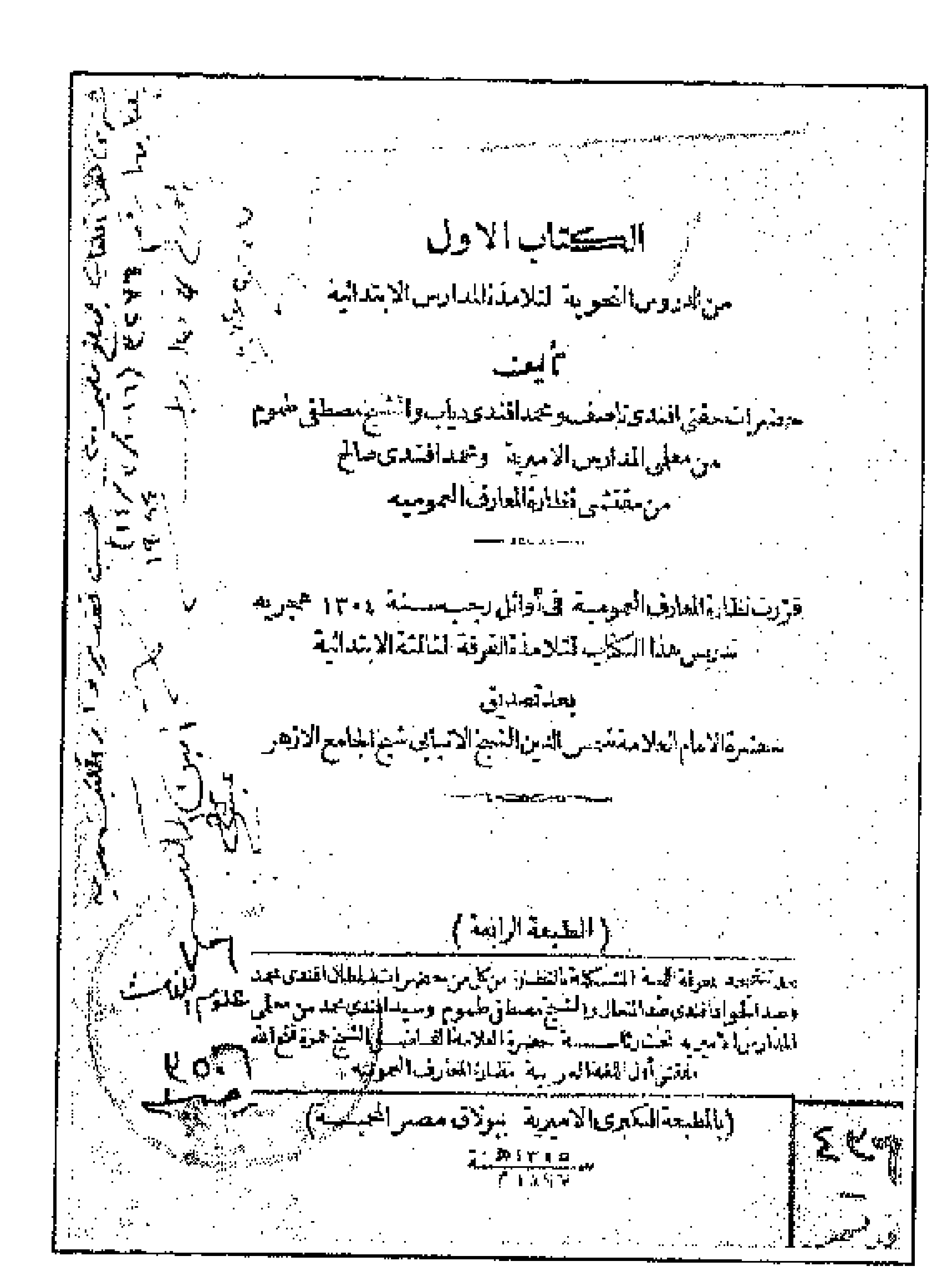
و

مشروع لاعداد وتحسين واتساع نطاق

مدينة الاسكندرية

مذكرة ايضاحية ورسومات

(شكل١٢٢) كتاب "مشروع التصميم العام للتخطيطات" لمدينة الإسكندرية، طبع عام ١٩٢١م، بالمطبعة الأميرية بالقاهرة.



الكتاب الاول

من الدروس النحوية لتلامذة المدارس الابتدائية

تأليف

حضرات حفني افندي ناصف ومحمد افندي دياب والشيخ مصطفى طموم

من معلمي المدارس الاميرية ومحمد افندي صالح

من مفتشي نظارة المعارف العمومية

قررت نظارة المعارف العمومية في أوائل رجب سنة ١٣٠٤ هجريه

تدريس هذا الكتاب لتلامذة الفرقة الثالثة الابتدائية

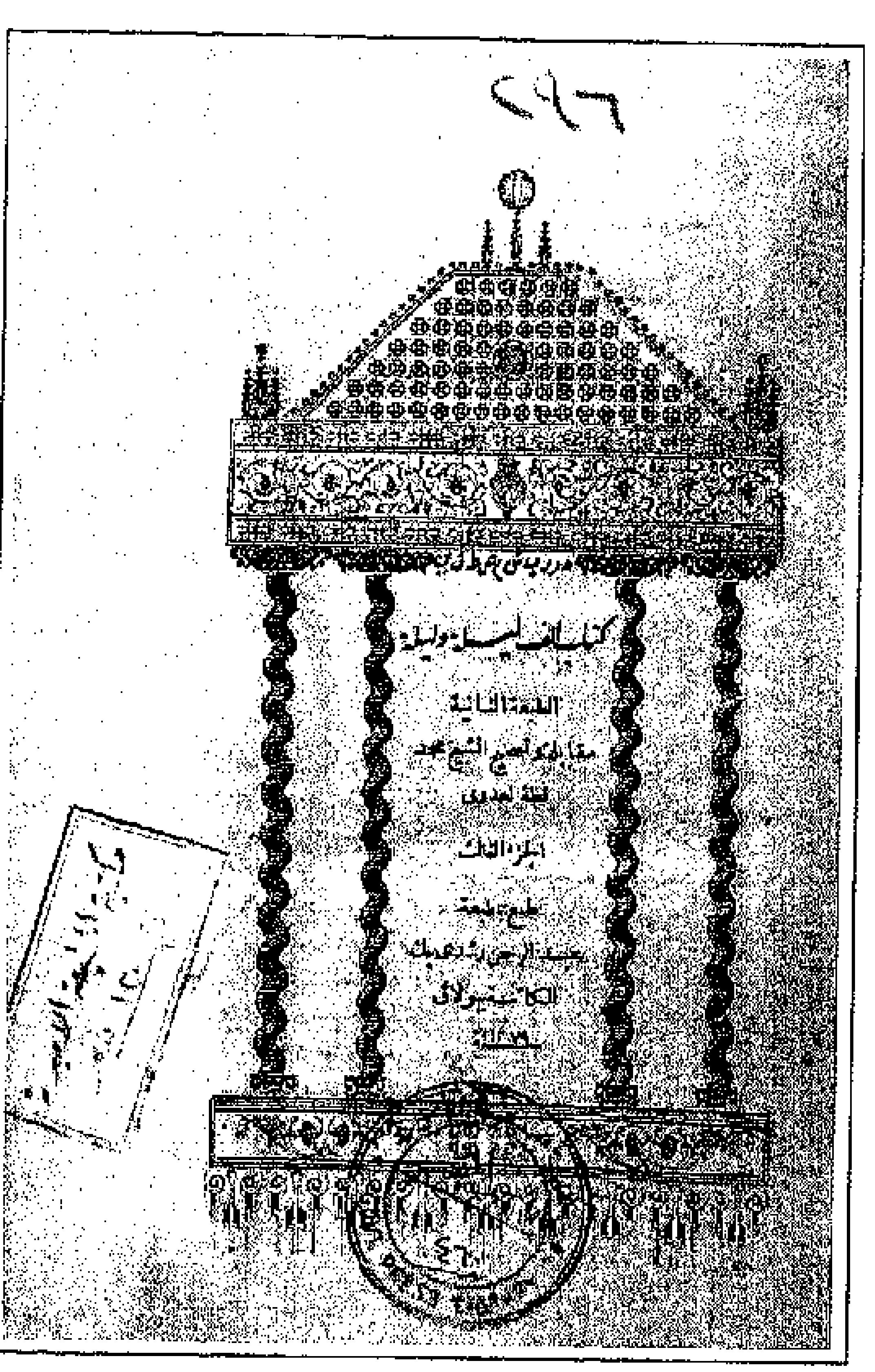
بعد تصديق

حضرة الامام العلامة شمس الدين الشيخ الانبابي شيخ الجامع الازهر

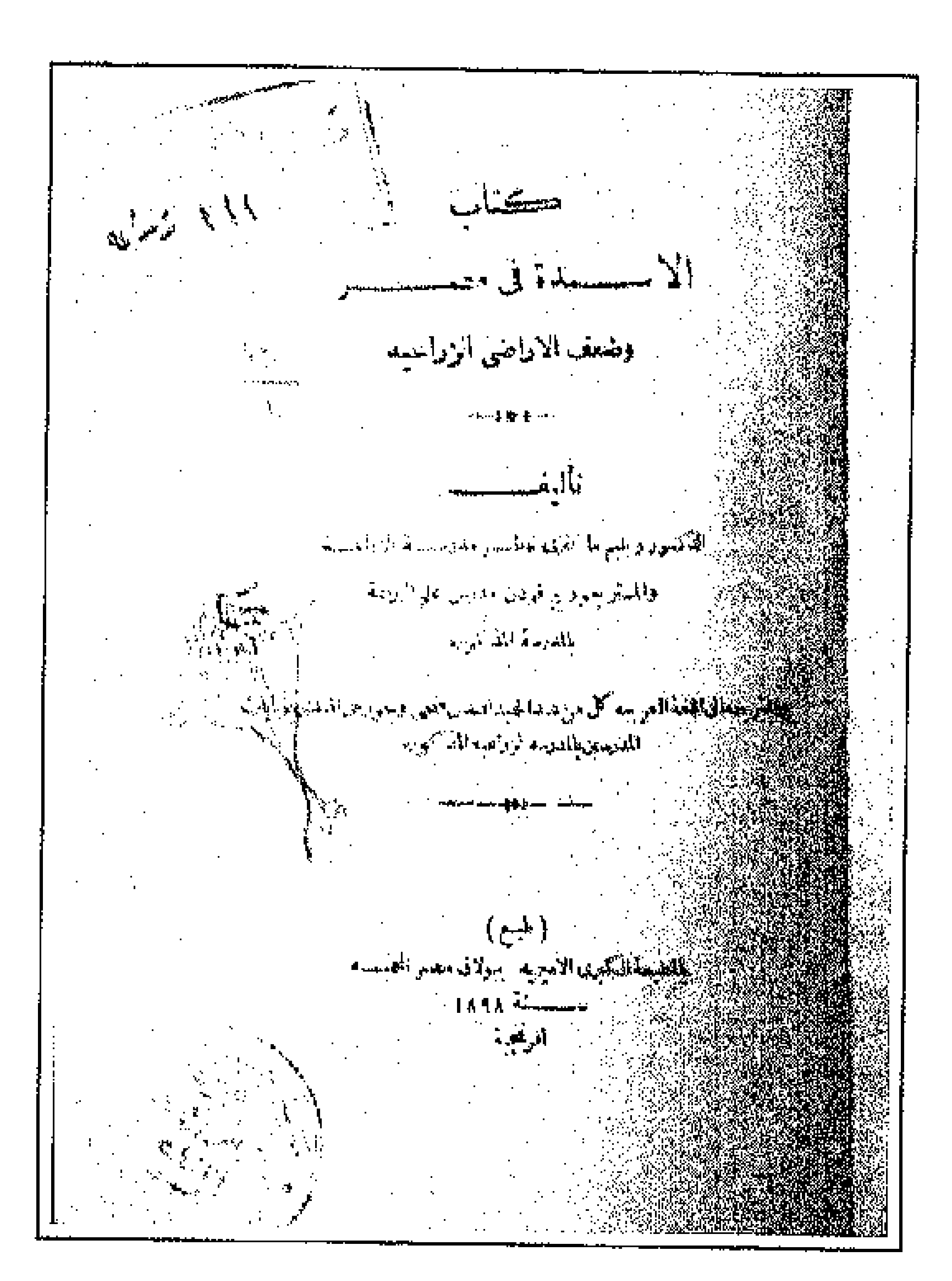
(الطبعة الرابعة)

(بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحميه)

(شكل ١٢٥) كتاب "الكتاب الأول من الدروس النحوية لتلامذة المدارس الابتدائية" لمؤلفه حفني ناصف. طبع بالمطبعة في عام ١٢١٥هـ/ ١٨٩٧م. وتم شراء هذا الكتاب لحساب مكتبة المطبعة الأميرية في عام ١٩٤٤م بمبلغ ٢٠٠ مليمًا طبقًا لتقدير دار الكتب المصرية، على حسب ما ورد بهامش الكتاب.



(شكل ١٢٦) كتاب "ألف ليلة وليلة"، طبع عام ١٢٧٩م. يعتبر من الإصدارات المهمة لمطبعة بولاق، مرة أخرى تغير اسم المطبعة ليصبح " مطبعة عبد الرحمن رشدي ببولاق"، وذلك بعد أن وهبها الوالي محمد سعيد باشا إلى عبد الرحمن رشدي. وجدير بالذكر أن عبد الرحمن رشدي أعاد ترتيب أوضاع المطبعة، وأصدر مجموعة كبيرة من الكتب المهمة. نلاحظ أيضًا الزخرفة والتزيين لصفحة الغلاف الداخلي للكتاب.



كتاب

الاسمدة في مصر

وضعف الاراضي الزراعيه

تأليف

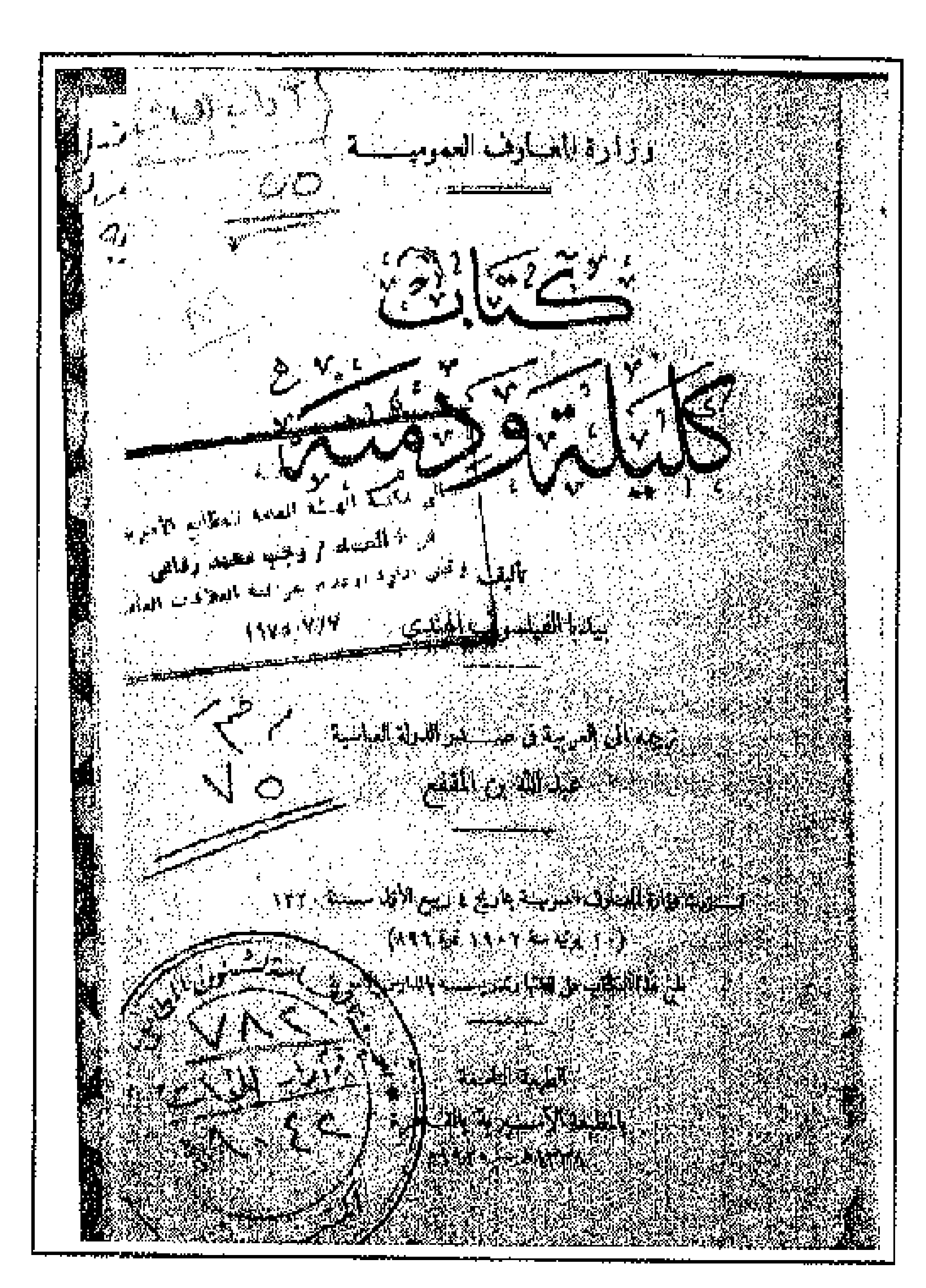
(طبع)

بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحميه

سنة ١٨٩٨

افرنكية

(شكل ١٢٧) كتاب "الأسمدة في مصر وضعف الأراضي الزراعية"، طبعة عام ١٨٩٨م، بمطبعة بولاق، ونلاحظ أن اسم المطبعة هو المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية. بالإضافة إلى أن موضوع الكتاب هو الزراعة، مما يدل على أن الإصدارات جاءت متنوعة وملبية لكل المتطلبات، أيضًا جاء هذا الكتاب مترجمًا، مما يعد دليلاً على نشاط حركة الترجمة، وإسهام المطبعة في تنشيطها.

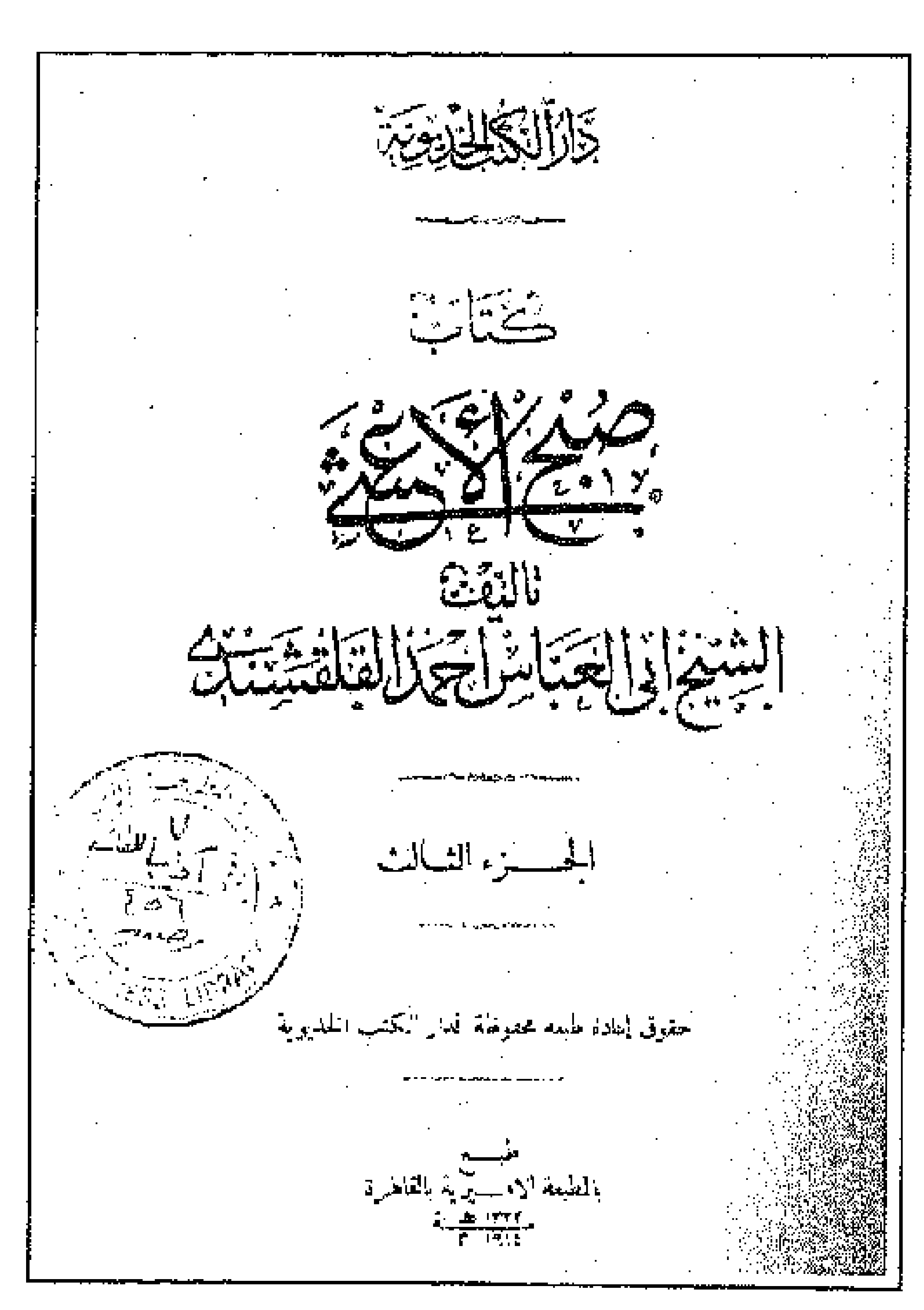

وزارة المعارف العمومية

كتاب

كليلة ودمنة

عبد الله بن المقفع

(شكل١٢٨) كتاب "كليلة ودمنة" الذي وضعه عبد الله بن المقفع، ظهرت منه أول نسخة عام ١٢٥١هـ/١٨٣٦، وكان ثمنه ١٧ قرشًا و٣٠ بارة. أما النسخة التي بين أيدينا الآن فهي حديثة تعود إلى عام ١٩٢٠م (الطبعة التاسعة)، مما يدل على أهمية هذا الكتاب.


دار الكتب الخديوية

كتاب

صبح الأعشى

تأليف

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

الجزء الثالث

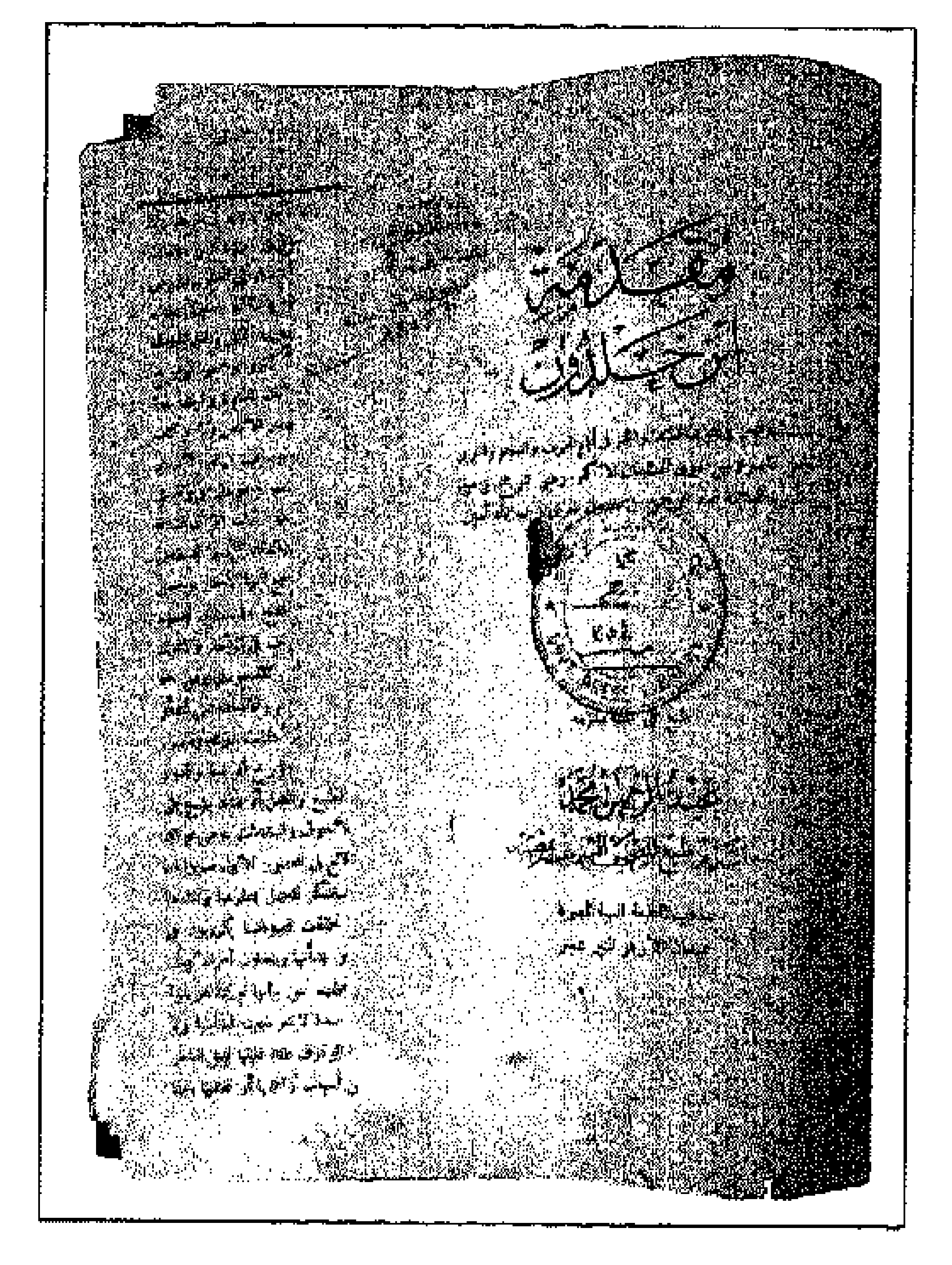
حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب الخديوية

طبع بالمطبعة الأميرية بالقاهرة

١٣٣٢ هجرية

١٩١٤ م

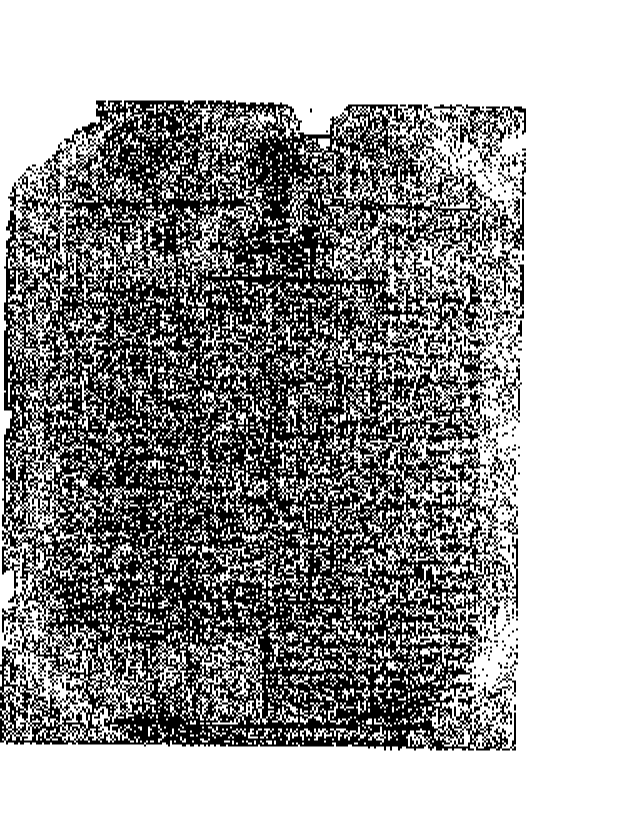
(شكل١٢٩) كتاب "صبح الأعشى" لمؤلفه الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي، يتناول شرح لتاريخ مصر عبر العصور. يعود تاريخ طبع هذا الإصدار إلى عام ١٣٣٢هـ/١٩١٤م.


مقدمة ابن خلدون

(شكل١٣٠) كتاب "مقدمة ابن خلدون- لسان العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر". طبع في عام على نفقة عبد الرحمن محمد، ملتزم طبع المصحف الشريف. وهو أحد إصدارات المطابع الأهلية.

الفصل الخامس

الوقائع المصرية ونشأة الصحافة في مصر



نبذة عن الصحافة في عهد الحملة الفرنسية ١٧٩٨م إلى ١٨٠١م

عرفت مصر الصحافة متأخرة عن أوروبا بثلاثة قرون كاملة، ويمثل هذا الفارق الزمني مقدار التخلف الحضاري والعلمي الذي عاشت فيه البلاد، وفي الحقيقة فإن الظروف لم تكن مهيأة لوجود أي صورة من صور الصحافة الحديثة فاقتصر الإعلام على بعض الوسائل المختلفة التي تناسب ركود الحياة الثقافية، والاجتماعية، والفكرية المصرية مثل المناداة في الأسواق أو في الطرق والخطابة في المساجد والاحتفالات الدينية.

لعل في مقدمة أسباب التخلف في هذا الميدان العزلة التي فُرضت على مصر جراء تحول طريق التجارة الدولية إلى رأس الرجاء الصالح وعدم تأثرها بالتالي بالتيارات الأوروبية الحديثة، ثم تأتي مسئولية نظام الحكم الذي أوجده العثمانيون لضمان سيطرة السلطة المركزية على البلاد والذي كان من شأنه حدوث الفوضى السياسية الشاملة، بالإضافة إلى تنافس المماليك على مشيخة البلد بعد أن تغلبت سلطتهم على الأوجاقات -أي الفرق- العثمانية مما أدى بالبلاد إلى الانهيار الاقتصادي.

وقد أدت هذه العوامل مجتمعة علاوة على ارتفاع نسبة الأمية إلى اقتصار التعليم على بعض الكتاتيب التي تُعنى بتحفيظ القرآن مما أدى إلى ركود الحياة الثقافية والفكرية. وهكذا فإن انتفاء وجود الطباعة والصحافة في هذه الفترة كان أمرًا منطقيًا ومفهومًا.

قدمت الحملة الفرنسية إلى مصر عام ١٧٩٨م وهزت الركود المخيم على البلاد بعنف، ومع أن هذه الحملة قد فشلت عسكريًا فإنها نجحت في لفت نظر بعض أبناء مصر للتيارات الغربية الحديثة. لقد أوجدت اتجاهًا فكريًا جديدًا وإن ظل مقصورًا على قلة من العلماء ممن اتصلوا بالفرنسيين وعلى رأسهم الشيخ حسن العطار الذي كان يرى الأخذ من الحضارة الأوروبية ما يلائم المجتمع في الوقت الذي كان يصر فيه غالبية زملائه من علماء الدين على رفض أي شكل من أشكال هذه الحضارة. وكانت هذه المدرسة غير ظاهرة الأثر في بداية الأمر إلا أنه مع مضي الوقت تراجع الاتجاه التقليدي الذي لم يعد يناسب مقتضيات العصر ليفسح لهذه المدرسة مكان الصدارة.

والجانب الأساسي في من الحملة الفرنسية هو الجانب الإعلامي، فقد أنشأ بونابرت صحيفتين فرنسيتين ولم يفكر في نشر صحيفة عربية توصل صوته إلى المصريين واكتفى في هذا المجال بطبع المنشورات التي تبلغ أوامره أو نداءاته لتعلق على أبواب المساجد وعلى رؤوس الشوارع وفي الأسواق[١٢٤].

كانت أولى صحيفتي الحملة الفرنسية ظهورًا في مصر تسمى Le courrier de l'Egypte "بريد مصر" وقد ظهرت في الثامن والعشرين من أغسطس عام ١٧٩٨م وكان الغرض منها مد ضباط الحملة وجنودها بأنباء بلادهم وأوامر القائد العام بترقيات أفراد الجيش، كما اهتمت بنشر أخبار تنقلاته ومعاركه[١٢٥] فحملت هذه الصحيفة أخبار مصر الداخلية، وهي أخبار القاهرة والأقاليم، وكان القصد من نشر هذه الأخبار أن يعرف الفرنسيون في القاهرة ما يجري لدى زملائهم في ريف مصر وأقاليمه حيث توزعت فصائل الجيش الفرنسي[١٢٦]. وفي ذلك يقول الجبرتي "إن القوم كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليومية في جميع دواوينهم وأماكن أحكامهم ثم



يجمعون المتفرق في ملخص يرفع في سجلهم بعد أن يطبعوا منه نسخًا عديدة يوزعونها في جميع الجيش حتى لمن يكون منهم في غير المصري من قرى الأرياف فتجد أخبار الأمس معلومة للجليل والحقير منهم"[١٢٧].

أما الصحيفة الثانية فقد صدرت في غرة أكتوبر من السنة نفسها، حيث كانت تصدر عن المجمع العلمي تحت اسم (La décade Egyptienne أي العشرية المصرية أو العقد المصري) فهي صحيفة علمية لدراسة شئون مصر ونشر المسائل الخاصة بالحياة المصرية اجتماعية وأدبية واقتصادية[١٢٨].

بذلك نستطيع أن نحكم في اطمئنان بأن الجريدتين الفرنسيتين اللتين صدرتا في القاهرة خلال الحملة الفرنسية لا تمثلان الصحافة المصرية في شيء ولا تعتبر دعامة لها ولكنهما صحيفتان أجنبيتان ولا يربطهما بمصر سوى المكان فقط. ومما يؤكد ذلك أنهما توقفتا عن الصدور بخروج الحملة الفرنسية من مصر وعودتها إلى بلادها.

جريدة بريد مصر[١٢٩] Le Courrier de l'Egypte

إن الصحافة في مصر لم تنشأ كما نشأت في أوروبا، ولم يعرف المصريون الخبر المطبوع كما رأينا إلا مع قدوم الحملة الفرنسية على مصر، ولم يكن هناك رواة احترفوا إذاعة الأخبار في الأسواق الكبيرة في مواعيد معروفة، ولم يُتاجر المصريون بالأخبار ولم يتخذوها حرفة وصناعة وإنما عرفت مصر الصحافة فجأة ولم تطل مقدماتها وساير نشاط الطباعة نشاط الصحافة عكس ما درجت عليه أوروبا التي سبقت طباعتها صحافتها لعدة أجيال.

وكان أهم ما أصدره بونابرت بعد الاستيلاء على القاهرة مباشرة "جريدة بريد مصر Le courrier de l'Egypte" ويبدأ العدد الأول بتاريخ الثاني عشر من فريكتيدور سنة ٦ جمهورية الموافق الثامن والعشرين من أغسطس سنة ١٧٩٨م (شكل ١٣١، ١٣٢) ويحمل العدد الأخير منها تاريخ الثلاثين من براريال Prairial سنة ٩ جمهورية الموافق يونيه ١٨٠١م، وقد صدر منها بين التاريخين مائة وستة عشر (١١٦) عددًا في حجم كتاب وسط، طولها عشرون سنتيمترًا وعرضها أربعة عشر سنتيمترًا، ضمت كل صفحة نهرين باللغة الفرنسية، وكانت تحمل أخبار مصر الداخلية وهي الأخبار المحلية في القاهرة والأقاليم، وكان القصد من نشر هذه الأخبار أن يعرف الفرنسيون في القاهرة ما يجري لدى زملائهم في الأقاليم.

كانت تنشر إلى جانب الأخبار المحلية والخارجية، الحوادث الرسمية وأخبار الجيش وتنقلاته وحروبه ثم لا تدع فرصة للترويج عن قرائها إلا واستغلته؛ فكانت تنشر كثيرًا من أخبار الحفلات العامة مطولة. وكانت في بعض الأحيان تذيع قليلاً عن المجمع العلمي المصري ولم تَخْلُ في كثير من أعدادها عن ذكر الحوادث ذات العظة أو بعض موضوعات تاريخية قصيرة تتصل بحياة الشرق أو الغرب.

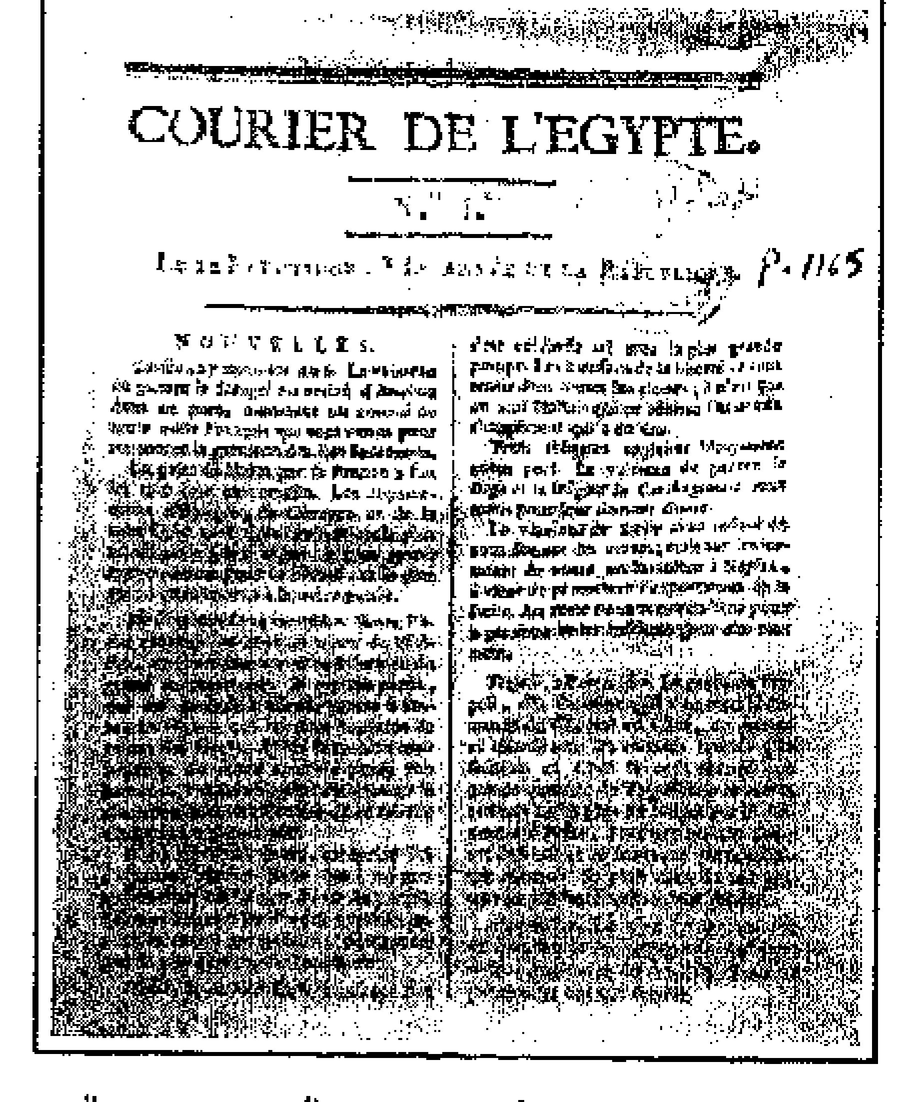
صدر العدد الأول من "بريد مصر" من مطبعة مارك أوريل حيث كان صاحب امتياز بيعها مبينًا ذلك في قوله "يعلن المواطن مارك أوريل مواطنيه أن ثمن بريد مصر ست ميدان (نصف فضة) وأن الاشتراك في ثلاثين عدد مائة وخمسون نصف فضة ولن تعتمد الاشتراكات إلا إذا دُفع ثمنها مقدمًا، وأنه يرجو المواطنين في الخارج الذين يرغبون في الاشتراك أن يرسلوا خطاباتهم مصحوبة بها، ثم عقب على ذلك بأن مكان الجريدة في حي الفرنسيين".

يعتبر إعلان مارك أوريل الذي نشره في الجريدة هو أول إعلان من نوعه في مصر يشاهد فيه القارئ أسلوبًا جديدًا

COURIER DE L'EGYPTE.

N.° 1.er

Le 12 Fructidor, VI.e année de la République.



COURIER DE L'EGYPTE.

N.° 1.er

(شكل ١٣١، ١٣٢) العدد الأول من جريدة "البريد المصري"

من الدعاية التجارية في هذه البلاد، ونرى الأخطاء المطبعية متناثرة خلال السطور حتى إن الطابع أخطأ فيها مرة فنشر تاريخ العدد الثالث (العشرون من فريمير وصححه العشرون من فريكتيدور) كما أنه أسقط حرفًا من الحروف التي تُكوِّن اسمها، وقد أغضبت هذه الأخطاء بونابرت فكانت من ضمن الأسباب التي دعته إلى طلب المطابع الرسمية من الإسكندرية.

صدرت جريدة بريد مصر في أربع صفحات بقطع رباعي in quarto متضمنة عدة أقسام أهمها القسم السياسي الذي كان يتغير كلما تغير الحال ففي السنة الأولى ساد مدح بونابرت صفحات الجريدة، ثم مدح كليبر من بعده وهكذا كان الحال مع عبد الله جاك مينو.

وقد اعتادت الجريدة أن تبدأ بخبر أو مقالة عن الخارج فتذكر– على سبيل المثال– استيلاء جنود الحملة على مالطة وصدى هذا الخبر في فرنسا ثم تنتقل بعد ذلك من الأخبار الخارجية إلى الأخبار الداخلية فتذكر ازدحام الأسطول في المياه المصرية وتصف المتاعب التي يلقاها رجاله لقلة عمق المياه، ثم تُعقب على ذلك بأخبار القاهرة فتذكر وصفًا شائقًا لحفلة وفاء النيل في أول شهر فريكتيدور سنة ٦ جمهورية الموافق ١٢١٣هـ.

وكانت أهم الموضوعات التاريخية عندما ما كان متصلاً بمصر؛ فروت كثيرًا من هذه النبذ التاريخية ومن ألطفها ترجمتها للكتابين المتبادلين بين عمرو بن العاص وعمر بن الخطاب وكانت ترجمة الكتابين صحيحة لا مبالغة فيها ولا تحوير.

وقد احتل باب "متفرقات" مكانًا رفيعًا من الجريدة وفي نفوس القراء لأن ما يُنشر تحت هذا الباب كان لافتًا للنظر حقًا، وكانت الجريدة تنشر فيه كثيرًا عن عادات المصريين وتتحدث عن زواجهم واختيار ليلة الجمعة لعقد الزواج، وتذكر شيئًا عن الطلاق، وتعدد الزوجات، ومؤخر الصداق، والعناية بالعرض والذود عنه.

والتفتت الجريدة ابتداءً من عامها الثاني إلى مسائل الرحلات التي قام بها بعض أعضاء البعثة الفرنسية وأمثالهم من الرحالة الفرنسيين. كالرحلة التي قام بها أحد المحررين وشرح فيها طبيعة الأرض بين قنا والقصير.

وكانت إدارة الجريدة تنشر أخبار ما اعتزمته حكومة الحملة، من تنظيم مصر والنهوض بها إلى مرتبة الحياة الأوروبية؛ فذكرت في العدد الرابع والسبعين أنها ستنشئ تلغرافات مماثلة لما هو معروف في أوروبا، أو كتلك الأخبار التي تتصل بإنشاء الإدارات والمصالح. وخلاصة النظام الإخباري أنه كان يقتضي نشر ثمانية أخبار خارجية ومثلها من الأخبار المحلية في كل عدد تقريبًا وفي وضع يكاد ينتظم الجريدة وصفحاتها جميعًا.

بقيت نقطة مهمة في أوجه النشاط الصحفي للجريدة وهي الإعلانات التي حفلت بها الصحيفة في كل عدد تقريبًا. وإذا أسقطنا من تقديرنا الإعلان الصادر من ناشر الجريدة عن ثمنها واشتراكها ومكان طبعها، نستطيع القول إن أول إعلان صدرت به "جريدة بريد مصر" نشر في العدد التاسع عن إدارة تكونت بسراي مرزوق بك بعابدين لتأجير المنازل للفرنسيين والمصريين.

ثم بدأت الإعلانات تتوافد على الجريدة في شتى الموضوعات والمجالات، وقد ازدحمت بها الصفحة الرابعة فهي مرة تعلم عن فقد نقود ضُربت باللغتين الفرنسية والعربية، ومرة أخرى تعلم عن صانع ساعات الحملة الذي أعد ساعات بديعة على آخر نسج عرفته باريس.

جريدة العشرية المصرية La Décade egyptienne

بعد إصدار بونابرت جريدة "بريد مصر" التفت إلى جريدة العلمية المسماة[١٣٢] "La Décade egyptienne" بالعشرية المصرية "وهي صحيفته الثانية التي أنشأها في مصر(شكل ١٣٣). سميت باسم فترة من فترات الشهر التي عرفت عند اليونان في أول الأمر ثم عرفها الرومان من بعدهم، واعتبرت في العهدين ثُلثًا من الشهر فلما أقبلت الثورة الفرنسية تأثرت تأثرًا عميقًا بحياة اليونان والرومان في معظم أساليب الحياة السياسية والاجتماعية وأصبح تقاليد هاتين الدولتين القديمتين قاعدة لأوضاع الحياة الفرنسية الرسمية فتقرر تغيير أسماء الشهور وتعديل دورة الزمن واصطناع تاريخ جديد يؤرخون به حوادثهم وأصدروا قرارًا في سنة ١٧٩٢م بأن يقسم الشهر إلى ثلاثة أقسام كل قسم منها يقال له العشرية تأخذ مكان الأسبوع من حياتهم الأولى. وكان بونابرت من مؤيدي هذه الثورة التي غيرت كل شيء وكان من أشد الناس إعجابًا بماضي اليونان والرومان، وأخذ يتأثر بها في حياته السياسية جميعًا على حد تعبير الدكتور إبراهيم عبده، فهو صاحب القنصلية وقنصلها الأول وهو صانع الإمبراطورية فيما بعد وإمبراطورها الأعلى. كانت الحملة جميعًا مشغوفة بما شغف به رجلها الأول فالاتجاهات الفكرية كان من شأنها في ذلك الوقت أن تفرض هذا الاسم الغريب لصحيفة تصدر مرة كل عشرة أيام.

سبق صدور صحيفة العشرية إعلان عنها في جريدة "بريد مصر" مضمونه أن صحيفة "العشرية" ستظهر مرة واحدة كل عشرة أيام وأنها ستتخصص في المسائل الأدبية فحسب ولن

LA DECADE

EGYPTIENNE,

JOURNAL LITTÉRAIRE

ET

D'ÉCONOMIE POLITIQUE.

Formation de l'Institut d'Égypte.

Le Général en Chef Bonaparte, par un arrêté en date du 5 fructidor an 6, a ordonné qu'il serait établi au Kaire un Institut pour les Sciences et les Arts. Cet établissement doit principalement s'occuper :

1.° Du progrès et de la propagation des lumières en Égypte ;

2.° De la recherche, de l'étude et de la publication des faits naturels, industriels et historiques de l'Égypte.

L'Institut d'Égypte est divisé en quatre sections qui sont celles de Mathématiques, de Physique, de Littérature et beaux Arts, et d'Économie politique. Chaque section est composée de douze membres. Dans le moment actuel, celle de Mathématiques est la seule qui soit complette. Il y a deux places vacantes dans celle de Physique, six dans celle d'Économie politique, et quatre dans celle de Littérature et beaux

(شكل١٣٣) جريدة "العشرية المصرية"

يُسمح بنشر أي خبر سياسي فيها، أو مناقشة سياسية وستُعنى فقط بكل ما له صلة بالنواحي العلمية والفنية والأدبية، وستراعي رعاية تامة في بحوثها موضوعات التشريع المدني والجنائي، كذلك ستتعرض إلى الأوضاع الفكرية والاتجاهات الدينية، وأن من أغراضها الأولى أن تقدم هذه المعرفة لفرنسا وأوروبا معًا ثم أخذ الإعلان يصف الصحيفة شكلاً بعد أن وصفها موضوعًا.

صدر العدد الأول من العشرية المصرية في فانديمير سنة ٧ جمهورية الموافق أول أكتوبر سنة ١٧٩٨م بمقدمة طويلة، حيث تعتبر هذه الافتتاحية برنامجًا مفصلاً ستسير عليه الجريدة في سياستها، ويلاحظ أن أظهر ما في هذا البيان أنه حدد تحديدًا صريحًا كل ما سينشر فيها من موضوعات وخاصة ما اتصل منها بالمسائل السياسية فقد كان الكاتب صريحًا في هذه الناحية؛ غير أنه واضح من خلال السطور أن العناية بالعلوم والفنون ستستغرق صفحات المجلة جميعًا.

صدر العدد الأول بهذه المقدمة كما رأينا وقام بطبعه المواطن مارك أوريل في مطبعته الخاصة كما جاء ذلك في إعلام جريدة "بريد مصر".

وظهر بعد مراجعتها أن موضوعات العلماء وبحوثهم التي نشرتها لم تكن نصوصًا حرفية لما صدر عنهم في أثناء بحوثهم ودراساتهم بل هي ملخصات قصيرة لما نشره أو أذاعه علماء الحملة في مجمعهم العلمي، وبذلك أخلّت المجلة بما التزمت به في افتتاحيتها، ولم تستطع أن تتحمل موضوعًا خارجيًا وضاقت صفحاتها عن نشر موضوع مفصل، ومضت على هذا النحو تنكمش رويدًا رويدًا حتى أصبحت سجلاً لملخصات يرسلها المجمع العلمي المصري ثم مضت تصدر في كل شهر ابتداء من (الثالث من فريكتيدور سنة ٦ جمهورية إلى الحادي والعشرين من فريكتيدور سنة ٨ جمهورية).

أُهدي المجلد الأول للجنرال بونابرت، واحتوى في بعض أعداده على قليل من الأخبار التي تتصل بتأليف المجمع، العلمي وكثير من الموضوعات المختصرة لما نشره أو بحثه أو ألقاه أعضاء المجمع كالموضوع الذي تقدم به أحد العلماء عن دراسة الطريق بين القاهرة والصالحية، كما نشرت تقريرًا مفصلاً بعض الشيء عن الواحات المصرية قدمه المواطن "فورييه".

قُدم المجلد الثاني إهداء للجنرال كليبر(شكل ١٣٤) باعتباره قائدًا عامًا للجيش الفرنسي في مصر، وحملت الصفحة الأولى البيان التالي: "إن هذه الصحيفة التي كان في نية الناشرين أن يعطوها اسمًا آخر غير العشرية لو أنهم كانوا أصحاب الرأي في هذا لن تظهر من الآن فصاعدًا إلا مرة واحدة في الشهر".



(شكل١٣٤) الجنرال كليبر، تولى مسئولية الحملة بعد رحيل نابليون.

ويكاد يكون هذا المجلد صورة ناطقة للمجلد الأول في الشكل والموضوع، إلا أن العدد الثاني منه تخصص لنشر أخبار الأجواء المناخية. والملاحظ على موضوعات هذا المجلد أن ما نشر فيه من بحوث كان يأخذ طابعًا علميًا وقامت موضوعاته على دراسات شخصية استغرقت وقتًا من الزمن في البحث والتنقيب عكس ما كان عليه المجلد الأول حيث عنوا بالموضوعات عناية نظرية بحتة.

واقتضى الحال أن يُهدى المجلد الثالث إلى الجنرال "مينو" القائد العام وجاء في صدر هذا العدد: "لقد حافظنا لهذه الصحيفة التي بدأنا إصدارها واستمررنا فيه وسط اشتداد الحرب على القديم، على الرغم من أننا نبهنا في رأس المجلد الثاني أنه غير مناسب لها تمام المناسبة ولكن سيظهر في المستقبل كل مجلد مجزءًا إلى ثلاث كراسات كل منها مائة صفحة تقريبًا ولكن إحدى كراسات هذا المجلد بلغت مائة وست عشرة صفحة".

كان نشاط "العشرية" في عهد الجنرال مينو قاصرًا عن أن يجاري نشاطها في عهد بونابرت وكليبر فتوقفت الجريدة عن نشر بحوث جديدة للعلماء ذلك لأن مينو كان قد جافى العلماء وأثقل عليهم وانصرف عن تشجيعهم.

غير أنه في مقدورنا بعد هذا كله أن نقول إن جريدة العشرية المصرية كانت سجلاً عظيمًا لمجهود العلماء والأدباء من الفرنسيين في مصر، وأنها قيدت أفضل البحوث وأمتع الموضوعات التي تتصل بحياة المصريين وبلادهم وأصبحت بذلك مرجعًا وحجة لنشاط البعثة من الناحية العلمية.

تعتبر جريدتا "بريد مصر" و"العشرية المصرية" هما الجريدتان اللتان نُشرتا في مصر خلال الحملة الفرنسية وكان لهما أثر عظيم في تاريخ مصر وفي تاريخ الحملة نفسها عرفته أوروبا كمعرفة الفرنسيين له.

جريدة التنبيه[١٣٦] L'Avertissement

اختلف المؤرخون حول تسمية منشىء هذه الجريدة، فالبعض نسبها إلى بونابرت اعتمادًا على ميوله الصحفية وللطابعتين العربيتين اللتين حملهما معه، فقد كان الرجل من أولئك الذين يقدرون الصحافة حق قدرها ويعلم خطرها وأثرها في توجيه الرأي العام، لذلك ليس من المستبعد أن يكون قد فكر في إنشاء صحيفة عربية تذيع أغراضه ونواياه، وقد رأيناه شديد العناية بإذاعة النداءات العربية بين الحين والآخر، وهذه كانت تقوم مقام الصحف على غير موعد محدد بيد أن ظروف الجنرال بونابرت لم تسمح له بأن يصوغ هذه النداءات بحيث تتسع لأغراض أخرى وتصبح صحيفة يقرأها الناس في موعد معلوم، وكذلك لم يوات العمر الجنرال كليبر حتى يفكر مثل هذا التفكير فعندما تولى عبد الله جاك مينو (شكل ١٣٥) حكم مصر من بعدهما وكان قد أشهر إسلامه وأذاعه بين المصريين وتزوج منهم، وجد بين السكان وغيرهم من ذوي الأغراض من يطلق الشائعات على الفرنسيين: فاتفق مع قادة الحملة في دفع هذه الأباطيل والشائعات وقرر إنشاء جريدة تكشف كذب وزيف هذه الشائعات والأكاذيب، فكتب إليه كبير الأطباء الدكتور دجنت يحدثه بأن فكرة إنشاء جريدة عربية شغلته كثيرًا، ويُوضح له أن تنظيم مشروع مثل هذا من شأنه أن يلقي نورًا على خدمات الفرنسيين لمصر ويعرض عليه أن يقوم بإصدار هذه الصحيفة جماعة من الفرنسيين والمصريين تلحق بالحكومة رأسًا وتتبع مشورتها وترفع الستار الذي يخيم على عيون الناس، وتدلهم



(شكل ١٣٥) الجنرال مينو، قائد الحملة الفرنسية بعد مقتل كليبر، وفي عهده تم إصدار صحيفة "التنبيه".

على طريق الإصلاح الذي يراه المصريون خرافة من الخرافات.

قرأ مينو هذا الكتاب ويظهر أنه تأثر به فاهتم بالأمر اهتمامًا خاصًا وأصدر في الخامس من فريمير من السنة التاسعة للجمهورية الموافق السادس والعشرين من نوفمبر سنة ١٨٠٠م مرسومًا بإنشاء جريدة "التنبيه".

الصحافة في عهد أسرة محمد علي

ظلت البلاد خالية من أي نشاط صحفي في السنوات الأولى من حكم محمد علي. فبعد أن فرغ من تنظيم الحكومة فكر في إصدار بعض الصحف التي تظهر أعمالها وإصلاحات الوالي لأفراد الشعب وهذه الصحف هي:

١- جورنال الخديوي

صدرت عام ١٨١٣م وهي السنة التي فرغ فيها محمد علي من تنظيم الحكومة وإنشاء الدواوين. ورأى أن الشئون المالية والزراعية وشئون التعليم والعمران تحتاج إلى ملخص أو تقرير يقدم إليه باسم "جورنال" وكان الوالي ينظر في هذا التقرير أو الجورنال مرة في الشهر على الأقل ثم رأى أن هذه المرة طويلة أكثر مما يلزم[١٣٢]. فطلب أن يقدم إليه هذا التقرير كل أسبوع ثم أصدر أمره إلى المسئولين أن يكونوا مستعدين لتقديمه في أي وقت يشاء[١٣٣].

جورنال الخديوي وديوانه

يعتبر جورنال الخديوي إدارة واسعة يتولاها رجل يؤثره الوالي ويجعل من إدارته واسطة بينه وبين مختلف الإدارات ومراكز الحكومة في الأقاليم، ويضم هذا الديوان الكبير نخبة من الكتاب الذين يجيدون اللغتين العربية والتركية. كان للمدن المصرية الكبيرة دواوين على غرار الديوان الرئيسي في القاهرة يرأسها ناظران عامان للتقارير أحدهما في الوجه القبلي والثاني في الوجه البحري يتلقيان أخبار المدن والأقاليم كل فيما يخصه، ثم يرسلانها إلى القاهرة، ويتولى ديوان الجرنال العام في القاهرة بحثها وتبويبها وعرضها على الباشا ثم يبلغ قرار الوالي فيها إلى المجالس وما إليها، وقد كلف كل ديوان من دواوين الحكومة في أقاليم الوجه البحري أو القبلي بأن يرسل خلاصة لأعماله في كل أسبوع بحيث توضع هذه الخلاصات المتباينة فيما يتضمنه عادة "جورنال الخديوي" وفي ذلك تشير إحدى الوثائق إلى أنه "في اليوم الأخير من كل أسبوع ترد إلى جنابه العالي كشوف من مأموري الأقاليم البحرية والقبلية بمقدار المال المتحصل وكميات الغلال والأصناف الأخرى حيث يعلم منها مقدار نشاط المأمورين أو تكاسلهم" وكان هذا كله ينشر في جرنال الخديوي ومضت الدواوين ترسل أخبارها وأجاب مأمورو الأقاليم دعوة الأمير فأرسلوا إليه من أخبار بلادهم سواء أكان في القاهرة أم على سفر فقد اعتاد "ديوان الجورنال" أن يرفع إليه يوميًا أخبار البلاد قلت أو كثرت.

وكان هذا التقرير الذي يمكن تسميته مع شيء من التجاوز بالجريدة الرسمية يرسل إلى رجال الدولة ومأموريها الذين يعنيهم أن يقفوا على أحوال البلاد، وبقي هذا (الجورنال) وقفًا على النشاط الصحفي الخاص بالأخبار التي يهم الوالي معرفتها سريعًا مع وجود الوقائع المصرية التي كان يوليها عنايته دائمًا.

وكان هذا التقرير ينسخ بخط اليد أول الأمر وبقي على ذلك حتى أنشأ محمد علي مطبعة القلعة عام ١٨٢١م فأصبح التقرير يطبع فيها، أما عدد النسخ التي تصدر منها فلم يزد على المائة وكان صدورها باللغتين العربية والتركية[١٣٤]. وكانت تشتمل على الأخبار الحكومية وبعض قصص من ألف ليلة وليلة وكان يُسمح لبعض موظفي الحكومة بالإطلاع على هذا الجورنال. أما الشعب فلم يكن له أدنى صلة بهذه الصحيفة[١٣٥].

٢- الوقائع المصرية

تبين لمحمد علي بعد ذلك أن الشعب المصري يجب أن يطلع على أعمال الحكومة، وأن يقف على إصلاحات الوالي، وجورنال الخديوي بالصورة المتقدمة ليس له هذا الطابع[١٣٦]. فاتجه محمد علي إلى إنشاء جريدة أخرى لهذا الغرض، أو بمعنى آخر إلى تطوير جورنال الخديوي بحيث يصدر باسم جديد هو "الوقائع المصرية" وقد صدر أول عدد في ديسمبر عام ١٨٢٨م. وكانت عند بدء ظهورها نشرة تذاع فيها أوامر الحكومة وإعلاناتها وسائر الحوادث الرسمية في الدولة[١٣٧].

كانت الوقائع المصرية تصل إلى أمراء البيت المالك وإلى العلماء ورجال الدين وإلى طلبة العلم في مصر وأوروبا وإلى جميع موظفي الحكومة بلا استثناء[١٣٨].

كانت الوقائع المصرية بوحي من الوالي تشتمل على خلاصة الحوادث التي تقع في جميع جهات القطر المصري كما كانت تشتمل على عبارات الثناء والولاء للوالي ووصفه بالعدل في الحكم ونحو ذلك، وكان شرط في مقدمة الصحيفة أن تتضمن هذه العبارات كما حرصت

الوقائع كذلك على نشر أنباء الجيش وترقيات الضباط والإشادة بانتصاراتهم الحربية[١٣٩] وكان من عادة الوالي أن يراجع بنفسه مسودات الصحيفة قبل إرسالها إلى المطبعة[١٤٠].

ولقد حاول محمد علي تطوير هذه الجريدة وذلك بنشر الأحداث الخارجية، ولما كان نشر هذه الأخبار يستوجب معرفة اللغات الأجنبية فقد أسند أمر الإشراف عليها إلى رفاعة الطهطاوي بوصفه ناظراً لمدرسة الألسن، ومع أن رفاعة لم يكن صحفيًا بطبعه فقد قدم للصحافة خدمة جليلة في هذا الميدان[١٤١].

وقد نهضت الوقائع تحت إشراف رفاعة نهضة ملحوظة؛ فتحسن أسلوب إنشائها، وتنوعت موضوعاتها، على أن الشيء الذي يذكر له على وجه الخصوص هو محاولته في إنشاء المقال الصحفي. وقد اهتم رفاعة بنشر التراث العربي على صفحاتها ودعا لإحيائه لاعتقاده بأن إهمال العرب لتراثهم القديم هو سبب تأخرهم حتى أخذه غيرهم من الشعوب وجعلوه أساسًا لنهضتهم، وقد تحسن أسلوب الوقائع في عهد الطهطاوي بعد أن أصبحت اللغة العربية لغة التحرير الأولى، فأصبحت الأصول تكتب بالعربية ثم تترجم إلى التركية وخصص النهر الأيمن للغة العربية على عكس ما درجت عليه الجريدة منذ إنشائها[١٤٢] وقد ساعد على هذا التطور شخصية الطهطاوي نفسه إلى جانب اشتراك عدد من الأدباء في التحرير فحرروا أسلوب الجريدة إلى حد ما من القيود التقليدية[١٤٣].

طبعت صحيفة الوقائع في مطبعة بولاق حتى منتصف يونيه عام ١٨٣٣م ثم رأى أن تطبع في مطبعة ديوان الوقائع بالقلعة لتكون قريبة من مقر الحكومة، وقد ظلت تطبع فيها حتى بداية يوليه عام ١٨٤٥م حيث عادت مرة أخرى إلى مطبعة بولاق[١٤٤].

ارتبط تاريخ الوقائع بمطبعة بولاق فكان ناظر المطبعة مشرفًا على الوقائع في الوقت نفسه لكن اقتصرت مهمته بعد ذلك على تكليفه بترجمة مواد الصحيفة إلى التركية "بدون الإخلال بالأصل العربي وتنظيم المواد حسب النظام التركي على أن يعد هذا التكليف من اختصاص وظيفته بصورة أصلية"[١٤٥]. وسوف نتعرض لتاريخ الوقائع المصرية بالتفصيل لاحقًا.

٣- الجريدة العسكرية

في بداية حرب الشام عام ١٨٣٣م فكر محمد علي في إنشاء جريدة رسمية إلى جانب الوقائع المصرية، وهي الجريدة العسكرية التي كانت تصدر كل يومين، وكانت تطبع بمطبعة الجهادية[١٤٦]. وقد اقتصرت عنايتها تقريبًا على نشر الجرائم التي تقع في الجيش والأحكام التي تصدر ضد مرتكبي هذه الجرائم. غير أن هذه الصحيفة لم تعمر طويلاً[١٤٧] وربما كان سبب ذلك معاهدة لندن عام ١٨٤٠م وهي المعاهدة التي حدت من نشاط الجيش المصري فلم يعد هناك ضرورة ملحة للمضي في نشر هذه الصحيفة.

أثبت كل من جورنال الخديوي والوقائع المصرية والجريدة العسكرية أن محمد علي كان يؤمن بقدر الصحافة وخطرها في المسائل العامة التي كان يكرس حياته من أجلها، وقد أدى جورنال الخديوي وظيفته من حيث تمثيله للنظم القديمة كما أدت الوقائع المصرية رسالتها من حيث إنها كانت أكثر عمومية وأوسع إدراكًا لمعنى الجريدة بصفتها الرسمية والعامة كما أنها كانت لسانًا طيبًا لإصلاحاته وتنظيماته التي أدخلت منذ عام ١٨٢٦م. وكذا كان الغرض من الجريدة العسكرية فقد ارتبط وجودها باتساع الجيش اتساعًا لم يكن معهودًا من قبل. وجاء في عهد عباس الأول (١٨٤٨م- ١٨٥٤م) وأخذت الحياة المصرية في الركود وتلاه عهد سعيد باشا (١٨٥٤م- ١٨٦٣م) وفي مدة حكمه شهدت مصر مولد الصحافة الشعبية؛ ذلك أن سعيد باشا عمل على التقرب من قلوب المصريين فباعدت أعماله بينه وبين السلطان الذي لم يجد بدًا من أن يسلك طريق الدعاية ضد هذا الوالي ومن ثم أرسل اسكندر شهلوب إلى القاهرة وأصدر صحيفة "السلطنة" عام ١٨٥٧م للعمل على لفت نظر المصريين نحو الباب العالي وماله عليهم من حقوق وبين أخطاء الحكومة[١٤٨].

الصحافة في عهد الخديوي إسماعيل

نشأ الخديوي إسماعيل معتنقًا أفكار أوروبا في التحديث والتطوير، فلقد كان شديد الشغف بتقليد كل مظاهر الحضارة الأوروبية سواء ما يلائم منها طبيعة الثقافة والبيئة المصرية أو ما لا يلائمها، فكانت نظرته إلى الأشياء نظرة غربية أكثر منها شرقية، على أن هذا الإتجاه الفكري الذي تبناه الخديوي لم يكن مضرًا في كل الأحوال بمصالح الدولة، فعلى سبيل المثال كان الخديوي إسماعيل مؤمنًا بالدعاية، فلما كان لأوروبا صحافة شعبية إلى جانب الصحافة الرسمية فلا بأس من أن تكون لمصر صحافتها الشعبية، هكذا كانت الصحافة إحدى الوسائل التي اتخذها لتحقيق سياسته وتحقيق أهدافه فاهتم بالصحف الرسمية المصرية أولاً ثم الصحف خارج البلاد بعد أن أدرك بعض أسرار تقدم أوروبا وأهمية الصحافة فيها.

وهناك بعض العوامل أثرت تأثيرًا مباشرًا على الصحافة في مصر، وساعدت على ظهور الكثير من الصحف. ومن أهم هذه العوامل:

١- هجرة الصحفيين السوريين واللبنانيين إلى مصر، حيث كانت تجرى في هذه الفترة في سوريا أحداث كبيرة، مما أدى إلى تقييد حرية الصحافة وفرض الرقابة عليها فسئمت نفوس الأدباء فهاجر أكثرهم إلى مصر حيث أنشأوا الصحف، فشجع الخديوي إسماعيل ذو النظرة الأوروبية هجرة هؤلاء السوريين واللبنانيين إلى مصر والإسهام في نهضتها وكانت سمة هذه الهجرة الواضحة الفكر وأهم جوانبها الصحافة والنشاط.

٢- رغبة إسماعيل في الاعتماد على الصحافة الأهلية في الدفاع عنه ضد الباب العالي من جهة، وضد الأجانب المقيمين في مصر من جهة ثانية، وضد الحكومات التي ينتمي إليها أولئك الأجانب، غير أن الصحافة الأهلية كانت في الواقع سلاحًا ذا حدين فمن ناحية نجدها قد دافعت عن إسماعيل ضد هذه الجهات وأرضته ولكنها في الوقت نفسه انبرت تنقد سياسته وتحرجه-من ناحية أخرى.

٣- ظهور جمال الدين الأفغاني في مصر: ظهر السيد جمال الدين الأفغاني في مصر(شكل ١٣٦) وقضى بها ست سنوات(١٨٧١م-١٨٧٦م) ونظرت إليه مصر يومئذ على أنه رسول الحرية، في تلك الفترة تدهورت حالة البلاد حيث تدخلت الدول الأجنبية وأنشأت فيها نظام (المراقبة الثنائية) على أموال الدولة، ثم أنشأت في البلاد نظام (الوزارات المختلطة) فانتهز جمال الدين الأفغاني هذه الفرصة وقام بإلقاء دروس لشرح فكرته عن حالة المسلمين بعد أن أصبحوا فريسة للاستعمار الأوروبي، فكانت وسيلته لنشر أفكاره هي الكتابة في الصحف، ورسم الأفغاني الخطة التي يسير عليها تلاميذه وأوحى إليهم بالمعاني الجديدة التي يكتبون فيها وكتب هو فيها تحت أسماء مستعارة مثل "مظهر بن وضاح" وطلب إلى من يتوسم فيه المقدرة والمنفعة أن يكتب فيها على الرغم من أن السيد الأفغاني لم يكن صحفيًا محترفًا. وكان لهذه الحركة أثران:

أولًا: تنبيه الأذهان إلى المسائل الحيوية وإكساب الجمهور الجرأة على الحكام ومطالبتهم بالعدل وإظهار مكائد الأجانب وجشعهم.

ثانيًا: تكوين جيل من الكتاب متمكن من اللغة قدير على الإسهاب في شرح المعضلات دون اللجوء إلى المحسنات والزخارف خبير بتفتيق المعاني وتوليد الأفكار. ومن أهم الصحف التي كانت تحت رعايته:

يعسوب الطب

رأى الخديوي إسماعيل أن يكون للنشاط الطبي في مصر أثر دائم ومستمر على مدى العصور المختلفة، فشجع الخديوي فروع الطب المختلف، وعمل على نشر أفضل المسائل الطبية المفيدة سواء للمتخصص أو للفرد العادي، كما أصدر مجلة "يعسوب الطب" في عام ١٨٦٥م، وهي أول مجلة علمية ظهرت في الشرق العربي كله.



(شكل١٣٦) جمال الدين الأفغاني

روضة المدارس

هي صحيفة علمية أدبية أنشأها علي باشا مبارك في عام ١٨٧٠م في وقت كان يتولى فيه شئون التعليم، فهي صحيفة ديوان المدارس، تمولها الحكومة وكان الغرض من إنشائها النهوض باللغة العربية وإحياء آدابها ونشر المعارف الحديثة. تولى مقاليد أمورها رفاعة الطهطاوي محرر الوقائع في عهد محمد علي ورئيس قلم الترجمة في عهد إسماعيل. صدر

العدد الأول منها في الثامن عشر من إبريل عام ١٨٧٠م، وهي مجلة نصف شهرية يكتب فيها كل المثقفين من مصر والعالم.

جريدة أركان حرب الجيش المصري

صدرت هذه الجريدة متأخرة عن الجريدة العسكرية ولكنها عاصرتها إذ ظهر العدد الأول منها في ١٥ جمادى الأولى عام ١٢٩٠هـ/١٠ يوليه عام ١٨٧٣م، وذلك بعد إنشاء هيئة أركان حرب الجيش المصري. كانت أصغر حجمًا من الجريدة العسكرية، لكنها كانت تتميز عنها بصبغتها الحربية الصرفة فلم تكن تنشر سوى الموضوعات العسكرية وما يدور في ميدان الحرب فهي تعتبر لسان حال هيئة أركان الجيش المصري. وقد تناولت الجريدة النواحي العسكرية الخاصة من حيث بيان قوة كل دولة أوروبية ومقدار ما لديها والعتاد ومدى فاعلية تلك الأسلحة. وهناك الكثير من الصحف والمجلات التي أصدرت في عهد الخديوي إسماعيل.

نشأة وتطور جريدة الوقائع المصرية

لم يُعْرف عن محمد علي أنه رسم لنفسه سياسة صحفية واضحة غير أنه كان مشغوفًا بالإطلاع على صحف الآستانة ومعرفة ما تضمنته من أخبار، كذلك بالاطلاع على الصحف الغربية، فلقد كانت عنده رغبة ملحة في التعرف على أخبار الداخل والخارج ومن ثم فكر في إنشاء الوقائع المصرية واعتبارها جريدة الحكومة الرسمية؛ فأصدر أمره بتهيئة الوسائل لنشر هذه الجريدة، كما كتب إلى المديرين ورؤساء الدواوين يطلب خلاصة خصوصية عن الوقائع التي تحصل بالجهات وإرسالها إلى قلم الوقائع الذي صار إنشاؤه بتاريخ الخامس عشر من رجب سنة ١٢٤٤هـ لطبعها وتوزيعها على الذوات الملكية والجهادية وتحصيل ما تقرر على ذلك من الرسوم.

لم تكن عناية محمد علي عناية سطحية بالوقائع المصرية على الرغم من متاعب الوالي التي كانت تشغله، بيد أن الإحساس بخطر الصحيفة هو الذي كان يُملي عليه تلك العناية الفائقة بجميع نواحي نشاطها، فهي جريدته الرسمية ومصدر دعايته في الأقاليم وبين الخاصة والعامة، وظهر هذا الإحساس واضحًا بقيمة الصحف وأثرها من متابعته الدقيقة لوقائع كريت وهي على غرار الوقائع المصرية شكلًا وموضوعًا.

صدر العدد الأول من الوقائع المصرية (شكل١٣٧) في الخامس والعشرين من جمادى الأولى سنة ١٢٤٤هـ الموافق الثالث من ديسمبر سنة ١٨٢٨م، ولم يكن لها موعد معلوم في الظهور فأحيانًا تصدر ثلاث مرات في الأسبوع، و أحيانًا أخرى مرة واحدة، وفي بعض الأحيان تطول الفترة بين العدد والعدد، فقد صدر العدد الثاني منها بعد صدور الأول بأربعة عشر يومًا، وصدر العدد الثالث بعد الثاني بعشرين يومًا، ومضى أسبوعان



(شكل١٣٧) العدد الأول من الوقائع المصرية، والذي صدر يوم الثلاثاء ٢٥ جمادى الأولى عام ١٢٤٤هـ/٣ ديسمبر ١٨٢٨م، وهو محرر باللغتين التركية والعربية

حتى صدور العدد الرابع واحتاجت أحد عشر يومًا لصدور العدد الخامس، وتعطلت ثمانية أيام ثم صدر على أثرها العدد السادس، ثم مضى أسبوع صدر بعده العدد السابع، وثمانية أيام أخرى ظهر بعدها العدد الثامن.

خرج العدد الأول تتصدره الافتتاحية باللغتين التركية في اليمين وترجمتها العربية في اليسار، وتعتبر افتتاحية العدد الأول من الوقائع أهم ما حمل هذا العدد، فهي تصور لنا

أهداف صدور الوقائع المصرية وترسم لنا خطتها وتبين غايتها ننشرها هنا لتفصح لنا عن هذا كله[١٤٩].

"الحمد لله باري الأمم والصلاة والسلام على سيد العرب والعجم أما بعد، فإن تحرير الأمور الواقعة من اجتماع جنس بني آدم، المتدبجين في صحيفة هذا العالم، ومن ائتلافهم وحركاتهم وسكونهم ومعاملاتهم ومعاشراتهم التي حصلت من احتياج بعضهم بعضًا، هي نتيجة الانتباه والتبصير بالتدبير والإيقان وإظهار الغيرة العمومية وسبب فعال منه يطلعون على كيفية الحال والزمان، وهذا واضح لدى أولي الألباب، ومن حيث أن الأمور الدقيقة الحاصلة من مصالح الزراعة والحراثة وباقي أنواع الصنايع التي باستعمالها يتأتي الرخاء والتيسير، هي أسباب للحصول على الرفاهية، وعلى الاجتناب والاحتراز مما ينتج منه الضرر والأذا (كذا) خصوصًا في مصر بل هي أساس نظام البلدان وتدبير راحة أهلها ففكر حضرت أفندينا ولي النعم في ترتيب أحوال البلاد وتمهيدها واعتدال أمور أهلها وتوطيدها، وفي نظام القرى والبلدان ورفاهية سكانها وراحتهم ووضع ديوان الجرنال قاصدًا من وضعه أن ترد الأمور الحادثة الناتج منها النفع والضرر إلى الديوان المذكور وأن ينتخب وينقح فيه منها ما منه ينتج النفع والإفادة حتى إذا ظهر عند المأمورين نوعا النفع والضرر، ينتخب ما منه تصدر المنفعة، ويجتنب عنه ما منه يحصل الضرر وهذه الإرادة الصالحة الصادرة من حضرة سعادة ولي النعم وإن كانت قد جرت في ديوان الجرنال إلى الآن إلا أنها لم تكن عمومية إنما الآن فأراد ولي النعم أن الأخبار التي ترد إلى الديوان المذكور تتنقح وينتخب منها ما هو مفيد، وتنتشر عمومًا مع بعض الأمور التي ترد من مجلس المذاكرة السامي والأمور المنظور بها في ديوان الخديوي والأخبار التي تأتي من أقطار الحجاز والسودان ومن بعض جهات أخرى، وذلك ليكون كله نتيجة للحصول على الفوايد الحسنة التي هي مقصود ولي النعم، وتقويما لممارسة المأمورين الفخام وباقي الحكام الكرام المقلدين تدبير الأمور والمصالح ومن كون هذا الشيء (كذا) قد لاح في ضمير الذات السنية ولي النعم صدار أمره الشريف بطبع الأمور المذكورة وانتشارها عمومًا مستعينًا بالله وقد سميت واشتهرت بالوقائع المصرية وبالله حسن النية".

هُيئت الأسباب لإخراج الوقائع على الصورة التي كان يرجوها محمد علي، وقد سُلمت مقاليدها إلى ديوان المدارس الذي مضى يشرف عليها إلى أخريات عهد إبراهيم، ثم أحيلت شئونها في تلك الفترة إلى قلم الترجمة الجديد الذي نُقل إلى مدرسة الألسن بالناصرية، وقد عُين لتحرير اللغة التركية فيها وإدارتها سامي أفندي ابتداء من العدد الثاني ويعتبر هو الناظر الأول للوقائع وأحد مؤسسيها، ومن أصحاب الفضل في رعايتها ونهضتها.

صدرت الوقائع في أربع صفحات، طول الصفحة سبعة وثلاثون سنتيمترًا وعرضها اثنان وعشرون سنتيمترًا ذات نهرين، في أحدهما الموضوعات باللغة التركية وفي الآخر ترجمتها باللغة العربية، وقلما كانت تصدر الوقائع في أكثر من أربع صفحات وإن صدرت في القليل النادر منها في ثماني صفحات، وقد بلغ أحد أعدادها ثماني عشرة صفحة.

تضمنت أعداد الوقائع بعض الأخبار الداخلية وخاصة ما اتصل منها بأخبار الوالي كما أنها عنيت بالمجالس الرسمية كحوادث مجلس المشورة وحوادث الديوان الخديوي وبعض أخبار خارجية وغيرها من أخبار الداخل في المدن المهمة كالإسكندرية كما تخصصت بعض صفحاتها للمسائل التجارية وقليل من الإعلانات انتشر هنا وهناك، وتتميز الوقائع في ذلك العهد بأن افتتاحياتها أرق أسلوبًا من رواية الأخبار فيها وإن لم تبلغ رصانة الأسلوب وبلاغة الكلام الذي عُرفت به فيما بعد.

ينبغي أن نذكر هنا أن اللغة العربية لم تكن ترجمة حرفية للغة التركية إذ كان النهر الخاص بالأخيرة أكثر تفصيلاً وإيضاحًا. كان اسم الجريدة يكتب"وقائع مصرية"في رأس الصفحة الأولى وفي شمال هذا الإسم رُسم أصيص زرع يرمز لشجرة القطن وبقيت الأعداد الأولى محتفظة بهذا الرمز. ومع صدورالعدد الثامن عشر أصبح لرأس الصفحة رمز يتفق وتاريخ مصر الخالص فصُور الهرم ومن ورائه تهيأت الشمس للبزوغ وأطلت إحدى شجيرات النخيل، ولم تَخْلُ الصفحة الأولى من رسم ميزان "هواي مصر" ويقصد به (ميزان درجة الحرارة) كما أشير إلى المقياس الذي يدل على مدى ارتفاع منسوب مياه النيل، وقد احْتُفظ في أسفل الصفحة الأولى بمكان ذكر فيه "طبعت هذه الوقائع المصرية"، بعون خالق البرية، بمطبعة"صاحب الفتوحات السنية، ببولاق مصر المحمية" وبقيت تصدر في مطبعة بولاق إلى العدد ٥٣٥ الصادر في السادس والعشرين من صفر سنة ١٢٤٦هـ/الخامس عشر من يونيه سنة ١٨٣٣م ثم بمطبعة الوقائع بالقلعة حتى السادس والعشرين من جمادى الأخرى سنة ١٢٦١هـ/الثالث من يوليه سنة ١٨٤٥م وعادت به تصدر بمطبعة بولاق إلى أواخر عهد سعيد.

قرنت الوقائع المصرية في بيئة خاصة، هي بيئة كبار الموظفين وأمراء البيت الحاكم وعلماء المصريين يستقبلونها هدية وتحية من الحكومة، ثم فكرت الدولة في طبقة مهمة

من طبقات الأمة وهي طبقة طلاب العلم الذين كان لهم عند الحكومة مكانة ممتازة والذين عاشوا في رحابها وعطفها، لذلك كان توزيع الوقائع عليهم ضرورة تمليها التنشئة التي أرادتها الحكومة لهم، تريد أن يعلموا من أمر النظام الجديد وأفضاله أكثر مما كانت ترجو أن يعلمه غيرهم من فئات الناس فكانت توزع عليهم الصحيفة بالمجان.

وليس معنى هذا أن الوالي قد أعفى الموظفين من الاشتراك في الوقائع، فذلك الإعفاء لم يكن حقًا مباحًا لجميع موظفي الحكومة المصرية؛ فقد فُرض على فئة معينة من الموظفين الإشتراك في الجريدة، فقد رأى محمد علي أن اشتراك موظفي الحكومة المصرية من الأتراك أو المصريين في الوقائع كان أمرًا له أسبابه ومبرراته، فهي جريدة الحكومة تصدر باللغتين العربية والتركية، يستطيع أن يقرأها الموظف المصري ويستطيع أن يقرأها الموظف التركي، وكلاهما كان يستفيد منها بحظ، ويرى فيها شيئًا جديدًا بما حملت من أخبار وموضوعات.

سياسة محمد علي في توجيه الوقائع

كان محمد علي شديد الاهتمام بجريدته، حيث أراد أن تصدر الجريدة خالية من أية أخطاء أو أي نقصان، إذ كانت تضايقه الأخطاء المطبعية وخاصة تلك الأخطاء التي يترتب عليها اضطراب في الموضوع؛ فأصدر أمرًا إلى مختار بك يُخبره بأنه طلب مسودات قائمة الضباط المطبوعة في الوقائع وعاينها فوجدها غير مطابقة للمطبوع فأصدر أمره بأن يُستدعى ناظرالوقائع ويُستجوب في سبب تغيير بعض الأرقام الواردة في أصل القائمة المذكورة دون استئذان.

في الوقت ذاته كان محمد علي يوحي بنشر المقالات في الموضوعات التي يهمه أن يطلع عليها الجمهور، ويرى فيها صورة للحكومة العادلة التي تعطي كل ذي حق حقه وكانت هذه المقالات التي يضعها أحد رجاله أو موظفيه سواء أكانوا من المصريين أم من الأجانب تلْقى من لدنه عناية خاصة فيطلع عليها ويدلي فيها برأي قبل نشرها في الوقائع وإذاعتها على قرائها.

لذلك فإن الوقائع المصرية تعتبر في أيام محمد علي وخلفائه الثلاثة إبراهيم، وعباس، وسعيد مرجعًا من أهم المراجع التاريخية الرسمية وخاصة في الصدر الأول من حياتها كأول جريدة مصرية نشرت باللغة العربية في مصر.

دور الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي في تجديد الوقائع وتطوير سياستها

من أهم أوجه التطوير التي طبقتها الوقائع المصرية هو إسناد رئاسة تحريرها إلى أحد المصريين الأكفاء، ذوي المهارة والقدرة على قيادة الجريدة إلى مزيد من الإزدهار؛ من هؤلاء المصريين الأكفاء كان الشيخ رفاعة الطهطاوي (شكل ١٣٨) الذي كان أجدر المصريين بهذا المنصب الجديد نظرًا لطبيعة نشأته الثقافية التي كانت تمزج في وعي بين ثقافة عربية رصينة، وثقافة أوروبية جديدة. ولد الشيخ رفاعة الطهطاوي في سنة ١٢١٦هـ/١٨٠١م وحفظ القران، ثم التحق بالأزهر الشريف، حيث تلقى علومًا أخرى مثل التاريخ والجغرافيا والأدب، فكان يمثل في نظر المعاصرين الأديب العلامة، الثابت الحجة في كل علم وفن.

درس الشيخ رفاعة الطهطاوي في الأزهر سنتين، ثم سافر إلى فرنسا إمامًا للإرسالية التي بعثها محمد علي إلى باريس، وهناك لم يقم بدور الإمامة وحدها، بل جعل دأبه أن يتحصل على أكثر ما يمكن معرفته، وكتب كتابه المشهور "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" وتعلم اللغة الفرنسية. على مدار خمس سنوات، وهي مدة إقامة الشيخ في باريس، تعلم خلالها



(شكل١٣٨) رفاعة بك الطهطاوي المشرف على الوقائع المصرية

الترجمة في جميع العلوم على اختلاف اصطلاحاتها، وطبعت له في بولاق جملة رسائل سماها "قلائد الفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر" وعندما عاد إلى مصر عُين مترجمًا في مدرسة طره.

تولى الشيخ الطهطاوي مقاليد الوقائع المصرية رسميًا في سنة ١٢٥٧هـ، وقد استطاع أن يفرض وجوده وشخصيته في تحرير الجريدة بالرغم من تعيين الحكومة لأرتين بك مشرفًا على أخبارها الداخلية فيما بعد بحيث تمكن من إهماله والانتصار عليه ومضى في طريقه قدمًا؛ فبدأ مهمته في أول الأمر بتنظيم الجريدة وتغيير اسمها، ووضع لذلك نموذجًا، وينبغي أن نذكر أن الوقائع في عهدها الجديد بدأت تتمصر في لغتها أي أن اللغة العربية أخذت مكان الصدارة "حيث أن حضرة الشيخ رفاعة كان يضع أصول الجريدة بحسب اللغة العربية" ثم تحال أعمال إفراغ الترجمة التركية في قالب حسن بدون الإخلال بالأصل العربي، ثم أضافت وثيقة الإصلاح الجديد للوقائع ملاحظة تعتبر من أهم ما دخل على الوقائع وهي تكليف ناظر مطبعة بولاق بترجمتها إلى اللغة التركية وكان فيما مضى مشرفًا على المطبعة والوقائع معًا، وفي ذلك لون من التخصص تفرغت له الجريدة الرسمية. وليست اللغة العربية أو استقلال الجريدة هما المكسب الأوحد من وراء هذا التطوير والتحديث بل أن الأخبار المصرية أي التي تخص مصر كانت لها السبق في النشر والتحرير، فعلى الرغم من نشر الأخبار الخارجية في الجريدة إلا أن الأخبار المصرية ستكون هي المادة الأساسية، وكذلك قررت الحكومة إضافة بند للحوادث الخارجية في الجريدة والحوادث الجديدة التي لم يتقادم عهدها حتى لا تسقط قيمتها مع تحفظ المسئولين في نشر "المواد غير المناسبة".

أعطى الشيخ رفاعة للوقائع شكلاً جديدًا، ووضع لها اسمًا جديدًا – "مظهر أخبار مصرية" – وأقر الشورى هذا الاسم غير أن الباشا لم يجزه وبقيت الوقائع باسمها الأول المعروفة به حتى الآن، ومضى رفاعة أفندي يحرر الأصل العربي ويرتب الجريدة بصفة عامة، يعاونه في ذلك المترجمون من رجال مدرسة الألسن، وقد بذل الشيخ رفاعة جهده في رعاية الصحيفة حيث طور من أسلوبها بما يليق بفهمه، ويتصل بإدراكه، واستعان في ذلك بفئة من المحررين، أهمهم أحمد فارس الشدياق والسيد شهاب الدين تلميذ العطار ومساعده.

كان لمكانة رفاعة الطهطاوي أثر كبير في تقدير الصحيفة وانتعاشها، واحترام لغة البلاد فيها لأن مكان اللغة قد تبدل فأصبحت اللغة العربية تحرر في الناحية اليمنى، تتصدر الجريدة في صفحاتها الأربع وأخذت التركية مكان اليسار، ومضت تتضمن الأخبار داخليًا وخارجيًا، مبوبة تبويبًا منطقيًا يسبق فيه الأهم المهم، على أن التطور الخطير حقًا الذي لوحظ على الجريدة ليس في شكلها وتبويبها، وإنما في موضوعاتها التي انتقلت فجأة من توافه الأخبار والحوادث والافتتاحيات الثقيلة المحشوة مديحًا وثناء للوالي بمبرر وبغير مبرر إلى موضوعات رئيسية لها خطرها لا في الشرق وحده بل في أوروبا في ذلك الوقت، فقد حملت المقالة الرئيسية في العدد ٦٢٣ جديدًا لم يعرفه قارئ الوقائع من قبل تحت عنوان "تمهيد"(١٥٠).

يعتبر هذا المقال أول موضوع من نوعه في تاريخ الوقائع المصرية حيث ظهرت فيه روح التجديد سواءً في المعنى أو المحتوى وهو ما لم يكن معروفًا من قبل، فأسلوبه هنا أكثر وضوحًا من أساليب الجريدة الأولى، وإن لم توات الكاتب بعض الألفاظ فقال بولوتيقة دون سياسة، وقال أيضًا بوليتيقي ولم يقل سياسي..الخ، كما أن في هذا المقال معنى واضحًا وهو حديثه عن أهمية الصحف في فهم الحياة الداخلية والخارجية للأمم وتحمسه للقارىء إلى تقدير هذه الحقيقة التي غفلت عنه، أما دفاعه عن الحكومات الشرقية ونظمها فإن لم يكن عن عقيدة ثابتة في نفسه، فهي تتفق مع طبيعة الأشياء، وتتفق مع الشريعة التي يؤمن بها القارىء والتي تدعو إلى طاعة أولي الأمر، كما أنها تجري مع إلهام الحكومة له بأن يكون قلمه دائمًا درعًا للدفاع عنها واتخاذها كمثال، وإيضاح أن حاكم الشرق المسلم يستمد حكمه من إرادة الله وشرعه، وهي خير ضمان للعدل واستقامة الأمور في البلاد الإسلامية ومنها مصر، وأكبر الظن أن المناسبة التي أوحت بهذا المقال هي الأزمة المصرية التي حدثت في سنة ١٨٤٠م، وهي رد على اتهامات أوروبا للشرق وحكامه.

بعد سنة ١٢٥٨هـ عادت اللغة العربية إلى اليسار والتركية لعهدها الأول من التكريم والاعتبار، وكان هذا إيذانًا بانحلال الجريدة والانصراف عنها فقد أهملت في الصحيفة بعض نواحي النشاط التي شاهدناها فلم نعد نرى أدبًا أو شعرًا وإنما استغرقتها موضوعات أخرى كنشر الأخبار الرسمية أو الداخلية بأمر الوالي.

ظهرت الوقائع في أواخر عهد محمد علي وخلال حكم إبراهيم وعباس وسعيد في أعداد كثيرة من صورتين، صورة تركية خالصة وصورة عربية خالصة، وأصبحت صفحاتها مقسمة إلى ثلاثة أقسام على ثلاثة أعمدة، ومضت تركز نشاطها على الاعتناء بالأخبار الخارجية وتعددت نواحي هذه العناية فلم يكن يخلو عدد من ذكر خبر ولو صغير عن فرنسا، وإنجلترا، وروما، وإسبانيا، بيد أن أهم ما

يلاحظ فيها أنها خلت من رواية الأدب أو التطرق لموضوع علمي أو بحث اجتماعي أو سياسي.

الوقائع المصرية في عهد الوالي محمد سعيد باشا

قبل أن نذكر تاريخ الوقائع في عهد سعيد باشا نتعرض في لمحة سريعة لتاريخها في عهد عباس حلمي الأول، الذي أغلق كثيرًا من مشروعات والده استنادًا إلى مبدئه الشهير " ينفع أو لا ينفع" فتدهور الحال بها تمامًا، حيث وجد الرجعيون في شخصية عباس حلمي خير مؤيد، فضاق نطاق توزيعها عن ذي قبل، واقتصر على فئة كبار الضباط، كذلك تدنى أسلوب تحريرها إلى حد افتقرت فيه مقومات الصحيفة.

في عهد سعيد باشا تولى علي جودت أفندي شئون الوقائع، يعاونه بضعة موظفين من مطبعة بولاق. في حقيقة الأمر واجهت الوقائع المصرية كثيرًا من الصعاب والعناء في عصر سعيد باشا، على الرغم من أنها ظلت تؤدي دورها الاجتماعي، والسياسي، والترفيهي، والتثقيفي على أكمل وجه منذ نشأتها في عهد محمد علي باشا، فقد تعطل صدور الوقائع المصرية سنة على وجه التقريب من يوليه ١٨٦١م إلى ١٩ أغسطس ١٨٦٢م، إلى أن أعاد عبد الرحمن رشدي إصدارها بعد إهداء مطبعة بولاق له، فأشرف على إصدارها حتى عام ١٨٦٥م حين انتقلت المطبعة إلى ملكية الدائرة السنية. والتجديد الوحيد الذي يجدر الإشارة إليه هو أن الوقائع صدرت في عهد سعيد باشا في نسختين نسخة عربية وأخرى تركية.

الوقائع المصرية في عهد الخديوي إسماعيل

تولى إسماعيل حكم مصر في مستهل عام ١٨٦٣م، وبقي منصرفًا عن جريدة الحكومة الرسمية إلى الخامس والعشرين من نوفمبر سنة ١٨٦٥م حين بدأ يهتم بأمرها ويضع لها القواعد والنظم.

شهدت الحياة المصرية تغييرات عميقة وجذرية خلال حكم الخديوي إسماعيل، الذي امتد نحو ستة عشر عامًا. فأهم الآثار التي خلفتها فترة حكم الخديوي إسماعيل تتمثل في ذلك التطور الكبير التي شهدته الصحافة المصرية، مما دفع بعض مؤرخي الصحافة المصرية إلى إطلاق اسم "الطور الإسماعيلي" على هذه المرحلة من مراحل تطور الصحافة، حيث أعادت إصدار الوقائع المصرية في الثاني والعشرين من نوفمبر ١٨٦٥م. ومما هو جدير بالملاحظة هو الترابط بين فكر محمد علي في إصدار الوقائع المصرية واتجاه إسماعيل إلى الاعتناء بها وإعادة إصدارها مرة أخرى، فالهدف في كلتا الحالتين هو خدمة النظام الإداري القائم.

أعد عبد الرحمن رشدي بك الأسباب لإصدار الجريدة "لحسابه" كما جاء في منشور الحكومة لجميع أجهزتها وفروعها التي كتبت لها المعية بعد موافقة "الأعتاب العالية العلية" على ذلك وأصبحت الوقائع المصرية أو روزنامة وقايع مصرية كما سماها صاحبها جريدة شبه رسمية بُدئ بنشرها في النصف الثاني من شهر شعبان سنة ١٢٧٩هـ /فبراير سنة ١٨٦٣م وبقيت تصدر حتى الثالث من رجب ١٢٨٢هـ/الثاني والعشرين من نوفمبر١٨٦٥م، إذ التفتت إليها الحكومة، فأمرالخديوي إسماعيل بإصدار الوقائع على نفقة الحكومة لتستعيد مكانتها الأولى في الحياة المصرية، فقد كتب الخديوي إسماعيل إلى ناظر المالية "إن من المسلم به أن للجرائد منافع ومحسنات عند الأهالي ولدى الحكومة ولذلك فإنني أرغب في إدخال جريدة الوقائع المصرية في عداد الجرائد المعتبرة، فكاشفت برغبتي هذه صاحب السعادة ناظر الداخلية والخارجية شريف باشا وسعادة كاتبنا الخاص خيري بك وأمرتهم بإجراء ما يلزم لتحقيق هذه الغاية".

في الثاني والعشرين من نوفمبر سنة ١٨٦٥م صدر أمر بترتيب قلم الوقائع المصرية، بحيث أصبح لهذا القلم مدير ومحرر عربي بالإضافة إلى محررين للغتين العربية والتركية، ومترجمين، وكتبة، ومبيضين، وموزعين، وسعاة، وقد بلغت مرتبات هؤلاء جميعًا ومن بينهم مدير القلم والمحرر الأول للغة العربية تسعة آلاف وثمانمائة وخمسون قرشًا في كل شهر، واحتوت "وثيقة التنظيم"على جعل قلم جريدة الوقائع مستقلًا.

اتسعت أعمال الوقائع اتساعًا لم تعهده من قبل، وصدر قرار من المجلس المخصوص في التاسع من جمادى الأولى سنة ١٢٨٥هـ /الثامن والعشرين من أغسطس سنة ١٨٦٨م باعتبار قلم الوقائع إدارة مستقلة لها شخصيتها الاعتبارية في أعمال الحكومة، واستدعى ذلك زيادة في عدد الموظفين.

ينبغي أن نذكر في مجال تعرضنا لتاريخ الوقائع بعض الحقائق الثابتة وهي أنها بدأت في أول الأمر تستمد حياتها من مطبعة بولاق حيث كانت جزءًا منها، ثم نقلت إلى إشراف ديوان المدارس، ثم أخذت تتخلص شيئًا فشيئًا من تأثير ذلك الديوان حتى مُنحت في سنة ١٢٨٥هـ نوعًا من الاستقلال، وكانت إلى ذلك تتلقى المقالات والأخبار في أول عهدها من

موظفي الحكومة سواءً من الأجانب أو الأتراك أو المصريين، فلما تولى الخديوي إسماعيل عرش البلاد، نظَّم لها محررين ممتازين في اللغتين التركية والعربية وعين ناظرًا خاصًا بها هو راسخ أفندي، على أن هذا الاستقلال الإداري الذي منحه لها المجلس المخصوص لم يمنع رقابة الخديوي عليها أو رقابة وزرائه وكبار رجال دولته في أخبارها ومقالاتها وشكلها وكل ما له اتصال بترتيبها وتبويبها وطبعها.

صدر العدد الأول من الوقائع المصرية في أيام الخديوي إسماعيل في الخامس والعشرين من نوفمبر سنة ١٨٦٥م في صورة غير معهودة ولا معروفة فهي في حجمها أطول كثيرًا من عهد البداية بلغ طولها ٨، ٤٦ سنتيمترًا، في حين كان عرضها ٣، ٣١ سنتيمترًا، وأصبح شكلها جميلاً وورقها ناصع البياض، وظهر اسمها واضحًا كبيرًا في رأس صفحاتها الأولى وقلت فيها الأخطاء المطبعية وأكملت حروفها الناقصة التي عاشت بدونها فترة من الزمن كالهمزات.

ظهر العدد الأول تتصدره الافتتاحية تحت عنوان جديد احتل النهر الأول في جميع أعدادها هو "حوادث داخلية" ويعتبر المقال الأول الذي حمله العدد المذكور برنامجًا رُسِم للوقائع تسير عليه في خطتها الجديدة. وقد كانت الصورة التركية مطابقة تمام المطابقة للصورة العربية من حيث الشكل والموضوع معًا، وقد قام على تحريرها وتنظيمها بعض المسئولين، كان من أهمهم راسخ أفندي مدير القلم وزميلان له أحدهما حسين حليم أفندي والثاني مصطفي رسمي أفندي، وهما موظفان قديمان في قلم الوقائع، قاما على خدمتها منذ تولى أمورها عبد الرحمن بك رشدي، حيث أمر بتعيينهم الخديوي إسماعيل في ١٨ يونيو ١٨٦٣م.

الوقائع في عهد الإمام محمد عبده

كان الشيخ محمد عبده (شكل١٣٩) قبل تعيينه بالوقائع المصرية أديبًا ذا شهرة وصيت ذائعين في الأدب والاجتماع. تتلمذ على يد السيد جمال الدين الأفغاني، ونشر بعض مقالات في جريدة مصر التي كانت تطبع في الإسكندرية تأييدًا لأفكار جمال الدين الأفغاني،على أنه كان كاتبًا معروفًا قبل ذلك أيضًا.

فقد نشرت له الأهرام في سنتها الأولى مقالات عديدة مهرها بإمضائه وقدّمت له الجريدة بما يليق به من مهابة واحترام. فهو أديب معروف في زمن ندرت فيه الأقلام، حيث كان له اتجاه قوي نحو المسائل الاجتماعية ودراستها.

تولى الشيخ محمد عبده رئاسة الوقائع المصرية ابتداء من العدد ٩٣٣ الصادر في التاسع من أكتوبر سنة ١٨٨٠م وأصبحت منذ ذلك التاريخ جريدة رسمية يومية تصدر في كل يوم ما عدا يوم الجمعة، كما أنها استقلت بشئونها جميعًا فأضحت ذات مطبعة خاصة غير مطبعة بولاق هي "مطبعة الداخلية الجليلة" وزاد ثمنها زيادة طفيفة قالت عنها الجريدة إنها قيمة زهيدة.

كتب الشيخ محمد عبده افتتاحية العدد المذكور بعنوان: "**دخول جريدة الوقائع المصرية في طراز جديد**" وهي دستور جديد للوقائع. ثم عقب على ذلك بنشر أهم مواد اللائحة وتنحصر في البنود التالية:

البند الأول: ستنشر الجريدة أخبار الدواوين والنظارات (الوزارات) بدون استثناء في جميع فروعها وأقلامها، وأن هذه الجهات قد أُلْزِمت بإرسال هذه الأخبار بانتظام بما في ذلك أخبار فصل الموظفين وتنصيبهم والأسباب التي أوجبت ذلك.



(شكل١٣٩) الإمام محمد عبده

البند الثاني: وظيفة هذه الجريدة هي المقارنة بين الدواوين والمديريات فهي شاهد عدل على أعمالهم حتى تهتم كل جهة بشئونها.

البند الثالث: تنقسم الجريدة إلى أقسام: قسم للأوامر الكريمة وقرارات مجلس النظار وخطاباته المهمة، والثاني للنظارات العليا ومنشوراتها وسائر مهماتها مع تمييز كل ديوان بعنوانه الخاص، والثالث للمديريات والمراكز، والرابع قرارات المجالس والمحاكم بأنواعها، والخامس للعلوم والآداب بأنواعها تحت عنوان "فنون متنوعة".

البند الرابع: ليس لمحرر الجريدة الحكومية أن يمتدح من يشاء، بل إن هذا محظور، ثم إن الموظفين يُذكرون بأسمائهم وألقابهم الرسمية، وأعمالهم وآثارهم الصحيحة، وليس لمحرر أن يغير في المقالات المرسلة من الخارج وإذا وجد بها نقصًا أرسلها لصاحبها ليصلح أخطاءها، وإذا استهانت الصحف الأهلية وتجاوزت فيما بينها في جدالها حدود الأدب وتدخلت في الأحوال الشخصية المخلة بالآداب العمومية كان لإدارة المطبوعات أن تفصل بين هذه الجرائد المتجادلة.

هذا مجمل لبرنامج الوقائع واللائحة التي سارت بمقتضاها، وقد نشرنا أهم بنودها لنحدد الأغراض التي من أجلها صدرت اللائحة والاتجاهات التي قصدها الشيخ منها.

في الحقيقة فإن الوقائع المصرية لعبت دورًا خطيرًا في الحياة العامة المصرية في عهد الأستاذ الإمام، إذ بادر الرجل إلى توسيع ميدان نفوذها فكان ينقد ما كان يراه مستحقًا للنقد فيما يقدم إليه من تقارير المصالح وأحكام المحاكم، ولم يكن نقده مقصورًا على الشكل بل كان يتناول أعمال المصالح المختلفة وقراراتها، وقد خلق هذا النشر والنقد في الموظفين اهتمامًا صادقًا فأدى ذلك كله إلى إصلاح أعمال الحكومة ومصالحها شيئًا فشيئًا.

مجمل القول في أسلوب الوقائع المصرية في عهد الأستاذ الإمام الذي يسجل الصدر الأول من عهد توفيق، أنه تخلص من السجع البغيض، كما أن المقالة بمعناها المفهوم ظهرت واضحة فيها، وقد تخلصت اللغة العربية من الضعف الذي ألم بها على صفحاتها فيما مضي، وعنيت بالألفاظ الصحيحة، ففرغت من برلمانتو وعرفت لفظ برلمان، وتخلصت من بولوتيقة التي أصبحت سياسة، وقلما كانت تذكر لفظ جنتلمان إذ عربها الكاتب في ألفاظ شتى، وفهمت كلمة (وزير) واستعملت بدلاً من ناظر وخاصة إن جاءت في الأخبار الخارجية. لكن في العهد الأخير لرئاسة الشيخ محمد عبده حُرِمَت الجريدة من المقالات الأدبية والاجتماعية نظرًا للاضطراب السياسي الذي شمل مصر في ذلك الوقت، وأصبحت الوقائع بكل صفحاتها وقفًا على الأمور العسكرية وأخبارها، تكتب المقالات في حث المواطنين على الانخراط في سلك الجيش وما إلى ذلك من تنقلات الوحدات حتى أصبحت جريدة عسكرية خالصة.

عُزل الإمام محمد عبده من رئاسة التحرير وسجن عقب دخول الإنجليز مصر وشغل مكانه تلميذه وصديقه الأستاذ عبد الكريم سلمان وظل قائمًا على تحريرها حتى شغل وظائف أخرى، وفي عهده بدأت الوقائع تأخذ طريقها رويدًا ثم حثيثًا إلى عهدها الأول بل إنها في عهد الاحتلال الإنجليزي وفي العصر الحديث اقتصرت على الأخبار الحكومية، وقراراتها، وقوانينها، ولوائحها ولم يعد لها أثر في حياة الأمة المصرية.

الوقائع المصرية من سنة ١٨٨٢م إلى الوقت الحالي

عانت الوقائع المصرية في تاريخها الحافل باضطراب في حياتها تقلبت في أعطافه بين الصعود والهبوط، وشهدت من الحوادث والتغير ما لم تشهده جريدة حكومية أخرى فقد بدأت الوقائع كصحيفة رسمية لنشر اللوائح والأوامر والقوانين، ثم تطرقت من هذه الرسمية المطلقة إلى التماس ما يحبب الناس فيها ويدعوهم إليها، فنشرت قليلاً من الأخبار العامة وبعض فصول من الأدب القديم، ثم أضافت بعد قليل مقالات في السياسة الخارجية والداخلية حتى بلغت منزلة رفيعة بين الصحافة المصرية المعاصرة جميعًا سواء في الإدارة أو في التحرير وكان ذلك ختام عهد لا يجوز أن تكون عليه جريدة رسمية.

احتجبت الوقائع المصرية بدءًا من العاشر من يوليه إلى الحادي والعشرين من سبتمبر سنة ١٨٨٢م وهي فترة من أدق فترات الحياة المصرية آنذاك، ثم بدأت تظهر من جديد وهي تغلب عليها الصفة الرسمية قبل كل شيء وهي تصور، في أول عدد ظهر منها عقب فشل الثورة العرابية، روح الحكومة ومظاهر تغيرها، فقد فرغت من مقالة الإمام محمد عبده، ومهرها كرئيس للتحرير الشيخ عبد الكريم سلمان ونشرت مقالاً عنيفًا منددة بعرابي وشيعته ثم نشرت الأوامر الجديدة التي تتصل بتكوين اللجان لمعاقبة قادة الثورة وأنصارها.

قادها الشيخ عبد الكريم سلمان عقب الثورة مباشرة وهو أحد أولئك الذين استعان بهم الشيخ محمد عبده من الانقلاب الذي حدث في الجريدة الرسمية ابتداء في سنة ١٨٨٠م.

ابتداءً من أول يوليه سنة ١٨٨٤م، لا نجد جديدًا في الوقائع المصرية زهاء تسعة عشر شهرًا حتى نشرت في يوم السبت الثالث من يناير سنة ١٨٨٥م تحت عنوان الحوادث الداخلية أن مجلس النظار" قرر في الثاني والعشرين من ديسمبر سنة ١٨٨٤م تعديل إدارة نشر الجرائد الرسمية وهما الوقائع المصرية والمرشد المصري (Le Moniteur Egyptien) من أول يناير سنة ١٨٨٥م على هذا الوجه:

يبدل باسم المرشد المصري اسم : (جريدة الحكومة المصرية الرسمية) أما اسم الوقائع فيبقى على ما هو عليه ويكونان من الآن فصاعدًا في إدارة واحدة تابعة لنظارة الداخلية وبدلاً من صدورها كل يوم يكون في ثلاثة أيام فقط من كل أسبوع وهي أيام السبت والاثنين والأربعاء فيما عدا أيام الأعياد، وأن تكون قيمة الاشتراك في كل واحدة من الجريدتين مائة قرش عن سنة، وستين قرشًا عن نصفها وهذه القيمة تدفع مقدمًا.

ويجب إرسال جميع المواد الرسمية التي يراد نشرها في الجريدتين من أول يناير سنة ١٨٨٥م إلى إدارتهما بنظارة الداخلية، وقد نفذ هذا القرار من أول هذا الأسبوع ثم أحضرت مطبعة الوقائع إلى نظارة المالية، واتفق على أن يجعل عددها هذا أول عدد إلى نهاية هذه السنة، ثم في كل سنة يبدأ بالعدد من الواحد إلى نهاية ما يصل إليه فيكون لكل عام أعداد مخصوصة به، ثم إن هذه الجريدة ستكون على هذا الحجم وإذا اقتضى الأمر في بعض أحوال زيادة ما يراد نشره فيها فانه يزاد في صفحاتها فيطبع صفحتان أو ثلاث على حسب مقتضيات الأحوال.

صدرت الوقائع المصرية بناء على هذا القرار في حجم صغير كحجم مجلاتنا الأسبوعية المعاصرة بحروف صغيرة في أربع صفحات في أكثر أعدادها وإن بلغ عدد صفحات



(يوم الاثنين ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٠٨ — الموافق ٥ يناير سنة ١٨٩١)

الوقائع المصرية

جريدة رسمية

تصدر في أيام السبت والاثنين والأربعاء من كل أسبوع ما عدا أيام الأعياد والمواسم

ثمن كل نسخة منها: قرش واحد

القسم الرسمي

نظارة الداخلية

مجلس شورى القوانين

نظارة الداخلية

(شكل ١٤٠) جريدة الوقائع المصرية، تعود إلى عام ١٨٩١م، أي عهد الخديوي توفيق، نلاحظ أن شعار الجريدة أعلى الصفحة الرئيسية قد أصبح التاج الملكي وبداخله علم المملكة المصرية آنذاك – الهلال والثلاثة نجوم–، وقد نوه عن أيام صدورها، وكذلك ضمت إعلانات تجارية على يمين ويسار العنوان.

بعض أعدادها اثنتي عشرة صفحة. ودأبت على نشر نزهات الخديوي وتنقلاته ولم ينشر اسم محررها في نهاية الصفحات كما هو معتاد من قبل ونشر مكان الطبع فقط "طبعت بمطبعة نظارة المالية" ثم "طبعت بمطبعة المالية التابعة للمطبعة الأهلية" في أعداد أخرى، وقسمت موضوعاتها إلى قسمين رئيسيين قسم رسمي وهو يضم الأوامر والقرارات وقسم غير رسمي وهو عبارة عن تنقلات الخديوي ومقابلاته وحوادث الشرطة ثم أضيف إلى هذين القسمين قسم غير مهم وهو يخص" المراسلات السياسية " وهي برقيات صدرت عن هافاس أولاً ثم رويتر ثانيًا وكلها عن حوادث وقعت في العواصم الأوروبية الكبرى، ونشرت أخيرًا في جزء صغير من صفحاتها مزادات وإعلانات رسمية.

وقد اختلف شكل الوقائع المصرية عن شكلها القديم فقد كتب اسمها في مربع جميل تحته تاج في وسطه العلم المصري بهلاله ونجومه الثلاثة منبئة عن مواعيد ظهورها (شكل ١٤٠) وعن يمين اسمها نشرت "تنبيهًا" عن الجهة التي تقدم إليها طلبات الاشتراك وهي إدارة الجريدة بنظارة الداخلية ثم عن أجر الإعلان للسطر الواحد وقد تغير مقداره هنا إذ أصبح ستة قروش في وسط الجريدة وأربعة في الصفحة الرابعة، وكذلك أشار هذا التنبيه إلى ثمن اشتراكها وقد تغير قليلاً إذ زاد اشتراك نصف السنة فأصبح ستين قرشًا ومائة وعشرين

قرشًا عن السنة في خارج الحكومة على حد تعبيرها بما في ذلك أجر البريد وبيعت النسخة منها بقرش واحد.

وبعد بضعة أعوام من سنة ١٨٩٠م بدأت الوقائع المصرية تدخل في طورها الأخير، أي أنها خطت إلى التمتع بصفتها الرسمية الصحيحة فلم نقرأ فيها مقالات.

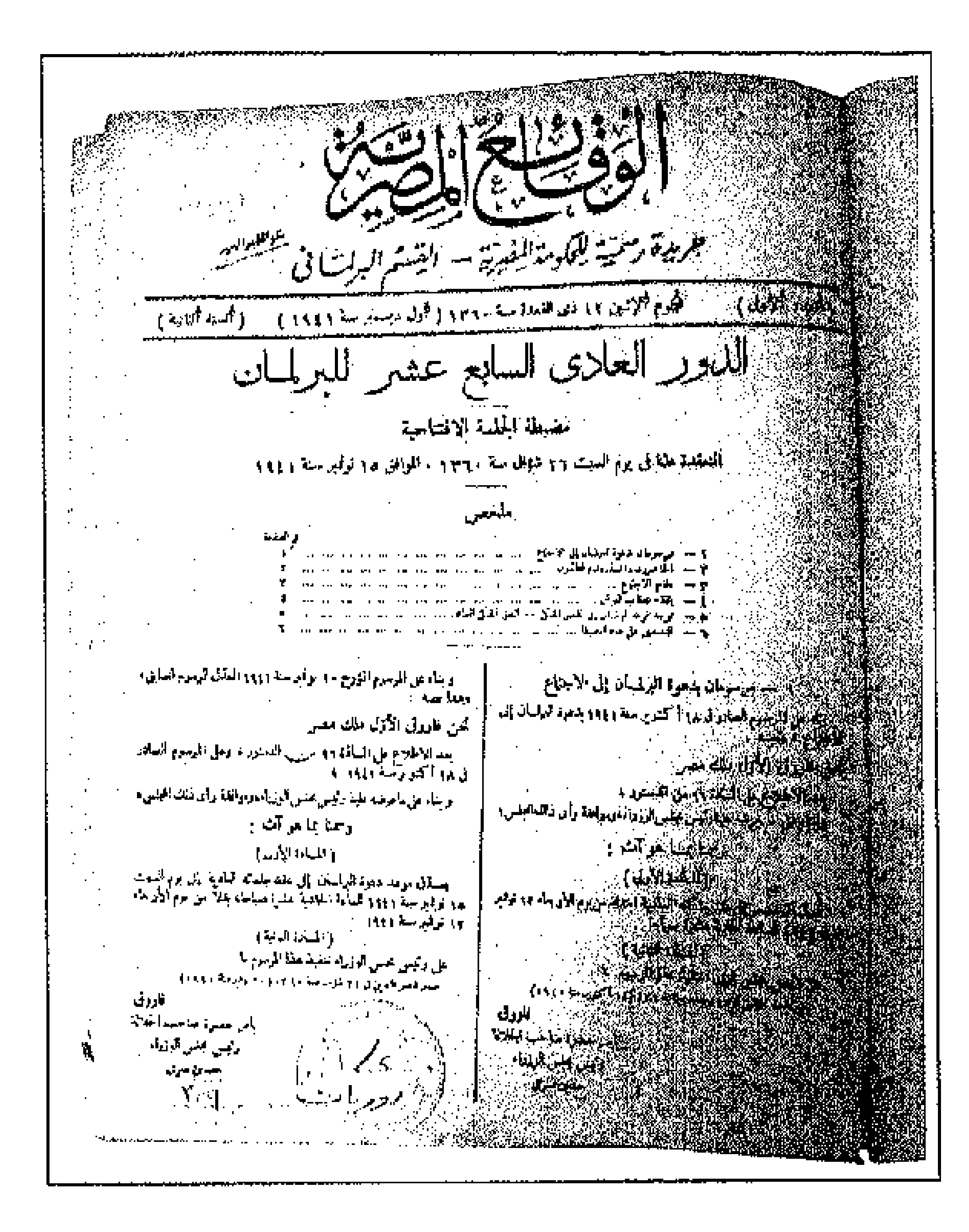
وتغير اسم ناظر المطبعة وأصبح يطلق عليه "مدير المطبعة" وكان إذ ذاك شيلو باشا، الذي لم يكن مديرًا لمطبعة بولاق فحسب بل كان مديرًا للجرائد الرسمية أيضًا، وهي الوقائع وجريدة الحكومة المصرية الرسمية، وأصبح شيلو باشا يمهر أعداد الوقائع حاملاً صفة المدير للمطبعة ولجرائد الدولة الرسمية كما نشرت في نهاية الملاحق التي كانت تصدرها بين حين وآخر عن قرارات أو قوانين "طبع بالمطبعة الأهلية ببولاق مصر المحمية".

الوقائع المصرية – القسم البرلماني[١٥١]

نظرًا لما لوحظ من تضخم عدد صفحات الوقائع المصرية (العربية) تضخمًا هائلاً في السنوات الأخيرة بسبب نشر مضابط مجلسي البرلمان فيها وما يحملها ذلك من خسائر فقد بلغ عدد صفحات العدد ٤٤ الصادر في الخامس والعشرين من إبريل سنة ١٩٤٠م، ٤٤٢ صحيفة، وكما أسلفنا اختصت ستون صحيفة منها بنشر مواد الجريدة الرسمية أما الصحف الباقية وعددها ٣٨٢ صحيفة فكانت ملحقًا بالوقائع لمضابط البرلمان، لذلك اتجهت الرغبة إلى إيجاد حل للاقتصاد في هذا العدد بالاستغناء عن المضابط البرلمانية التي كانت تلحق بالوقائع لأن أعمال هذه المصالح والفروع لا تتصل اتصالاً مباشرًا بالمناقشات البرلمانية، ولكن لما كانت اللائحة الداخلية لمجلسي البرلمان تقتضي نشر المضابط في الوقائع المصرية، ولكي يكون فصل ملاحق المضابط عن الوقائع متمشيًا من الوجهة القانونية مع ما نصت عليه اللائحة الداخلية للمجلسين فقد تقرر نشر المضابط في قسم خاص يسمى " الوقائع المصرية – القسم البرلماني " وصدر أول عدد من "الوقائع المصرية – القسم البرلماني " يوم الخميس الثاني من يناير سنة ١٩٤١م /الموافق الرابع من ذي الحجة سنة ١٣٥٩ هـ ولا يختلف عنوان الصحيفة الأولى في قسم الوقائع إلا أن جملة "جريدة رسمية للحكومة المصرية – القسم البرلماني " التي تكتب تحت " الوقائع المصرية" قد نشرت بالخط الفارسي ليتميز بها هذا القسم عن العدد العادي الذي تكتب فيه هذه الجملة عادة بالخط الثلث ويصدر القسم البرلماني في يومي الاثنين والخميس وهما اليومان نفسهما اللذان تصدر فيهما الوقائع ولا تصدر إلا كلما تجمع عدد من مضابط الجلسات يسمح بإصدار هذا القسم البرلماني (شكل ١٤١)، ومما تقدم يتضح أن الوقائع المصرية (العربية) أصبحت تصدر في قسمين وأصبح هذا المظهر الجديد مميزًا لها عما كانت عليه الوقائع في سائر عصورها منذ إنشائها.

الجريدة الرسمية الفرنسية

تعتبر جريدة الحكومة الرسمية الفرنسية من أخطر الصحف الأجنبية التي عرفتها مصر في القرن التاسع عشر. ومن بين العوامل التي تؤكد فضل الخديوي إسماعيل في إنشاء جريدة



الوقائع المصرية

جريدة رسمية للحكومة المصرية – القسم البرلماني

الدور العادى السابع عشر للبرلمان

مضبطة الجلسة الافتتاحية

ملخص

(شكل١٤١) الوقائع المصرية، القسم البرلماني. يذكر أنه بدء من عام ١٩٤١م تم إصدار القسم البرلماني، الخاص بنشر محاضر جلسات البرلمان، وذلك لضخامة ما ينشر به، كما يلاحظ أن عنوان الجريدة الرسمية "الوقائع المصرية" قد نفذ بخط الثلث، في حين أن العنوان الأصغر حجمًا قد نفذ بالخط الفارسي"

"المرشد المصري Le Moniteur Egyptien " أن كثيرًا من المكاتب العامة تحتفظ بأعداد من هذه الجريدة الفرنسية الرسمية وهي جميعًا صادرة في أيام إسماعيل متحدثة عنه ذاكرة الكثير من أخبار الحكومة معلنة في أكثر أيامها قوانينها ولوائحها ولهذا اقتنع المؤرخون بأن حكومة الخديوي إسماعيل هي أول من أنشأ جريدة فرنسية للدولة المصرية.

على أن التحقيق العلمي يثبت عكس ما درج عليه المؤرخون لتاريخ الصحافة في مصر فجريدة المرشد المصري قد صدرت قبل معرفتنا لها في عصر إسماعيل بأربعين عامًا وذلك في عهد محمد علي الكبير أنشئت باسمها المعروف وللأغراض نفسها التي تميزت بها. صدرت هذه الجريدة كأول جريدة فرنسية في البلاد المصرية سنة ١٨٣٣م أشار إليها يعقوب أرتين باشا في بحثه عن الصحافة المصرية المنشور في مجلة المجمع العلمي المصري دون أن يسميها.

كانت جريدة المرشد المصري تصدر يوم السبت من كل أسبوع، وقد قررت إدارتها أجر الاشتراك فيها ثمانية فرنكات فرنسية عن السنة في مصر وتركيا وموانئ البحر الأبيض المتوسط، وأربعة عن نصف سنة، وتقرر لاشتراكها في بلاد أوروبا أربعة وأربعون فرنكًا، ونصفها لكل ستة أشهر وكان أجر الإعلان فيها قرشًا عن السطر الواحد وقد خرجت في أربع صفحات كل صفحة ضمت ثلاثة أعمدة في طبع أنيق وتبويب جميل وكان يرأسها تحريرها Camille Turles.

بقيت الجريدة شبه رسمية في السنوات الأولى من حياتها ثم تغلبت عليها الصفة الرسمية قبيل الاحتلال مباشرة. ويبدو أن هذه الجريدة كانت تطبع في أول الأمر في مطبعة غير حكومية حينما كانت تصدر شبه رسمية والراجح أنها طبعت فيما بعد في مطبعة الداخلية مع الوقائع المصرية حتى أوائل يوليو سنة ١٨٨٤م حيث قامت مطبعة بولاق بطبع الجريدتين معًا. وفي يوم السبت الثالث من يناير سنة ١٨٨٥م، نشرت الوقائع قرار مجلس النظار الصادر في الثاني والعشرين من ديسمبر سنة ١٨٨٤م بتعديل ونشر جرائد الحكومة الرسمية وهما الوقائع المصرية والمرشد المصري وتغيير اسم الأخير وإطلاق (جريدة الحكومة المصرية الرسمية) عليها بدلاً من اسمها القديم وأن تكون هي والوقائع في إدارة واحدة تابعة لنظارة الداخلية كما أشرنا إلى ذلك في تاريخ الوقائع.

وهناك اختلاف عميق أيضًا بين الوقائع المصرية وبين الجريدة الرسمية في الأنباء الرسمية التي ينشرها كلتاهما، فقلما كنا نقرأ في الوقائع بعد الاحتلال خبرًا عن الحفائر ومتاحف الآثار ومصدر هذا كما نعتقد الرغبة العامة التي تفرض على كل من الجريدتين لونًا خاصًا من الأنباء فالرعايا الأجانب وحدهم يهمهم أن يعرفوا الجديد من أخبار آثار مصر القديمة خلاف ما كان يراه المصريون في ذلك الوقت.

وليس هناك تباين في أسلوب الإعلان الرسمي كما يبدو لنا وإن اعتادت بعض المصالح الحكومية نشر إعلاناتها وقراراتها باللغة الإنجليزية ولا يخفى أن أسباب ذلك تعود إلى تغلغل الروح الإنجليزية في تلك المصلحة ويلفت نظر الباحث ما اعتادت الجريدة الرسمية نشره من الملاحق وهي في أكثرها ملاحق صدرت باللغة الإنجليزية وحدها ومنذ عودة الحياة النيابية في سنة ١٩٢٤م كانت "الجريدة الرسمية" تنشر ترجمة فرنسية حرفية لمضابط المجلسين على شكل ملحق لها إلى عددها الفرنسي رقم ١١ الصادر في الرابع من فبراير سنة ١٩٣٢م، وبعد ذلك وقف نشر هذه الترجمة " بالجريدة الرسمية" وأصبح يخصص لكل دورة برلمانية ملخص واف يقع في عدة مجموعات لم تلحق بالجريدة رغم أنها كانت تطبع بالمطبعة الأميرية.

وفي السابع والعشرين من فبراير سنة ١٩٣٨م رأى مجلس الشيوخ أن يقوم من ناحيته بطبع ملخص مترجم لمضابطه في إحدي المطابع الأهلية وذلك عقب صدور مجموعته التاسعة من السنة المذكورة والتي طبعت بالمطبعة الأميرية. ظلت الوقائع المصرية تؤدي وظيفتها كجريدة رسمية للحكومة تعلن عن أخبار الديوان الملكي المصري حتى قيام ثورة يوليه عام ١٩٥٢م.

لم تصدر الوقائع يوم الثالث والعشرين من يوليه١٩٥٢م لأنه كان يوم الأربعاء بل صدرت في يوم الخميس الرابع والعشرين من يوليه ١٩٥٢م ولم يرد فيها أي شيء خاص بقيام الثورة.

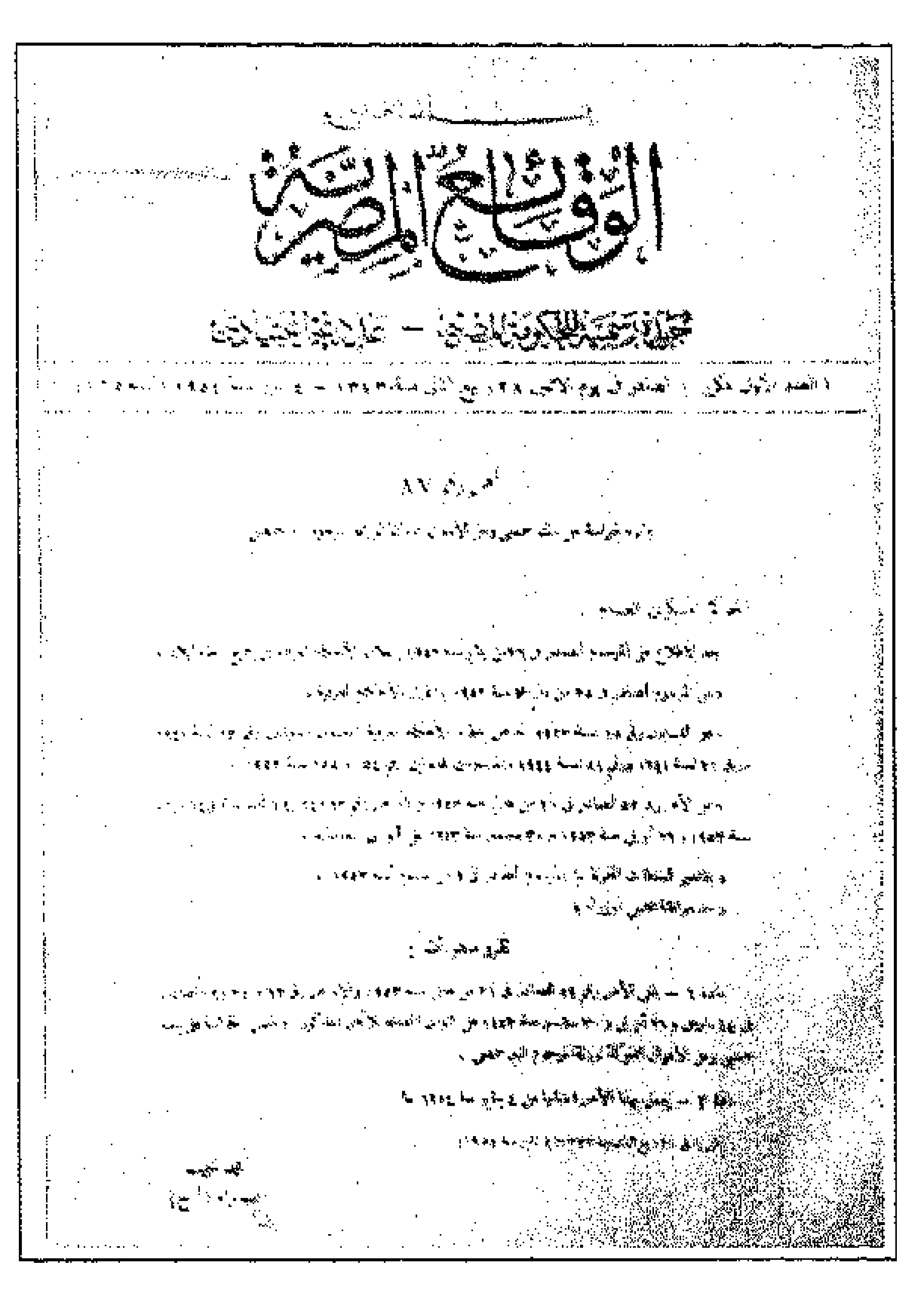
في السادس والعشرين من يوليه ١٩٥٢م صدر عدد غير اعتيادي من الوقائع المصرية يحمل أمرًا ملكيًا بتنازل الملك فاروق عن العرش لولي عهده الأمير أحمد فؤاد (شكل ١٤٢).

توالت الأحداث في مصر يومًا بعد يوم دون أن تتدخل الوقائع المصرية بالرأي أو النقد. ظلت الوقائع المصرية تصدر بالعربية والفرنسية لنشر الأوامر والقرارات الصادرة من مجلس الوزراء في جلساته، بالإضافة إلى ملخصات موجزة للأنظمة السياسية للجمعيات بكافة أنواعها، وكذلك شروط الالتحاق بالمعاهد والمدارس الأميرية ما عدا المطبعة الأميرية والجرائد الرسمية، وكانت تصدر في

ملاحق بمقاس ٣١×٢٤سم. كذلك نشرت الوقائع المصرية القوانين والتشريعات التي أصدرها مجلس قيادة الثورة (شكل ١٤٣).

وابتداءً من العدد ٤ الصادر في السادس عشر من يناير ١٩٥٤م ظهر شعار الجمهورية ومن فوقها "بسم الله الرحمن الرحيم"، ثم ظهرت أعداد الوقائع المصرية لا يطبع في نهايتها اسم الملك أحمد فؤاد الثاني اعتبارًا من العدد ١٣ في الثاني عشر من فبراير ١٩٥٤م (شكل ١٤٤).

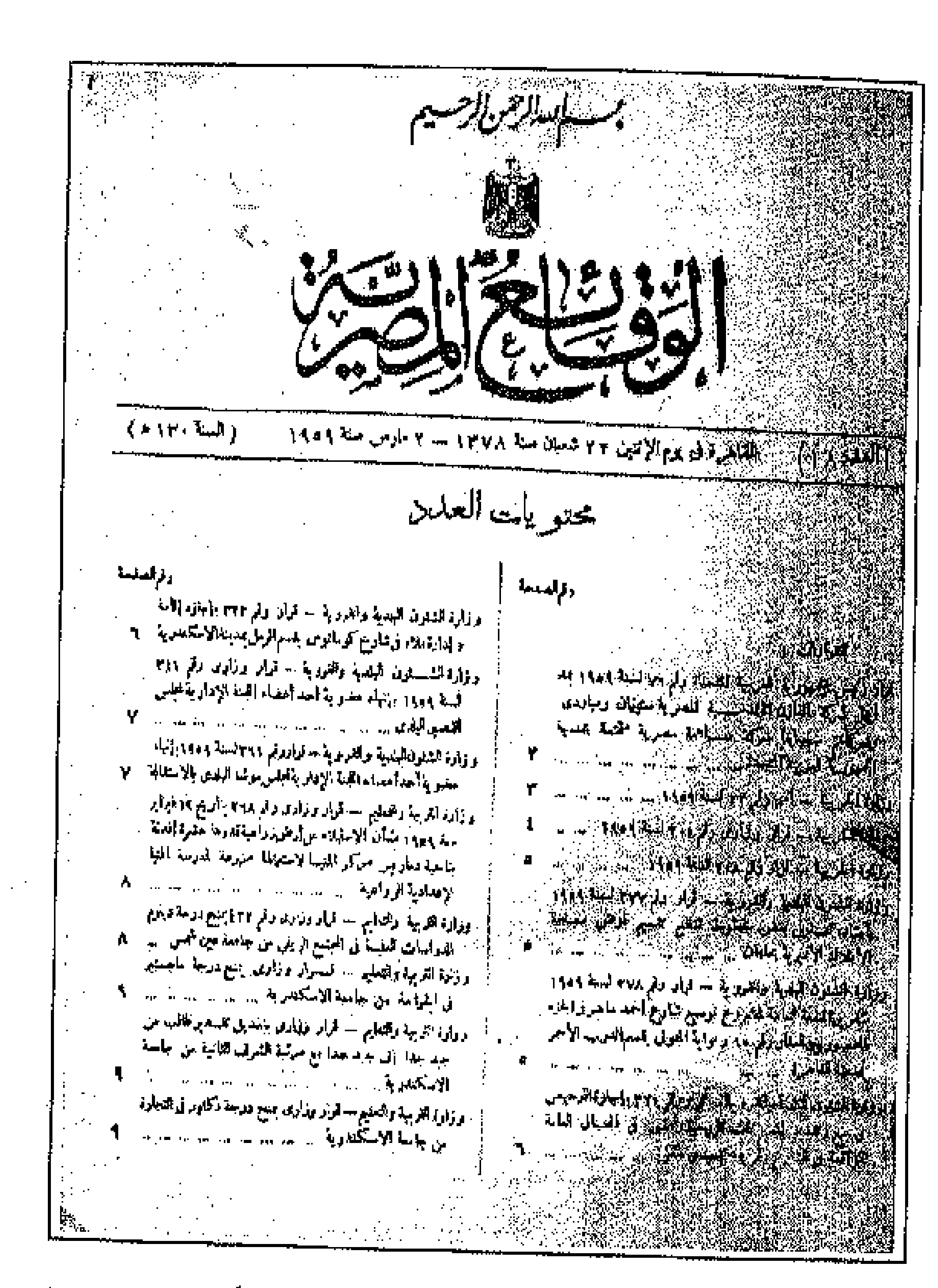
وفي عام ١٩٥٨م اهتمت الدولة اهتمامًا كبيرًا بتنظيم إصدار الجريدة الرسمية، فقد أصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارًا بإصدار "جريدة رسمية" تنشر بها القوانين والقرارات الصادرة من رئيس الجمهورية ونوابه والوزراء، وتصدر يوم الخميس من كل أسبوع، ثم أصبحت تصدر يوميًا بدءًا من ١٩٥٩م (شكل١٤٥)، على أنه في سنة ١٩٦٧م أصدر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قرارًا جمهوريًا بشأن تنظيم إصدار الجريدة الرسمية التي أصبحت تصدر أسبوعيًا وينشر بها القرارات الرسمية والقوانين الصادرة من السيد رئيس الجمهورية ومن السادة نواب رئيس الجمهورية بما يختصون به أو يفوضون فيه. في نفس الوقت يكون للجريدة الرسمية ملحق مستقل باللغتين العربية والفرنسية يسمى "الوقائع المصرية"، وتصدر الوقائع المصرية باللغة العربية يوميًاء في حين تصدر باللغة الفرنسية كل يوم خميس من كل أسبوع. واستمر العمل بهذه القرارات دون تعديل أو تغيير.



الوقائع المصرية

(شكل ١٤٢) عدد غير إعتيادي من الجريدة و يسجل تنازل الملك فاروق عن العرش

(شكل١٤٣) صورة من ملحق الوقائع المصرية، يعود إلى سنة ١٩٤٠م، وهو خاص بنشر أخبار الوزارات.



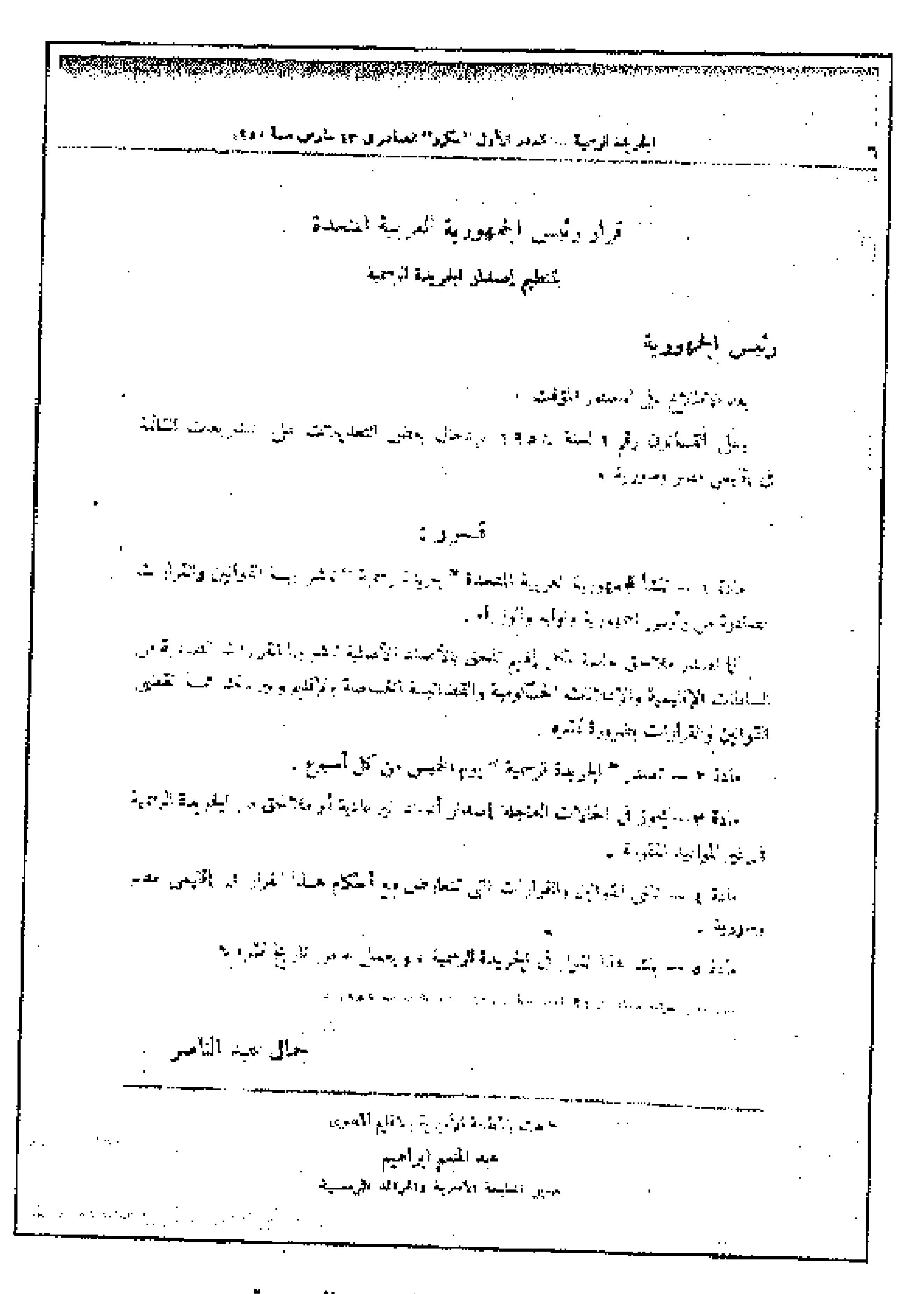
بسم الله الرحمن الرحيم

الوقائع المصرية

(العدد ١) القاهرة في يوم الإثنين ٢٢ شعبان سنة ١٣٧٨ — ٢ مارس سنة ١٩٥٩ (السنة ١٣٠)

محتويات العدد

(شكل١٤٤) جريدة الوقائع المصرية، تعود إلى عام ١٩٥٩م، أي عهد الجمهورية العربية المتحدة -الاتحاد بين مصر وسوريا- حيث نجد أن شعار الجريدة قد تغير إلى أن أصبح النسر ذي النجمتين في الوسط، مع كتابة عبارة "بسم الله الرحمن الرحيم"، مع إضافة صفحة للجريدة وهي صفحة "محتويات العدد"



قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة

بتنظيم إصدار الجريدة الرسمية

رئيس الجمهورية

قرر :

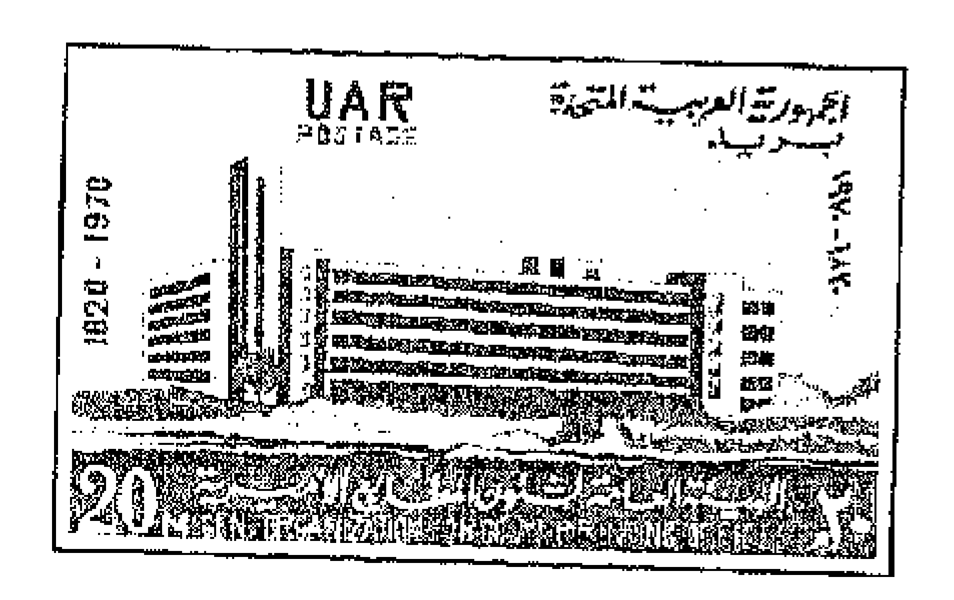
جمال عبد الناصر

(شكل١٤٥) قرار رئيس الجمهورية بإصدار الجريدة الرسمية.

في عام ١٩٨٧م أصدرت هيئة البريد طابعًا تذكاريًا علاوة على النشرة الرسمية التي توزعها على جميع أنحاء العالم والتي أصدرتها باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية[١٥٢](شكل ١٤٦).

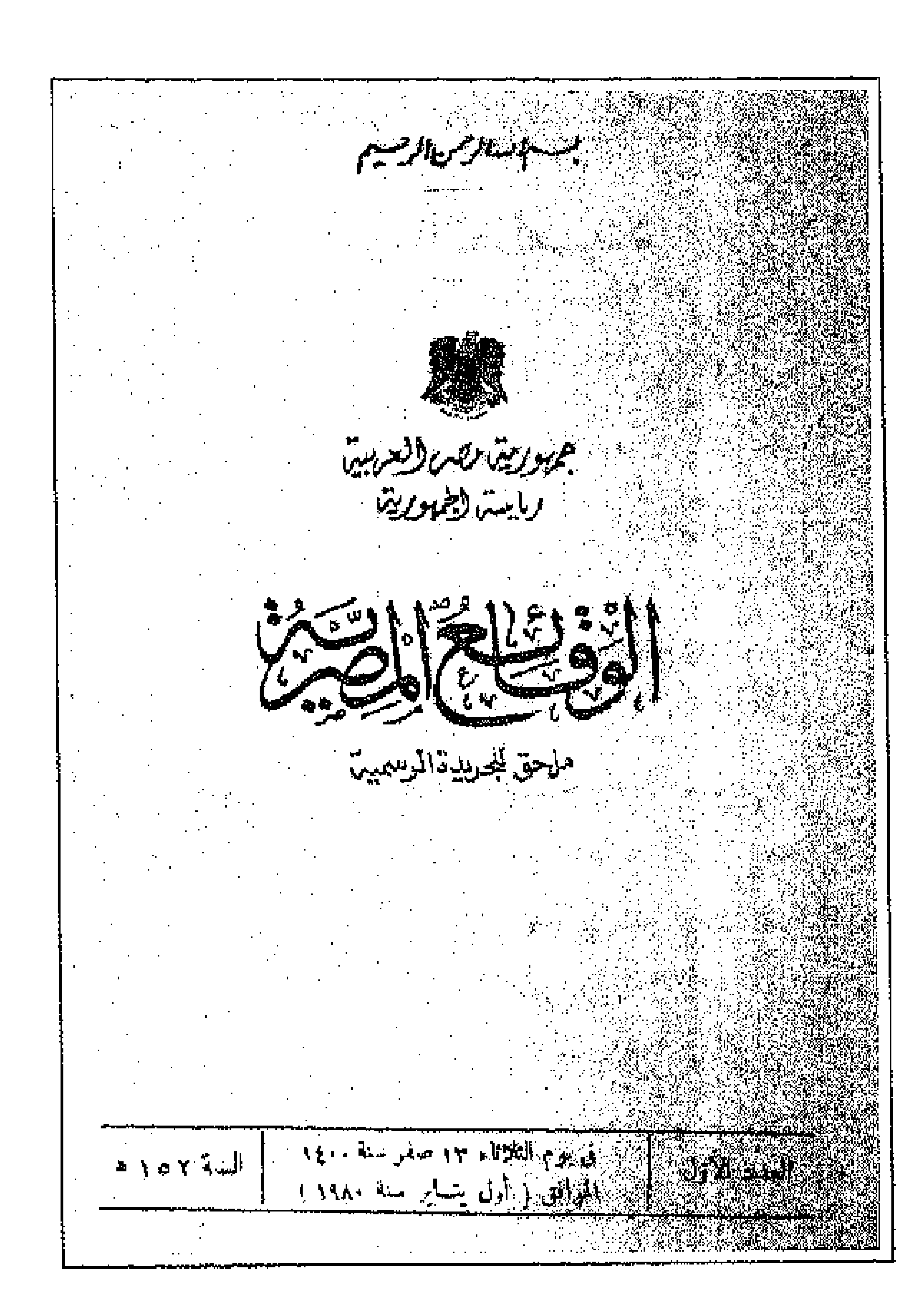
بدءًا من عام ١٩٨٠م تم تغيير مقاس صفحات الجريدة، وأصبح اسم الجريدة الرسمية أو الوقائع المصرية يكتب في صفحة منفصلة في أول العدد بدلاً من كتابته في رأس الصفحة وأصبح يعلوها صقر قريش الذي تغير حاليًا إلى نسر صلاح الدين، وفي داخل العدد نبدأ بالفهرس، أما الوقائع المصرية فكان يكتب تحتها ملحق للجريدة الرسمية (شكل ١٤٧).

في الرابع والعشرين من يناير ١٩٩٥م أصدر الرئيس محمد حسني مبارك قرارًا بإلغاء رسوم النشر التي تحصلها المطابع الأميرية عند إشهار الشركات الاستثمارية والتي تصل هذه الرسوم إلى ما بين ٣٥ و ٥٠ ألف جنيه، وطلب سيادته أن تصدر هيئة الاستثمار



(شكل١٤٦) الطابع التذكاري الذي أصدرته الهيئة العامة للبريد بمناسبة مرور ١٥٠ سنة على تأسيس مطبعة بولاق.

(صحيفة الاستثمار) لتتولى عملية الإشهار طبقًا للقانون[١٥٣]. في الثلاثين من مارس سنة ١٩٩٥م صدر العدد ١٣ (شكل ١٤٨) في شكل جديد وبتصميم رائع لغلافه ففي أعلاه علم جمهورية مصر العربية يتوسطه النسر ويعلوه "بسم الله الرحمن الرحيم" وأسفل منه جمهورية مصر العربية، وتحتها رئاسة الجمهورية، وفي الوسط (الجريدة الرسمية)، وفي أسفل الصفحة مربع على اليمين برقم العدد وعلى اليسار السنة وفي الوسط تاريخ الإصدار (عربي، وميلادي)[١٥٤].


بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية مصر العربية
رياسة الجمهورية

الوقائع المصرية
ملحق للجريدة الرسمية

العدد الأول	في يوم الثلاثاء ١٣ صفر سنة ١٤٠٠ الموافق (أول يناير سنة ١٩٨٠)	السنة ١٥٢ هـ

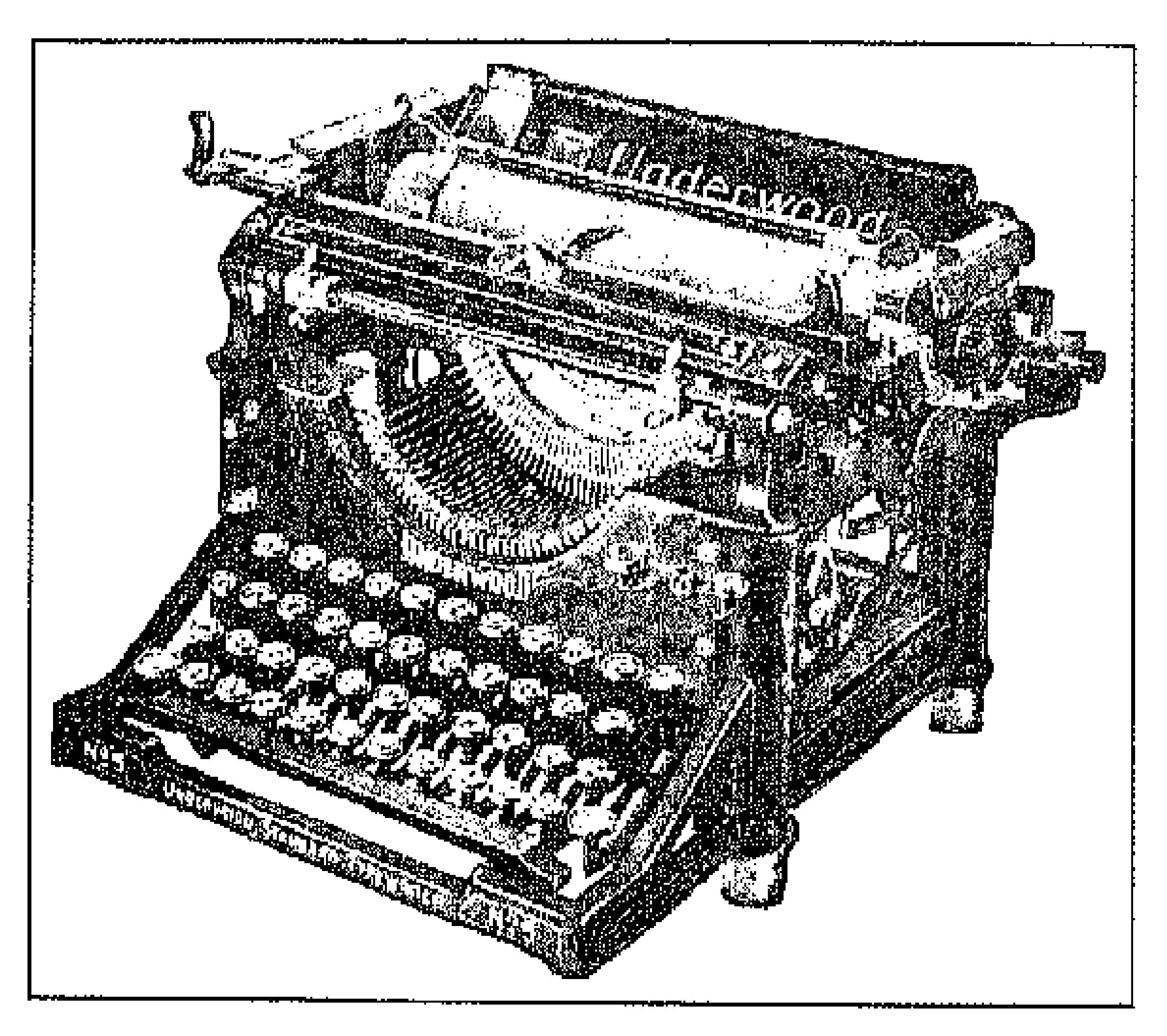
(شكل١٤٧) بدءًا من عام ١٩٨٠م تم تغيير مقاس صفحات الجريدة، وأصبح اسم الجريدة الرسمية أو الوقائع المصرية يكتب في صفحة منفصلة في أول لعدد بدلاً من كتابته في رأس الصفحة وأصبح يعلوها صقر قريش الذي تغير حاليًا إلى نسر صلاح الدين، وفي داخل العدد تبدأ بالفهرس، أما الوقائع المصرية فكان يكتب تحتها ملحق للجريدة الرسمية.

(شكل١٤٨) العدد ١٣ لجريدة الوقائع المصرية

في عام ١٨٧٣م صنعت شركة رمنجتون أول آلة كاتبة (شكل ١٤٩) قادرة على تحمل الخدمة الشاقة.

ولقد أدى التزايد المستمر والمطرد في أحجام المشروعات الصناعية إلى زيادة الحاجة إلى تسجيلات دقيقة جعلت من الآلة الكاتبة – بمعنى آخر الجمع الآلي للحروف–أداة خدمة عالية القيمة وشديدة الأهمية، فلقد أحدثت الآلة الكاتبة إلى جانب كل من ماكينة الجدولة، وآلة تسجيل النقد والهاتف ثورة في مجال الأعمال المكتبية مع نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. ولعل أعظم دلالة اجتماعية على هذه الثورة أنها عجلت بخروج المرأة للعمل وتدفقها على أعمال السكرتارية.

جدير بالذكر أن إحصاء العام ١٨٨١م سجل وجود ٧ آلاف امرأة يعملن في الأعمال الكتابية في إنجلترا وويلز، ثم ارتفع العدد بحلول العام ١٩٠٠م إلى ١٤٦ ألفًا.



(شكل١٤٩) الآلة الكاتبة

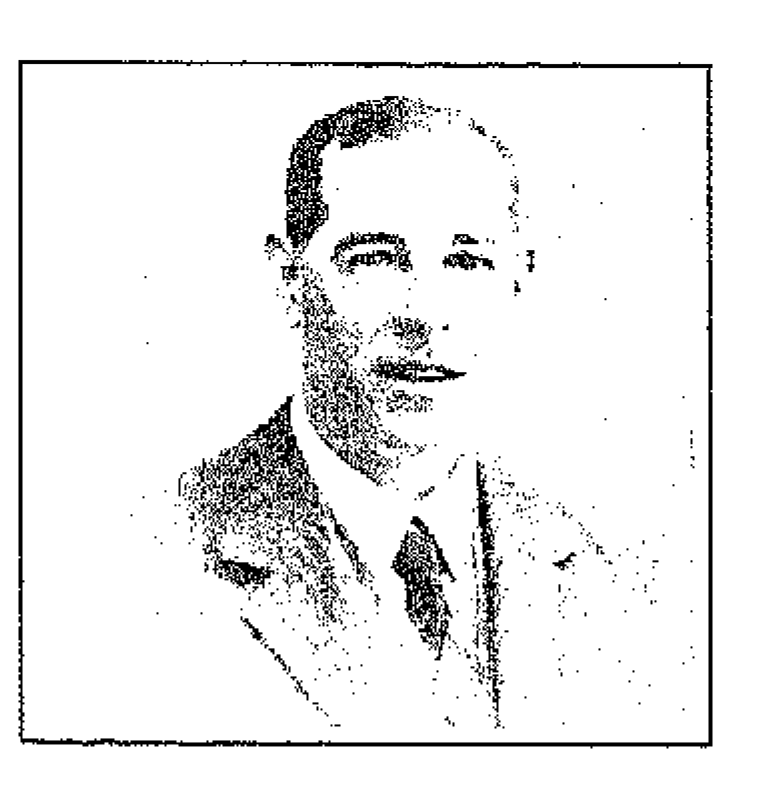
أسماء بعض مديري مطبعة بولاق وتواريخ توليهم
ورؤساء مجالس إدارتها كهيئة عامة منذ عام ١٩٥٦

نيقولا المسابكي ١٨٢١م–١٨٣٠م
عبد الكريم قاسم ١٨٣٠م–١٨٣٣م
أبو القاسم شاهد الكيلاني ١٨٣٣م–١٨٣٥م
فاتح طاغستاني ١٨٣٥م–١٨٤٠م
حسين راتب١٨٤٠م–١٨٤٨م
علي جودت ١٨٤٩م–١٨٦١م
محمد نوحي(أفندي) ١٨٦١م–١٨٦٢م
عبد الرحمن رشدي(بك) ١٨٦٢م–١٨٦٥م
حسين حسني(بك) ١٨٦٥م–١٨٨٠م
علي جودت(بك) ١٨٨١م–١٨٨٢م
حسين حسني(بك) ١٨٨٢م–١٨٨٦م
بانچيه(بك) ١٨٨٦م–١٨٩٤م
الفريد شيلو (باشا) ١٨٩٤م–١٩١١م
وارين.ب.تريلوني ١٩١١م–١٩١٧م
أحمد صادق(بك) ١٩١٧م–١٩٢٠م
جورج نيوتن ١٩٢١م–١٩٢٤م
إميل فورجيه ١٩٢٤م–١٩٢٦م
محمد أمين بهجت(بك) ١٩٢٦م–١٩٢٧م
محمد بكري ١٩٣٧م–١٩٣٨م

محمد أمين بهجت(بك) ١٩٣٨م–١٩٣٨م
محمود زكي ابراهيم (بك) ١٩٣٩م–١٩٤٢م
محمد بكري ١٩٤٢م–١٩٤٤م
حامد خضر ١٩٤٥م–١٩٥٠
محمد يوسف همام ١٩٥٠–١٩٥٢
حسن علي كاليوه(بك) ١٩٥٢م–١٩٥٥م
حسن سعيد الموجي(منتدب) ١٩٥٦م–١٩٥٦م
عبد المنعم إبراهيم كابلي ١٩٥٧م–١٩٥٩م
عبد اللطيف الكردي١٩٦٠م–١٩٦٢م
م/ جمال الدين طنطاوي ١٩٦٢م–١٩٦٥م
م/ عبد الغفار محمد شمس ١٩٦٢م–١٩٦٥م
مسعد متولي محمد ١٩٦٥م–١٩٦٧م
عبد الفتاح أحمد الكليسلي ١٩٦٧م–١٩٧٥م
مسعد متولي محمد ١٩٧٥م–١٩٧٨م
مصطفى حسن علي ١٩٧٨م–١٩٨٠م
عبد الحميد علي عبد الجواد ١٩٨٢م–١٩٨٩م
م/إبراهيم السيد البهنساوي ١٩٨٩م–١٩٩٤م
محمد عبد الله عبد العزيز ١٩٩٤م–٢٠٠٠م
م/ زهير محمد حسب النبي ٢٠٠٠م–حتى الآن




حسين حسني مدير المطبعة من فبراير ١٨٦٥م إلى سبتمبر ١٨٨٠م، ومن أكتوبر ١٨٨٢م إلى مارس ١٨٨٦م.



وارن تريلوني، مدير المطبعة من يونيه ١٩١١م إلى ١٩١٧م.



أحمد صادق بك، مدير المطبعة من إبريل ١٩١٩م إلى إبريل ١٩٢٠.



جورج نيوتن مدير المطبعة من إبريل ١٩٢٠م إلى يناير ١٩٢٤م.



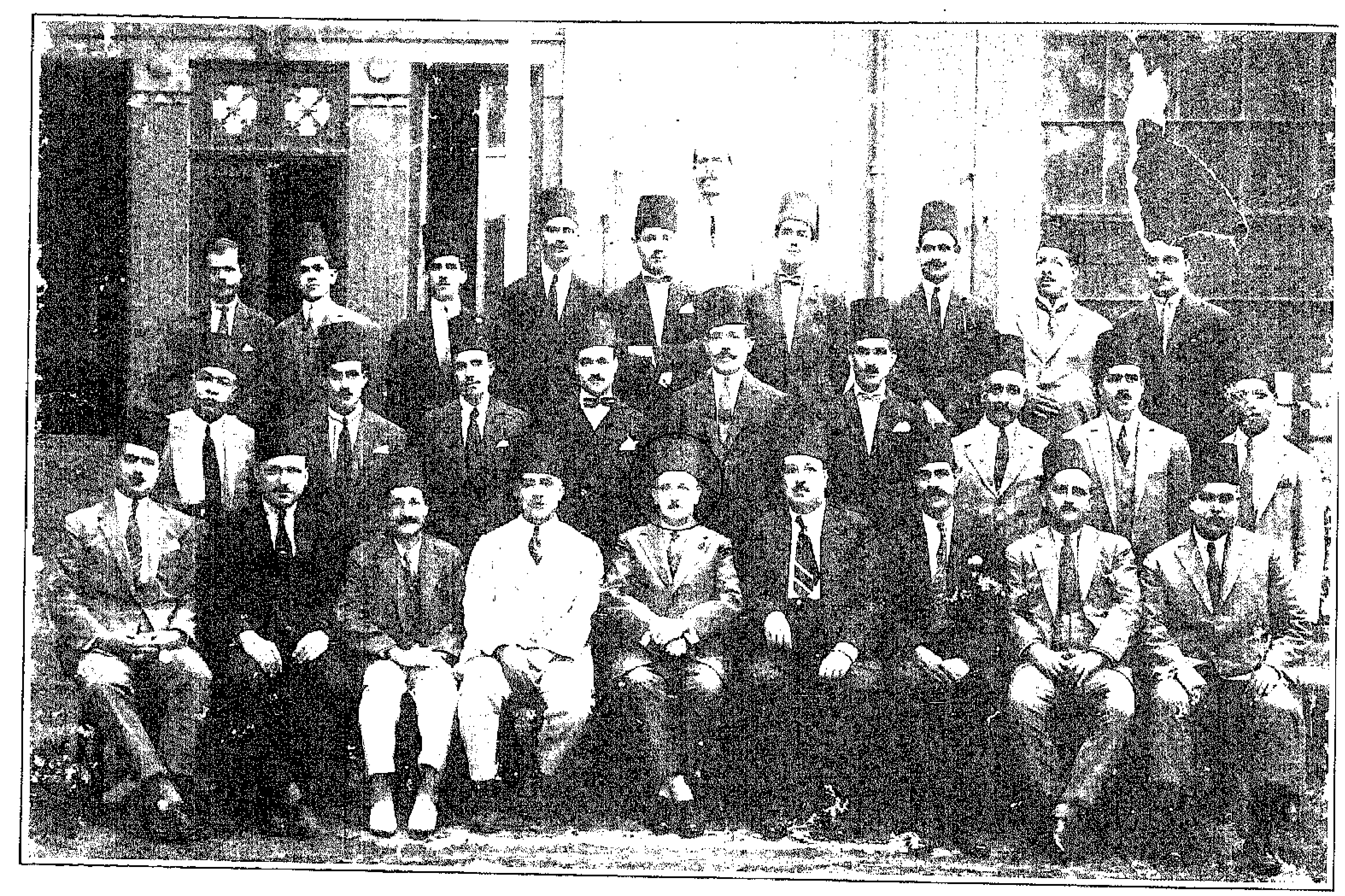
إميل فورجيه مدير المطبعة من فبراير ١٩٢٤م إلى أغسطس ١٩٢٦م.



محمد أمين بهجت بك مدير المطبعة من أغسطس ١٩٢٦م إلى سبتمبر ١٩٣٧م، ومن يناير ١٩٣٨م إلى سبتمبر ١٩٣٨م.



محمود إبراهيم زكي، مدير مطبعة بولاق من يناير ١٩٣٩م إلى أكتوبر ١٩٤٣م.



صورة نادرة تجمع بعض موظفي وعمال المطبعة و يتوسطهم إميل فورجيه، مدير مطبعة بولاق من سنة ١٩٢٤-١٩٢٦.

الخاتمة

وبعد كل ما مضى من حديث حول نشأة الطباعة، وحول مطبعة بولاق ودورها الفاعل الذي قامت به في تاريخ مصر الحديثة، نستطيع أن نوجز الأمر في بساطة شديدة، فنقول إن معرفة مصر للطباعة منذ الحملة الفرنسية، ثم مع اهتمام محمد علي بها وإنشاء مطبعة بولاق– كان ذلك تحولاً كبيرًا أثر في الحياة الفكرية في مصر، بل كان بداية لعهد جديد من الازدهار والتألق تمثل فيه مطبعة بولاق شاهدًا علي بداية مسيرة الإصلاح التي بدأت مع محمد علي ومازالت مستمرة حتى يومنا هذا .

لقد كانت مطبعة بولاق بداية لتاريخ الطباعة في مصر، فما بدأت المطبعة عملها، حتى تلتها مطابع أخرى كثيرة ...وكأن أهل مصر كانوا يبحثون عن باب المعرفة منذ أزمان بعيدة، وكانت مطبعة بولاق هي طاقة النور التي انتظروها طويلاً، فعرفوا من خلالها أن المطبعة هي طريق الخروج من عهود الظلام الطويلة التي رزحوا فيها أزمانًا إلى عهد جديد من الوعي بشرت به طباعة الكتب والصحف التي أخرجتها المطبعة (مطبعة بولاق).

وبذلك، فلم تكن المطبعة (مطبعة بولاق) بداية لتاريخ الطباعة فقط، بل كانت بداية لليقظة الفكرية واللغوية...فمعها بدأت حركتان متوازيتان على نحو ما مر بنا من قبل، الأولى حركة إحياء الكتب القديمة، ومعها كان إحياء الفكر العربي، بالتعرف على نماذجه الرفيعة حيث أخرجت المطبعة أعمال مفكرين وكتاب كبار مثل الجاحظ وابن المقفع وابن خلدون...ودواوين شعراء كبار مثل أبي تمام، والمتنبي، وأبي نواس....وفي كل هذا وجد المهتمون نماذج راقية من الفكر والأسلوب، ومن رهافة الإحساس باللغة، ومن طرائق متنوعة في التعبير...كل هذا ترك أثرًا عميقًا في نفوسهم، أدى إلى نشوء طبقة واعية من الأدباء الذين اكتشفوا زيف الطرق السائدة في الكتابة وأنها تحجب أكثر مما تظهر، بما تنوء به من زخارف متكلفة وتعقيد موروث من عصور الضعف، فحاولوا العودة إلي عصور القوة يستقون منها فكرهم وأساليب التعبير، وهؤلاء كان أثرهم الأكبر في جانب الإحياء اللغوي. أما جانب الإحياء الفكري فكانت الحركة الأخرى هي الأقوى أثرًا فيها، فقد كانت المطبعة إلى جانب إحيائها لكتب الأدب القديم، كانت تطبع كتبًا أخرى يقوم بترجمتها أعلام مصريون يحذقون لغات أخرى غير العربية، وعن طريق الترجمة وردت أفكار جديدة أثرت كثيرًا في تجديد الفكر السائد وقتها. وقد اتحدت هاتان الحركتان–حركة الترجمة، وحركة إحياء القديم–لينشأ عن اتحادهما جماعة من المجددين لاقوا عنادًا شديدًا من أصحاب الثقافة الميتة التي كانت سائدة : ثقافة المتون والشروح والشعر الركيك المعقد، وحساب الجمل – غير أن المطبعة كانت قد قامت بدورها في كشف الزيف، فقد كثرت أعداد النسخ التي تخرجها المطبعة، الذي يترجم بازدياد في أعداد القراء...وانتشرت الصحف كذلك؛ فازداد الوعي، وأصبح سهلاً التمييز بين الجيد والرديء، وطرح الرديء.

لقد صار الفكر حقًا مشاعًا للجميع حيث ألغت المطبعة احتكاره، ووسعت من دائرة التبادل الفكري. وأيضًا اتسعت دائرة التعليم التي ترتبط ارتباطًا مباشرًا بالمطبعة، وقد رأينا هذا الارتباط في تسهيل المطبعة أمر التعليم، وفي ارتباط نشوء الطباعة بمعاهد العلم.

لقد كانت المطبعة بحق هي بوابة العبور التي اجتازت مصر عبرها عصرًا من الظلام والتخلف والضعف في كل جوانب الحياة إلى عصور أخرى تشرق فيها شموس المعرفة والازدهار والقوة في جوانب الحياة المختلفة ...وهذا ما نأمله .

الحواشي

١- C.McMurtrie, D., The Book, the Story of Printing & Bookmaking, Oxford University Press, London, 6th edition, 1960, p. 84

٢- تاريخ الكتاب، القسم الثاني، تأليف الكسندر ستيبتشفيتش، ترجمة د. محمد الأرناؤوط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٣، ص.٨.

٣- C.McMurtrie, D., The Book, the Story of Printing & Bookmaking, p. 87

٤- تاريخ الكتاب، القسم الثاني، مرجع سابق، صـ ٩.

٥- الأسطبة Stupa برج بوذي على شكل هرم أو قبة

٦- كان الشرق مصدرًا لقائمة من السلع الثمينة إلى دوره المهم في نقل هذه السلع الثمينة إلى المستهلكين لها في كل موقع من قارات العالم الثلاث المعروفة آنذاك. وكان المحور العالمي الأكثر أهمية للتجارة الدولية في العالم القديم يمتد من الشرق إلى الغرب وقد نقلت التجارة المتداولة في هذين المحورين على طرق برية وبحرية أطلق عليها بعض الباحثين والأوروبيين مسمى طرق الحرير، نسبة إلى الحرير الصيني الذي كان يعد أنفس سلعة ينقلها التجار على هذه الطرق. كان لطرق الحرير المتجهة من الصين مساران رئيسيان: أحدهما شمالي وهو طريق الحرير البري الذي يبدأ في الصين وينتهي بأوروبا مارًا ببلاد آسيا الوسطى والأناضول حتى ينتهي إلى إنطاكيا على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط حيث يواصل بحرًا إلى ساحل إيطاليا منها يستمر برًا إلى أسبانيا وبلاد أوروبا الغربية. والآخر جنوبي وهو طريق الحرير البحري الذي يبدأ من ميناء كانتون بالصين ويعبر بحار الصين ثم يلتف حول سواحل شبه القارة الهندية ليدخل في البحار المحيطة بالجزيرة العربية حيث يتفرع إلى فرعين أحدهما يتجه شمالاً في مياه الخليج العربي ليصل إلى بلاد فارس وبلاد ما بين النهرين. وفرع آخر يتجه غربًا إلى سواحل اليمن والحبشة ثم يسلك البحر الأحمر ليصل إلى سواحل الحجاز ودول حوض البحر الأبيض المتوسط الواقعة في أوروبا وشمال أفريقيا. وعلى هذه الطرق كانت تنتقل إلى جانب البضائع الثقافات، وأفكار والدعاة، والرحالة والمكتشفون، والمغامرون، والباحثون عن الحقيقة، ولذلك فإن طرق الحرير هي في حقيقتها طرق التجارة الدولية والحوار الحضاري بين الشعوب

٧- أي في الفترة التي كانت فيها مدينة نار عاصمة لليابان في ذلك الوقت

٨- الباغودة Pagoda معبد بوذي يتميز ببرجه المتعدد الأدوار.

٩- Kornickli, The Book in Japan, A Cultural History from the Beginnings to the Nineteenth Century, University of Hawai'i Press, Honolulu, P.,114

انظر أيضًا: C. McMurtrie, D., The Book, the Story of Printing & Bookmaking,p. 85

١٠ - هنري جون مارتان، نشأة الطباعة في الغرب، في تاريخ الكتابة في العالم، تحت إشراف آن ماري كريستان، النسخة العربية، تحرير خالد عزب، مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٥، صـ ٣٤٥:٣٥٢

عن نشأة الطباعة تم الاستعانة بالمراجع التالية:

Natalie Zemon Davis, Printing and the People, Society and Culture in Early Modern France, Stanford University Press, Stanford, 1975

Jack Goody, The Logic of Writing and the Organization of Society, Cambridge University Press, Cambridge, 1986

Brian Stock, The Implications of Literacy, Princeton University Press, Princeton, 1983

١١- محمود عبد الواحد أنور، قصة الورق، المكتبة الثقافية، القاهرة، ١٩٩٨، صـ ٤٣:٤٧، انظر أيضًا سعيد مغاوري، البرديات العربية في مصر الإسلامية، مكتبة الشباب(٤٦) الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٦، صـ ٩٣:١٨٠

١٢- تاريخ الكتابة في العالم، مرجع سابق صـ ٣٥٤

١٣- وهي نفس السنة التي يُعتقد أن جوتنبرج قد ولد فيها في بلدة مايتز، تاريخ الكتاب، القسم الثاني، مرجع سابق، صـ ٧٦.

١٤- تاريخ الكتاب، القسم الثاني، مرجع سابق، صـ ٢٤٩

١٥- تاريخ الكتاب، القسم الثاني، مرجع سابق، صـ ٢٥٠

١٦- شعبان خليفة، اختراع الطباعة بالحروف المتحركة، مجلة الكتاب والنشر، المجلد الأول، العدد الأول، المجلس الأعلى للثقافة، فبراير ٢٠٠٢م، صـ ٥

١٧- شعبان خليفة، مرجع سابق، صـ ٧

١٨- شعبان خليفة، مرجع سابق، صـ ٩

١٩- تاريخ الكتاب، القسم الثاني، مرجع سابق، صـ ٨٣

٢٠- تاريخ الكتاب، القسم الثاني، مرجع سابق، صـ ٨٦

٢١- آر. إيه. بوكانان، الآلة قوة وسلطة، التكنولوجيا والإنسان منذ القرن ١٧ حتى الوقت الحاضر، ترجمة شوقي جلال، عالم المعرفة (٢٥٩) الكويت، ٢٠٠٠، ص١٩٣.

٢٢- تاريخ الكتاب، القسم الثاني، مرجع سابق، صـ ٨٩،٩٠

٢٣- الحروف السيريلية، نسبة إلى المبعوث البيزنطي سيريل Cyril وهي التي بدأت تستعمل للغات السلافية منذ القرن التاسع الميلادي إلى جانب الحروف الجلاجوليتية – وهي لا تزال تستعمل إلى اليوم لكتابة بعض اللغات السلافية (الروسية، البلغارية، الصربية الخ) بينما تكتب بعض اللغات السلافية الأخرى بالحروف اللاتينية.

٢٤- تاريخ الكتاب، القسم الثاني، مرجع سابق، صـ ١١٢

٢٥- Kornickli, P., the book in Japan ,P.89

٢٦- وحيد قدورة ، أوائل المطبوعات العربية في تركيا وبلاد الشام، ندوة تاريخ الطباعة العربية، أبو ظبي، ١٩٩٥، صـ١١١.

٢٧- قاسم السامرائي، الطباعة العربية في أوروبا، ندوة تاريخ الطباعة العربية، أبو ظبي، ١٩٩٥، صـ ٥٥.

٢٨- قاسم السامرائي، مرجع سابق، صـ ٥٦.

٢٩- نزهت سليم، تاريخ الطباعة في تركيا، ترجمة سهيل صابان، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٩٩٣، صـ٩.

٣٠- خليل صابات، تاريخ الطباعة في الشرق العربي، دار المعارف، ١٩٦٦، صـ ٢٣.

٣١- وحيد قدورة ، أوائل المطبوعات العربية في تركيا وبلاد الشام، ندوة تاريخ الطباعة العربية، أبو ظبي، ١٩٩٥، صـ ١١٣

٣٢- من يهود تركيا، كان مدرسًا له مكانته في جامعة استانبول، وقد أصدر كتابه المذكور في استانبول عام ١٩٢٨. انظر نزهت سليم، مرجع سابق، صـ ١٩.

٣٣- نزهت سليم،مرجع سابق صـ١٩، ٢٠.

٣٤- خليل صابات، مرجع سابق صـ ٢٤.

٣٥- وحيد قدورة، مرجع سابق، صـ ١١٥.

٣٦- خليل صابات، مرجع سابق، صـ ٤٧.

٣٧- وحيد قدورة، بداية الطباعة العربية في استانبول وبلاد الشام، تطور المحيط الثقافي (١٧٠٦م-١٧٨٧م)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٩٩٣، صـ ١٧٠-١٧٢.

٣٨- تولى منصب بطريك الكنيسة لمدتين متميزتين، تتلمذ على يدي اليسوعيين بدمشق قبل أن يعين راهبًا في دير قرب بيت المقدس. ثم أصبح مبشرًا في بلاط حاكم فلاشيا لمدة قصيرة، ثم عين بطريركًا على كنيسة أنطاكية للمرة الأولى، وأعلن في ذلك الوقت عن اعتناقه للكاثوليكية أمام المبشرين الفرنسيسكان في سنة ١٦٨٧م، ثم تراجع بعد ذلك في سنة ١٧٢٠م، حيث أصبح أرثوذكسيًا متصلبًا، وحيد قدورة، المرجع السابق، صـ١٧٩، ١٨٠. انظر أيضًا أدلبي، البطريك أثناسيوس الثالث دباس، في نشرية الكنيسة الأرثوذكسية بحلب، ١٩٨٠، صـ ١٠٧-١٣٢.

٣٩- Canivet, R., L'impremerie de l'expédition d'Egypte, Bulletin de l'Institut Egyptien, Série V., tome III, P.2

٤٠- يبدأ التقويم الجمهوري (للثورة الفرنسية) في ٢٢ سبتمبر عام ١٧٩٢، غداة اليوم الذي قررت فيه الجمعية الوطنية إلغاء الملكية في فرنسا، وفيه تنقسم السنة إلى اثني عشر شهرًا، في كل منها ثلاثون يومًا، وهي: Vendémiaire, Brumaire, Frimaire, Nivoise, Pluviôse, Ventôse, Germinal, Floréal, Prairial, Messidor, Thermidor, Fructidor ويلحق بنهاية الشهر الثاني عشر تكملة، وهي أيام النسيء، مدتها خمسة أيام للسنة البسيطة، وستة للسنة الكبيسة.

٤١- ولد في باريس عام ١٧٧٦م، تفوق في دراسته ومنح جوائز عديدة لتفوقه. كان صحفيًا محترفًا، وقد مكنته معرفته باللغة العربية وشئون الشرق وتاريخه، إلى جانب دراسته لفن الطباعة من اختياره ضمن الحملة الفرنسية على مصر.

٤٢- Canivet, R., l'impremerie de l'expédition d'Egypte, P. 3

٤٣- إبراهيم عبده، تاريخ الصحافة في عهد الحملة الفرنسية، ١٧٩٨-١٨٠١، مكتبة الآداب، ١٩٤٩، صـ ٣٦

٤٤- إبراهيم عبده، مرجع سابق، صـ ٣٧

٤٥- Médin أو Médino هي أصغر عملة مصرية في حجم العملة الفرنسية ذات الخمسة وعشرين سنتيمًا ولكنها أقل منها سمكًا وطولها نصف قطرها بخمسة عشر ملليمترًا، وتزن ٧٣ دراخمة أو ٢٢,٧٦ جرامًا من الفضة. يحمل أحد جانبيها اسمها فقط أو اسم السلطان ويحمل الجانب الآخر "ضرب في مصر" والسنة التي ضربت فيها .

٤٦- أبو الفتوح رضوان، تاريخ مطبعة بولاق، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ١٩٥٣، صـ ٢٧:٣٥

٤٧- الوقائع المصرية، العدد ٣٠ الصادر في آخر جمادى الأولى سنة ١٢٤٤هـ/١٨٢٩م.

٤٨- أبو الفتوح رضوان، مرجع سابق، صـ ٣٨

٤٩- حول نشأة حي بولاق وتطوره العمراني انظر:

Nelly Hanna, An Urban History of Bulaq in the Mameluke and Ottoman Periods, Cairo, 1983

سعاد ماهر، القاهرة القديمة وأحياؤها، المكتبة الثقافية (٧٠)، ١٩٦٢، صـ ٦٨:٧٠.

أندريه ريمون، القاهرة– تاريخ حاضرة ، ترجمة لطيف فرج، دار الفكر للدراسات ١٩٩٣م، ٢٤٤:٢٤٧.

٥٠– أبو الفتوح رضوان، مرجع سابق، صـ ٦٦

٥١– تاريخ الهيئة العامة لشئون المطبع الأميرية، القاهرة، ١٩٩٥، صـ ٣٣،٣٤

٥٢– تاريخ الهيئة العامة مرجع سابق صـ ٣٥،٣٦

٥٣– أرسله محمد علي سنة ١٨١٩م لإتقان الفنون الحربية والبحرية، ثم عاد إلى مصر سنة ١٨٢٠م. كان عثمان نور الدين مشغوفًا بالعلم، فنزل منزلة سامية لدي جومار المشرف على نشر أعمال المعهد العلمي المصري، ولما عاد إلى مصر أقنع محمد علي بزيادة عدد البعثات إلى فرنسا، (عمر طوسون، البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الأول وسعيد، مطبعة صلاح الدين، الإسكندرية، ١٩٣٤، صـ ١١)

٥٤– الميرزا سنكلاخ خراساني: يعد الخطاط سنكلاخ خراساني من أعظم خطاطي العصر القاجاري في القرن ١٣هـ/١٩م الذي حظي بشهرة واسعة في العالم الإسلامي، اسمه الأصلي " محمد علي اليجنوردى لقب نفسه باسم سنكلاخ وهى كلمة فارسية تعنى الحجر، وهو ينتمي لإحدى قرى خراسان، وكان في بداية أمره درويشًا عازفًا عن الدنيا، ثم تعلم الخطوط وبرع في خط التعليق، وقد استقدمه محمد علي إلى مصر للعمل في خدمته، وقد حدد عباس العزاوي تاريخ قدومه على مصر بعام ١٨٢١م وهو أن محمد علي قد سمع عن شهرة هذا الخطاط وبراعته فاستقدمه مع غيره من مشاهير الخطاطين للاستعانة بهم في زخرفة عمائره بالخطوط المختلفة. وقد ذكر صاحب المخطوط المشار إليه قصة حضور سنكلاخ إلى مصر، وهى أن محمد علي طلب من سلطان دولة إيران خطاطًا فأرسل إليه السلطان الميرزا سنكلاخ لياقته وحسن خطه من بواكير الأعمال التي كلف بها سنكلاخ في مصر كتابة الحروف بخطه الجميل، بمطبعة بولاق عقب افتتاحها في سنة ١٨٢٢م ومن الجدير بالذكر أن هذه الحروف قد طبع بها ديوان محي الدين بن عربي. ولا نعرف على وجه التحديد تاريخ مغادرة سنكلاخ مصر بصفة نهائية غير أن آخر ما وصلنا من أعماله الفنية يرجع تاريخه إلى عام ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣–١٨٥٤م مما يعني أنه قد عاش في مصر فتره تزيد على اثنين وثلاثين عامًا على أقل تقدير. وكانت وفاة سنكلاخ في عام ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٧م وعلى الرغم من أنه قد عاش ما يقرب من مائة وعشرين عامًا إلا أنه لم يتزوج وأمضى أغلب حياته في السياحة في البلاد العثمانية، ومن أهم مؤلفاته" تذكرة الخطاطين"المسمى بامتحان الفضلاء" طبع في جزأين كبيرين في عام ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م، وطبع مرة أخرى في عام ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م. (محمد علي عبد الحفيظ، دور الجاليات الأجنبية والعربية في مصر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م، صـ ٢٨٣:٣٩٦)

٥٥– آر.ج.راندال ، فن الطباعة، ١٩٢١، المطبعة الأميرية، صـ ١١

نظر أيضًا August, 1922, Cambridge University Press, Cambridge _ The Printing Art, Journ., V. XXXIX, March, 1922

٥٦– الطبع بالحجر(ليثوغراف) يعمل بواسطة ألواح من الحجر أو الزنك الخ، وينقش التصميم المطلوب طبعه بواسطة حبر دهني على سطح من الحجر ذي نعومة ومتانة خاصة، فتلصق الخطوط وتجف على سطح الحجر ثم يعرض الحجر بعد ذلك لتأثير حامض مخفف ليجعل الحبر صلبًا وفي الوقت نفسه يأكل الحامض الحجر فيعمق السطح المعرض ثم يبلل الحجر بالماء فالجزء المعرض يمتص الماء وبعد هذا ينشر الحبر على الحجر بواسطة اسطوانة فتحصل عكس النتيجة لأن الجزء المبلل يطرد الحبر الدهني وبالعكس فالخطوط تجتذب الحبر وتحفظه وباستعمال الضغط ينتقل الحبر إلى السطح المراد الطبع عليه ولذا فان سطح الحجر يقع عليه قوة على جميع أجزائه.

٥٧– ولد أوتمار في مدينة إيزنج التي تقع على نهر اينز في ألمانيا عام ١٨٥٤م، وفي سن الثالثة عشر ظهرت موهبته في الفنون الميكانيكية عندما قام بإصلاح برج ساعة الكنيسة في بلدته. في عام ١٨٧٢م هاجر إلى الولايات المتحدة، وفي عام م١٨٨٢ وضع التصميم الأولي لآلة اللينوتيب، حتى وصل إلى التصميم الحالي في عام ١٨٨٦م.

٥٨– آر.ج. راندال، مرجع سابق، صـ٩٣

٥٩- آر.ج، راندال، مرجع سابق، صـ٥

٦٠- آر.ج، راندال، مرجع سابق، صـ٦

٦١- آر.ج، راندال، مرجع سابق، صـ٧

٦٢- آر.ج، راندال، مرجع سابق، صـ٢٤، ٢٥

٦٣- أبو الفتوح رضوان، مرجع سابق، صـ ٨٨،٨٧

٦٤- يعود ابتكار هذا الخط إلى القرن ٥هـ/١١م وأخذ يتطور خلال القرن ٧هـ/١٣م وكان أهم الخطوط التي نشأت في فارس بعد الفتح الإسلامي " خط الشكسته" كما ابتدع الفرس نوعًا آخر من الخط يعرف بخط التعليق وهو مشتق من الخطوط الرقعة والتوقيع والنسخ. أما النوع الثالث من أنواع الخط الفارسي فهو ما يعرف باسم "النستعليق" وأصلة خط التعليق الذي ابتكره الإيرانيون في القرن ٧هـ/ ١٣م

٦٥- أبو الفتوح رضوان، مرجع سابق، صـ ٨٩،٨٨

٦٦- أبو الفتوح رضوان، مرجع سابق، صـ ٩٠

٦٧- محمد محمود الطناحي، أوائل المطبوعات العربية في مصر، ندوة تاريخ الطباعة العربية، أبو ظبي، ١٩٩٥، صـ ٣٧٢،٣٧١

٦٨- أبو الفتوح رضوان مرجع سابق صـ ١٢٦

Perron a Mohl, "Lettre sur les Ecoles et l'imprimerie du Pasha d'Egypte, journal Asiatiuue. Serie 4, tome II, 1843 ,P.5

٦٩- أبو الفتوح رضوان مرجع سابق صـ ١٢٢

٧٠- أبو الفتوح رضوان مرجع سابق صـ ١٥٢:١٥٠

٧١- عمر طوسون، مرجع سابق، صـ٥٣

٧٢- ترتيب بخصوص تنظيم مطبعة بولاق " لعلي بك جودت الذي سبقت الإشارة إليه وهناك شيء من الغموض في فئات الأجور الواردة في هذا الجدول إذ من غير المفهوم أن يكون طبع خمسمائة نسخة من كتاب أقل أجرًا من طبع أربعمائة نسخة وطبع ألف نسخة منه أقل أجرًا من طبع ستمائة نسخة ولعل المقصود أن يزاد ٣٢ قرشًا على أجر طبع الأربعمائة نسخة وهو ٤٥ قرشًا إذا زاد عدد النسخ مائة فأصبحت خمسمائة وهكذا في بقية الحالات.

٧٣- أردنا أن نحتفظ بأسماء الوظائف على أصلها مع ذكر اسم الوظيفة الحديث.

٧٤- الدائرة السنية هي دائرة الأملاك التابعة لأبناء الخديوي إسماعيل، بحيث تكون هذه الأملاك غير تابعة لأملاك الدولة.

٧٥- عملة نقدية.

٧٦- ورد اسم هذا الخطاط في بيتين من الشعر نُظما في وصف هذه القاعدة وطُبعا بها كنموذج لها في الكتيب الذي أعدته المطبعة بمناسبة عرض مطبوعاتها في "السركي العمومي" أي المعرض العام الذي أقيم بمدينة ڤيينا (١٨٧٣م):

وقاعدة تقول لصنع "حسني" حويت اللطف في صور دقيقة

ولو أن التلغراف ابن أمي لرحت إلى "ويانة" في دقيقة

والكتيب ليس له عنوان ولا عليه تاريخ طبع وإن كان يحدد تاريخه تاريخ معرض فيينا وهو يشتمل على مقالة باللغة العربية في تعداد جوانب نشاط المطبعة ومزايا إقامة المعارض، ثم نماذج من كل القواعد أو حروف الطبع الموجودة بالمطبعة كل قاعدة موصوفة في بيتين من الشعر لتصويرها قائمة ببعض مطبوعات بولاق في عهد الدائرة السنية، ثم ترجمة ذلك كله ما عدا قائمة المطبوعات باللغة التركية وفي الكتاب ثلاث وثلاثون صحيفة في القسم العربي وثلاث عشرة صحيفة في القسم التركي وهو نادر الوجود.

٧٧- حساب الجمل: القيمة العددية للحروف العربية هي: أ=١، ب=٢، ج=٣، د=٤، هـ=٥، و=٦، ز=٧، ح=٨، ط=٩، ي=١٠، ك=٢٠، ل=٣٠، م=٤٠، ن=٥٠، ص=٦٠، ع=٧٠، ف=٨٠، س=٩٠، ق=١٠٠، ر=٢٠٠، ش=٣٠٠، ت=٤٠٠، ث=٥٠٠، غ=٦٠٠، ذ=٧٠٠، ص=٨٠٠، ظ=٩٠٠، غ=١٠٠٠، (محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة،١٩٨٧، صـ ١٨٨).

٧٨- القاعدة تتكون من آباء من الصلب عددها ١٨٩ قطعة ثم أمهات من النحاس مدقوقة بهذه الآباء ثم حروف من الرصاص كثيرة العدد مصبوبة علي هذه الأمهات.

٧٩- قولبة (إستريوتيب) وهي طريقة صب الأسطح الطباعية (فورم) من سبيكة معدنية. يتم الحصول على هذه الفورم بالصب المتكرر في قالب صب مصنع من الورق "الماشيه" ويسمى "القالب الأم" (المتريس). تستخدم عمومًا في طبع الجرائد والمطبوعات الزهيدة الثمن. (إسماعيل شوقي، علي محمود رشوان، المعاجم التكنولوجية المتخصصة، تكنولوجيا الطباعة، دار نشر ليبزج، جمهورية ألمانيا الديمقراطية، ١٩٨١، صـ١٦٨).

٨٠- خليل صابات، مرجع سابق صـ٢٢٠:٢٢٢

٨١- يذكر أبو الفتوح رضوان أن هذا العدد صدر في أول ديسمبر ١٩٠٦.

٨٢- هذا الربح حدث بالرغم من تخفيض أثمان المطبوعات بكافة أنواعها بمقدار ١٠٪ عن أثمان السنوات السابقة وقد ذكر في تقرير سنة ١٩٠٦م أن تخفيضًا آخر قدره ١٠٪ كان سيحدث ابتداء من أول يناير سنة ١٩٠٧م وأنه كان من الممكن تخفيض ٥٪ أخرى في سنة ١٩٠٨م.

٨٣- أبو الفتوح رضوان مرجع سابق صـ ٢٣٨

٨٤- قدر ثمن دار المطبعة بما في ذلك الأرض والمباني بملغ ٩٥.٠٠٠ جنيه وكان ذلك في سنة ١٩٠٨م.

٨٥- عمر طوسون، مرجع سابق صـ ١٠.

٨٦- عبد الرحمن الرافعي، عصر إسماعيل، ج ١، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠١، ص:٢٠١-٢٠٨

٨٧- أحمد زكريا الشلق، تطور مصر الحديثة فصول من التاريخ السياسي والاجتماعي، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، صـ٧٩،٨٧.

٨٨- أحمد زكريا الشلق، مرجع سابق، صـ٧٩،٨٠.

٨٩- يونان لبيب رزق ، مصر المدنية.. فصول في النشأة والتطور، طيبة للدراسات والنشر، القاهرة، ١٩٩٢، صـ ١٢٥-١٢٩

٩٠- عبد الرحمن الرافعي، مرجع سابق، صـ٢١٠

٩١- يونان لبيب رزق، مرجع سابق،صـ ١٢٩-١٣٥

٩٢- خليل صابات، مرجع سابق صـ ٢٢٩

٩٣- خليل صابات، مرجع سابق صـ ٢٠٠:١٩٦

٩٤- خليل صابات، مرجع سابق صـ ٢٣٦:٢٣١

٩٥- خليل صابات، مرجع سابق صـ ٢٦٠:٢٥٩

٩٦- خليل صابات، مرجع سابق صـ ٢٧٣:٢٧٢

٩٧- آر. إيه. بوكنان، مرجع سابق صـ١٩٣،١٩٤.

٩٨- خليل صابات، مرجع سابق صـ ٢٠٤

٩٩- خليل صابات، مرجع سابق صـ ٢٠٦

١٠٠- خليل صابات، مرجع سابق صـ ٢٠٨

١٠١- خليل صابات، مرجع سابق صـ ٢٤٥

١٠٢- خليل صابات، مرجع سابق صـ ٢٤٦

١٠٣- خليل صابات، مرجع سابق صـ ٢٥١

١٠٤- خليل صابات، مرجع سابق صـ ٢٧٧

١٠٥- خليل صابات، مرجع سابق صـ ٢٧٩

١٠٦- خليل صابات، مرجع سابق صـ ٢٨٠

١٠٧- محمد محمود الطناحي، مرجع سابق، صـ ٣٨٨:٣٨٣

١٠٨- أرسل لتعلم الإدارة الملكية وكان مرتبه الشهري ثلثمائة قرش، عاد من فرنسا عام ١٨٣١م. في سنة ١٨٣٥م عين مديرًا لمدرسة الإدارة والترجمة بالقلعة واختير عضوًا في المجلس الأعلى للحكومة. في سنة ١٨٣٦م عُين عضوًا في مجلس ديوان المدارس، وفي سنة ١٨٣٩م عُين سكرتيرًا لمحمد علي، وفي سنة ١٨٤٤م تقلد وزارة الخارجية والتجارة خلفًا لباغوص بك، وقد توفي في عام ١٨٥٩م. (عمر طوسون، مرجع سابق، صـ ٣٥).

١٠٩- أمر من محمد علي باشا إلى المجلس في السابع عشر من ذي الحجة ١٢٦١هـ/السادس عشر من ديسمبر ١٨٤٥م، كراسات ملخصات الأوامر العلية - كراسة

١١٠ -دفتر مجموع ترتيبات ووظائف، صـ ٣٧، قسم المحفوظات التاريخية بقصر عابدين.

١١١ - محمد محمود الطناحي، مرجع سابق، صـ ٣٩١:٣٨٩

١١٢ - يبدأ اليوم العربي من غروب الشمس أي أن الليل سابق النهار فيه وعلى ذلك تكون أوقات الصلاة اليومية على هذا الترتيب: المغرب، العشاء، الفجر، الشروق، الظهر، والعصر ولذا كان ترتيبها في التقاويم على هذا النحو.

١١٣ – هنـاك خطأ شـائع في كثير من الكتب في موضوع تاريخ إنشاء الوقائع يقول Hartmann Martin في كتاب The Arabic Press of Egypt ص ٢ إنها أنشئت في سنة ١٨٢٢م أخذاً ذلك عن الشيخ عبد الله الأنصاري مدرس اللغة العربية بالمدرسة الخديوية سابقًا في كتابه جامع التصانيف المصرية الحديثة طبع بولاق سنة ١٣١٢هـ/ الذي يحدد يوم ٣١ مايو١٨٣٢م لصدور أول عدد الوقائع وهذا خطأ.

١١٤ – محمد محمود الطناحي، مرجع سابق، صـ ٣٥٩.

١١٥ – عايدة إبراهيم نصير، حركة نشر الكتب في مصر في القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤، صـ ١٩٤.

١١٦ – عايدة إبراهيم نصير، مرجع سابق، صـ ١٧٣، ١٩٧.

١١٧ – عايدة إبراهيم نصير، مرجع سابق، صـ ٢٢٥.

١١٨ – محمد محمود الطناحي، مرجع سابق، صـ ٣٥٨:٣٧١.

١١٩ – عايدة إبراهيم نصير، مرجع سابق، صـ ١٤١.

١٢٠ – أبو الفتوح رضوان، مرجع سابق صـ ٣٢٤:٣٤٥.

١٢١ – عبد الرحمن زكي، الجيش في عهد محمد علي، صـ ١٧٢:١٧٦.

١٢٢ – أبو الفتوح رضوان، مرجع سابق صـ ٢٤٩.

١٢٣ – عايدة إبراهيم نصير، مرجع سابق، صـ ١٥٣.

١٢٤– الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم و الأخبار، مطبعة بولاق، ١٨٦٢، ج ٣، ص ١٩.

١٢٥– إبراهيم عبده، تاريخ الطباعة والصحافة خلال الحملة الفرنسية، ص ٤٢.

١٢٦– إبراهيم عبده، تطور الصحافة المصرية، ص ١٩

١٢٧– الجبرتي: المصدر السابق، ج٣، ص ٢٥٤.

١٢٨– إبراهيم عبده، مرجع سابق، ص ٢١.

١٢٩– إبراهيم عبده، تطور الصحافة المصرية، ص ٥٩

١٣٠– إبراهيم عبده، مرجع سابق، ص ٧٤.

١٣١– إبراهيم عبده، مرجع سابق، ص ٨٩.

١٣٢– محفوظات عابدين دفتر ٧٤٧ خديوي تركي وثيقة رقم ٣٦ في عام ١٢٤٤.

١٣٣– محفوظات عابدين أمر كريم مجموع ترتيبات ووظائف ص٦ بتاريخ ٩ شوال ١٢٥١هـ.

١٣٤– عبد اللطيف حمزة: قصة الصحافة العربية في مصر منذ نشأتها إلى منتصف القرن العشرين، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٥، ص٤٤.

١٣٥- إبراهيم عبده، مرجع سابق، ص ٢٨.

١٣٦- إبراهيم عبده، مرجع سابق، ص ٣٣.

١٣٧- محمود سمهان، الصحافة، ص ١١١.

١٣٨- عبد اللطيف حمزة، مرجع سابق، ص ٤٤.

١٣٩- إبراهيم عبده،تاريخ الوقائع المصرية، ص ٥٥، ٥٦.

١٤٠- دفتر ٦٦ معيه تركي وثيقة رقم ٧٤٣.

١٤١- عبد اللطيف حمزة، مرجع سابق، ص ٥٤، ٥٦.

١٤٢- إبراهيم عبده، مرجع سابق، ص٩٩، ١٠٠.

١٤٣- إبراهيم عبده، تطور الصحافة المصرية، ص٣٢.

١٤٤- خليل صابات، مرجع سابق، ص ١٥٢.

١٤٥- خليل صابات، مرجع سابق، ص ١٤٢،١٤٤.

١٤٦- محفوظات عابدين وثيقة رقم ١٣ دفتر ٨٩٨ ديوان خديوي ص ٣٥ بتاريخ ٢٨ محرم ١٢٥٠.

١٤٧- عبد اللطيف حمزة، مرجع سابق، صـ ٤٥..

١٤٨- إبراهيم عبده، مرجع سابق، صـ ٦١، عبد اللطيف حمزة، أدب المقالة الصحفية، ج١، صـ ١٥٨

١٤٩- أبو الفتوح رضوان مرجع سابق صـ

١٥٠- إبراهيم عبده، مرجع سابق، صـ ٥١

١٥١- إبراهيم عبده، مرجع سابق، صـ ١١٦

١٥٢- الهيئة العامة، مرجع سابق، صـ ٦٣

١٥٣- الهيئة العامة، مرجع سابق، صـ ٤٩١

١٥٤- الهيئة العامة، مرجع سابق، صـ ٤٩٥

المراجع

أولاً: المصادر

١- الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، أربعة أجزاء، مطبعة بولاق، ١٨٦٣م.

ثانيًا: الوثائق الرسمية

٢- دفتر مجموع ترتيبات ووظائف، دار الوثائق المصرية.

٣- دفاتر مجلس الملكية، دار الوثائق المصرية.

٤- دفاتر المعية، دار الوثائق المصرية.

ثالثًا: المراجع العربية

٥- إبراهيم عبده، تاريخ الطباعة والصحافة في مصر خلال عهد الحملة الفرنسية ١٧٩٨م-١٨٠١م، مكتبة الآداب، ١٩٤٩.

٦- إبراهيم عبده، تاريخ الوقائع المصرية ١٢٢٨م-١٩٤٢م، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، ١٩٤٢م.

٧- أبو الفتوح رضوان، تاريخ مطبعة بولاق، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٥٣م.

٨- أحمد زكريا الشلق، تطور مصر الحديثة- فصول في النشأة والتطور، طيبة للدراسات والنشر، القاهرة، ١٩٩٣م.

٩- أر. إيه. بوكنان، الآلة قوة وسلطة، التكنولوجيا والإنسان منذ القرن ١٧ حتى الوقت الحاضر، ترجمة شوقي جلال، عالم المعرفة (٢٥٩)، الكويت، ٢٠٠٠م.

١٠- أر. ج. راندال، فن الطباعة، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٢١م.

١١- إسماعيل شوقي، علي محمود رشوان، المعاجم التكنولوجية المتخصصة، تكنولوجيا الطباعة، دار نشر ليبزج، جمهورية ألمانيا الديمقراطية، ١٩٨١م.

١٢- الكسندر ستيبتشفيتش، تاريخ الكتاب، ترجمة د. محمد الأرناؤوط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٣م.

١٣- تاريخ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٩٥.

١٤- خليل صابات، تاريخ الطباعة في الشرق العربي، دار المعارف، ١٩٩٦.

١٥- سعاد ماهر، القاهرة القديمة وأحياؤها، المكتبة الثقافية، (٧٠)، القاهرة، ١٩٦٢م.

١٦- سعيد مغاوري، البرديات العربية في مصر الإسلامية، مكتبة الشباب (٤٦)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٦م.

١٧- عايدة إبراهيم نصير، حركة نشر الكتب في مصر في القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤.

١٨-عبد الرحمن الرافعي، عصر إسماعيل، جزأين، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م.

١٩- عبد اللطيف حمزة، قصة الصحافة العربية في مصر منذ نشأتها إلى منتصف القرن العشرين، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٥م.

٢٠- عمر طوسون، البعثات التعليمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الأول وسعيد، مطبعة صلاح الدين، الإسكندرية، ١٩٣٤م.

٢١- الجيش المصري البري والبحري في عهد محمد علي باشا، الإسكندرية، مطبعة المستقبل، ١٩٣٥م.

٢٢- قاسم السامرائي، الطباعة العربية في أوروبا، ندوة تاريخ الطباعة، أبو ظبي، ١٩٩٥.

٢٣- محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م.

٢٤- محمد محمود الطناحي، أوائل المطبوعات العربية في مصر، ندوة تاريخ الطباعة العربية، أبو ظبي، ١٩٩٥م.

٢٥- محمود عبد الواحد أنور، قصة الورق، المكتبة الثقافية، القاهرة، ١٩٩٨م.

٢٦- نزهت سليم، تاريخ الطباعة في تركيا، ترجمة سهيل صابان، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٩٩٣.

٢٧- هنري جون مارتان، تاريخ الكتابة في العالم، تحت إشراف آن ماري كريستان، النسخة العربية، تحرير خالد عزب، مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٥م.

٢٨- وحيد قدورة، بداية الطباعة العربية في استانبول وبلاد الشام، تطور المحيط الثقافي (١٧٠٦م-١٧٨٧م)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٩٩٣م.

٢٩- وحيد قدورة، أوائل المطبوعات العربية في تركيا وبلاد الشام، ندوة تاريخ الطباعة العربية، أبو ظبي، ١٩٩٥م.

٣٠- محمد علي عبد الحفيظ، دور الجاليات الأجنبية والعربية في مصر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م.

رابعًا: المراجع الأجنبية

٣١- Canivet, R., L'imprimerie de l'expédition d'Egypte, Les Journaux et les Proces-Verbaux de l'Institut (1798-1801), Bulletin de l'Institut Egyptien, Série V, Tome I,1907

٣٢- C. McMurtrie, D., The Book, The Story of Printing & Bookmaking, Oxford University, London, 6th edition, 1960

٣٣- Kornicki, p., The book in Japan, A Cultural History from the beginnings to the Nineteenth century, University of Hawai'i press, Honolulu, USA, 2001

٣٤- Nelly Hanna, An Urban History of Bulaq in the Mameluke and Ottoman Periods,Cairo, 1983

٣٥- Perron a Mohl, "Lettre sur les Ecoles et L'imprimerie du Pasha d'Egypte, Journ. Serie 4, Tome II, 1843

٣٦- Natalie Zemon Davis, Printing and the People, Society and Culture in Early Modern France, Stanford University Press, Stanford, 1975

٣٧- Jack Goody, The Logic of Writing and the Organization of Society, Cambridge University Press, Cambridge, 1986

٣٨- Brian Stock, The Implications of Literacy, Princeton University Press, Princeton, 1983

